غاية الأماني في الرد على النبهاني

للامام العلامة ابي المعالي محمود شكري الالوسي

المولود عام ١٢٧٣ والمتوفي عام ١٣٤٢ غفر الله لـه .

المجلد الثانى

طبع على نفقة

عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح

« وقف لله تعالى »



بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لك اللهم مكان كل نعمة لك علينا ، وعلى جميع عبادك الماضين والباقين ، عدد ما أحاط به علمك من جميع الاشياء ، ومكان كل واحدة منها عددها أضعافا مضاعفة أبدا سرمدا الى يوم القيامة ، حمدا لامنتهى لحده ، ولا حساب لعده ، ولا مبلغ لغايته ، لنتوسل به الى طاعتك وعفوك ، وتتسبب به الى رضوانك ، ونتخذه ذريعة الى مغفرتك ، وطريقا الى جنتك ، وخفيرا من نقمتك ، وأمنا من غضبك ، وظهيرا على طاعتك ، وحاجزا عن معصيتك ، وعونا على تأدية حقك .

اللهم وأوصل صلة صلواتك ونوامي بركاتك الى من أرسلته رحمة للعالمين ، ونقمة على الزائغين ، حتى ظهر أمرك ، وعلت كلمتك ، ولو كره المشركون .

اللهم وأوصل مثل ذلك الى آله الكرام والاصحاب ، والجند والاحزاب ، ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

(أما بعد) فلما من الله تعالى بفضله وتوفيقه الى اكمال النصف الاول من كتاب (غاية الاماني) بادرنا ــ بعد الاستعانة به سبحانه ــ الى الشروع في النصف الثاني ، وهو الكلام على الباب الخامس فما بعده الى آخر الابواب التي ذكرها الخصم في كتابه ، ولم يراقب فيها موقفه يوم الحساب ، وقد سلكنا في هذا المقام نحو ماسلكناه أولا من الانصاف ، ولم نخرج ــ وله سبحانه الحمد ــ عن سواء السبيل حسبما عودنا عليه من الالطاف ، ومنه سبحانه الهداية .

(قال النبهاني) في الباب الخامس من كتابه ، وهو الباب الذي عقده في الكلام على كتاب (اغاثة اللهفان) لابن القيم ، و (الصارم المنكي في الرد على السبكي) و (جلاء العينين في المحاكمة بين الاحمدين) وعقد للكلام على كل من هذه الثلاثة فصلا ، وقدم الكلام على (اغاثة اللهفان) ونقل عبارته التي ذكرها في الزيارة المبتدعة ، وما يفعله القبوريون من الاعمال الشركية التي ماأنزل الله بها من سلطان ، وبعد ختام عبارته نقل عبارة القسطلاني المتعلقة بالاغراء على الزيارة المبتدعة ليستدل بها على غلوه ، وبعد أن نقلها ــ قال : هذا ماأردت نقله هنا من كلام هذا الامام ، قال : وذكر رحمه الله أحاديث وفوائد نفيسة تتعلق بزيارته صلى الله عليه وسلم

والاستغاثة به ، وفضل المدينة المنورة ، فليراجعها من شاءها ٠

ثم قال : فانظر رحمك الله الى هذا النور ، وهذا الهدى ، وهذا الحق الظاهر المشرق الجلي : تعلم شدة الظلام المستولى على أولئك المبتـدعين ، وأنت اذا قابلت بين كلام القسطلاني وكلام ابن القيم يظهر لك كمال الفرق بين الباطل والحق الخ ٠

(أقول في جوابه) ان حاصل انتقاده هذا على كتاب (اغاثة اللهفان) أن مافيه من الكلام على الزيارة المبتدعة والمنع منها مخالف لما نقله عن القسطـلاني ، وكفى بذلك دليلا على الفساد ، وأنت تعلم مما قدمناه أن مدار الاستدلال انمـا هو على الكتاب والسنة لا بأقوال الغلاة ، وقد استوفينا الكلام على أقسام الزيارة فيما نقلناه سابقا عن أئمة أهل العلم والدين ، وأن النبهاني ـ لامتلاء قلبه من ظلمات البـدع والاهواء ـ لم يزل يكرر مايهواه ، كما هو شأن من أحب شيئا فانه يلهج بذكره ، وعليه قول القائل :

أريد لانسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل طريق

ولما استولت على قلبه محبة الاشراك بالله تعالى والغلو بالصالحين تراه يسرح في أودية الضلال ، وكلما رأى مايوافق هواه بادر الى نقله ، أو رأى مايوافق الحق ويقتضيه الدين المبين بادر الى شتم قائله وتضليله بل وتكفـيره ، وعلى ذلك بنى بنيانه ، وأقام برهانه ، وألف كتابه ، وفصل خطابه ، وكلما وجهت اليه لوما ازداد بباطله غراما :

وذي سفـه يواجهني بجهـل ... فاكـره أن أكون له مجيبـا
يزيـد سفـاهة فأزيد حلمـا ... كعـود زاده الاحـراق طيبـا

وحاله هذا حال اخوانه وسلفه ، اذ حكى الله تعالى عنهم ماحكى في كتـابه الكريم ، قال عز من قائل : (ولَنْ تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ ولاَ النَّصارَى حتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهمْ قُلْ انَّ هُدَى اللهِ هُو الهُدَى ، ولئن اتَّبعْتَ أَهواءَهُم بعد الَّذِي جاءَكَ مِن العِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللهِ منْ وليٍ ولاَ نَصيرٍ)[1] ولنضرب عن كلامه هنا صفحا اكتفاء بما سبق منا ٠

---

(١) البقرة ١٢٠

(وكتاب اغاثة اللهفان ، في مصائد الشيطان) هو كتاب مشهور من كتب السنة ، أودعه مؤلفه رحمه الله مهمات المطالب ، وأبطل به حبائل الشيطان ومصائده، ودسائسه ومكائده ، فلا بدع ان نفرت منه جنوده ، واضطربت منه أعوانه وأولياؤه والله لايصلح عمل المفسدين •

(قال النبهاني)في فصل ذكره بعد كلامه السابق : وليت ابن القيم زاد في كتابه المذكور فصلا قال فيه : ومن مصائده أنه يسول الى بعض العلماء الغلو في الدين ، ويحسن تضليل المسلمين بالاستغاثة والزيارة لقبور الانبياء والصالحين ، ويدخل عليهم بحيله الشيطانية ، أن في ذلك شركا برب العالمين ، والامر على خلاف ماأوحاه اليهم هذا اللعين ، فقد أضر بهم ضررا فاحشا في الدين ، الى آخر هذيانه •

جوابه أن يقال ـ من قبل من يوحد الله ولا يشرك بعبادته أحدا ـ إخسأ ياعدو الله ان الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي ، والذي أضر بالمسلمين عبادتهم للقبور ، وتلاعبهم بما يعملون في المشاهد والزوايا من المنكرات ، واعراضهم عما استوجبته شريعتهم من اكتساب مايستوجب السعادتين ، فيا أيها الداعي لعبادة غير الله تعالى كلامك هذا دل عليك أنك من جند ابليس ، بل قد ارتقى بك الحال حتى صار ابليس من جندك ، كما قيل في أخيك ومن يشابهك ويضاهيك :

وكان فتى من جند ابليس فارتقى ... به الحال حتى صار ابليس من جنده

فنحن بحمد الله لم نزل ممتثلين لما ورد من الاوامر في الشريعة الغراء ، منتهين عما نهى الله عنه ورسوله وسائر الانبياء ، لاندعو غير الله ،ولانسأل فيالمهمات سواه (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ في الآخِرةِ مِنَ الخَاسِرِين)[1]

فنحن عند المهمات نقول اللهم يامن تحل به عقد المكاره ، ويامن يسكن به حد الشدائد ، ويامن يلتمس منه المخرج الى روح الفرج ، ذلت لقدرتك الصعاب ، وتسببت بلطفك الاسباب ، وجرى بقدرتك القضاء ، ومضت على ارادتك الاشياء ، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة ، وبارادتك دون نهيك منزجرة ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المفزع في الملمات ، لايندفع منها الا مادفعت ، ولا ينكشف منها الا ماكشفت ، فلا مصدر لما أوردت ، ولا صارف لما وجهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا ناصر لمن خذلت •

---

(١) آل عمران : ٨٥

وحيث أن ماذكره النبهاني هو وحي شيطاني ، قال تعالى :(وانَّ الشَّياطِينَ ليوحُون الى اوْليائِهم ليُجَادلُوكُمْ)[1] وقال تعالى(شَياطيْنَ الانسِ والجنِّ يوحِي بعْضُهم الى بعض زخرفَ القَولِ غُروراً)[2] وجب أن نستعيذ منه ، فان شياطين الانس أشد ضررا من شياطين الجن، فنقول :اللهم انا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم ومكائده، ومن الثقة بأمانيه ومواعيده ، وغروره ومصائده ، وأن يطمع نفسه في اضلالنا عن طاعتك ، وامتهاننا بمعصيتك ، وأن يحسن عندنا ماحسن لنا ، وأن يثقل علينا ماكره الينا ، اللهم اخسأه عنا بعبادتك ، واكبته بجدنا في محبتك ، واجعل بيننا وبينه سترا لايهتكه ، وردما مصمتا لايفتقه ، اللهم أشغله عنا ببعض أعدائك ، واعصمنا منه بحسن رعايتك ، واكفنا خطره ، وولنا ظهره ، واقطع عنا أثره ، اللهم ومتعنا من الهدى بمثل ضلالته ، وزودنا من التقوى ضد غوايته ، واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى ، اللهم لاتجعل له في قلوبنا مدخلا ، ولا توطن له فيما لدينا منزلا ، اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه ، واذا عرفتناه فقناه وبصرنا ما نكايده به ، وألهمنا مانعده له ، وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون اليه ، وأحسن بتوفيقك عوننا عليه ، اللهم واشرب قلوبنا انكار علمه ، وألطف لنا في نقض حيله ، وحول سلطانه عنا ، واقطع رجاءه منا ، وادرأه عن الولوع بنا ، واجعلنا منه في حرز حارز ، وحصن حافظ ، وكهف مانع ، وألبسنا منه جننا واقية ، وأعطنا عليه أسلحة ماضية ، اللهم واعمم بذلك من شهد لك بالربوبية ، وأخلص لك بالوحدانية ، وعاداه لك بحقيقة العبودية ، واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية ، اللهم احلل ماعقد ، وافتق مارتق ، وافسخ مادبر ، وثبطه اذا عزم ، وانقض ماأبرم ، اللهم واهزم جنده ، وابطل كيده ، واهدم كهفه ، وأرغم أنفه ، اللهم اجعلنا في نظم أعدائه ، واعزلنا عن عداد أوليائه ، لانطيع له اذا استهوانا ، ولا نستجيب له اذا دعانا ، نأمر بمناواته من أطاع أمرنا ، ونعظ بمتابعته من اتبع زجرنا ، اللهم وأعذنا مما استعذنا منه ، وأجرنا مما استجرنا بك من خوفه ، واسمع لنا مادعونا به ، وأعطنا ماأغفلناه ، واحفظ لنا مانسيناه ، وصيرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين ، آمين يارب العالمين .

ثم ان مانسب الى الاولياء مما يحبه ويهواه من الباطل والضلال سنتكلم عليه ان شاء الله ، ونبطل دعواه فيه ، ولا سيما مانسب للشيخ عبد القادر ، وسنذكر من

---

(١) الانعام : ١٢١ . (٢) الانعام : ١١٣

كلامه مايدل على أنه كان أحرص الناس على التوحيد ، وتعبيره عن المسلمين ــ الذين أخلصوا وجوههم لله ــ بالالقاب المستكرهة هو من خصال أهل الجاهلية من المشركين والكتابيين ، فلقب أهل الهدى تارة بالوهابية ، وأخرى بالحشوية ، ومرة بالمجسمة ، كما كان أسلافه يسمون من خرج عن دينهم بالصابي ، وسموا رسول الله صلى الله عليه وسلم صابئيا ، كما ورد ذلك في عدة أحاديث صحيحة تنفيرا للناس عن اتباع غير سبيلهم ، وهكذا تجد كثيرا من هذه الامة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء يكرهها الناس ، ويستبشعها العوام ، وجميع ماذكر النبهاني في هذا المقام مما يتعلق بالسفر الى الزيارة والاستغاثة بغير الله قد مر الكلام على ابطاله •

(قال النبهاني) في الرد على ما منعه ابن القيم من ضرب المثل ــ بالملك وقضاء حاجات المستشفعين له بوزرائه وخواصه ــ لله تعالى في قضاء حاجات المستشفعين له بانبيائه وعباده الصالحين ، وبعد نقل منعه قال النبهاني : ومنعه ممنوع ، لان ذلك من قبيل التشبيه ، وهو واقع في القرآن بقوله تعالى :

(مَثَلُ نورهِ كمشكَاةٍ فيهَا مِصبَاحٌ)[1]

الى أن قال : وانما حمل ابن القيم على منعه والاطالة في تهجينه كون ذلك يفيد جواز الاستغاثة بخواص عبيده المقربين ، من الانبياء والصالحين ، ثم نقل لابن القيم عبارة ذكرها في (جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام) في الفائدة التاسعة والثلاثين من فوائده ، مما يفيد بزعمه تشبيه الخالق بالمخلوق ، ونقل عن القسطلاني والشعراني وعلي الخواص وغيرهم مايفيد أيضا جواز قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه بخلقه •

(جوابه) أن النبهاني هذا قد لبس في هذه المسألة وحرف وأوهم ، فلزم نقل عبارة ابن القيم أولا وما يوافقها ، ثم الكلام على باطل النبهاني وجهله •

فنقول : قال الحافظ ابن القيم في كتابه (اغاثة اللهفان) في فصل الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين : أما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء :

(أحدها) تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ ، وقد أشار النبي عليه السلام الى ذلك بقوله : (زوروا القبور فانها تذكركم بالآخرة) •

---

(١) سورة النور : ٣٥

(الثاني) الاحسان الى الميت ، وأن لايطول عهده به فيهجره ويتناساه ، كما اذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه ، فاذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك ، فالميت أولى ، لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها اخوانهم وأهلهم ومعارفهم ، فاذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء أو صدقة أو اهداء قربة ازداد بذلك سروره وفرحه كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له ، ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائر أن يدعو لهم ، ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم .

(الثالث) احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ماشرعه الرسول عليه السلام ، فيحسن الى نفسه والى المزور .

(وأما الزيارة الشركية) فأصلها مأخوذ من عباد الاصنام ، قالوا : الميت المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لايزال تأتيه الالطاف من الله تعالى ، ويفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ، قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويعكف بهمته عليه ، ويوجه قصده كله واقباله عليه ، بحيث لايبقى فيه التفات الى غيره ، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب الى انتفاعه به ، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها ، وقالوا : اذا تعلقت النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا السر عبدت الكواكب ، واتخذت لها الهياكل ، وصنفت لها الدعوات ، واتخذت الاصنام المجسدة لها .

وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا ، وتعليق الستور عليها ، وايقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه ، وناقضوه في قصده ، وكان صلى الله عليه وسلم في شق ، وهؤلاء في شق وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى .

قالوا : فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان ، فهو شديد

التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به •

فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله ، وتكفير أصحابه ولعنهم ، وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم ، وأوجب لهم النار ، والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله وابطال مذهبهم ، ثم سرد عدة آيات ونصوص من ذلك ، وتبين منها أن المشركين انما عبدوا من عبدوا بسبب اتخاذ من سوى الله وسائط بينهم وبينه ، فاذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب وما يجب له وما يمتنع عليه ، فان هذا ممتنع ، اذ كيف يقاس الرب تعالى على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج ، وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق ، والرب والعبد ، والمالك والمملوك ، والغني والفقير ،والذي لاحاجة به الى أحد قط ، والمحتاج من كل وجه الى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فان قيام مصالحهم بهم ، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملوك والكبراء بهم ، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع ، لانهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم ، فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى ، فأما الغنى الذي غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه بذاته وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرّفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة • ثم ذكر الدلائل القرآنية على ذلك مما يطول ذكره فراجع كتابه وهو بين الايدي •

فتبين مما نقلناه من عبارته مالبس به النبهاني وحذف ليروج غرضه الفاسد ، وهو اتخاذ الوسائط بينه وبين الله بناء على ماجوزه من قياس الخالق على المخلوق ، وعلى كلامه الفاسد ينبغي أن تجوز كل عبادة لله أن تجعل لغيره ، ويقال أنه واسطة كما أن الوزير واسطة بين الناس وبين الملك •

وهذا الذي ذكره ابن القيم قد سبقه به شيخه ، وذكر مثله في مواضع ، منها ماقاله في رسالة الواسطة حيث نص فيها أن من أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في

جلب المنافع ودفع المضار ـ مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه ـ فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق ، قال تعالى :

(اللهُ الَّذِي خلَقَ السَّمواتِ والارْضَ وَمَا بيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ ايَّام ثُمَّ اسْتوى على العرشِ مَالكُم مِن دُونهِ من ولِيّ وَلَا شَفِيْعٍ افَلَا تَتَذَكَّرُونَ) [1]

وذكر نصوصا أخر الى أن قال : ومثل هذا كثير في القرآن ، ومن سوى الانبياء ـ من مشايخ العلم والدين ـ من أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم ، فقد أصاب في ذلك ، وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لايجتمعون على ضلالة ، وان تنازعوا في شيء رد الى الله والرسول ، اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (العلماء ورثة الانبياء ، فإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر) • وان أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ـ بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسئلون الله ، كما أن الوسائط عند الملك يسألون الملك الحوائج للناس لقربهم منه ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب من الطالب للحوائج ـ فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك ، يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل •

وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادا ، قال : وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوى ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة •

اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لايعرفونه ، ومن قال ان الله تعالى لايعلم أحوال عباده حتى يخبره بها بعض الملائكة أو الانبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ، وهو

---

(١) السجدة : ٤

السميع البصير ، يسمع ضجيج الاصوات ، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لايشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين .

والوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه الا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولاولي من الذل ، قال تعالى : (قُلِ ادعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم من دِونِ اللهِ لا يَمِلكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ في السَّموات ولا فِي الأَرضِ ومَالَهُم فِيهِمَا من شِرْكٍ ومَا لَهُ منهُمْ من ظَهِيرٍ)[1] وقال تعالى : (وقُل الحَمدُ لله الَّذي لم يَتَّخذ ولداً ولَمْ يَكُن لهُ شَرِيكٌ في المُلْك ولَم يَكُن لهُ ولِيٌّ من الذُّلّ وكَبِّرهُ تكْبِيْرا)[2] وكل مافي الوجود من الاسباب فهو خالقه وربه ومليكه ، فهو الغني عن كل ماسواه ، وكل ماسواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، اما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه ، والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الاشياء انما تكون بمشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو اذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن الى هذا أو يدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع من ارادة الدعاء والاحسان والشفاعة ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده ، أو يعلمه مالم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب ويخافه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لايقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لامكره له) ، والشفعاء الذين

(١) سبأ : ٢٢ . (٢) سورة الاسراء : ١١١

يشفعون عنده لايشفعون الا باذنه ، وذكر الآيات الدالة على ذلك الى أن قال : فبين أن كل من دعي من دونه ليس له نصيب ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير ، وان شفاعتهم لاتنفع الا لمن أذن له ، وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم ، وتارة لخوفه منهم ، وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافآتهم لايفائهم عليه ، حتى أنه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد ، حتى لو أنه أعرض عنه زوجته وولده لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته خاف أن لايطيعه أو أن يسعى في ضرره ، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبته أو رهبته ، فالله تعالى لايرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغني ، واستشهد بنصوص كثيرة على ذلك وأطنب في الكلام •

(فتبين) مما نقلناه أن قياس الخالق على المخلوق في غاية الفساد ، بل هو قياس مع الفارق من وجوه كثيرة ، ومنه يعلم سقوط كلام النبهاني الغبي ، وأنه لايعلم من فن الاصول شيئا أصلا ، ولا عرف باب القياس ولا دراه •

(وأما قوله) بعد ذكره منع ابن القيم ومنعه ممنوع الخ فهي عبارة تدل على أنه لم يمارس شيئا من العلوم ، ولا قرأ مايقرؤه المبتدئون في طلب العلم وهو علم آداب البحث والمناظرة ، اذ لو شم رائحته لعلم أن المنع لايمنع ، اذ من قواعده أن منع المنع ومنع مايؤيده لايفيد ، ولولا أن هذه القاعدة من أشهر مسائل هذا الفن لتكلمنا عليها بكلام أكثر من ذلك •

فالحمد لله الذي جعل أعداء الحق وخصماء السنة من أجهل الناس بما يوجب السعادة ، وأضلهم عن سواء السبيل •

(وأما مانقله) من الفائدة عن كتاب (جلاء الافهام) وزعم أنها تناقض ماذكره ابن القيم في اغاثته من الرد على من قاس الخالق على المخلوق ، فنقول : ليس الامر كما زعم ، ولا مخالفة بين العبارتين ، ومن نقل الفائدة بنصها يتبين ما قلناه من أن النبهاني غالط في كلامه ، فقد قال ابن القيم في الكتاب المذكور بعد أن عد تسعا وثلاثين فائدة مانصه :

(الاربعون) أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد هي دعاء ، ودعاء

العبد وسؤاله من ربه نوعان : (أحدهما) سؤاله حوائجه ومهماته وما ينـوبه في الليل والنهار ، فهذا دعاء وسؤال وايثار لمحبوب العبد ومطلوبه (والثاني) سؤالـه أن يثني على خليله وحبيبه ، ويزيد في تشريفه وتكريمه ، واشادة ذكره ورفعه ، ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله ، وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومحابه هو ، بـل كان هذا المطلوب من أحب الامور اليه وآثرها عنده ، فقد آثر مايحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على مايحبه هو ، فقد آثر الله ومحابه على ماسواه ، والجزاء من جنس العمل ، فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره ، واعتبر هـذا بما تجـد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم اذا أرادوا التقرب اليهم والمنزلة عنـدهم ، فانهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته اليه ، وكلما سألـوه أن يزيد في حبائه واكرامه وتشريفه علت منزلتهم عنده وازداد قربهم منه وحظـوتهم ، لانهم يعلمون منه ارادة الانعام والتشريف والتكريم لمحبوبه ، فأحبهم اليه أشدهم له سؤالا ورغبة أن يتم عليه انعامه واحسانه ، هذا أمر مشـاهد بالحس ولا يكـون منزلة هؤلاء ومنزلة من يسأل المطاع حوائجه هو وهو فارغ من سـؤاله تشـريف محبوبه والانعام عليه واحدة ، فكيف بأعظم محب وأجله لاكـرم محبـوب وأحقه بمحبة ربه له ؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه الا هذا المطلوب وحـده لكفى المؤمن به شرفا الخ .

(هذه هي عبارة جلاء الافهام) وهي الفائدة الاربعون لا التاسعة والثـلاثون كما وهم النبهاني ، وأنت تعلم أن ماأسقطه ولم ينقله شيء كثير ، والذي حذفه هو الذي يوضح المسألة ، وهكذا شأنه يحذف ما عليه وينقل مالا فائدة له فيـه ، وابن القيم رحمه الله أجل من أن يتكلم بما يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه السلف ، وكلامه يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ، فما ذكره في اغاثته من منع اتخـاذ الوسائط في الالتجاء اليه تعالى والعبادة والتوكل والنذر وغير ذلك لم يتكلم بخلافه في كتاب من كتبه ، فلا يجوز أن يطلب الرزق من مخلوق ويقصـد جعله واسطة في حصول رزقه ، ولا أن يطلب كشف الضر أو تحويله من ملك أو بشـر بقصـد أن يكونوا وسائط عند الله في هذا المرام كما يستشفع بالوسائط عند الملوك والاكابر ، لما سبق أن هذا قياس مع الفارق وأن اتخاذ الوسائط الى الله فيما لايقدر عليـه الا الله هو شرك المشركين ، وهو الذي أرسل الله لمحوه الانبياء والمرسلين ، وما ذكره في جلاء الافهام من أن سؤال الرب سبحانه أن يثني على رسوله ويشرفه ويتعطـف

عليه هو آثر عنده من أن يطلب السائل شيئا لنفسه •

ثم لتوضيح المسألة قال : واعتبر ذلك بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ، الخ ، أي قس سؤال الله أن يتفضل على خليله وحبيبه وأنه آثر من السؤال أن يتفضل على السائل بسؤال الرعايا للملك أن يتفضل بالطافه على من يعلمون أن الملك يحبه من أمير أو وزير أو أحد الرعايا ، اذا قسته تجد الامر كما وصف من أن الملك يؤثر لديه هذا السؤال ، وكذلك يقال اذا كان لاب واحد عدة بنين ومنهم من هو أحب اليه من غيره ، فلا شك أن أحد الابناء اذا سأل أباه أن يخص الابن الذي هو أحب أبنائه باحسان وعطية كان ذلك آثر لدى الاب من أن يسأله أحد الابناء شيئا لنفسه ، وهذا من باب ضرب المثل وتوضيح المسألة ، ومن أين هنا اتخاذ الوسائط والالتجاء الى غير الله ، وههنا القياس صحيح والجامع موجود ، فان الله سبحانه يؤثر لديه سؤال العبد ماهو مرغوب له تعالى على سؤال العبد ماتعود مصلحته اليه كما أن المحسوس كذلك •

فانظر الى غباوة هذا الملحد الزائغ حيث لم يفرق بين ماذكر في (الاغاثة) وبين ماذكر في (جلاء الافهام) مع أن الفرق كما بين النور والظلام •

ثم ان مانقله عن الشيخ محيى الدين من أنه استعمل هذا القياس في الفتوحات المكية وهو قوله : لما كان الحق تعالى هو السلطان الاعظم ، ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات ــ مع أنه تعالى لايقبل المكان ــ اقتضت المرتبة أن يخلق عرشا ، ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم ، انتهى : لايدل على مقصده بل على نقيضه ، فان النبهاني قصد من صحة القياس اتخاذ الوسائط ليقربوه الى الله زلفى ، وهو عين معتقد أهل الشرك •

والشيخ محيى الدين بين سبب خلق العرش ، وأن الله استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج ، والفرق جلي بين المقامين ، ولا مناسبة بين الكلامين •

وما نقله عن مسالك الحنفاء للقسطلاني مما يؤيد اتخاذ الوسائط قياسا على ملوك الدنيا مردود على قائله ، والقسطلاني أيضا كان من الغلاة وكلامه ليس بحجة على المسلمين ، ومدار الاستدلال الكتاب والسنة ، ومفاسد سوء الفهم أكثر من أن تحصى •

(قال النبهاني) ثم بعد كتابتي هذا رأيت عبارة للامام أحمد هي من أقوى

الأدلة المقنعة لابن القيم وغيره في جواز هذا التشبيه ، وهي مذكورة في كتاب (منهاج السنة) وهي أن الامام أحمد قال قالت الجهمية ــ لما وصفنا الله تعالى بهذه الصفات ــ اذ زعمتم أن الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته ، قلنا : لانقول أن الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره ، ولكن نقول لم يزل الله بقدرته ونوره لامتى قدر ولا كيف قدر ، فقال : لاتكونون موحدين أبدا حتى تقولوا كان الله ولا شيء فقلنا : نحن نقول قد كان الله ولا شيء، ولكن اذا قلناأن الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصف الها واحدا بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا ، فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله تعالى وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد ، لا نقول انه قد كان في وقت من الاوقات لايقدر حتى خلق قدرة والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقولقد كان في وقت من الاوقات لايعلم حتى خلق لنفسه علما والذي لايعلم هو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله عالما قادرا مالكا لامتى ولا كيف ، وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً)[1] وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له عينانوأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته ، فكذلك الله تعالى ــ وله المثل الاعلى ــ هو بجميع صفاته اله واحد .

قال النبهاني : انتهى كلام الامام أحمد بحروفه ، فأنت تراه لم يجعل التشبيه الذي شبهه ــ بقوله فكذلك الله تعالى ــ بملك له وزراء ، وانما جعل ذلك التشبيه بجماد وهو النخلة وكافر وهو الوليد بن المغيرة ، فاذا جاز ضرب الجماد والكافر مثلا لله تعالى وصفاته العلية أفلا يجوز ضرب المثل لله تعالى وأنبيائه وعباده الصالحين بملوك الدنيا ووزرائهم وخواصهم ؟ ولعمري إن جواز ذلك أوضح من أن يتردد فيه مثل ابن القيم مع وفرة فهمه ودقة علمه ، ولكن هواه في نصرة تلك البدعة كان حجابا له عن ذلك الخ .

(أقول جوابه) أن هذا النقل عن الامام صحيح ، وهو من كتابه في الرد على الجهمية ، وهم أصحاب جهم بن صفوان الذي كان يقول بنفي الصفات عن الله

---

(١) المدثر : ١١

تبارك وتعالى ، والامام أحمد رد عليه وعلى أصحابه برسالة مختصرة ، وهي متداولة بين الايدي ، وقد طبعت في الهند ، وليس فيما نقله النبهاني مايمس مطلبه والاستدلال بمثل ذلك على جواز اتخاذ الوسائل بين العبد وبين الله في الالتجاء اليه والاستعانة به وغير ذلك ، ويكفي هذا الفهم دليلا على جهل النبهاني وغباوته وافلاسه من كل فضيلة ، ومن العجب أني رأيت كل من كان على هذا المسلك المعوج ذا غباوة وجهل وحجاب على بصيرته ، وذلك قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[1] وقوله سبحانه : (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ)[2]

ان الامام أحمد قدس الله روحه كان من أجل مشايخ الموحدين ، كيف يقول بجواز اتخاذ الوسائط والوسائل وهو مذهب المشركين ؟ ولكنه تناظر مع الجهمية فيما خالفوا به أهل السنة ، ومن جملة ماناظرهم به مسألة الصفات ، وقبل هذه العبارة التي نقلها النبهاني عن الشيخ عبارة أخرى ، وبها يتضح المراد .

قال الامام : وقلنا للجهمية من القائل يوم القيامة (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ)[3] أليس الله هو القائل قالوا : يكون الله شيئا يعبر عن الله كما كون شيئا فعبر لموسى .

فقلنا : فمن القائل : (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ)[4] أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله انما يكون شيئا يعبر عن الله .

فقلنا لهم : قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لايتكلم ، فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الاصنام لاتتكلم ولا تنطق ولا تتحرك ولا تزول من مكان الى مكان ، فلما ظهرت عليهم الحجة قالوا ان الله قد تكلم لكن كلامه مخلوق .

---

(١) البقرة ٦ ، ٧ ـ (٢) الملك : ١٠ ، ١١ ـ (٣) سورة المائدة : ١١٦ ـ (٤) الاعراف : ٦ ، ٧

فقلنا وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لايتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لايتكلمون حتى خلق لهم كلاما ، فجمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة علوا كبيرا ، بل نقول : ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ، ولا نقول إنه قد كان لايتكلم حتى خلق كلاما ، ولا نقول انه قد كان لايعلم حتى خلق علما فعلم ، ولا نقول انه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا نقول انه قد كان ولا نور حتى خلق لنفسه نورا ، ولا نقول انه قد كان ولاعظمة حتى خلق لنفسه عظمة •

فقالت الجهمية لنا لما وصفنا الله بهذه الصفات : ان زعمتم أن الله ونوره والله وعظمته والله وقدرته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره الى آخر ماسبق نقله ، انتهى •

فالمقصود من كلام الامام أحمد من ضرب النخلة والوحيد مثلا : أن الذات المتصفة بصفات تتصف بالوحدانية ، لأن الصفات لاتستقل بنفسها ، ولا يمكن انفكاكها عن الذات الا في الذهن ، واعتراض الجهمية والمعتزلة لايرد على أهل السنة، ومذهب النصارى لايصلح نقضا ، فانهم أثبتوا الاقانيم الثلاثة وكل منها مستقل ، فالتعدد متحقق ، وأما المثبتون للصفات فعندهم أن الذات لاتنفك عنها أصلا ، والتعدد منتف ، وتفصيل ذلك في كتب الكلام ، والامام مثل لصحة اطلاق الواحد على الذات المتصفة بالصفات بما هو أبلغ منه وهو اطلاق اسم النخلة على ماتركب من جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار ، وسمى الوليد بن المغيرة المخزومي وحيدا مع ماله من الاعضاء والاجزاء المحسوسة ، وهكذا الحائط ، والمركب ، والسرير ، والكتاب ، الى مالا يحصى من الاشياء التي استحقت اطلاق لفظ الواحد مع تعدد ماتركبت منه ، فكيف لايتحد ولا يطلق الواحد على المتصف بالصفات •

فالامام أحمد لم يشبه رب العالمين بالنخلة ولا بالوليد ولا بغيرهما من المخلوقات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، انما شبه اطلاق الواحد على الله باطلاقه على أشياء تركبت من أمور كثيرة كان ينبغي أن لايطلق عليها ذلك ، فاطلاقه على الذات المتصفة بالصفات أولى بالجواز والصحة •

فانظر الى سوء فهم النبهاني كيف فهم من عبارة الامام مافهم ، وأوقعه جهله في مهواة من الضلال حتى زعم أن الامام شبه اله العالمين بالنخلة ونحوها ، كل ذلك

غراما منه باتخاذ الواسطة وعبادة غير الله تعالى ، قاتله الله ماأضله وأكفره •

ثم ان من مزيد جهله جعل النخلة من الجماد ، ولا يصلح ذلك لغة ولا عرفا ، ولا حقيقة ولا مجازا ، بل النخلة هي من الشجر ، وبذلك ورد الحديث الصحيح حيث شبهها بالمؤمن ، والحمد لله الذي جعل أعداء السنة والحق من الذين لايفرقون بين النبات والجماد ، وشبهوا الخالق بالمخلوق ، وخبطوا في أعمالهم وعقائدهم خبط عشواء •

والكلام على استدلال النبهاني بقوله تعالى : (مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكَاةٍ) كالكلام على ماسبق ، على أن في المراد بالنور أقوالا ليس هذا موضع ذكرها •

(قال النبهاني) وقد قال ابن القيم نفسه في كتابه (طريق الهجرتين) في فصل مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها : وهم ثماني عشرة طبقة الطبقة الاولى وهي العليا على الاطلاق مرتبة الرسالة ، فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله ، وهم المصطفون من عباده ، الى أن قال : ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه اختصهم لوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته ، وواسطة بينه وبين عباده وخصهم بأنواع كراماته ، فمنهم من اتخذه خليلا ، ومنهم من كلمه تكليما ، ومنهم من رفعه مكانا عليا على سائرهم درجات ، ولم يجعل لعباده وصولا الا من طريقهم ، ولا دخولا الى الجنة ا لاخلفهم ، ولم يكرم أحدا بكرامة الا على أيديهم ، فهم أقرب الخلق اليه وسيلة ، وأرفعهم عنده درجة ، وأحبهم اليه ، وأكرمهم عليه ، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة انما ناله العباد على أيديهم ، وبهم عرف الله ، وبهم عبد وأطيع ، وبهم حصلت محابه تعالى في الارض ، وأعلاهم منزلة أولوا العزم منهم المذكورون في قوله تعالى :(شَرَعَ لَكُم من الدِّين ما وَصَّى به نُوحاً والذي اوحينا إليك وما وَصَّيْنَا به إبراهِيم وَمُوسَى وعِيْسَى)[1] وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق ، وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها الى خاتمهم وأفضلهم •

(قال النبهاني) انتهت عبارته رحمه الله ، فاذا كان هو بنفسه يصفهم بهذه الاوصاف الجميلة التي هم أهلها ومحلها ، وقد صرح فيها بأنهم واسطة بينه تعالى وبين عباده ، وأنهم أقرب الخلق اليه تعالى وسيلة ، وأن خير الدنيا والآخرة انما

(١) الشورى : ١٣

ناله العباد على أيديهم ، فما الذي جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغاثة بهم الى الله تعالى ، وجعلهم واسطة بين العباد وبينه عز وجل ، ووسيلة الى قضاء حوائجهم الدنيوية والاخروية ، أفلا يعد هذا من ابن القيم تناقضا ؟ انتهى •

(أقول في الجواب) ان ابن القيم رحمه الله وكذلك شيخه ومن على منهاجهم من أكثر الناس حبا للانبياء والرسل عليهم السلام ، وكتبهم طافحة ببيان مايجب لهم من التوقير والاحترام ، وفي كتاب (مفتاح دار السعادة) بحث مفصل في بيان حاجة الناس اليهم ومايجب من العمل بهديهم ، حتى قال : ان العالم لو خلا من هديهم فسد وخرج عن نظامه الى آخر ماتكلم به ، ومن مزيد محبتهم له وتوقيرهم اياه حافظوا على هديهم وسننهم وما جاؤا به من عند الله ، ومن هديهم تخصيص الله تعالى بالعبادة والالتجاء اليه ، والنذر له والتوكل عليه ، وندائه في المهمات ، والاستعانة به في طلب الحاجات ، الى غيرذلك من تخصيصه بخصائص الربوهية والالوهية •

ومانقله النبهاني عن ابن القيم هو معتقد كل مسلم حنيف يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فضلا عن شيخ الاسلام ، ومن كان على سننه من الائمة الاعلام — ولا شك أن رسل الله هم الوسائط العظمى بين الله وبين المكلفين من عباده في تبليغ شرائعه وما يريده سبحانه من عباده ، وبيان أسباب السعادة الدنيوية والاخروية ، لا أنهم وسائط بالمعنى الذي فهمه الغبي النبهاني ، حتى زعم أن ذلك مراد ابن القيم ، وأخذ يوبخه بقوله فما الذي جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغاثة بهم الى الله الخ ، بل المراد بالوسائط في كلامه بالمعنى الذي ذكرناه ، وعليه أئمة الدين ، وأكابر الموحدين •

(قال شيخ الاسلام قدس الله روحه) — في الجواب عن سؤال فيه أن رجلين تناظرا ، فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لانقدر أن نصل اليه بغير ذلك — الحمد لله رب العالمين ، ان أراد بذلك أنه لابد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق ، فان الخلق لايعلمون مايحبه الله ويرضاه ، وما أمر به ومانهى عنه ، وما أعده لاوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون مايستحقه الله من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده ، فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة •

وأما المخالفون للرسل فانهم ملعونون ، وهم عن ربهم ضالون محجوبون ، قال

الله تعالى : (يا بَنِي آدَم إما يأْتِينَّكم رُسُلٌ منكُم يَقُصُّونَ علَيكُم آياتِي فَمَن اتَّقى وأَصلحَ فلا خَوفٌ عليهِم ولا هُم يَحْزَنُونَ . والَّذيْن كَذَّبوا بآياتنَا واسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولئِكَ أصْحَابُ النَّارِ هُم فيهَا خالدُونَ)[1] وقال تعالى : (فامَّا يَأْتِينَّكُم مِنِّي هُدى فَمنِ اتَّبعَ هُدايَ فلا يضِلُّ ولا يشقَى . ومَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإنَّ لهُ معيشَةً ضنْكا ونَحشُرُهُ يوم القيامَةِ أَعْمى . قَالَ رَبِّ لِمَ حشَرْتَنِي أَعْمَى وقدْ كُنْتُ بَصيراً . قالَ كَذَلك أَتتْكَ آياتُنا فنَسيْتَها وكَذَلكَ اليَومَ تُنْسى)[2]

قال ابن عباس : تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لايضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

وقال تعالى عن أهل النار : (كُلَّمَا أُلقِيَ فِيهَا فَوجٌ سَأَلَهُم خزنتها أَلَم يأْتكم نَذِيرٌ . قَالُوا بَلى قدْ جاءَنا نَذيرٌ فكَذَّبْنَا وقُلْنا ما نَزَّل اللهُ منْ شَيْءٍ إن أَنْتُمْ إلَّا في ضَلَالٍ كَبيْرٍ)[3] وقال تعالى : (وسيقَ الَّذيْنَ كَفرُوا إلى جَهنَّم زُمراً حتَّى إذَا جاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوابُها وقَال لَهم خَزنَتُها أَلَمْ يأْتكُمْ رُسُلٌ مِنْكُم يَتلُون عليكُم آياتِ ربِّكُم ويُنْذرُونَكُم لِقاءَ يَومِكُم هذَا قالُوا بلَى ولَكِنْ حَقَّت كَلِمَةُ العذَابِ عَلى الكَافرِينَ)[4]

وقال تَعالى : (ومَا نُرسِلُ المرسَلينَ إلَّا مُبشِّرين ومنْذِرينَ فَمَنْ آمنَ واصْلح فلا خَوفٌ عليْهم ولَا هُم يَحْزنون . والَّذينَ كَذبوا بآياتنا يَمسُّهُمُ العذَاب بِما كَانو يفْسُقُون)[5] وقال تعال : (إنَّا اوحينَا اليْكَ كَما اوحَينا إلى نُوحٍ والنَّبيِّينَ مِنْ بعده وأَوحَينَا الى ابْراهيم واسْماعيلَ واسْحاقَ ويعقُوبَ

---

(١) الاعراف : ٣٥ ، ٣٦ — (٢) طه : ١٢٣ — ١٢٥ — (٣) الملك : ٨،٩ — (٤) الزمر : ٧١ — (٥) الانعام : ٤٨ ، ٤٩

والاسْباطِ وعيْسى وايُّوب ويُونُس وهَرونَ وسُلَيْمانَ وآتَينا داودَ زَبُوراً ورُسلاً قدْ قصصْنَاهُم عليكَ مِن قبـلُ ورُسُلاً لم نقْصُصْهم عَليْكَ وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً . رُسُلاً مُبَشرِيْنَ ومُنْذِرِيْنَ لِئلا يَكُونَ للنَّاس عَلى اللهِ حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ) [1] ومثل هذا في القرآن كثير .

وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله تعالى أمره وخبره •
قال تعـالى : (اللهُ يصطَفي منَ المَلائكَةِ رُسُلاً ومنَ النَّاسِ) [2]
ومن أنكـرهذه الوسائط فهو كافر باجماع أهل الملل •
والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة ــ مثل الانعام والاعراف وذوات آلـر • وحم وطس • ونحو ذلك هي ــ متضمنة لاصول الدين ، كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر ، وقد قص الله تعالى قصص الكفار الذين كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهـم ونصر رسله والذين آمنوا ، قال تعالى : (ولقَد سَبقَت كَلِمتُنا لِعبادنا المُرسلِيْنَ . إنَّهُم لَهم المَنصُورون . وإنَّ جُندَنا لَهم الغالبُونَ) [3] وقال : (إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ آمنُوا في الحياة الدُّنيا ويوْمَ يقُومُ الأَشْهادُ) [4]

فهذه الوسائط تطاع وتتبع ويقتدى بها كما قال : (ومَا ارسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بِاذْنِ اللهِ) [5] وقال تعـالى : (منْ يُطِعِ الرَّسُولَ فقَد أَطاعَ اللهَ) [6] وقَال تعالى (قلْ إنْ كُنْتُم تُحِبونَ اللهَ فاتَّبعُونِي يُحبِبْكُم اللهُ) [7] وقال : (فالَّذِينَ آمنُوا به وعَزَّروهُ ونصَرُوهُ واتَّبعُوا النُّورالَّذي أُنزِلَ معَهُ أُولئكَ هُم المفلحُونَ) [8] وقال تعالى : (لقدْكانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمنْ كانَ يرْجُوا اللهَ واليومَ الآخِر) [9]

---

(1) النساء : ١٦٣ ــ ١٦٥ ــ (٢) الحج : ٧٥ ــ (٣) الصافات : ١٧١ ــ ١٧٣ ــ (٤) غافر : ٥١ ــ (٥) النساء : ٦٤ ــ (٦) النساء : ٨٠ ــ (٧) آل عمران : ٣١ ــ (٨) الاعراف : ١٥٧ ــ (٩) الاحزاب : ٢١

(قال وان أراد بالواسطة) انه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار ــ مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه ــ ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، الى آخر ما نقلناه سابقا من كلام شيخ الاسلام عليه الرحمة .

وبه علم أن النبهاني مخطيء فيما فهم من كلام ابن القيم ، ومعناه الصحيح ماذكره شيخ الاسلام وجمهور أهل الايمان ،وان كان بعيدا عن فهم النبهاني وسائر الغلاة .

(قال النبهاني) ومثل تناقضه هذا تناقضه الواقع في عبارته السابقة الشنيعة المعبرة عن القبر المزار بالوثن وأوصاف الزائرين التي ذكرها هي أوصاف زواره صلى الله عليه وسلم ، وقد اتبع الحق بقصيدته النونية ، فذكر فيها أن الله تعالى قد استجاب دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وهو قوله : (اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد) فاستجاب الله دعاءه ، وهذه أبيات ابن القيم :

ولقد نهانا ان نصير قبره ... عيدا حذار الشرك بالديان
ودعا بأن لايجعل القبر الذي ... قد ضمه وثنا من الاوثان
فاجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت ارجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان

وجميع الاوصاف الجميلة التي ذكرها في عبارته السابقة للانبياء عليهم السلام لاشك أنها تؤهلهم لمرتبة الاستغاثة بهم الى الله لقضاء حوائج المستغيثين الى آخر كلامه .

(أقول جوابه) أن ماذكره هذا المعترض من النقل والتصرف فيه مما هو من شأن القبوريين والغلاة كافة ، ويزيد عليهم هذا بما في كلامه وتصرفه في كلام غيره من الخطأ والتلبيس ، والقصور في الفهم ، والتقصير في النظر ، كفهمه من كلام العلماء مالم يريدوه ، ومخالفته لهم فيما قصدوه ، والزامه لهم مالم يعتقدوه ، وحكمه عليهم بالظن الكاذب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث) بل دأب هذا الضال ــ كأسلافه ــ التمسك بالامور المتشابهة الخفية ، والاعراض عن الاشياء المحكمة الواضحة ، كما أن عادته الاعتماد على حديث ضعيف أو مكذوب ، أو خبر متشابه لايدل على المطلوب ،وليس هذا طريق العلماء القاصدين

لايضاح الدين ، وارشاد المسلمين ، نعوذ بالله من اتباع الهوى •
(زعم هنا النبهاني) ان الشيخ ابن القيم تناقض كلامه في كتابين حيث ذكر (في اغاثته) أن الاستغاثة بغير الله شرك ودعاء غير الله ضلال ، وبرهن على ذلك بما هو معلوم لاهل العلم والنظر ، ففهم منه ان من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قبره فقد عبده من دون الله ، فلزم أن يكون قبره وثنا • (وفي النونية) وهي منظومته المسماة بالكافية الشافية يقول مامعناه : ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الله ان لايجعل قبره وثنا يعبد ، وان الله تعالى استجاب دعاءه ، ولم يجعل قبره وثنا يعبد • (ففهم) من كلامه ان الله استجاب دعاءه • ان ما يفعله الزائرون من الاستغاثة والتوسل وسائر الاعمال ليس كما يزعمه المانعون من انها شرك ، هذا حاصل ماتوهمه النبهاني في كلام ابن القيم من التناقض والمخالفة •

وهذا هو اللائق بفهم النبهاني ومن ختم الله على قلبه وجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، وقد مر الجواب عما فهمه هذا الغبي فيما نقلناه من كلام شيخ الاسلام المتعلق بزيارة القبور ، ومنه قوله : ان لفظ زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ليس المراد بها نظير المراد بزيارة قبر غيره يوصل اليه ويجلس عنده ، ويتمكن الزائر مما يفعله الزائرون للقبور عندها من سنة وبدعة ، وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لاحد أن يصل الا الى مسجده لا يدخل أحد بيته ولا يصل الى قبره ، بل دفنوه في بيته بخلاف غيره فانهم دفنوه في الصحراء ، كما في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا • قالت عائشة : ولولا ذلك لابرز قبره ، ولكن كره ان يتخذ مسجدا) فدفن في بيته لئلا يتخذ قبره مسجدا ولا وثنا ولا عيدا ، فان في سنن أبي داود من حديث أحمد بن صالح عن عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) • وفي الموطأ وغيره عنه أنه قال : (اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد • اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وفي صحيح مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك) • فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيرا لامته من ذلك ونهاهم عن

ذلك ونهاهم أن يتخذوا قبره عيدا : دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك ، وكانت عائشة ساكنة فيها فلم يكن في حياتها أحد يدخل لذلك انما يدخلون اليها هي ، ولما توفيت لم يبق بها أحد ، ثم لما أدخلت في المسجد سدت وبني الجدار البراني عليها ، فما بقي أحد يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره سواء كانت سنية أو بدعية ، بل انما يصل الناس الى مسجده ، ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره ، ولا يعرف عن أحد من الصحابة لفظ زيارة قبره البتة ، ولم يتكلموا بذلك ، وكذلك عامة التابعين لايعرف هذا في كلامهم ، فان هذا المعنى ممتنع عندهم فلم يعبروا عن وجوده ، وقد نهى عن اتخاذ بيته وقبره عيدا ، وسأل الله تعالى أن لايجعله وثنا ، ونهى عن اتخاذ القبور مساجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ولهذا كره مالك وغيره أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان السلف ينطقون بهذا لم يكرهه مالك ، وقد باشر التابعين بالمدينة وهم أعلم الناس بمثل ذلك ، ولو كان في هذا حديث معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لعرفه هؤلاء ، ولم يكره مالك وأمثاله من علماء المدينة الاخبار بلفظ تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رضي الله عنه يتحرى ألفاظ الرسول في الحديث فكيف يكره النطق بلفظه ، لكن طائفة من العلماء سموا هذا زيارة لقبره وهم لايخالفون مالكا ومن معه في المعنى ، بل الذي يستحبه أولئك من الصلاة والسلام وطلب الوسيلة ونحو ذلك في مسجده يستحبه هؤلاء ، لكن هؤلاء سموا هذا زيارة لقبره وأولئك كرهوا أن يسموا هذا زيارة لقبره ، وقد حدث من بعض المتأخرين في ذلك بدع لم يستحبها أحد من الائمة الاربعة ، كسؤاله الاستغفار ، وزاد بعض الجهال ماهو محرم أو كفر باجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك مما ليس هذا موضعه ، الى آخر ما قدمناه من الكلام النفيس .

(وبما نقلناه) يتبين انه لاتناقض ولا مخالفة في كلام الشيخ ابن القيم ، وان ماهذى النبهاني به سقط من أصله ، وكان من أوضح الدلائل على ضلاله وجهله .

(قال النبهاني) في فصله الثاني في الكلام على كتاب (الصارم المنكي في الرد على السبكي) للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي : ألفه في الرد على كتاب (شفاء السقام في زيارة خير الانام) .منتصرا لشيخه ابن تيمية في بدعته ومنعه الاستغاثة والسفر لزيارته صلى الله عليه وسلم ، قال

وكنت حين ابتدأت بمطالعته تعجبت من شدة جرأته على هذا الامام ، بل على سيد الانام عليه الصلاة والسلام ، اذ رأيته قد بذل أقصى مافي وسعه ليثبت أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لامزية له بعد موته ، وانه مثل آحاد الناس ، وكل حديث أو أثر أو قول عالم ورد بعكس عقيدته يجتهد في تأويله ، أو اثبات أنه موضوع ، وكان السبكي أثبت بتلك الاحاديث والآثار مناقب أحد أعدائه ، فهو يبذل جهده في تزييفها ، ويتكلف في كثير منها بحيث يظهر لكل من طالع كتابه أنه شديد التكلف والتعصب والتعسف وأنه رجل متهور ، مراده المحاماة عن بدعة شيخه بحق أو باطل ، ومع ذلك لم يخطر لي أن أكتب شيئا في هذا الشأن ــ مع ظهور اساءته في ذلك واحسان السبكي كل الاحسان ــ لأن التحكك بالبدعة يزيدها اشتهارا ، وذكرها ولو للرد عليها يزيدها انتشارا ، وقلت كفى المحسن احسانه والمسيء اساءته ، الى آخر ما قال .

(هذا نقد) النبهاني على كتاب (الصارم المنكي) وهو لايستحق الجواب عن كلامه هذا لفساد مبناه ومعناه ، وعبارته ركيكة جدا ليست بعبارة تصدر عن طلبة العلم فضلا عمن يدعي دعواه ، وهذا الرجل كما بينا سابقا جهله عند بيان سقطاته وغلطاته عار عن كل فضيلة ، لا علم ولا أدب ، ولا فضل ولا حسب ، ولا حياء ولا ايمان ، ولا تقوى ولا عرفان ، ونحن نبين ذلك ان شاء الله كما بيناه سابقا بالبرهان .

(أما مصنف كتاب الصارم المنكي) فهو الفقيه الحنبلي المقريء المحدث الحافظ الناقد النحوي المتفنن الجبل الراسخ عليه الرحمة والرضوان،قال المؤرخون ــ ومنهم صاحب الشذرات ــ ولد في رجب سنة أربع أو خمس أو ست وسبعمائة ، وتوفى سنة أربع وأربعين في جمادى الآخرة ، وعمره أربعون سنة أو أقل ، وسمع من خلق كثير ، منهم الحجار ،وعني بالحديث وفنونه ، وبرع في ذلك وأفتى ، ودرس ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية مدة ، وأخذ عن الذهبي وغيره ، وقد ذكره في طبقات الحفاظ، قال وصنف التصانيف الكثيرة بعضها كمل وبعضها لم يكمل لهجوم المنية عليه ، وله توسع في العلوم والفقه والاصلين ، وذهن سيال ، وعدة محفوظات ، وعدله ابن رجب في طبقاته مايزيد على سبعين مصنفا ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، انتهى ملخصا .

ومن أعدل الشواهد على فضله ، وكمال اطلاعه ومزيد انصافه كتاب (الصارم

المنكى في الرد على السبكي) • فقد أجاد فيه وأفاد ، وميز الحق من الالحاد ، ولو لم تكن له حسنة سوى هذا الكتاب لكفاه ثوابا يوم الحساب ، وبه ظهر زيف السبكي وما بهرج به من الباطل ، وتبين أنه كان من أجهل الناس بعلم الحديث ، مماريا معجبا برأيه متبعا لهواه ، ذاهبا في كثير مما يعتقده الى الاقوال الشاذة والآراء الساقطة •

ومن طالع كتاب الصارم ــ وكان من أهل الفضل والانصاف ــ علم أن ما قلناه هو غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، فالله تعالى المسئول ان يجزيه عن كتابه (الصارم المنكى) خير الجزاء ، وينفع به المسلمين في كافة الاقطار والانحاء •

ولا بدع من النبهاني الضليل ، اذ صدر منه ما صدر في حق هذا الفاضل الجليل ، وما أحسن ما قيل :

واذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

وفي هذا المعنى قول الآخر :

لقد زادني حبا لنفسي انني ... بغيض الى كل امريء غير طائل
واني شقي باللئام ولا أرى ... شقيا لهم الا كريم الشمائل
وكل امريء الفى أباه مقصرا ... عدو لاهل المكرمات الافاضل

(وقال آخر) :

اذا ما نالت السفهاء عرضي ... ولم يخشوا من العقلاء لوما
كسوت من السكوت فمي لثاما ... وقلت نذرت للرحمن صوما

ومما يحسن أن ينشد على لسان الفاضل صاحب الرد على السبكي من تطاول مثل هذا المخذول :

لقد صبرت على المكروه أسمعه ... من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لاخلاق لهم ... لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

(أيها النبهاني) قد سمعت ما سمعت من خطابي وبياني :

ولقد أقول لمن تحرش بالهوى ... عرضت نفسك للبلا فاستهدف

أما سمعت قول الامام الشافعي رضي الله عنه حيث قال :

اذا رمت أن تحيا سليما من الاذى ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امريء ... فكلك عورات وللناس السن
وعينك ان أرتك يوما نقيصة ... لناس فقل ياعين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

كان الاليق بحالك أن لاتسلك هذه المسالك ، فما أنت وهؤلاء القوم ، وهم المشهورون بالفضل من عصرهم الى اليوم •

وللحروب رجال يعرفون بها ... وللدواوين حساب وكتاب

أما سمعت قول القائل :

أضحى يسد فم الافعى باصبعه ... يكفيه ماذا يلاقي منه أصبعه

لقد فات مافات، وهيهات تدارك ذلك وهيهات •

اذا ما أراد الله ذل قبيلة ... رماها بتشتيت الهوى والتخاذل

وأول خبث الماء خبث ترابه ... وأول لؤم القوم لؤم الحلائل

ثم ان النبهاني ذكر عبارة القسطلاني عن كتاب (شفاء السقام) للسبكي أن مصنفه شفى به صدور المؤمنين ، ونقل عن ابن حجر ماقاله في كتابه (الجوهر المنظم) من التلويح بذم (الصارم المنكى) •

فنقول له : ان هذا ليس بمستغرب ، فالكل عن مشرب واحد ، ولقد تشابهت قلوبهم ، وهذا بعض ما تكن صدورهم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، وقد حكى الله سبحانه عن اخوانهم ماهو من هذا القبيل ، قال سبحانه (إِنَّ اللهَ لا يَستحيِي أَنْ يَضرِبَ مثلاً مَّا بعُوضَةَ فَما فوقها ، فأَمَّا الذِينَ آمنُوا فيعلمُون أَنَّهُ الحقُّ من ربِّهم ، وامَّا الَّذينَ كَفروا فيقُولونَ ماذا أَرادَ اللهُ بِهذَا مثَلاً يُضلُّ به كَثيْراً ويهدي به كَثيراً وما يُضِلُّ بِهِ إلاَّ الفاسِقِيْنَ) [1]

ثم ذكر حاصل ما اشتمل عليه الكتاب وان الاحاديث التي ضعفها كلها صحيحة، وانما فعل ذلك ترويجا لبدعة شيخه ابن تيمية •

فنقول : قد سبق الجواب عن كل ذلك ، وذكرنا معنى السنة والبدعة ، ومن الاحق ان يسمى مبتدعا من يوحد الله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، أم من أعرض عن الله وعبادته ، والتجأ الى أهل القبور ، الذين لايملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ؟! ••

(قال النبهاني) وما مثل من رد على الامام السبكي لاسيما في مثل هذا المقام الا :

---

(١) البقرة : ٢٦

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ومع ذلك فقد رأيت الصواب في مثله الاهمال ، وعدم التعرض له بحال من الاحوال ، الى أن قال : ثم رأيت له عبارة لايجوز السكوت عليها لانتشار كتابه وطبعه قد رد بها على الامام السبكي في عبارة بين فيها وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأيت من اللازم ذكر العبارتين ،وبيان مافي عبارته من الخطأ والمين ، ثم انه أورد أولا عبارة السبكي فقال :

(عبارة الامام السبكي) قال : والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف الصالحين على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، والمبالغة في ذلك ، ومن تأمل القرآن وما تضمنه من التصريح والايماء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والادب معه صلى الله عليه وسلم وما كان الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلأ قلبه ايمانا • ثم أورد النبهاني العبارة الاخرى فقال :

(عبارة ابن عبد الهادي) وقوله — يعني السبكي — ان المبالغة في تعظيمه واجبة ، أيريد بها المبالغة بحسب مايراه كل أحد تعظيما — حتى الحج الى قبره ، والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد انه يعلم الغيب ، وانه يعطي ويمنع ، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع ، وانه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء — فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين • انتهت عبارته •

(ثم قال النبهاني معترضا عليه) انهقد كذب في بعض عبارته على أهل السنة وهو في بعضها من أقبح المكابرين ، أما ماكذب بهفقوله حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به ، فهذا من أشنع الكذب الظاهر ، والاختلاق الفاحش ، فانه لم يقل احد بجواز شيء من ذلك من أهل السنة والجماعة القائلين بأن السفر لزيارته صلى الله عليه وسلم من أجل القربات ، وأعظم الطاعات ، فكيف جاز لهالتعبير بتلك العبارات ،ومعلوم بأن أجهل المسلمين يفرق بين حج البيت الحرام وزيارة خير الانام، بأن الحج فرض والزيارة سنة • وكذلك لا يعتقد أحد مشروعية الطواف به كالطواف بالبيت الحرام • وكذلك السجود له لم يجوزه أحد ، ثم أطال الكلام •

وحاصلما ذكر انه صلى الله عليه وسلم قد أطلعه الله على غيوب كثيرة ، وذكر بعض أكاذيب : منها ان شيخه اخبره بالغيب ، الى أن قال : وأما كونه صلى الله عليه وسلم يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين الخ • فهو لاشك فيه ، ولا يتردد

بصحته ووقوعه الا كل من تراكم على قلبه الجهل والظلام ، قال : ومن يشك انه صلى الله عليه وسلم يعطي بالله ، ويمنع بالله ، ويقضي حوائج السائلين بالله، ويفرج كربات المكروبين بالله ، ويشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء بتشفيع الله له فيهم ، ولم يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم أحد من المسلمين انه يفعل من ذلك شيئا بنفسه ، ثم ذكر وقوع ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، ونقل في ذلك عدة حكايات من كتاب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام) لابي عبدالله محمد بن النعمان المغربي التلمساني المالكي ، وكتاب (بغية الاحلام) للشيخ نور الدين علي الحلبي صاحب السيرة ، وأورد حديث (حياتي خير لكم) • وحديث الشفاعة الى آخر كلامه •

(ونحن نجيب) بتوفيق الله تعالى واعانته فنقول الجواب عما اعترض به من وجوه :

(أما أولا) فان السبكي جعل السفر لزيارة القبر وإعمال المطي لها والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم من باب تعظيمه وتوقيره ، وابن قدامة رحمه الله تعالى رد عليه وقال ماحاصله : أنه ليس كل تعظيم مشروعا ، فالسجود فيه تعظيم مع أنه لغير الله تعالى كفر ، والطواف بالقبر تعظيم وهو أيضا منهي عنه واعتقاد انه يعلم الغيب فيه تعظيم وهو من خواص الالوهية وهكذا جميع ماهو من خواص الاله سبحانه فيها تعظيم وتوقير ولا يجوز اثباتها لغير الله تعالى ، لا لملك مقرب ولا لنبي ولا لرسول، وما ذكره السبكي من هذا القبيل ، وليس مراده أن القائلين به يفعلون هذه الامور المنكرة حتى يرد ماذكره النبهاني أنه قد كذب على أهل السنة في بعض عبارته وهو في بعضها من أقبح المكابرين الخ •

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

والحاصل أن مانهى الله عنه وزجر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم لايجوز فعله وان كان من الافعال التعظيمية ، وامتثال أمره صلى الله عليه وسلم والانتهاء عما نهى عنه هو تعظيمه ، وفيه توقيره ، وهو الموجب لسعادة الدارين ، والظفر بما يكون سببا لقرة العين ، وأما الاعمال المضادة لما جاء صلى الله عليه وسلم به ــ وان قصد فاعلها التعظيم بها ــ فهي موجبة لغضب الرب والحرمان من محبة الرسول ، قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)[1]

---

(1) آل عمران : ٣١

(وأما ثانيا) فان الحافظ ابن قدامة لم ينسب ماذكر من الاعمال المنكرة لأهل السنة ، بل لو نسبها لنسبها الى الغلاة الخارجين عن الدين ، المارقين عن سبيل المؤمنين ، فان الدعاء مخ العبادة ، فمن دعا غير الله والتجأ اليه وتوكل عليه واستعاذ به واستعان به فيما لايقدر عليه الا الله وغير ذلك فقد عبده ، ومن عبد غيره تعالى فليس هو من الدين في شيء ، وأهل السنة في عرف النبهاني وأضرابه من الغلاة هم الذين على منواله وليس الامر كما زعم ، بل هم الذين يعملون بما ورد في الكتاب والسنة ، وكانوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يغيروا ولم يبدلوا ، وقد ذكرنا ذلك غير مرة •

(وأما ثالثا) فقول النبهاني : اما ما كذب بهفقوله : حتى الحج الى قبرهوالسجود له والطواف به • فهذا من أشنع الكذب الظاهر : هو دعوى ليس عليها برهان بل يكذبها العيان •

وليس يصح في الاعيان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

هذه المشاهد المشهودة اليوم قد اتخذها الغلاة أعيادا للصلاة اليها ، والطواف بها ، وتقبيلها ، واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها ، وعبادة أصحابها ، والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النصر ، والرزق ، والعافية ، وقضاء الديون ، وتفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، وغير ذلك من أنواع الطلبات ، التي كان عباد الاوثان يسألونها أوثانهم ، ومن لم يصدق ذلك فليحضر مشهدا من مشاهد العراق ، حتى يرى الغلاة وقد نزلوا عن الاكوار والدواب — اذا رأوها من مكان بعيد — فوضعوا لها الجباه ، وقبلوا الارض ، وكشفوا الرؤوس ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لايبدي ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الاجر ولا أجر من صلى الى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله — بل للشيطان — مايراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الاصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تفريج الكربات ، واغناء ذوي الفاقات ، ومعافاة أولي العاهات والبليات ، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام ، الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام أرأيت الحجر الاسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ،ثم

كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق ، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرابين ، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين •

قال ابن القيم ــ بعد أن حكى ماذكرناه ــ ولم تتجاوز فيما حكينا عنهم ، ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم ، اذ هي فوق مايخطر بالبال أو يدور في الخيال •

قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، قال : وهم عندي كفار مثل تعظيم القبور والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا ، وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها ، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ، ولم يتمسح بآجرة مسجد الملموسة يوم الاربعاء ، ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبو بكر أو محمد وعلي ، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر ، ولم يخرق ثيابه الى الذيل ، ولم يرق ماء الورد على القبر ، انتهى •

والنبهاني ذكر في فصل مالا ينبغي فعله للزائر مانقله عن المرزوقي مما هو من قبيل هذه البدع بل أفظع ، فكيف يقول : إن ابن عبد الهادي كذب في ذلك ، وقد صان الله أهل الحديث وحفاظ السنة من الكذب والحمد لله ، نعم ان المتصوفة والمتشيخين هم بيت الكذب ومعدنه ، ونقل النبهاني عن ابن حجر أنه قال ويكره أيضا الانحناء للقبر الشريف ، وأقبح منه تقبيل الارض ذكره ابن جماعة ، ولفظه : قال بعض العلماء ان ذلك من البدع أي القبيحة ، ويظن من لاعلم له أنه من شعار التعظيم ، وأقبح منه تقبيل الارض له صلى الله عليه وسلم لانه لم يفعله السلف الصالح والخير كله في أتباعهم ، ومن خطر بباله أن تقبيل الارض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة انما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم ، وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه ، بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف واستشهد لذلك بالشعر ، قال السيد السمهودي :

ولقد شاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملا وزاد بوضع الجبهة كهيئة الساجد .

(قال ابن حجر) ووقع من بعض الصالحين نظير ذلك في بعض قبور الاولياء بحضرتي ، لكن الظاهر أنه كان في حال أخرجه عن شعوره ، ومن تحقق منه الوصول لذلك لايعترض عليه الخ انتهى .

(فانظر أيها المنصف) الى معاندة النبهاني واتباعه لهواه فانه هو الذي نقل ذلك في كتابه عمن يعتقد في امامته ، ثم ينكر وقوع ذلك ويكذب حفاظ الحديث الصادقين قاتله الله ماأقسى قلبه وأبعده عن قبول الحق ، نسأله تعالى أن يقلل في المسلمين أمثاله ، ويطهر منهم الارض ، ويكفي المسلمين شرهم .

(وأما رابعا) فما قاله النبهاني في مسألة علم الغيب فليس موافقا للصواب جميع ماذكره ، وفي المسألة تفصيل وقال وقيل ، والحق مانذكره في هذا المقام مما دل عليه الكتاب والسنة وأفاده الائمة الاعلام .

(إعلم) أن الغيب قسمان : (قسم) استأثر الله تعالى به ، فلا يعلمه ملك مقرب ، ولا نبي ولا رسول ، ولا صفي ولا ولي ، ولا منجم ولا كاهن ، ولا عراف ولا غيرهم ، وهو المذكور في قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعة ويُنزِّلُ الغيثَ ويَعْلَمُ مافي الأَرحَام وَما تدري نفسٌ ماذَا تكْسِبُ غداً وما تدْري نفْسٌ بِايّ ارضٍ تَموتُ)[1] فكل من هذه الامور لم يطلع الله عليه أحدا من أنبيائه وأصفيائه ، والكلام على هذه الآية مفصل في كتب التفاسير ، ولا مجال لنا لذكره في هذا المقام .

(وأما القسم الثاني) فهو الذي يجوز أن يعرفه غير الله ويطلع عليه وهو ماعدا الخمسة السابقة ، وله أسباب كثيرة : منها الوحي ، والكهانة ، والطرق ، والزجر ، ونحو ذلك ، وقد تكلم ابن خلدون في المقدمة على المدارك الغيبية وأتى بما تستلذه الاسماع والافواه ، ومن ذلك قوله : ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ عن البشرية الى الروحانية التي فوقها ، ويحصل من ذلك لمحة للبشر من صنف الاتقياء بما فطروا عليه من ذلك ، ولا يحتاجون فيه الى اكتساب ولا استعانة بشيء

---

(١) لقمان : ٣٤

من المدارك ، ولا من التصورات ، ولا من الافعال البدنية كلاما أو حركة ، ولا بأمر من الامور ، ويعطي التقسيم العقلي أن ههنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة هذا الصنف نقصان الضد عن ضده الكامل ، وهو صنف من البشر مفطور على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند مايتبعها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه ، فيتشبث لاعمال الحيلة بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة ، كالاجسام الشفافة ، وعظام الحيوان ، وسجع الكلام ، وماسنح من طير أو حيوان ، ويديم ذلك الاحساس والتخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيع له ، وهذه القوة التي هي مبدأ في هذا الصنف لذلك الادراك هي الكهانة ، ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها الجزئيات أكثر من ادراكها الكليات ، وتكون مشتغلة بها غافلة عن الكليات ، ولذلك كثيرا ماتكون المتخيلة فيهم في غاية القوة ، وتكون الجزئيات عندها حاضرة عتيدة ، وهي لها كالمرآت تنظر فيها دائما ، ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لأن نقصانه فطري ووحيه شيطاني ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ، ويقوى في الجملة على ذلك الانسلاخ الناقص ، فيهجس في قلبه من تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي مايقذف على لسانه ، وربما صدق ووافق الحق ، وربما كذب لانه يتمم أمر نقصه بأجنبي عن ذات المدارك ومباين لها غير ملائم ، فيعرض له الصدق والكذب جميعا ، ويكون غير موثوق به وربما يفزع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه ، وتمويها على شيطاني ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ولا استعانة بأجنبي كان صادقا في جميع مايأتي به ، وكان الصدق من خواص النبوة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن الصياد — حين سأله كاشفا عن حاله بقوله : كيف يأتيك هذا الامر ؟ فقال : يأتيني صادق وكاذب — خلط عليك الامر يريد نفي النبوة عنه بالاشارة الى أنها مما لايعتبر فيه الكذب بحال •

وانما قيل : أرفع أحوال هذا الصنف السجع لأن معين السجع أخف من سائر المعينات من المرئيات والمسموعات ، وتدل خفة المعين على قرب ذلك الانسلاخ والاتصال ، والبعد فيه عن العجز في الجملة ، ولا انحصار لعلوم الكهان فيما يكون من الشياطين ، بل كما تكون من الشياطين تكون من أنفسهم بانسلاخها انسلاخا غير تام ، واتصالها في الجملة بواسطة بعض الاسباب بعالم لاتحجب عنه الحوادث

المستقبلة وغيرها ، فانقطاع خبر السماء بعد البعثة عن الشياطين بالرجم ان سلم لايدل على انقطاع الكهانة ، ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته ، لان لهم بعض الوجدان من أمر النبوة ، ولا يصدهم عن الايمان ويدعوهم الى العناد الا وسواس المطامع بحصول النبوة لهم، كما وقع لامية ابن أبي الصلت ، فانه كان يطمع أن يكون نبيا ، وكذا وقع لابن الصياد ومسيلمة وغيرهما ، وربما تنقطع تلك الاماني فيؤمنون أحسن ايمان ، كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب ، وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار مايشهد بحسن الايمان •

وذكر في بيان استعداد بعض الاشخاص ــ أعم من أن يكونوا كهانا أو غيرهم ــ للاخبار بالامور الغيبية قبل ظهورها كلاما طويلا حاصله : أن النفس الانسانية ذات روحانية ، ولها بذاتها الادراك من غير واسطة ، لكنها محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وشواغلها ، لان الحواس أبدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه من الادراك الجسماني ، وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة ، اما بالخاصة التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم ، أو بالخاصة الموجودة في بعض الاشخاص ، كالكهنة أهل السجع ، وأهل الطرق بالحصى والنوى ، والناظرين في الاجسام الشفافة ، من المرايا والمياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها ، وقد يلحق بهم المجانين ، أو بالرياضة الدينية مثل أهل الكشف من الصوفية ، أو السحرية مثل أهل الكشف من الجوكية ، فتلفت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملأ الاعلى ، لما بين أفقها وأفقهم من الاتصال في الوجود ، وتلك الذوات ادراك محض وعقول بالفعل ، وفيها صور الموجودات وحقائقها كما قرر في محله ، فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علما ، وربما وقعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفها في القوالب المعتادة ، ثم تراجع الحس بما أدركت اما مجردا أو في قوالبه فتخبر به انتهى ، ولا يخفى أن فيه ذهابا الى مايقوله الفلاسفة في الملأ الاعلى ، وكثيرا مايسمونه عالم المجردات ، وقد يسمونه عالم العقول ، وهي محصورة في المشهور عنهم في عشرة ، ولا دليل لهم على هذا الحصر ، ولذا قال بعض متأخريهم بأنها لاتكاد تحصى ، وللمتكلمين والمحققين من السلف في ذلك كلام لايتسع هذا الموضع لذكره •

(وبالجملة) علم الغيب لله سبحانه فلا يقال لغيره عالم الغيب ، ومن اطلع على

شيء منه بواسطة وحي أو غيره يقال أطلعه الله ، وما من أحد من المسلمين الا ويعرف غيوبا كثيرة ـ كالاخبار التي وردت في أحوال البرزخ والحساب والجنة والنار ـ ولا يقال لاحد منهم عالم الغيب ، وكثير من المتصوفة يدعون أن مشائخهم يعلمون الغيب ، وهذا تعبير شنيع ، وربما قالوا بالكشف ، وكل ذلك مما لاأصل له ، فان صح منه شيء فلعله بمثل ماذكره ابن خلدون أو بواسطة قرينة من القرائن ، والا فالكشف مما لاأصل له .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وما أدري ما يُفعَل بِي ولا بكُم)[1] وما أخبر به من الغيوب فبوحي من الله (ومَا ينطِقُ عنِ الْهوى إنْ هوَ إلّا وحْيٌ يُوحى)[2]

وهكذا الانبياء والرسل . هذا نوح لما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك لم يعلم السبب في صنعها ، وموسى لم يدر قبل لقي فرعون ماذا يكون من أمره حتى قال (ولَهمْ عَليَّ ذَنبٌ فاخافُ أن يقتُلُون)[3] وابراهيم أعلمه الله وأوحى اليه أن يذبح اسمعيل فبادر الى ذلك ، فلم يعلم هو ولا اسمعيل أن الله ينسخ هذا الحكم ، ويعقوب بقي يبكي على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم يعلم بحال يوسف ، وداود لم يعلم بحقيقة من تسوروا المحراب ،وقالوا (خصمان بغى بعضنا على بعض) القصة ، وما حكم به في مسألة الحرث ، وتفهيم سليمان لها دونه ، وما كان من ضيف لوط وقومه ولم يعلم بحقيقتهم حتى قال هؤلاء ضيفي فلا تخزون ، وما كان من قصة يونس حين ذهب مغاضبا ، فكان من أمره ما كان ، ولو كان له اطلاع على العاقبة وكشف على الحقيقة لما ذهب حتى ألقي في البحر ، وساهم وكان من المدحضين، ولو استوعبنا ذلك لطال الكلام ، انظر الى القرآن الكريم وما أخبر فيه سبحانه عن أنبيائه ورسله تجد الامر واضحا ، قال تعالى : (عَفا اللهُ عنْكَ لِمَ اذنتَ لَهم)[4] (يَا أَيُّها النَّبي لِمَ تُحَرِّمُ ما احَلَّ اللهُ لكَ تبتَغي مَرْضاة ازواجِكَ) (ما كَانَ لنَبي أن يكُونَ لهُ اسْرى حتَّى يُثْخِنَ في الأَرْض)[5] الى غير ذلك من الآيات الناصة على عدم علم الانبياء بما لم يعلمهم الله به .

---

(١) الاحقاف : ٩ ـ (٢) النجم : ٣ ، ٤ ـ (٣) ـ الشعراء : ١٤ ـ (٤) ـ التوبة : ٤٣ ـ (٥)الانفال:٦٧

وفي كتاب الحيوان للجاحظ ، قال الله عز وجل : (وتفقَّدَ الطَّيْرَ فقالَ مالِيَ لَا أَرَى الْهدْهُدَ أمْ كانَ من الغَائِبيْنَ . لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيْداً أو لأَذْبَحَنَّهُ اولَيأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبيْنٍ)(١) ثم قال : (فَمكَثَ غيْرَ بعِيْدٍ)(١) يعني الهدهد ، فقال سليمان المتوعد له بالذبـح عقوبة له ، والعقوبة لاتكون الا على المعصية لبشري آدمي لم تكن عقوبته الذبح ، فدل ذلك على أن المعصية انما كانت له ولا تكون المعصية لله الا ممن يعرف الله ، أو ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى فترك مايجب عليه من المعرفة ، وفي قـوله لسليمان : (أَحطْتُ بِمَا لَمْ تُحطْ بِهِ وجِئْتُكَ من سَبأ بِنبأٍ يَقينٍ . إنِّي وَجدتُ إمرأَةً تَمْلِكُهم وأوْتِيَتْ منْ كُلِّ شَيءٍ ولَهَا عَرشٌ عظِيْمٌ)(٢) ثم قال بعد أن عرف فضل مابين الملوك والسوقة ، وما بين النساء والرجال ، وعرف عظيم عرشها وكثرة ماأوتيت في ملكها ، قال :

(وَجدتُّها وقوْمَها يسْجُدُونَ للشَّمسِ منْ دونِ الله وَزيَّنَ لَهمُ الشَّيْطَانُ أعْمَالَهمْ فصَدَّهُم عنِ السَّبيْلِ فَهُم لا يَهْتَدُونَ)(٣) فعرف السجود للشمس وأنكر المعاصي ، ثم قال : (ألاَّ يسْجُدوا للهِ الَّذي يُخْرِجُ الخبْءَ في السَّمَـوات والأَرضِ ويَعلَمُ ما تُخفُونَ وما تُعْلِنُونَ)(٤) ويتعجب من سجودهم لغير الله ، ثم علم أن الله يعلـم غيب السموات والارض ،ويعلم السر والعلانية ، ثم قال : (اللهُ لاإلهَ إلَّا هُو رَبُّ العَرْشِ العَظيْمِ)(٥) وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلين الناظرين ، قال سليمان : (سَنَنْظُرُ اصَـدقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبيْنَ)(٦) ثم قال : (إذْهبْ بكِتَابِي هذَا فأَلقهْ الَيهم ثُمَّ تَولَّ عنهُم فانْظُر ماذَا يرْجِعُونَ . قالتْ يا أَيُّها الملأُ إنِّي أُلقِيَ إلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إنَّهُ منْ سُلَيْمَانَ وإنَّهُ بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحِيْمِ . ألَّا تَعلُوا عَليَّ وأْتُوني مُسْلِمين)(٧) (فلمَّا جاءَ

---

(١) النمل : ٢١ ، ٢٢ ـ (٢) النمل : ٢٢ ، ٢٣ ـ (٣) النمل : ٢٤ ـ (٤) النمل : ٢٥ ـ (٥)النمل:٢٦ـ
(٦) النمل : ٢٧ ـ (٧) النمل : ٢٨

سُلَيْمانَ قال أَتُمِدُّونَنِ بمالٍ فما آتانِيَ اللهُ خيرٌ مما آتاكُمْ بلْ انتم بِهديَّتكُمْ تفرحُونَ)[1] وذلك انها : (قالتْ إنَّ المُلُوكَ اذا دخلوا قريةً افسدُوها وجعلُوا أعزَّةَ اهلها أذلَّةً وكذلكَ يفعلونَ . وإنِّي مُرسِلَةٌ اليْهم بهديَّةٍ فناظِرَةٌ بمَ يرجِعُ المرسلُونَ)[2] . قال سُلَيْمان للهدهد : (ارجع اليهم فلنأتينَّهم بجُنودٍ لاقبلَ لهم بها ولنُخرجنَّهُم منها أذلةً وهُم صاغِرُونَ . قال يا ايُّها المَلأُ أيُّكُم يأتيني بعرْشِها قبلَ أنْ يأتوني مُسْلمينَ . قالَ عِفْريتٌ مِنَ الجِنِّ أنا آتيكَ بهِ قبلَ أنْ تقومَ منْ مقامِكَ وإنِّي عليْهِ لقويٌّ أمينٌ . قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِن الكِتابِ أنا آتيكَ بهِ قبْلَ أن يرْتدَّ اليْك طرفُكَ ، فلمَّا رآهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ قال هذا منْ فَضْلِ ربِّي ليبْلُوني أأشْكُرُ أمْ أكْفُر ومَنْ شكَرَ فإنَّما يَشْكُرُ لنفْسِهِ ومَنْ كَفرَ فإنَّ ربِّي غنِيٌّ كَريمٌ)[3]

وأطال الجاحظ الكلام على هذه الآيات الى أن قال : ثم طعن في ملك سليمان ناس من الدهرية ، وقال : زعمتم أن سليمان سأل ربه (رب هب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي) (٤) وأن الله تعالى أعطاه ذلك ، فملكه على الجن فضلا عن الانس ،وعلمه منطق الطير ، وسخر له الريح ، فكانت الجن له خيولا ، والرياح له مسخرة ، ثم زعمتم ـ وهو اما بالشام واما بسواد العراق ـ انه لايعرف باليمن ملكة هذه صفتها، وملوكنا اليوم دون سليمان في القدرة لايخفى عليهم صاحب الخزر ، ولا صاحب الروم ، ولا صاحب الترك ، ولا صاحب النوبة ، وكيف يجهل سليمان موضع هذه الملكة مع قرب دارها ، واتصال بلادها ، وليس دونها بحار ولا أوعار ، والطريق نهج الخف والحافر والقدم ، فكيف والجن والانس طوع يمينه ، ولو كان حين أخبره الهدهد بمكانها أضرب عنها صفحا لكان لقائل أن يقول ماأتاه الهدهد الا بأمر يعرفه ، فهذا وما أشبهه دليل على فساد أخباركم •

(فأجاب الجاحظ بقوله) قلنا ان الدنيا اذا خلاها الله وتدبير أهلها ومجاري

---

(١) النمل : ٣٦ ـ (٢) النمل : ٣٤ ، ٣٥ ـ (٣) النمل : ٣٧ ـ ٤٠ ـ (٤) ص : ٣٥

أمورها وعاداتها كان لعمري كما تقولون ، ونحن نزعم أن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كان أنبه أهل زمانه لانه نبي ابن نبي ، وكان يوسف وزير ملك مصر ومن النباهة بالموضع الذي لايدفع وله البرد واليه يرجع جواب الاخبار ، ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ولا يوسف مكان يعقوب دهرا من الدهور مع النباهة والقدرة واتصال الدار ، وكذلك القول في موسى بن عمران ومن كان معه في التيه ، فقد كانوا أمة من الامم يكسعون أربعين عاما في مقدار فراسخ يسيرة ، ولا يهتدون الى المخرج وما كانت بلاد التيه الا من ملاعبهم ومنتزهاتهم ، ولا يعدم مثل العسكر الادلاء والجمالين والمكارين والفيوح والرسل والتجار ، ولكن الله صرف أوهامهم ورفع ذلك القصد من صدورهم ، وكذلك القول في الشياطين الذين يسترقون السمع في كل ليلة فتقول انهم لو كان كلما أراد مريد منهم أن يصعد ذكر أنه قد رجم أو رجم صاحبه ، وانه كذلك منذ كان لم يصل معه أحد الى استراق السمع كان محالا أن يروم ذلك أحد منهم مع الذكر والعيان الى آخر ماقال •

(والكلام) في هذه المسائل طويل الذيل ، وما ذكرناه كاف في المرام ، ومانقله عن مشايخه من الكشف لا أصل له ، نعم ورد (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) وماعدا ذلك فوسواس الشياطين ولجاهلية العرب في هذا الباب أخبار ممتعة مبسوطة في غير هذا الموضع •

(وأما خامسا) فما ذكره في بيان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين الخ فهو مردود ، وذلك لأن الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية قد وردت بخلافه ، قال تعالى : (قُلْ ادعُوا الَّذينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونهِ فلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عنْكُم ولا تَحويْلاً . اولئكَ الَّذينَ يدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوسِيلَةَ أَيُّهُم أَقربُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويَخَافُونَ عَذَابَهُ إنَّ عذَابَ ربِّكَ كَانَ مَحْذُوراً)[1] وقَالَ تعالى : (قُلِ أَدْعُو الَّذِيْنَ زعَمْتُم مِنْ دُونِ اللهِ لايَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ في السَّموات ولا فِي الأَرْضِ وما لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وما لهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . ولا تنْفعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلاَّ

(١) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

لِمَنْ أَذِنَ لَه) (١)

وقال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله تعالى لهم أن الانبياء والملائكة لايملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، وأنهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه • وقال تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ والْحُكْمَ والنُّبُوةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ ولَـكِنْ كُونوا رَبَّانيينَ بِمَا كُنْتُم تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُم تدْرُسُونَ . ولايأْمُرَكُم أَن تتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ والنَّبِيينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (٢)

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ، فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ــ مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات ــ فهو كافر باجماع المسلمين •

وقال تعالى : (مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَها ومَا يُمسِكْ فَلَا مُرسِلَ لهُ مِنْ بعْدِهِ) (٣) وقال : (قُلْ أَفرَأَيْتُم مَا تدْعُونَ من دُونِ اللهِ إِنْ ارَادَنِيَ اللهُ بضُرٍّ هلْ هُنَّ كاشفَاتُ ضُرِّهِ أَو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمسكَاتُ رَحْمَتِهِ قلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيهِ يتوكَّلُ الْمتوكِّلُونَ) (٤) وقالَ تعَالَى : (قلْ لا أَمْلكُ لنَفْسِي نفْعاً وَلَا ضراً الَّا مَاشَاءَ اللهُ ولو كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخيْرِ ومَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنـا إِلَّا نذِيْرٌ وَبشِيْرٌ لقَومٍ يُؤْمِنُونَ) (٥) وقال تعـالى : (وانْ يَمسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فَلا كاشِفَ لهُ إِلَّا هُـو وإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لفَضْلِهِ) (٦)

---

(١) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ – (٢) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ – (٣) فاطر : ٢ – (٤) الزمر : ٣٨ –(٥)الاعراف:١٨٨–
(٦) يونس : ١٠٧

الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه يعطي ويمنع ، ويقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين ، وأنه الذي يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء وكذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى كحديث ابن عباس الذي فيه : (واعلم أن الامة لو اجتمعت أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك) ، وكذلك النفع ، وحديث البخاري الذي فيه (يافاطمة بنت محمد لاأغني عنك من الله شيئا) وغير ذلك •

فالآيات والاحاديث وأقوال السلف تدل على أن الله تعالى هو المتفرد بملك الضر والنفع ، والنبهاني يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، وهكذا الانبياء والرسل ، وهكذا صالحوا أممهم ، واستدل على ذلك بمنامات وخرافات ، وبأقوال أمثاله من الغلاة ، فبقي الخلاف بين الله وبين النبهاني ، أن الله تعالى يقول لايملك الضر والنفع غيره سواء كان ملكا أو نبيا أو رسولا أو صفيا ، والنبهاني قاتله الله يقول لاليس الامر كما قاله الله ورسوله ، بل ان النبي أو الولي يستغاث به ويرجى ويطلب منه كل مايطلب من الله ، وها نحن نحيل المحاكمة بين النبهاني وبينالله تعالى الى ذوي الانصاف والفهم ، ولا شك أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم •

(وأما) أقوال النبهاني ، وآراء كل مبتدع شيطاني ، فمردودة عليه ، وملقاة بين يديه ، والكلام في الاستغاثة مر مفصلا وسيأتي له تتمة ان شاء الله •

(قال النبهاني) ذكر في بعض النسخ أن (الصارم المنكي) هو بالميم والنون وهو غير صحيح ، لان أنكى الرباعي غير وارد ولا وجود له في كتب اللغة ، والوارد هو نكا الثلاثي بالهمز والتسهيل ، يقال : نكا العدو ونكاه نكاية أصاب منه ، قال : اذا علمت ذلك تعلم أن اشتهار الكتاب بلفظ المنكى هو خطأ لأن المؤلف من أكابر العلماء الذين لايخفى عليهم مثل هذه اللفظة ، فلا يحمل الخطأ عليه بل على النساخ ، واسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو (المبكى) بالباء كما ذكره في (كشف الظنون) •

ولقائل أن يقول أنه لامانع من أن يكون ابن عبد الهادي مع تبحره في علم الحديث ضعيفا في علم العربية فجاز عليه الخطأ بهذا اللفظ ، لاسيما والتعبير بالنكاية هو الذي يناسب رده على عدوه ، أو أنه يكون ماهرا في علم العربية أيضا ولكن الله تعالى قد طمس على بصيرته في تسمية هذا الكتاب كما طمس على بصيرته في مسماه

ليحصل الخطأ في الاسم والمسمى جميعا ، والدليل على جواز هذا الاحتمال أن خطاه في المسمى وهو نفس الكتاب أفحش وأظهر من خطئه في الاسم ، ولكني تبعت بتسميته بالمبكى (كشف الظنون) وهو الصواب والله أعلم •

(هذا كله كلام النبهاني) وسبحان من أنطقه بكل باطل ، وأظهر حاله للعالمين وأنه من كل خير عاطل ، وكشف حقيقته لأولي الفضائل ، وأبان افلاسه من كل العلوم فلم يبق في جهله قول لقائل ، صغار الطلبة يعلمون ماخفي على هذا الجاهل ، والمبتدئون في العربية لم يخف عليهم ماخفي على النبهاني الغافل ، ولا بد من الكلام على هذيانه والتنبيه على خطئه فنقول :

(الجواب) عن اعتراضه من وجوه :

(الوجه الاول) أن العلم كما حققه علماء الوضع من قسم الموضوع بالوضع الخاص لموضوع له كذلك والمقصود من الوضع تعيين المسمى بحيث لايشاركه غيره في هذا الوضع ، فلا ترد الاعلام المشتركة لأن كلا منها لايشاركه آخر في الوضع له ، فاذا كان الغرض تعيين المسمى وتمييزه عما عداه حصل بكل لفظ طابق الاصول أم لا ، فاذا سمي شخص باسم ليس له في اللغة العربية نظير ولا معنى جاز ، وعليه انقسام العلم الى قسمين : منقول : ومرتجل ، كما في الخلاصة :

ومنه منقول كفضل وأسد   وذو ارتجال كسعاد وادد

فما هذى به النبهاني ساقط من أصله ، ولا يحتاج بيان خطئه الى جواب آخر، ولكنا نزيد المقام وضوحا تتميما للفائدة •

(الوجه الثاني) أن العلم المنقول لايبقى منه المعنى الاصلي بعد وضعه علما ، ولذلك جعلوا عبد الله علما مفردا ، وهو مالا يدل جزؤه على جزء معناه ، ولو بقي على معناه الاصلي لعد مركبا اضافيا ، فان جزء اللفظ يدل على جزء المعنى الاضافي ، وما نحن فيه من هذا القبيل فانه بعد وضعه اسما للكتاب خرج عن كونه مركبا تقييدا وصار من قسم المفردات ، فلا يلاحظ في الجزء منه دلالة على المعنى حال العلمية ، ولم يقصد المعنى الاصلي الا لاجل الكناية كما ذكروه في أبي جهل وأبي لهب على مافصل في كتب المعاني ، وكذلك الالقاب المشعرة بمدح أو ذم ، وهكذا الاسماء المنقولة عن صفات وأفعال لايراد منها بعد العلمية معانيها الاصلية ، نعم قد تدخل اللام على بعض الاعلام المنقولة عن المشتقات للمح الصفة كالفضل والحارث والنعمان ونحو ذلك ، فبطل كلام المعترض •

(الوجه الثالث) وهو من أحسن الاجوبة أني وجدت لذلك فائدة في كتاب الضرائر و مايسوغ للناظم دون الناثر ، وقلت : المسألة العاشرة مايلحق بالضرائر الشعرية ، ثم قلت : اعلم أن الائمة ألحقوا بالضرائر الشعرية مافي معناها وهو الحاجة الى تحسين النثر بالازدواج ، فلا يقاس على ماورد منه لذلك في السعة ، كما لايقاس على الضرائر الشعرية في متسع الكلام ، ونقلت مايناسب المقام عن درة الغواص للحريري ، فقلت : ويقولون قد حدث أمر ، فيضمون الدال من حدث مقايسة على ضمها في قولهم أخذه ماحدث وما قدم ، فيحرفون بنية الكلمة المنقولة ويخطئون في المقايسة المعقولة ، لأن أصل بنية هذه الكلمة حدث على وزن فعل بفتح العين ، كما أنشدني بعض أدباء خراسان لأبي الفتح البستي رحمه الله :

جزعت من أمر فظيع قد حدث　　　أبو تميم هو شيخ لاحدث

قد حبس الاصلع في بيت الحدث

وانما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم لأجل المجاورة والمحافظة على الموازنة ، فاذا أفردت لفظة حدث زال السبب الذي أوجب ضم دالها في الازدواج ، فوجب أن ترد الى أصل حركتها وأولية صيغتها .

ثم قال الحريري : وقد نطقت العرب بعدة ألفاظ غيرت مبانيها لأجل الازدواج واعادتها الى أصولها عند الانفراد فقالوا : الغدايا والعشايا اذا قرنوا بينهما ، فان أفردوا الغدايا ردوها الى أصلها فقالوا الغدوات ، وقالوا : هنأني الشيء ومرأني ، فان أفردوا مرأني قالوا أمرأني ، وقالوا :فعلت به ماساءه وناءه ، فان أفردوا قالوا أناءه ، وقالوا أيضا : هو رجس نجس ، فان أفردوا لفظة نجس ردوها الى أصلها وقالوا نجس ، كما قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [1] وكذلك قالوا للشجاع الذي لايزايل مكانه : أهيس أليس ، والاصل في الاهيس الاهوس لاشتقاقه من هاس يهوس اذا دق ، فعدلوا به الى الياء ليوافق لفظة أليس .

وقد نقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة ، وتعديل المقارنة فروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للنساء المتبرزات في العيد : (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وقال في عوذته للحسن والحسين عليهما السلام : (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة) ، والاصل في مأزورات موزورات لاشتقاقها من الوزر ، كما أن الاصل في لامة ملمة لأنها فاعل

---

(١) التوبة : ٢٨

من المت ، الا أنه عليه الصلاة والسلام قصد أن يعادل بلفظ مأزورات لفظ مأجورات، وأن يوازن بلفظ لامة لفظتي تامة وهامة ، ومثله قوله عليه الصلاة والسلام : (من حفنا أو رفنا فليقتصر) أي من خدمنا أو أطعمنا ، وكان الاصل أتحفنا ، فاتبع حفنا رفنا • ويروى في قضايا عليّ أنه قضى في القارصة والقامصة والواقصة بالدية اثلاثا وتفسيره أن ثلاث جوار ركبت احداهن الاخرى فقرصت الثالثة المركوبة فقمصت فسقطت الراكبة ووقصت فقضى للتي وقصت أي اندق عنقها بثلثي الدية على صاحبتيها ، وأسقط الثلث باشتراك فعلها فيما أفضى الى وقصها ، والواقصة هنا بمعنى الموقوصة ، وأنشد الفراء في هذا النوع :

هتاك أخبية ولاج أبوبة ... يخلط بالجد منه البر واللينا

فجمع الباب على أبوبة ليزاوج لفظة أخبية ، انتهى مانقل عن الحريري •

(وفي الخلاصة)

وفي اضطرار وتناسب صرف ... ذو المنع والمصروف قد لاينصرف

(وفي الكافية)

ولاضطرار وتناسب صرف ... مايستحق حكم غير المنصرف

ورأى أهل الكوفة الاخفش في ... اجازة العكس اضطرارا يقتفي

وبعضهم أجازه اختيارا ... وليس بدعا فدع الانكارا

ومثل الشراح للمصروف للتناسب سلاسلا وأغلالا وسعيرا ، قواريرا قواريرا ، على قراءة نافع والكسائي ، ولا يغوثا ويعوقا ونسرا على قراءة الاعمش وابن مهران، وقسموا التناسب الى قسمين : تناسب لكلمات منصرفة انضم اليها غير منصرف نحو سلاسلا وأغلالا ، وتناسب لرؤوس الآي كقوارير الاول فانه رأس آية ، فنون ليناسب بقية رؤوس الآي في التنوين أو بدله وهو الالف في الوقف ، واما قوارير الثاني فنون ليشاكل قوارير الاول ، والفرق في ذلك بين الضرورة والتناسب ان الصرف واجب في الضرورة وجائز في التناسب ، وقد علمت أن التناسب غير التشاكل للازدواج ، هذا ماكتبته من مسائل كتاب الضرائر ، وبه علم أن اسم (الصارم المنكي في الرد على السبكي) بعد الميم نون كما هو المتواتر عن المصنف وهو الصواب ، غير أن النبهاني قد تعود على التحريف والتبديل ، فاراد أن يحرف الاسماء كما حرف نصوص القرآن والسنة الغراء ، وقد فضحه الله تعالى بالجهل في سائر الاقطار والانحاء ، والحمد لله الذي نصرنا على الاعداء •

(الوجه الرابع) أن التسمية بالصارم المبكي بباء بعد الميم تسمية لامعنى لها

اذا لمحنا الى الاصل المنقول عنه ، فان الصارم انما يوصف في كلام العرب بالنكاية لابأنه يبكي ، فان العصا أيضا تبكي المضروب بها ، بخلاف الصارم فانه اذا ضرب به أحد هلك وفني وهي النهاية في النكاية ، ولكـن النبهـاني مقصوده تسـويد القراطيس ، كما سود الله وجهه باتباعه لوساوس ابليس •

(وبالجملة) فكل مااعترض به على كتاب (الصارم المنكي) فهو اعتـراض مردود عليه ، وكل ماانتقده فهو مدفوع عنه ، وكان مااعترض به عليه من شواهـد جهله وآيات حرمانه •

تعيرنا ألبانها ولحومها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فكتاب (الصارم المنكي) للامام الذي لايجاذب رداء فضله ، ولا تدور العين بين أصحابه على مثله ، علامة المعقول والمنقول ، وفهامة الفروع والاصول ، البحـر الزاخر ، وفخر الاوائل والاواخر ، قدوة الفضلاء ، وخاتمة الاجلاء ، شيخ الاسلام ، ومن اتفق على جلالته الخاص والعام ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، طيب الله تعالى ثراه ، وجعل في أعلى عليين مقره ومثواه ، كتاب تشد اليه الرواحل ، وتطـوى دون لقياه المنـازل ، ليس في بابه مايدانيـه ، ولا مايماثله ويضاهيه ، جمع فأوعى ، وأوجز فأعجز ، وما ترك لسـاع من مسعى ، بلغ الغاية في حسن الجمعية وكمال الاختصار ، وأدرك النهاية في قلة المؤنة وليـاقة الحفظ والتكرار •

كلم كان الشهد من ألفاظها جار وان الطيب منها سائر

قد أرى السبكي قدره ، وأدى اليه الكيل صاعا بصاع ولم يهمله بالمرة ، حتى أرغم الله به أنوف المعتدين ، وشفى به صدور قوم مؤمنين ، وما كـان من ذم بعض الغلاة والانتقاد عليه ، فلما أصابهم منه من الويل والثبور ، ولم يقدروا أن يقابلـوه ولا يقفوا بين يديه ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، حيث ذب عن الدين المبين ماكاده به الخصوم والاعداء •

(قال النبهاني) الفصل الثالث في الكلام على (جـلاء العينـين في محاكمـة الاحمدين) وبيان أن مؤلفه حكم لابن تيمية بالميل ، وعلى ابن حجر بالمين ، وقـد جاوز به الحد في تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسـلام ، وافراد العلمـاء الاعلام ، لاسيما ابن حجر الهيتمي ، والتقي السبكي وابنه تاج الدين ، مؤيدا ماشذ به ابن تيمية في مسائله التي خالف بها الامة المحمدية ، وكانت أصلا لمذهب الوهابية ، ومقته لأجلها جمهور أئمة الدين من أهل المذاهب الاربعة السنية ، قال : وهذا الكتاب

من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام المسلمين ، والطلبة القاصرين ، فيجب عليهم أن يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم ، المكدرة لمشاربهم ، بالاعراض التام عنه ، وعدم مطالعة شيء منه ، لئلا تضر شكوكه بيقينهم ، ويوقع الخلل في أمور دينهم ، أماالعلماء فلا يخشى عليهم منه ذلك الضرر ، لتمييزهم بين خطأ ابن تيمية وطائفة الوهابية وصواب السبكي وابن حجر وجمهور الامة المحمدية ، وتفريقهم بين ماخلط فيه مؤلفه من الحق والباطل ، والمحلى والعاطل ، فلا ينخدعون بما جمعه فيه من زخارف الكلام ، وبهارج الاوهام ، التي زعم بها ان زلات ابن تيمية هي ماكان عليه السلف الصالح من أئمة الاسلام ، ومع ذلك فالاولى بل الصواب للعلماء أيضا الاعراض عنه ، وعدم مطالعة شيء منه الا للرد عليه ، وبيان ماحواه من الخطأ الفاحش والتعصب الشديد ضد العلماء العاملين ، هداة الامة ، ومصابيح الملة ، كالائمة الثلاثة : ابن حجر ، والسبكي ، وابنه تاج الدين ، وترجيحه لكثير مما يخالف عقائد جمهور المسلمين ، كمسألة الاستغاثة والزيارة ، والقول بالجهة ، وغير ذلك مما خلط فيه ، ولا يقدر على تمييزه الا العلماء الاعلام ، ويخشى من مطالعته وقوع الخلل في عقائد الطلبة القاصرين والعوام .

(قال) وأنا والله في حيرة من أمره ، ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضني اني أعرفه أنه حنفي المذهب ، من عائلة علم وسيادة في بغداد ، كلهم من أهل السنة والجماعة ، وان ماعتمده في هذا الكتاب ــ مما أيد به زلات ابن تيمية ــ هو مذهب الوهابية لامذهب الحنفية ، ولا مذهب آبائه وأجداده السادات الشافعية ، وان قلت ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقي وانما تظاهر به خدمة لصديق حسن خان الوهابي ــ الشهير ملك بهو بال في الهند صاحب التآليف المشهورة ــ فهذا لايليق بمثله ، وان كان هو الظاهر من محرراته ومراسلاته ، ألا ترى أن كتابه المسمى (بغالية المواعظ) لما ألفه بعد (جلاء العينين) تجده قد زينه بالنقل عن كتب العلامة ابن حجر (كالزواجر ، والصواعق) ونحوهما ، ولم ينقل الا نادرا عن ابن تيمية ، والله أعلم بحاله في هذا الكتاب من القصد والنية ، ولست اعترض عليه باجابته عنه ان بعض الاقوال التي نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه واستشهد على ذلك بعبارات صحيحة أو غير صحيحة ، فهذا لا مانع منه وهو حسن ، ولكنه لم يقتصرعلى ذلك بل شنع على ابن حجر بألفاظ لايحسن استعمالها في حق بعض طلبة العلم فضلا عن امام كبير من أئمة الدين ، وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع ــ من قبيح التشنيع

والتقريع ـ الامام تقي الدين السبكي ، حتى انه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام ، بل اما أن يقول قال السبكي أو القاضي السبكي ، وهو في الحقيقة المستحق للقب شيخ الاسلام ، لأنه كان قاضي قضاة الشام ـ مع كونه من أئمة العلماء الاعلام ـ ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لايستحق لقب شيخ الاسلام وان كان من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام ، وهو رجل مطعون في عقيدته باعتقاد الجهة فضلا عن بدعته المتعلقة بالزيارة والاستغاثة . والسبكي هو بالاتفاق من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أفضل أئمة الاسلام ، وابنه تاج الدين هو الامام ابن الامام باتفاق العلماء الاعلام ، فما الذي حمل مصنف (جلاء العينين) على معاملتهما أسوأ المعاملة والميل كل الميل مع ابن تيمية ، وذلك دليل على أنه من أهل البدعة لا من أهل السنة ، والارواح جنود مجندة فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية ، فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كان مع كونهم في جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم وامامه ابن تيمية بعكس ذلك ، ولكن الشرف والحسب لايغني عن العلم والادب ، الى أن قال : ومصنف (جلاء العينين) لم يحكم لابن تيمية فقط بل حكم لجميع الوهابية ، وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكي وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة من الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، وجمهور الحنابلة أيضا ، ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه أفحش الخطأ في حق نفسه وأبيه والمسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا ، وانه لوث نفسه بأقذار البدع الوهابية التي لايغسلها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة ، وكما آذى نفسه بذلك أشد الاذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين من أهل المذاهب الاربعة ـ حتى المنصفين من الحنابلة ـ بذمهم اياه وخوضهم في عرضه مابقيت الدنيا وبقي فيها هذا الكتاب .

ثم إنه هذى بما هذى ، ثم قال : وياليت شعري كيف اختار لنفسه ولابيه ـ بمقتضى مانقل عن تفسيره روح المعاني ـ منابذة جمهور الامة المحمدية ، ومااتفق عليه أئمتها وعلماؤها في جميع هذه الاعصار المتطاولة ، من أمر الزيارة والاستغاثة ، حتى صار من الامور المعلومة بالضرورة ، مع كونه هو الذي يليق بما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم من التعظيم والتوقير ، ولاعبرة بما قاله ابن تيمية وطائفته الوهابية . ومن شاكلهم من شذاذ المذاهب من منع ذلك ، لما توهموه وتخيلوه من المحاذير التي لاتخطر

عند الزيارة والاستغاثة ببال أجهل الجاهلين فضلا عما فوقه من اعتقاد الالوهية فيمن يزورونه أو يستغيثون به ، مع أن بدعة هؤلاء فيها من سوء الادب في جانبه صلى الله عليه وسلم مالا يخفى على من في قلبه أدنى نور ، هذا لعمري مما لايختاره عاقل لأخيه فضلا عن نفسه وأبيه ، وقد لعمري آذى أباه وعقه بتلك النقول التي كان الناس عنها في غفلة ، لانها مفرقة في تفسيره فجمعها في هذه المسائل في كتابه هذا مفتخرا بها ، ومثبتا عند السيد صديق حسن خان وطائفته أن أباه كان أيضا على مذهبهم ومشربهم في ذلك •

وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة المشرفة كلاما فظيعا في حقه وحق أبيه ، ولما كان قد أظهر تحامله في كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم — ولاسيما الامام السبكي وابنه وابن حجر — وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه وكل من كان على شاكلته : رأيت أن أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية وابن حجر ، ليظهر لكل أحد أنه حكم لابن تيمية بالباطل ، انتهى كلام النبهاني فيما قاله في شأن (جلاء العينين) وقد نقلته كله — وان كان في نقله تضييع للقرطاس والمداد — لأن القصد مناقشته في جميع كلماته ، وبيان ماشتمل عليه من عواره وغلطاته •

(اعلم) ان جميع ماذكره النبهاني في هذا الفصل قد تكرر غير مرة ، غير أنه لما كان خاليا عن الفهم فارغا عن العلم والفضل : أراد أن يتطفل على المؤلفين بتأليف كتاب ، وكان مبلغ علمه ومنتهى كمالاته المباحث المتعلقة بزيارة القبور ، والشعر المشتمل على الغلو والالتجاء الى غير الله مما يحفظه العوام الذين هم كالانعام ، ولا يدرون مافيه مما يصادم دين الاسلام ، وينشده المنشدون في المجامع ، وقراءة مولد خير الانام ، وكان عنوان مايعتقده ويدين الله به أن الاستغاثة بغير الله هي ركن الدين ، ومدار توحيد المسلمين ، وشتم ابن تيمية وتبديعه وتضليله ، وتضليل من قال بقوله ومن انتصر له ، ومن تعرض للرد على أقوال السبكي وابن حجر وسائر الغلاة •

وقد حشا كتابه من أوله الى آخره بمثل هذا الهذيان ، والزور والبهتان ، وأبدى وأعاد في ذلك ليعظم حجم كتابه ، وتطول مندرجات فصوله وأبوابه ، ليتبجج به على أمثاله من العوام ، ويفتخر على الجهلة الطغام ، وقد تبين لي حاله من كتابه هذا وأنه رجل ممار عنود معجب بنفسه ، منطو على حب البدع ، مصر على تقليد الآراء الفاسدة ، والاقوال الكاسدة ، وانه لايفيد فيه كل كلام ، ولا تؤثر فيه سهام

الملام ، وأرقام الاقلام ، وان جهله جهل مركب مع رعونة ونقصان عقل ودين ، وقلة ايمان وعدم حياء ، فهو لاينتهي عن غيه ، ولا يرتدع عن بغيه ، ولا ينتهي عن جهله ، ولسان حاله يقول :

لاأنتهي لا أنثني لا أرعوي   مادمت في قيد الحياة ولا اذا

ومن اليقين عندي أن الكلام معه سدى ، والرد عليه يغريه على سلوك جادة الردى ، والميل الى الصد عن الهدى ،ورأيته ـ مع ماهو عليهمن العجب ومزيد الجهل والغباوة ـ مملوء الاهاب من الحسد من فرقه الى قدمه ، وهكذا كان شأن اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كفروا به حسدا من عند أنفسهم ، والضالون قد تشابهت قلوبهم ، ولولا حسده وجهله لم يتطاول على (جلاء العينين) ومصنفه ذلك التطاول الشنيع ، ويهذي بما هذى به من الكلام الفظيع ، والا فما الباعث لكلامه هذا على مصنف (جلاء العينين) ووالده ، وعلى الشيخ ابن تيمية وأصحابه ، ومن اليقين أنه لم يتهور هذا التهور على من طوى بساط الاسلام ، وهد ركن الدين ، وهدم بنيان قواعد المسلمين ، بل أبدى له العذر وحمل ذلك على المقاصد الحسنة الخيرية •

وكل أحد يعلم أن المسائل العلمية لم تزل معترك أنظار العلماء ، ومثار فرسان الفضلاء ، ولو كان هذا الزائغ من أهل الفطنة والعرفان ، ومن فرسان رجال ذلك الميدان : لاورد المسائل التي في (جلاء العينين) واحدة بعد أخرى ، وأورد عليها مايراه واردا بحسب نظره الفاسد ، وفهمه الكاسد ، وسلك مسلك المتناظرين لأجل اظهار الصواب ، كما هو شأن الخلافيين الذين انتصروا لمذاهبهم ، كما وقع من ذلك بين أصحاب المذاهب الاربعة وأتباعهم أولي الباب •

(ثم ان ماذكره) في مقالته هذه في شأن جلاء العينين ومصنفه وما أورده فيها قد سبق الكلام عليه مرارا ، وأبطلنا أقواله الكاسدة بحمد الله جهارا ، وتكرر معه الكلام في غير هذا المقام ، ولكن الامر كما قال القائل وهو المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام

وها أنا مع ذلك أذكر مايرد عليها من المؤاخذات ، وبيان مافيها من الخطأ والغلطات ، ليظهر جهله وفساد أقواله للناظرين ، ولا عدوان الا على الظالمين •

(فأقول) من أقواله ـ التي هي مواقع للنظر وهدف لرمي سهام الفكر ومحل للايراد وموقع للفساد ـ قوله إن مؤلف جلاء العينين حكم لابن تيمية بالميل ، وعلى

ابن حجر بالمين الخ .

(جوابه) أن الامر ليس كما قال ، بل ان مصنف (جلاء العينين) أورد فيه أولا تراجم الشيخ وبعض أسلافه الكرام ، ثم ذكر بعض من ابتلى وأوذى من العلماء ، ثم ذكر ماقاله ابن حجر في الفتاوى الحديثية مما زوره على الشيخ وافتراه ، ثم ذكر تراجم بعض المنكرين عليه من خصومه وحسدته ، ثم أفرد مقصدا في تراجم بعض المثنين عليه من تلامذته وغيرهم ، ثم ذكر تراجم من قال ابن حجر عن الشيخ أنه تتبعهم من المتصوفة ، ثم أورد فصلا في الكلام على مانقله الشيخ ابن حجر من عبارة شيخ الاسلام وأورد عدة تراجم لأصحاب الاقوال ، ثم ذكر اختيارات الشيخ وما لها وما عليها ، وفصل الكلام في تحقيق الكلام النفسي وما ذهب اليه الحنابلة والاشاعرة وأطنب في مباحث الصفات وما ذهب اليه السلف ، ثم ذكر مااختاره من التوسط بين القولين ، ثم ذكر الاستغاثة والتوسل ، وعقد فصلا لأدلة المجوزين ، وفصلا آخر في المانعين ، ثم ذكر الاجوبة عما نقله ابن رجب من اختيارات الشيخ ، وبها ختم الكتاب واليه المرجع والمآب .

هذا ما كان في جلاء العينين ، وأحال الحكم وترجيح الحق من الباطل الى القارئين من أهل الفضل والانصاف ، لا من أهل الجور والاعتساف ، على أنه لو كان الامر كما زعم وأنه حكم بما حكم فماذا عليه بعد أن راعى في حكمه ماأدى اليه الدليل ، أليس الله تعالى قال : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)[1] وفي الحديث الصحيح (من علمه الله علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار) وقد سبق ماأوردنا من كلام الامام الشافعي في تفسير سورة العصر ، وأن من جملة مراتب الكمال الاربع التي اشتملت عليها السورة التواصي بالحق ، بأن يعلم بعض الناس بعضا حقائق الامور وما هي عليه في نفس الامر ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مما استوجب خيرية الامة المحمدية على كل أمة أخرجت للناس ، وابن حجر ومن كان على منهاجه كلهم ظلموا الشيخ ابن تيمية ، ولم يقصدوا في تهورهم عليه وجه الله ، بل لم يكن منهم ماكان الا تشفيا به ، وقضاء لحق أهوائهم ، والا فمن المعلوم ماكان من الروافض والنواصب والخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرهم من الفرق الاسلامية ، وممن كان قبل الاسلام ، ومع ذلك فلم يلتزم ابن حجر ما التزمه في ابن تيمية ، وهكذا السبكي قبله ، وهكذا الغلاة في كل عصر .

---

(١) آل عمران : ١٨٧

ماذكره ابن حجر المكي في فتاواه عن الشيخ : منه ماهو كذب وزور وبهتان منه عليه ، كنسبة القول بالجسمية والجهة ، وعدم تحريف التوراة والانجيل ونحو ذلك ، وكتب الشيخ المثبوتة في العلم كلها تصرح بضد ذلك ، وجميع كتبه مصرحة بنفي الجهة والجسمية ، وشطر من كتابه (الجواب الصحيح) في اثبات تحريف الكتابيين لكتبهم ، فأي ذي دين وانصاف لم يكذب ابن حجر في قوله ويحكم عليه بأنه من الكاذبين ، وان الشيخ كان من المحققين ، والمسائل الاخرى التي ادعى ابن حجر على الشيخ انه خرق بها الاجماع كلها مما قال به السلف ، وقام عليها الدليل الصحيح ، وألف في اختياراته كتب مفصلة ، فأي زور أكبر من هذا ؟ وأي بهتان فوق هذا البهتان؟أيليق بمن يدعي العلم أن يسلك هذا المسلك الذي لو سلكه عامي من العوام لعيب به ؟ فكيف يسوغ للمنصف أن لايحكم للشيخ بالميل وعلى ابن حجر بالمين ؟ وهل بقي في مين ابن حجر شك لذي نظر ؟

(ومنها أنه قال) وقد جاوز به الحد في تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسلام ، وأفراد العلماء الاعلام ، لاسيما ابن حجر الهيتمي ، والتقي السبكي وابنه ، مويدا ماشذ به ابن تيمية في مسألته المعلومة الخ .

(فيقال له) هذا هو الكلام السابق بعينه ، والرد على ذلك رد على هذا ، ومن يتبع الدليل ويجري على مقتضى البرهان لايقال فيه انه قد تجاوز الحد ، بل ان من ينحرف عن الشريعة هو الذي تجاوز الحد ، والحق أحق بالقبول ، والاذعان له عين الانصاف ، والميل عن الجور والاعتساف ، والمخالف في ذلك مكابر ، بل ليس من ذوي الالباب والبصائر ، وكل منصف ذي فهم يعلم ان ماقاله ابن حجر والسبكي وأضرابهما هو محض اتباع هوى ومكابرة وعناء ، واذا كان ما اختاره الشيخ أيده الدليل والبرهان وان أقواله هي قول الله ورسوله وسلف الامة وأكابر الائمة كما أسلفنا جميع ذلك فكيف يقال ان تلك الاقوال مما شذ به ابن تيمية ؟ وهل هذا الكلام الا من الغباوة والمكابرة ؟ وانكار للضرورة وتقليد للاراء .

ثم ان علماء المذاهب الاربعة ممن يعتد بعلمه لم يمقتوا الشيخ ، وكتب المنصفين منهم طافحة بالثناء عليه ، الا ماكان من بعض خصومه وحسدته ، كالسبكي واضرابه ، ومن قلدهم في غيهم وضلالتهم من الغلاة ، كما سنذكر تفصيل ذلك في الكلام على مناقبه ان شاء الله .

(ومنها أنه قال) وهذا الكتاب من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام

المسلمين والطلبة القاصرين ، فيجب ان يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم المكدرة لمشاربهم الخ .

(فيقال له) هذا كلام فاسد ، قد بعثه عليه حسده وحبه لهواه وضلاله وغيه ، فان كتاب جلاء العينين جلاء عيون الموحدين ، وبهجة قلوب المؤمنين ، كم من منشد وجد به ضالته ، وكم من حيران أنس به هدايته ، وكم من مسلم قد انتفع به ، وكم من منصف عرف الحق بسببه ، فهو الكتاب الذي راق لفظه ومعناه ، وفاق ماسواه بمفهومه وفحواه ، اذا أمعن ناقد النظر فيه شاهد منه حديقة يانعة تفوح فوائح ثراها كالمسك الاذفر ، كأنها جونة عطار ، وتخيله روضة رائقة تتأرج بروائح الند والعنبر، كأنها لطائم تجار ، فاجتنى من بدائع معانيه زهر المروج وأنوار الربيع ، واجتلى من روائع مبانيه زهر البروج وازهار المرابيع ، رائق ألفاظه أرق بل وأروق من مروقات السلاف ، ورواشق تعبيراته تروح الارواح وتهز الاعطاف ، كالشهد ريقه ، والنسيم رقه ، واللطف على الحقيقة .

رق لفظا فقيل خمر حرام　　　راق معنى فقيل سحر حلال

فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء ، مما أعده لأهل طاعته المتبعين لشريعته من الاصفياء ، حيث لم يأل جهدا في تأليف هذا الكتاب ، المشتمل على فصل الخطاب لدى ذوي الالباب ، ولم يقصر نصحا في ترصيف أبواب تبهر المتقدم والمتأخر من ذوي الكمالات والآداب ، وأودعه نكتا لطيفة تفوق بسناها على بدر التمام ،ورصعه بفرائد تزهو في الاتساق وتروق في الانتظام .

في بطن قرطاس رخيص ضمنت　　　أحشاؤه درر الكلام الغالي

فلله در مؤلفه من عالم أبدع ، وفاضل أعلن بالحق وصدع ، وهذب فذهب ، وبوب فرتب ، أخذه ذهبا فغدا يتوقد لهبا ، وتناوله قبسا فتجلى في طور البلاغة شهبا ، وزاد في حسن سبكه فهزت أعطاف ناظريه طربا ، الى آخر ماوصفه به بعض الافاضل حين قرظه أكابر الاماثل .

وقد أثنى على كتاب جلاء العينين وقرظه جماعة من أعيان المذاهب الاربعة المعاصرين للمصنف رحمهم الله تعالى ، ولا بأس أن نذكر من كلام بعضهم نبذا يتحلى بها وبنفائس دررها جيد هذا الكتاب ، فأقول ومن الله أستمد التوفيق والاعانة :

ممن أثنى على كتاب جلاء العينين علامة المنقول والمعقول ، وفهامة الفروع والاصول ، خاتمة الادباء ، وتذكرة فحول الشعراء ، فريد عصره ، ووحيد دهره ،

الذي طار صيت مجده في الآفاق ، وأشرقت شمس فضله في الحجاز والعراق ، أحمد باشا الفاروقي الموصلي ، طيب الله تعالى ثراه بعطر رضوانه الجلي ، وقد قرظ جلاء العينين بتقريظ هو لدى الادباء قرة عين ، وهو تقريظ نفيس ، يفعل بالالباب ولافعل الخندريس ، وذلك قوله لازال في بحبوحة الجنان مسكنه ومحله :

بجـــلاء العينين كحلت عيني ... وأجلت الافكار في الاحمدين
فرأيت الصواب ماقد حكـاه ... نص هذا الكتاب من غير مين
قد حوى في اصدافه خير در ... فتـــراءت أوراقـــه من لجـين
وكذاك الاشياء يظهر فيهـــا ... رونق الحسن جامع الضـــدين
أوضح الحـــق لـــدى كل راء ... وجلا عن عيـــونه كل غـــين
وخصوصا قدباعد البحث منه ... بين من يدعى الضـــلال وبيني
فلنا بالنعمـــان خير اتبـــاع ... ثابت الاصل محكم الطرفـــين
كم جلا الشك عن جليلين كانا ... في سمـــاء العلـــوم كالنـــيرين
خدمة ساقها لأجل رضى اللـــ ... ـه ونفـــى الظنـــون عن هذين
نسج الفكر منه حسن ثيـاب ... لبستها منـــاكب الشيخـــين
حاكها بالافكار علمـــا فليست ... وشي صنعا يحوكها باليـــدين
بنقود النصوص وفى حقـــوقا ... وسواه قضى الذيـــون بدين
ذكرتني ومانسيت قضـــايا ... سبقت مثل قصة الحكمـــين
عرفت جده الاحابيش لمـــا ... كشف الحرب عن قناع حنـــين
عن أبيه تورث العـــلم حتى ... صار بالفضـــل مجمع البحرين
فهو للدين ســـاعد وعمـــاد ... ولصدر الاســـلام قرة عـــين
كم له من فضائل كشمـــوس ... أشرقت في مطالع المشـــرقين
وبـــدور مـــن التآليـــف غر ... طلعت من منـــازل القمرين
أشعري المقام علما وحكمـــا ... سلفى الطـــراز في الاثنـــين
علـــوى نجـــاره من قريش ... هاشمي الآبـــاء والجـــدين
كالانانيب بعضها فـــوق بعض ... من علي وجعفـــر وحســـين
نسب في الحطيم قدضاع مسكا ... فاح منه الشذى لدى المشعرين
فهم قدوة الورى وملاذ النـــ ... ـاس طرا في حالة النشـــأتين

(ترجمة هذا الفاضل)

هو من قوم كرام ، وأماجد أعلام ، ينتهي نسبه الى سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه ، ونسبه معلوم مشهور ، وفي كتب الانساب مذكور ، وهؤلاء القوم كما قال قائلهم فيهم :

بنو فاروق تيجان المفـارق ... وأعيان المغارب والمشـارق
فكم من برجهـم طلعت بدور ... وكم من أفقهم قد ذر شـارق
وكم من عيلم في العلم منهـم ... يطم اذا طمى شم الشواهـق
مآثرهم نجوم سما معـال ... لها عقدوا ميـازرهم مناطق
فلو مـدوا الى العيـوق باعا ... لجـاوزه وليس هنـاك عائق
محابرهم بحـور زاخرات ... سل الاقلام عنها والمهـارق
فما هم والمعـالي منذ كانـوا ... وكانت غير معشوق وعاشـق
وهم فحوى حقيقة كل شـيء ... وهم عنوان ديوان الحقـائق
وهم خلعـوا على أم المعـالي ... وهم في المهد من مجد قراطق
وهم سنوا المعالي بالعـوالي ... وبيض الهند والخيل السوابق
وهم من تعرف البطحا أباهـم ... وتعـرف جدهم للحـق فارق
وهم من مهـدوا للدين طرقـا ... يداس بها على قمم الطـرائق
وهم أسد لهم يعلـو زئـير ... اذا هدرت بيوم وعى شقاشق
وان خفقت لهـم رايات بطش ... فؤاد الخـافقين تراه خافق
تحدثهـم فراستهـم بمـا قد ... طواه بين جنبيـه المنـافق
وهل من قائل يوما سواهـم ... ليوم تفاخـر في المجد لائـق
يسـوقون الكماة الى المنـايا ... وليس لهم سوى الاقدام سائق

قال المترجم رحمه الله في كتابه (العقود الجوهرية) بعد أن ذكر نسبه من الابوين : وأما ولادتي فكانت في الموصل أواخر سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية ، قال ولما بلغت من العمر أربع سنين ابتدأت بقراءة القرآن الكريم ، وختمته سنة سبع من عمري ، وحفظت طرفا منـه ، ورويت قراءة حفص على أستاذي في النحو الملا عبد الرزاق الجبوري ، وفي سنة أربع وخمسـين طلبني عمي الشهير بالفضل ، عبد الباقي الفاروقي ، وكـان اذ ذاك ساكنـا بغداد ،

وبقيت عنده نحوستة أشهر ، وقد أكملت شرح الالفية للسيوطي على الشيخ أسعد أفندي الموصلي المدرس في مدرسة جامع الآصفية ، ثم عدت الى الموصل فقرأت أصول الفقه وعلم الحساب وطرفا من علم الوضع على العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن الكلاك ، وجمعت الجمع الصغير والجمع الكبير في القراآت السبع على ولده الشيخ عبد اللطيف ، وقرأت بعض المتون المنطقية على العابد الزاهد والعالم الفاضل الشيخ محمد أمين بن الملا عبيده ، وقرأت علم البديع وطرفا من علم المعاني والبيان على رئيس العلماء المشهود له بالعلم والورع الشيخ عبد الله الفاروقي قدس الله روحه ، ثم ان عمي رحمه الله طلبني سنة احدى وستين ومائتين وألف من والدي مرة ثانية لأجل الاقامة عنده ، فتوجهت الى بغداد وكانت اذ ذاك غاصة بالفضلاء والعلماء والادباء — فتخرجت عليه في فنون الشعر وعلم الادب ، وطرت بجناح فضله ، واستسقيت من هطال وبله ، وفي غضون ذلك قرأت — تبركا — شرح الشمسية للقطب ابن عقيل ، على خاتمة المفسرين وعلامة العلماء المحققين أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسي ، مفتي الزوراء ، ومرجع الفضلاء — قدس الله روحه، وتغمده برحمته ورضوانه — وقرأت أيضا كتاب تشريح الافلاك على الفاضل الشيخ أحمد السنندجي نزيل بغداد ، وأتقنت اللغة الفارسية على ولده الفاضل الشيخ طه أفندي ، ولم أزل عند العم في بغداد الى السنة التاسعة والستين بعد المائتين والالف ، وفيها دخلت مسلك خدمة الدولة العلية العثمانية ، ولم أزل متقلبا في البلاد بمناصب مختلفة ، حتى أصعدني أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين — السلطان عبد الحميد خان — الى رتبة مير ميران ، وها أنا اليوم في الآستانة ضيف حظيرته ، ونزيل سدته ، داعيا له بالدوام ، على مدى الايام ، انتهى كلامه .

وقلت في كتاب بدائع الانشاء — فيما كان من مكاتبتي مع مشاهير الادباء ، من كلام في ترجمة هذا الاديب الفاضل — وفي شهر رمضان سنة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة النبوية : نعاه لنا الناعي من اسلامبول دار السلطنة العثمانية ، وان روحه الشريفة انتقلت الى الجنان ، ودار الرحمة والرضوان ، في أواسط ذلك الشهر مهبط الغفران ، وأرخ وفاته بعض الادباء بقوله من أبيات : أدخلوه الجنان أحمد عزت ، فهناك لوت ساعد عزمي يد نيران اللهف ، وفلّ أركان صبري ماقاسيته من الأسى والاسف ، ونفذ من قضاء الله تعالى فيه ، ماأمض قلبي ، وأرض لبي ، وقطع نياط فؤادي ، وطرد لذيذ رقادي ، وأحدث لي حزنا ملازما ، وهما مداوما ، الى أن قلت :

وقد كان المشار اليه لازالت سحب الرحمة والمغفرة منهلة عليه ، رجل الدنيا ، وواحدها ، وعضدها وساعدها وسيدها وماجدها :

وما كان أبهى منه في الناس منظرا ... ولا كان أذكى منه في الناس مخبرا
تفقدت منه وابل القطر ممطرا ... وفارقت منه طلعة البدر نيرا
لئن غيبوه في التراب وأظلمت ... معالم كانت تفضح الصبح مسفرا
فما أغمدوا في الترب الا مهندا ... ولاحملوا في النعش الا غضنفرا

ثم ذكرت كلاما طويلا في الثناء عليه وعقبته بقولي : وقد كان رحمه الله تعالى حسنة الزمان ، وعين الاعيان ، وركن الادب العالي على الاركان ، كمالاته كثيرة ، وفضائله شهيرة ، له ديوان شعر رآئق ومقالات من النثر الفائق :

له الكلمات الجامعات تخالها ... نجوما بآفاق البلاغة طلعا
وان كتبت أقلامه فحمائم ... تبث الى السمع الكلام المسجعا
وكتب لدين الله أضحت مطالعا ... كما كانت الافلاك للشمس مطلعا
اذا ضلت الافهام عن فهم مشكل ... هدى وعليه في الحقيقة أطلعا
وان قال قولا فهو لاشك فاعل ... قؤول من الامجاد ان قال أبدعا
كلام ترى الاقلام في الطرس سجدا ... له وترى أهل الفصاحة ركعا
يحير أرباب الرجال كأنما ... أتانا باعجاز من القول مصقعا

وكان عليه الرحمة حنفي المذهب ، سلفي العقيدة ، أفعاله وأعماله كلها سديدة ، وبقي كلام طويل ، وثناء جميل ، أعرضنا عن نقله ، وتركناه لأهله •

(وممن قرظ الكتاب وأثنى عليه) خاتمة بني الآداب ، ومن أنقذ ـ برشاء تقريراته من جب العويصات ـ هلكى الطلاب ، تذكرة الاصمعي وابن دريد ، وسيبويه الثاني وأبو عبيد ، المفتي في المذهب الحنفي في البصرة ، أحمد بك الشاوي الشافعي الحميري تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، وذلك قوله دام فضله :

قل لقوم بزعمهم خطئوا الشيـ ... ـخ بلا حجة ولا برهان
واستدلوا بما رواه فلان ... عنه من غير صحة عن فلان
ثم قووا ورجحوا واهن القو ... ل بلا قوة ولا رجحان
غير ماقد تقولوه عليه ... شططا من وساوس الشيطان

من أقاويل لم يكن أنزل اللـه بهـا ذو الجلال من سلطـان
ان أردتم أن تعرفوا الحق حقا مثلمـا ينبغي لذي عرفـان
وتروا منهج الهدى مستنير الـ وجه كالشمس في وضوح البيان
فعليكم بما روى الثبت نعمـا ن سمي ابن ثابت النعمـان
الفقيه النبيه والعالم العـا مل فيمـا به رضـا الرحمـن
والمجلى فيصل الحكم بالعـد ل دجى الاختلاف والامتحان
لو رأى الاحمدان ماقد رأينا منه سرا بما رأى الاحمـدان
ولو أن الزمان صور شخصـا كان انسان عين هذا الزمـان
كم له من مؤلفات علـوم آلفت بـين نافـرات معاني
أوقفتنـا علـى مشـاعر علم لم يكن حام حولهـا الشعراني
وحري اذا العلـوم استخفت علمـه أن يميل بالميـزان
قد جلا من غياهب الشك عينا بجلاء العينـين للاذهـان
ياله من مصنـف فيه قرت عين أهل التوحيد والايمـان
دمغ الباطل المزخرف بالحـق وأودى بالافك والبهتـان
وحوى من معنعنـات أحاديـ ث على شرط ماروى الشيخان
فهو ان عدت التصانيف أضحى مفـردا ماله اذا عدَّ ثـان
فاجهدوا ياهداكـم الله في أن تقتفـوا أثـره بدون تـوان
إنه ماعلمتـم خير هـاد ودليـل الى بلوغ الاماني

(ترجمة هذا الفاضل)

قد أفردت له ترجمة في كتاب (بدائع الانشاء) فيما جرى من المكاتبة بيني وبين المعاصرين من الادباء ، وذكرت له فيها كثيرا من شعره الفصيـح ، وكلامه البليـغ الرجيح ، وها أنا أذكر ملخص ذلك في هذا المقام ، والله ولي التوفيـق والانعـام ، فمن ذلك أني قلت هو أحمد بك بن عبد الحميد بك بن سليمان بك ، وينتهي نسبه الى تبع الاكبر أحد من كان في اليمن من تبابعة حمير ، وهـو من سلالة قـوم من الاخيار ، وأناس سموا بعلو هممهم الى أوج الفخار .

هم القوم يروون المكارم عن أب وجد عريق سيدا بعد سيـد
تسودهم نفس هناك أبيـة فكانوا اذا مابين نسر وفرقـد

وهزتهم يوم الندى أريحية ... كأن شربوا من كأس صهباء صرخد
تطربهم سجع الصوارم والقنا ... بيوم الوغى لا ماترى أم معبد
اذا وعدوا الطاغين بالباس ارهبوا ... وان أحسنوا الحسنى فعن غير موعد
كرام اذا استمطرت وبل أكفهم ... أراقته وبلا من لجين وعسجد
يقال لمن يروي أحاديث فضلهم ... أعد واستعد ذكر الكرام وردد

ولد رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من هجرة من لم تبلغ كعب علاه بردة كل مدح ووصف ، وقد ذكر لي ذلك عند سؤالي له عما هنالك ، ولم يزل يحتسي در الفضائل ، ويشتغل على علماء عصره الاماثل ، حتى أزهر به روض الادب بعد يبسه ، وأقمر به فلك الفضل بعد أفول شمسه ، وأثمرت به أغصان دوحة حديقة العرفان ، وأبهرت أنوار حقائق دقائق النطق والبيان ، وشدت به ابكار الافكار نطاقها ، ومدت عليه أسرار أنظار خرائد المعاني رواقها ،يروى من الحديث أتقنه ،ومن الشعر أرصنه ، ومن كل علم أحسنه ، ومن كل أدب أزينه ، كان اذا تكلم يود السامع لو أن كله السن ، ولا يبقى فيه جارحة الا تمنت أنها أذن ، صحبته كريمة ، وعشرته جميلة ، ودعابته لطيفة ، ومحاضرته شريفة ، وقريحته سديدة ، وعارضته شديدة ، ومعانيه رقيقة ، ومبانيه وثيقة ، يتناثر الدر من فلق فيه ، وكأن هذه الابيات قد أنشدت فيه :

حكم على أهل العقول يبثها ... متقونة الاوضاع والاحكام
ويريك في ألفاظه وكلامه ... سحر العقول وحيرة الافهام
كم أعربت ألفاظه عن حاله ... يوما فأعجب منطق الاعجام

أو كأنه هو المقول فيه حيث كان رحمه الله يشبهه ويضاهيه :

أحاديثه مثل زهر الرياض ... فهل كان اذ ذاك روضا جميما
لطيف رقيق حواشي الطباع ... فلو جسمت لاستحالت نسيما

ومما قلت أيضا في ترجمته : مع قوة حافظة وفصاحة لهجة ،تظنه لولا ماهو عليه من الفضل والادب أنه قد ربى في البوادي مع خلص العرب ، يحفظ من نوادر الجاهليين وما كان لهم من الايام والاخبار مالو جمع في سفر لكان من أعظم الاسفار وأما معرفته باللغة وغريبها وفصيح تراكيبها وأساليبها فذاك الذي اعترف له به المكابر ، وأذعن له الاصاغر والاكابر ، هذا مع تواضع ولين جانب ، للأقارب الأدنين والاجانب ، وقد ضم مع ذلك من الاخلاق أكرمها وألطفها ، ومن الاوصاف أفضلها وأشرفها .

من لي بانسان اذا أغضبتــــه ورضيت كان الحلم رجع جوابه
واذا أصر على الذنوب جليسه وسطا يكون العفو مر عقــابه
واذا ظمئت الى الشراب رويت من ألفاظه وسكـــرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبــه وبسمعــه ولعــله أدرى بــه
واذا تفاخرت الرجال بماجـد فاقت شمائلــه علــى أترابــه

ولم يزل يتقلب في المناصب ، ويتنقل في منازل المراتب ، حتى أدت به خاتمــة المطاف ، وفاتحة النعم والالطاف ، الى أن تقلد افتاء البصرة الفيحاء ، ونشر الاحكام الشرعية في هاتيك الانحاء ، الى أن قلت : وقد عاقته العــوائق ، ومنعته الشــواغل والعلائق ، أن يتصدى لتأليف كتاب أو تصنيف فصل أو باب ، نعم ان له من الشعر الرائق ، والنثر اللطيف الفائق ، مالو جمعا لكان كل منهما أعظم ديوان ، وفاق مانسب لحسان ونابغة بني ذبيان ، وكم جرت بيني وبينه مكاتبات هي لعمري أرق من مدامع صب صبها على مافات ، وهي مذكورة في ترجمته من كتاب بدائع الانشاء ، فليراجعها من شاء ، ولم يزل يصدع بالحق ويفتي بأصح الاقوال ، حتى انتقل الى رحمــة الله المتعال ، وذلك سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة ، وقد أسف على فقده من كان عارفا بقدره ، ودفن بجوار الزبير رضي الله عنه ، وقد رثاه صاحبه وخلفــه في الافتاء الشيخ طه أفندي الشهير بآل الشواف ، منحه الله تعالى بالنعم والالطــاف ، فقـــال :

لاتبعدن أبا عبد الحميد وقد بعدت عني فروى تربك المطر
اذا رثيتك بالشعر البديع فمن من بعد شخصك يدري منه ماالخبر
فاذهب عليك سلام الله في دعة فسوف ترثيك مني أعين غزر

وكان رحمه الله تعالى شافعي المذهب ، لايميل الى غير مذهبه ولا يذهب ، غير أنه لايستحسن رأي الغلاة من الشافعية ، وكان يختار كامامه الآراء السلفية ، والله يتولى الصالحين •

(ومنهم شبل ذلك الاسد) والفاضل الذي لم يطاوله في الفضل من أقرانه أحد، تذكرة أهل الادب ، ومجمع فضائل العرب ، عبد الحميد بك الشــاوي البغــدادي تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فراديس الجنان ، وذلك قوله :

أبا ثابت يهنيـــك أنك ثابت على الحق اذ زلت عن الحق أرجل
جلوت العمى والشك عن كل مؤمن بقــول يميط الهزل حقا ويفصـــل

فهذا جلا العينين يعجز آخرا | مداه ولم يبلغه قبلك أول
فياطالب الاخرى ويامبتغي الهدى | ليسعد عند الله في يوم يسأل
لعمري لهذا الحق يعلو مناره | عليك به ان الاباطيل تسفل

(ترجمة هذا الاديب الاريب)

قد كتبت لهذا الفاضل ترجمة مفصلة في كتاب بدائع الانشاء ، حيث أنه ممن جرت بيني وبينه مكاتبة من الادباء ، ومجمل ماقلت فيها : ان هذا الاديب كان على جانب عظيم من علو الهمة ، وشرف النفس ، ولين الجانب ، ومعرفة الادب ، ورقة النثر ، وجزالة الشعر ، وذكاء الطبع ، وسخاء الغريزة ، وسرعة الفهم ، وسرعة الذهن ، وبعد النظر ، وغور الفكر •

متيقظ الافكار يدرك رأيه | ما لم يكن بالظن والتخمين
من أسرة رغموا الانوف وأصبحوا | من أنف هذا المجد كالعرنين
قوم يصان من الخطوب نزيلهم | ونوالهم بالبر غير مصون
اللابسون من الفخار ملابسا | ومن الوقار سكينة بسكون

له خلق أرق من النسيم ، وأعذب من التسنيم ، لطيف المؤانسة ، طيب المفاكهة ، لايمله جليسه ، ولا يرغب عنه أنيسه •

ورأيت من أخلاقه بوجوده | ماأبدع الخلاق بالتكوين
ولكم تجلى بالمسرة فانجلى | صدأ الهموم بقلبي المحزون
حيث السعادة والرياسة والعلى | تبدو بطلعة وجهه الميمون

وكانت له اليد الطولى باللغة العربية ، كما كان سباق غايات بين فرسان اللغة التركية •

أقلامه افتخرت على سمر القنا | فرأيت كل الفخر للاقلام
خط يسر الناظرين ولم يزل | في العين أحسن من عذار غلام
وكأنما نظم النجوم قلائدا | في الكتب مشرقة لدى الايام

وله من الشعر نظم كثير ، وبحر غزير ، ومن شعره الرائق ، ونظمه الفائق ، هذه القصيدة الغراء ، بل الغادة الحوراء ، قالها متحمسا بحسه ، وشرف نسبه وأدبه ، ذاكرا غدر أعيان وطنه به ، وذلك قبيل وفاته بعدة أيام ، وهي نفثة مصدور ، وأنة

مقهور ، قد أضربه السقام ، ولم يرو من غليله الاوام .

أرقت وهل يهجع المقصد ... وليس لليل المعنى غد
وبت أراقب سير النجوم ... كأني بها ساهرا أرصد
بقلب قريح له لوعة ... تشب ضراما فما تخمد
وعين كعين تفيض الدموع ... تسح دراكا فما تجمد
ولي زفرات تذيب الحشا ... وتوهي الاضالع لاتنفد
لذكر زمان هوى قد مضى ... وخلف نار جوى توقد
وعهد صبا سلبته الخطوب ... وأعقبه زمن أنكد
واظعان حي حدتها النوى ... وأعرق بي البين اذا أنجدوا
وقد كان لي فيهم مألف ... وعيش بساحتهم أرغد
وكم لي هنالك من مجلس ... جليسي به الرشأ الاغيد
غرير يصيد أسود الشرى ... ويعنو له الاشوس الاصيد
أسامره بغرامي به ... وفوق الحسام الجراز اليد
واخوان ضراء فارقتهم ... وكنت بصحبتهم أسعد
قضيت بهم والمنى غضة ... ولم يك في الدهر ماينكد
ليالي أفدي لها جانبا ... من العمر لو أنها عود
نأوا فظللت كئيبا لهم ... وهيهات مثلهم يوجد
لقد كان شملي بهم جامعا ... واني من بعدهم مفرد
غريب أقاسي العنا والاسى ... ومالي خل ولا مسعد
مقيم أعاني ضروب الضنا ... وقد ملني الاهل والعود
فسقيا لعيش بهم كان لي ... فما العيش من بعدهم يحمد
فلولا عواد عدت جمة ... لقلت وان كنت لاأقصد
سقى الله بغداد صوب الحيا ... وطالعها الطالع الاسعد
وان لم يكن لي في شطها ... وان لج بي ظما مورد
ولكن تركت بها معشرا ... لهم طارف المجد والاتلد
هم الناس ان عد أهل العلى ... وان ذكر الاصل والمحتد
وما منهم غير قرم عليـ ... ـه خناصر أهل النهى تعقد
فياراكبا زعلبا جسرة ... على مابها من وجي تسئد

اذا جئت بغداد فاحبس بها | ففيها لأهل الهوى معهد
وفي الكرخ لي كبد غودرت | وقلب أضيع فما ينشد
لقيت من الدهر مابعضه | يذوب له الحجر الجلمد
ولست لاحداثه ضارعا | ولا أنا مكتئب مكمد
ولكنني أنا جار على | مدى همة شأوها أبعد
ولي سيف عزم اذا النائبا | ت تفاقمن صمصم لايغمد
ولست أبالي اذا الحادثا | ت عظمن الى أيها أعمد
وقومي الالى الصيد سادوا الورى | وشادوا من المجد مايخلد
سموا في سماء العلى رتبة | دنى دونها النجم والفرقد
على أن فخري بنفسي اذا | بنوا الدهر أجدادهم عددوا
وحسبي فخرا اذا ما فخر | ت وكان لأهل العلى مشهد
مقالي أني عبد الحميـ | ـد وان أبي المجتبي أحمد
همام اذا رقد الغافلون | عن الخير والمجد لايرقد
هو الحلو طعما لاحبابه | وللشانيء ، الارقم العربد
فتعسا لدهر أخوه اللئيم | وأكبر أعدائه الامجد
أنا العلم الفرد في رتبتي | اذا شئت قلت فمن يجحد
تكنفني من كلا جانبي | صدق النجابة والسؤدد
على رغم كلب عوى حاسدا | وهل يخفض السؤدد الحسد
عجبت لنذل يناوي الكرام | وهمته عنهم تفقد
يسامي رعان جبال سمت | وموضعه الغائط الاوهد
يرى الفخر والفضل من جهله | دراهم في كفه تنقد
يخال السفاهة رأس العلى | فليس الى غيرها يخلد
فلولا الترفع عن مثله | لكان له عندنا موعد
على أنه حسبه خزيه | بما فيه أفعاله تشهد

وقد عرض في هذه الابيات الاخيرة بنقيب بغداد ، فانه عدو لأهل الكمالات والامجاد ، وكان رحمه الله له مشاركة في كثير من العلوم ، واشتغل مدة مديدة في المنطوق منها والمفهوم ، وله محبة ومزيد ميل الى آثار السلف ، ولم يزل يسخف رأي الغلاةالذين هم بئس الخلف ، ولم يبلغ من العمر الا نحو خمس وأربعين سنة الا

واخترمته المنية ، ووجد عليه والده أعظم وجد حتى لحقه بعد مدة جزئية ، وقد كنت كتبت له أعزيه بهذه الفاجعة المؤلمة ، وهذه الحادثة الملمة ، فأجابني بقوله :

بالله المستعان وعليه التكلان ، وبه أستعين ، وهو في كل شدة نعم المعين ، لاملجأ الا اليه ، ولا معول الا عليه ، وله الحمد على كل حال ، واليه المرجع والمآل ، لقد صرت للحوادث غرضا منصوبا ، وللنوائب جملا ركوبا ، تتنصل فيّ ماضيات نصالها ، وتحمل عليّ مثقلات أحمالها ، فلله قلبي ماأصبره وأقساه ، وجسمي ماأصلبه وأقواه ، فلو كان قلبي حديدا لذاب ، أوكان وجودي صخرا لتصدع من عظم المصاب، ولعمري لقد فل المنون شباتي ، وأفسد علي حياتي ، وأثكلني لذاتي ، فما هو الا قمص الصبر أتدرعها ، وغصص الموت أتجرعها ، وتأبى زفرات الحزن الا تصعدا ، وجمرات الوجد الا توقدا ، ولكن ما الحيلة وقد حل البلاء ، وفرض العزاء ، وكتب الرضاء والتسليم ، عند حلول الامر الجسيم ، فلا تسخط لقدر الله وهو عدل ، ولا تكره لقضائه وهو فصل ، فانا لله وانا اليه راجعون ، تسليما لما أمضاه ، ورضى بما قضاه ، ولقد تشرفت بكتابكم الشريف ، فتناولته بكف التكريم ، وأنامل التبجيل والتعظيم ، وفضضته من خط تسكب منه العبرات ، ولفظ تتجاذب من خلاله الحسرات يشهد بمشاركة مولاي أطال الله تعالى بقاءه في هذه المصيبة مشاركة من لايتميز عنه في محنه ولا منحه وسروره وحزنه ، فأبقاك الله للعلم تعمر مدارسه ، وتجدد دارسه ، وللاخوان تكون لهم عونا في حوادث الزمان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في (٥) ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة ، الداعي مفتي البصرة أحمد ابن عبد الحميد الشاوي •

وقد توفي أيضا في البصرة ودفن في مقبرة الزبير رضي الله عنه •

وقد بقي أفاضل كثيرون ممن قرظ (جلاء العينين) وأثنى عليه بما هو مطبوع مع الكتاب وبما ورد بعد الطبع ، ولو استقصينا جميع ذلك مع تراجم المقرظين لاحتمل أن يكون سفرا كبيرا ، وما ذكرناه كاف في المقصود ، وهو ابطال قول النبهاني المخذول في شأن كتاب (جلاء العينين) وتبين أنه كذب وافترى فيما ذكره في كتابه ، وأما قوله : فيجب أن يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذهبهم الخ ، فقد ذكرنا سابقا أن ماشتمل عليه (جلاء العينين) هو عين مذهب الأئمة سواء كان في الاصول أم في الفروع ، وقد ذكرنا نصوصهم في مسألة العلو وغير ذلك بما لامزيد عليه ، وأماقوله: وترجيحه كثيرا مما يخالف عقائد جمهور المسلمين أهل السنة والجماعة الخ فهذا دليل

على جهله ، حيث لم يفرق بين الايمان والشرك ، وأقوال أهل الحق من أهل الباطل ، وظن أن أهل السنة والجماعة هم الذين على مسلكه وعلى باطله وضلاله ، وقد ذكرنا غير مرة حقيقة حالهم وأن الفرقة الناجية هم التابعون لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام •

وأما القول بالجهة فقد قلنا ان كتب الشيخ كلها ناطقة بخلاف ذلك ، ومسألة العلو والاستواء قد سبق الكلام عليها ، وذكرنا أقوال من قال بها من الأئمة وغيرهم •

(ومنها أنه قال) وأنا والله في حيرة من أمره ، ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضني أني أعرفه حنفي المذهب ، من عائلة علم وسيادة ، كلهم من أهل السنة والجماعة ، وان ماعتمده في هذا الكتاب ــ مما أيد به زلات ابن تيمية ــ هو مذهب الوهابية لامذهب الحنفية الخ •

(فيقال لهذا المخذول) لم تتحير في أمرك وأنت لست بمسئول عن غيرك ، وكل امريء بما كسب رهين ، وبما عمل مجازى بيقين ، هلا نظرت الى نفسك قبل حلول رمسك ، قد قضيت عمرك بالضلال وفاسد الاعمال ، والحكم بالطاغوت والاعراض عما شرعه ذو الجلال ، تارة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل زمان وفي كل مكان ، وأخرى تدعي أن كل من لم يدع المخلوق ولا استغاث به فهو من المبتدعين ، وأن الاسلام هو دعاء غير الله والغلو في الصالحين ، وأخرى تقول بالحلول والاتحاد ، وتعتقد مايعتقده أهل الالحاد ، ومع ذلك لم تتحير في أمرك بل تحيرت في أمر غيرك ، وما دخولك بين العلماء وأنت من أضل الجهلاء ؟!

اقرأ كتابك واعتبره قريبا ... وكفى بنفسك لي عليك حسيبا

ومن الفصيح كلام اخوان الصفا ... ان خاطبوا جعلوا الخطاب خطوبا

ما كان عذرك لو أتيت بمثله ... أو كنت فيما تشتهيه مجيبا

(وما أحسن مايقول القائل)

مناضلة الدني مع الاديب ... بلا داع من العجب العجيب

أيأمر بالمكارم من بعيد ... ويجنح للدنية من قريب

وينهى عن طباع السوء صبحا ... ويأتي بالاساءة في الغروب

يعلم غيره طرق المعالي ... وتجذبه النقيصة للعيوب

وان يأتي الفتى ماعنه ينهى ... فذاك النهى وعظ من كذوب

سكوت الحر حتم عن سفـاه ... وصون العرض يقضي بالوجوب
وماذا النفع في إتعاب فكـر ... يقوم بنصرة الطبع الغضـوب
لثلـم العرض في كلمات سوء ... تطير بهن عاصفة الهبـوب

(وما أليق مايقول القائل بحال النبهاني أيضا)

معارضة الغـريب الى القريب ... بلا حـق من السفـه العجيب
وازراء الغبـي على ذكـي ... حـرى أن يعـد من النعيب
فهـلا أيهـا النـاهي بـرأي ... سخيف ليس بالـرأي المصيب
اتحسب لاحسبت بأن شتمـا ... محـاورة الاديب مع الاديب
مسـاجلة الكـرام بكل فن ... متى كانت تعد من الذنـوب
وتنقص كاملا وتذم شهمـا ... رويـدك جئت بالامر الغريب
وأنت فما دخولك بين قـوم ... من العلماء بالوعظ الكـذوب
وان تجـادل العلماء يومـا ... بما علمـوه من حسب حسيب
ليعرف كامل الفضلاء منهـم ... اذا عرضـوا على فطـن لبيب
وتلـك لحالـة فيها لأهـل ال ... ذكـا والفضل تبصرة القلوب
فأي تطـاول فيه افتخـار ... اذا لم يبـد من شهـم نجيب
الا إن التطـاول في كمـال ... بـه يمتاز ذو البـاع الرحيب
متـى كانت بنبهـان كـرام ... يقون العـرض من ذم مريب
وأي نقيبـة لهـم استبـانت ... قديما أو حديثـا من نقيب
فربع كما لهـم قدما جديب ... ولم نعهـده بالربع الخصيب
أيجتنب الكريمة طبـع حـر ... لأمر فيه اغضـاب الرقيب
فهـل غير المسـرة للقريب ... وهـل غير الاسـاءة للجنيب
فكف اللوم ياذا اللوم واحذر ... يروعك صولة الاسـد المهيب
وحاذر أن يصيبك ذو كمـال ... بشفـرة مقـول منه ذريب

ثم ما الموجب لهذه الحيرة وقد صرح الصبح لذي عينين ، وقد قلنا ان جميـع ماشتمل عليه (جلاء العينين) هو مذهب الأئمة ، وأساطين الامة ، لاسيـما مذهب الامام أبي حنيفة عليه الرحمة والرضوان ، فكتب مذهبه طافحة برد بدع الغلاة ، ومثل ذلك كتب الشافعية ، والمالكية وغيرهم ، ومن مشهور مذهب أهل المدينة سد الذرائع

والبدع ، وقد ذكر علماء السادة الحنفية في مسألة الاقسام على الله بمخلوق ماتقربه عين الموحد ، فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه ، وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك ، فقال أبو الحسين القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لاينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، قال وأكره أن يقول بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، وأكره أن يقول أسألك بمعقد العز من عرشك ، قال أبو الحسن : أما المسألة بغيرالله فمنكرة في قولهم ، لأنه لاحق لغير الله عليه ، وانما الحق لله على خلقه ، وأما قوله بمعقد العز من عرشك فكرهه أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف ، قال : وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بذلك ، قال ولأن معقد العز من العرش انما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته فكأنه سأله بأوصافه •

وقال ابن بلدجي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله تعالى الا به ، فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لاحق للمخلوق على خالقه ، أو يقول في دعائه أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف جوازه ، وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام ، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب •

وفي فتاوى أبي محمد ابن عبد السلام أنه لايجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم ، وتوقف في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لاعتقاده أن ذلك جاء في حديث وأنه لم يعرف صحة الحديث •

فاذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجع في قضاء حاجته نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله ، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى الى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ، ويعلق عليه الستور ، ويبني عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له والطواف به ، وتقبيله واستلامه ، والحج اليه والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى الى دعاء الناس الى عبادته ، واتخاذه عيدا ومنسكا ، وان ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم •

وأبعد المراتب المتبدعة ــ عند القبور ــ عن الشرع أن يسأل الميت حاجة ويستغيث به فيها ، كما يفعله كثير من الناس ، وهم من جنس عبدة الاصنام ، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان كما يتمثل لعباد الاصنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانا ، وقد يخاطبهم

ببعض الامور الغائبة : وكذا السجود للقبر والتمسح به •

وفي كتاب (الطريقة المحمدية) للامام محمد البركوي ــ وكان من أكابر علماء الحنفية الاتراك ــ شيء كثير من هذا القبيل ، وكذلك فيما ذكره في رسالته المؤلفة في زيارة القبور ، فانها تشفى العليل وتروي الغليل ، وتحق الحق وتبطل الاباطيل •

وفي كتاب (الفتاوى البزازية) ــ وهو من أجل كتب الحنفية قدس الله أرواحهم الزكية ــ من قال أن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر •

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي ــ في كتاب الرد على من ادعى أن للاولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة ــ هذا وأنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهممهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا منهم أبدال ونقباء ، وأوتاد ونجباء ، وسبعون وسبعة ، وأربعون وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس ، وعليه المدار بلا التباس ، وجوزوا لهم الذبائح والنذور ، وأثبتوا لهم فيهما الاجور ، قال : وهذا الكلام فيه تفريط وافراط ، بل فيه الهلاك الابدي ، والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الأئمة وما أجمعت عليه الامة ، وفي التنزيل : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بعدِ ما تبيَّنَ لهُ الْهدَى ويتَّبِـعْ غَيْرَ سبيْلِ المؤْمِنِيْنَ نولِّهِ ما تولَّى ونُصْلِهِ جهنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيراً)[1]

ثم قال : فاما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى : (أَإِلهٌ مَعَ اللهِ)[2] (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والأَمرُ)[3] (للهِ ملْكُ السَّموات والارضِ)[4]

ونحو ذلك من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير ، والتصرف والتقدير ، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه ، فالكل تحت ملكه وقهره ، تصرفا وملكا واحياء واماتة وخلقا ، وقد تمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه ، كقوله تعالى: (هَلْ من خالقٍ غيرُ اللهِ)[5] (والَّذِين تدْعُون مِن دُونه ما يملكون من قطْمير)[5]

وذكر آيات كثيرة في هذا المعنى ، ثم قال : فقوله في الآيات كلها (من دونه) أي من غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده ، فان لم يقدر على نصر

---

(١) النساء : ١١٥ ــ (٢) النمل : ٦٠ ــ ٦٤ ــ (٣) الاعرف : ٥٤ ــ (٤) المائدة : ١٢٠ ــ (٥) فاطر : ٣ ، ١٣

نفسه كيف يمد غيره ، الى أن قال : ان هذا القول وخيم وشرك عظيم ، الى أن قال : وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ، قال جل ذكره : (إِنَّكَ ميِّتٌ وإِنَّهم ميتُونَ) [1] وقوله : (الله يَتوفَّى الأنفُسَ حينَ مَوتِها والتي لم تَمتْ في مَنامِها فَيُمْسكُ الَّتى قَضَى عَلَيْهَا الموْتَ ويُرْسِلُ الأُخْرَى إلى أَجلٍ مُسمَّى)[1] وقوله : (كُلُّ نفْسٍ ذَائقَةُ الموت) [2] و (كُلُّ نفْسٍ بِما كَسَبتْ رَهِيْنَةٌ) [3]

وفي الحديث : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث) الحديث ، وجميع ذلك وماهو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت ،وأن أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره ، فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ، فانه سبحانه يخبر أن الارواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون أن الارواح مطلقة متصرفة (قُلْ أَءنتم أَعلَمُ أَم اللهُ)

قال : وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامات فهو من أعظم المغالطة لأن الكرامات شيء من الله تعالى يكرم بها أولياءه وأهل طاعته ، لاقصد لهم فيه ولاتحدي ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم ابنة عمران ، وأسيد بن حضير ، وأبي مسلم الخولاني •

قال : وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد : فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمة قوله : (أَمَّنْ يُجيبُ المضْطَرَّ اذَا دَعاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ ويَجْعَلُكُم خلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللهِ) [4] (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ) [5]

وذكر الآيات في هذا المعنى ، ثم قال : فانه جل ذكره كرر أنه الكاشف للضر لاغيره ، وانه المنفرد باجابة المضطر ، وانه المستغاث به لذلك كله ، وأنه القادر على رفع الضر القادر على ايصال الخير فهو المتفرد بذلك ، فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي •

قال : والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية فيقتال أو ادراك عدو أو سبع ونحوه ، كقولهم : يالزيد ، ياللمسلمين ، بحسب الافعال

---

(١) الزمر : ٣٠ ، ٤٢ ، (٢) آل عمران : ١٨٥ — (٣)المدثر : ٣٨ — (٤) النمل : ٦٢ — (٥) الانعام : ٦٣

الظاهرة بالفعل ، وأما الاستغاثة بالقوة أو التأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله تعالى لايطلب فيها غيره •

قال : وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات ، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيرا فقد وقع في وادي جهل خطير ، فهو على شفا جرف من السعير •

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن يكون أولياء الله تعالى بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان كما أخبر الرحمن (وَيَقولُونَ هؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ)[1] (والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اوْلِيَاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا الى اللهِ زُلْفَى)[2] (أَءَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ)[3] فان ذكر ماليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولي أو غيره على وجه الامداد منهم شرك مع الله تعالى ، اذ لاقادر على الدفع غيره ، ولاخيرالا خيره • قال : وأما ماقالوه أن منهم أبدالا ونقباء ، وأوتادا ونجباء ، وسبعين وسبعة ، وأربعين وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس : فهذا من موضوعات إفكهم ، كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين ، وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار ، ومثل ذلك كثير في كتب الحنفية وغيرهم من المذاهب ، فرحم الله علماءالسنة فلقدكفونا مؤونةكشف ماأورده الخصوم منشبهات المبطلين ، فلله الحمد والمنة على عظيم النعمة •

(فانظر أيها النبهاني) مانقلناه اليك من أقوال الحنفية وغيرهم فهل خالفت ما اشتمل عليه (جلاءالعينين) وما ذهب اليه المحققون من الفريقين فلم أخذتك الحيرة واعترتك الوساوس الكثيرة ؟!

وأعجب من ذلك قولك : وان ما اعتمده في هذا الكتاب ــ مما أيد به زلاتابن تيمية ــ هو مذهب الوهابية لامذهب الحنفية ولا مذهب آبائه وأجداده السادة الشافعية ، حيث لم يعرف النبهاني المسكين النحل ولا المذاهب ، فبقي يخبط خبط

---

(١) يونس (٢) الزمر (٣) يس : ٢٣

عشواء، ويبدي ويعيد، ويكرر قوله البعيد، حتى زعم أن ماذهب اليه ابن تيمية وموافقوه ليس مذهب أهل السنة بل هو مذهب المبتدعين، وبينا خطأه سابقا أوضح بيان، وأقمنا على ماقلناه الحجة والبرهان، وأن مذهب أهل السنة هو ماعليه أهل الحديث، وذكرنا سابقا أن ما عليه أهل نجد ليس مخالفا لماعليه الأئمة الاربعة، بل ماهم عليه هو الذي جاء به الدين المبين، واطلاق الخصوم عليهم اسم الوهابية مع كونه غلطا هو من باب التنابز بالالقاب، وبينا أن مثل ذلك من المشركين في شأن المسلمين اذ كانوا يسمونهم صابئة: (سُنَّةَ اللهِ التي قَدْ خَلَتْ مِنْ قبلُ ولَـنْ تَجِدَ لسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)[1]

(وأهل نجد) مذهبهم على ما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، وقد رأيت رسالة مختصرة يحفظها صبيانهم وشبانهم في العقائد من تصانيف أبي عبد الله العلامة الشيخ محمد رحمه الله، وليس فيها مايصادم الكتاب والسنة وما عليه أئمة الاسلام، وهي هذه:

(بسم الله الرحمن الرحيم) اعلم رحمك الله أن طلب العلم فريضة، وأنه شفاء القلوب المريضة، وهو من أهم ماوجب عليك، والعمل به سبب لدخول الجنة، والجهل به واضاعته سبب لدخول النار، وأنه يجب عليك أربع مسائل .

(الاولى) معرفة الله تعالى، ومعرفة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعرفة دين الاسلام بالادلة (الثانية) العمل به (الثالثة) الدعوة اليه (الرابعة) الصبر على الاذى فيه، والدليل قوله تعالى: (وَالعَصْر . إنَّ الإنسَانَ لفِي خُسْرٍ إلاَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتواصَوا بالحقِّ وَتواصَوا بالصَّبر) قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى لو لم ينزل الله على خلقه حجة الا هذه السورة لكفتهم

قال الامام البخاري: باب العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إلـه إلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِر لِذَنبِكَ) الآية[2]

واعلم رحمك الله أن الله أوجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن:

---

(١) الفتح: ٢٣ ـ (٢) محمد: ١٩

(الاولى) ان الله خلقنا لعبادته ولم يتركنا هملا ، وأرسل الينا رسـولا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُم) الآية [1]

(الثانية) ان الله لايرضى أن يشرك في عبادته أحدا لا ملكا مقـربا ولا نبيـا مرسلا ، والدليل قوله تعالى : (وأَنَّ المسَاجد للهِ فلا تدْعُوا مع اللهِ احدا) [2]

(الثالثة) أن من أطاع الرسول ووحد الله فلا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، والدليل قوله تعالى : (لا تَجِدُ قوماً يؤمِنون باللهِ واليَوم الآخر يوادُّونَ منْ حادَّ الله ورَسُوله) [3]

(واعلم أرشدك الله لطاعته) أن الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام أن تعبد الله مخلصا له الدين ، كما قال الله تعالى : (ومَاخَلَقتُ الجِنَّ والإِنسَ إلَّا ليَعبُدُونِ) [4] ومعنى يعبدون يوحدون ، وأعظم ماأمر الله به التوحيد ، وهو افراد الله تعـالى بالعبودية ، وأعظم مانهى عنه الشرك وهو دعاء غير الله تعالى معه ، والدليل قولـه تعالى : (واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبالوالدَين إحْساناً) الآية [5]

فاذا قيل لك : ماالاصول الثلاثة التي يجب على الانسان معرفتها ؟ فقل الاصل الاول معرفة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم .

فاذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني بنعمته وربى جميع العالمين ، وهو معبودي ليس لي معبود سواه ، والدليل قوله تعالى : (الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالمين) وكل ماسوى الله عالم ، وأنا واحد من ذلك العالم .

واذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ، فمن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السموات السبع ومن فيهن وما بينهما ، والارضون السبع ومن فيهن وما بينهما ، والدليل قوله تعالى : (وَمِنْ آياتِه اللَّيْلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقَمرُ) [6] الآية ، وقولهُ تعالى : (إنَّ ربَّكُمُ اللهُ الَّذِي خلقَ السَّموات

---

(١) المزمل : ١٥ ـ (٢) الجن : ١٨ ـ (٣) المجادلة : ٢٢ ـ (٤) الذاريات : ٥٦ ـ (٥) النساء : ٣٦ (٦) : فصلت : ٣٧ .

والارْضَ في ستَّةِ أيام ثُم استَوى على العَرْشِ) [1] الآية ، والرب هو المعبود ، والدليل قوله تعالى : (يا ايُّها النَّاسُ اعبُدوا رَبكُم الَّذِي خلقَكُم والَّذِيْنَ مِنْ قبلِكم لعَلَّكُمْ تتَّقُونَ) [2] الآيتين .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الاشياء هو المستحق للعبادة •

وأنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها : مثل الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، ومنها الدعاء ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والانابة ، والاستعانة ، والاستغاثة ، والاستعاذة ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى ، والدليل قوله تعالى : (وأنَّ المسَاجِدَ للهِ فلا تدْعُوا معَ اللهِ احداً) فمن صرف شيئا من هذه لغير وجه الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى : (ومَنْ يدعُ معَ الله إلهاً آخرَ لا بُرهَانَ لهُ به فانَّما حِسَابهُ عنْدَ ربِّه إنه لا يُفْلحُ الكَافِرُونُ) [3] ولحديث (الدعاء مخ العبادة) والدليل على الدعاء قوله تعالى :(وقالَ ربُّكُم ادعُوني أَسْتَجِبْ لكُم) [4] الآية ، ودليل الخوف قوله تعالى : (فلا تخافُوهم وخافُون إن كُنتُم مُؤمِنينَ) [5] ودليل الرجاء قوله تعالى : (قلْ يا عبادي الَّذِين أَسْرَفُوا عَلى أَنفُسهم لا تقْنطوا من رحْمةِ اللهِ إنَّ الله يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميْعاً) [6]

ودليل الخشية قوله تعالى : (فلا تَخْشَوهُم واخْشوني) [7]

ودليل الانابة قوله تعالى : (وأَنيبُوا إلى ربِّكُم وأَسْلِموا لهُ) [8] الآية ،

ودليل الاستعانة قوله تعالى :(إيَّاكَ نعْبُدُ وإيَّاكَ نسْتعِينُ) وفي الحديث : (اذا استعنت فاستعن بالله) •

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : (إذْ تَسْتغِيثُونَ ربَّكُم فاسْتجَابَ لكُم) [9] الآية

---

(١) الاعراف : ٥٤ — (٢) البقرة : ٢١ ، ٢٢ — (٣) المؤمنون : ١١٧ — (٤) غافر : ٦٠ — (٥) آل عمران : ١٧٥ — (٦) الزمر : ٥٣ — (٧) البقرة : ١٥٠ — (٨) الزمر : ٥٦ — (٩) الانفال : ٩ •

ودليل الذبح قوله تعالى : (قلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومَماتي للهِ رَبِّ العَالمينَ لا شَرِيكَ لهُ وبذَلكَ أُمرتُ وأَنا أوَّلُ المسْلمينَ)[1] (والدليل من السنة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لعن الله من ذبح لغير الله)

ودليل النذر قوله تعالى : (يُوفونَ بالنَّذرِ ويَخافُونَ يوماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً)[2]

(الاصل الثاني) معرفة دين الاسلام بالادلة ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك والبراءة من الشرك وأهله ، وهو ثلاث مراتب : الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، وكل مرتبة لها أركان .

(أما أركان الاسلام فخمسة) (والدليل) من السنة حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام) .

فدليل الشهادة قوله تعالى : (شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لا إلهَ إلَّا هُو والملائكةُ وأولُوا العلمِ قَائما بِالقِسْطِ لا إله إلَّا هُو العَزِيْزُ الحكِيْم)[3]

ومعناه : لامعبود بحق في الوجود الا الله وحده لاشريك له . (النفي) : نافيا جميع مايعبد من دون الله ، (الا الله) : مثبتا العبادة لله وحده لاشريك له في عبادته، كما أنه لاشريك له في ملكه ، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى :(وإذْ قَالَ إبرَاهِيمُ لابيه وقومهِ إنَّني بَرَاءٌ مِمَّا تعبدُون . إلَّا الذي فَطَرَني)[4] الآية.

ودليل أنَّ محمداً رسول الله قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رسُول اللهِ والَّذينَ مَعهُ أشدَّاءُ على الكُفَّار رُحَماء بينَهم)[5] الآية . وقوله تعالى: (ما كَانَ مُحَمَّدٌ أبا أَحدٍ مِنْ رِجالِكُم ولكِن رَسُولَ اللهِ وخَاتَمَ النَّبيِّينَ)[6]

---

(١) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ — (٢) الدهر : ٧ — (٣) آل عمران ١٧ — (٤) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧ —(٥)الفتح: ٢٩ — (٦) الاحزاب : ٤٠

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى :(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) .

ودليل الصيام قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١)

ودليل الحج قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) (٢)

(المرتبة الثانية) الايمان ، وهو سبع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا اله الا الله، وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان •

(وأركانه ستة) : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله •

والدليل قوله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (٣)

ودليل الركن السادس قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (٤)

(المرتبة الثالثة) الاحسان ركن واحد وهوأن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (٥)

(والدليل من السنة) حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرني عن الاسلام ؟ قال : أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ،وتؤتي الزكاة ،

---

(١) البقرة : ١٨٣ ــ (٢) آل عمران : ٩٦ ــ (٣) ٢٨٥ ــ (٤) القمر : ٤٩ ــ (٥) النحل : ١٢٨

وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، قال : صدقت ، فعجبنا لـه يسأله ويصدقه . قال : أخبرني عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر قال : صدقت قال : أخبرني عن الاحسان ؟ قـال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك قال : صدقت قال : أخبرني عن الساعة ؟ قال : ماالمسؤل عنها بأعلم من السائل ، قال أخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الامة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيـان ، فمضى ، فلبث مليا ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : ياعمر أتدري من السائل ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .)

(الاصل الثالث) معرفة نبيكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو محمد ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، توفي وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبيا رســـولا نبيء باقرأ ، وأرسل بالمدثر ، وبلده مكة ، بعثه الله بالانذار عن الشرك والدعوة الى التوحيد .

والدليل قوله تعالى : (يا أَيُّها المدَّثر . قمْ فأَنذر وربَّكَ فكَبِّرْ . وثيابكَ فطَهر والرُّجزَ فاهْجُر . ولاتَمْنُنْ تستَكْثِرُ . ولِرَبكَ فاصْبِرْ) .

ومعنى قم فأنذر : يعني أنذر عن الشرك وادع الى التوحيد ، وربك فكبر عظمه بالتوحيد ، وثيابك فطهر أي طهر أعمالك من الشرك ، والرجز فاهجر ، الرجز الاصنام ، وهجرها تركها ، والبراءة منها وأهلها ، وفراقها وأهلها ، وعداوتها وأهلها ، أخذ على هذا عشر سنين ، وبعد العشر عرج به الى السماء ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، وبقي بمكة ثلاث سنين ، وبعدها أمر بالهجرة ، والهجرة الانتقال من بلد الشرك ، وهي باقية الى أن تقوم الساعة ، والدليل قوله تعالى : (إنَّ الذين تَوفاهُم الملائكَةُ ظَالِمي أَنفُسهِمْ قالوا فِيمَ كُنْتُم قالوا كُنَّا مُستَضعفِينَ في الأَرضِ قالوا أَلم تَكُن ارضُ اللهِ واسِعةً فتهَاجِرُوا فيها) إلى (وكانَ اللهُ عَفُواً غَفُوراً)[1] وقولهُ : (ياعِبادِيَ الَّذينَ آمنُو إنَّ أَرضي واسِعةٌ) [2] الآية .

---

(١) النساء : ٩٧ – ٩٩ – (٢) العنكبوت : ٥٦

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : (لاتنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الاسلام ، مثل الزكاة ، والصيام ، والحج، والجهاد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أخذ على ذلك عشر سنين •

وتوفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق ، وهذا دينه لاخير الا دل الامة عليه ، ولا شر الا حذرها عنه ، والخير الذي دل عليه التوحيد وما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر عنه ، الشرك وما يكرهه الله ويأباه ، بعثه الله الى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الخلق : الجن والانس ، والدليل قوله تعالى :(قل يا أيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ اليكم جَميعاً)[1] وأكمل الله له الدين ، والدليل قوله تعالى : (أليومَ أكْمَلْتُ لكم دِيْنكم وأتممتُ عليكم نعْمتي ورضِيت لكم الاسْلامَ دِيْناً)[2]

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (إِنَّكَ ميتٌ وإِنَّهُم مَيتُونَ . ثم إِنكم يومَ القيامة عندَ ربِّكم تَخْتَصِمُونَ)[3] والناس اذا ماتوا يبعثون ، والدليل قوله تعالى :(منْها خَلَقنا كُمْ وَفيها نُعيدُكم ومِنها نُخْرِجُكم تارةً اخْرى)[4] وقوله تعالى : (واللهُ أنبتَكُم منَ الارضِ نباتاً . ثمَّ يُعيدُكُم فيها ويُخرجكم اخراجاً)[5]

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : (لِيجْزيَ الَّذينَ أَسَاؤُا بِما عَملوا ويَجزي الَّذينَ أَحسَنوا بالحسْنى)[6]

ومن كذب بالبعث كفر ، والدليل قوله تعالى : (زَعمَ الَّذينَ كَفَرُ أَن لَن يُبعثوا قلْ بَلى وربِّي لتُبعَثُنَّ ثُم لَتُنبؤُنَّ بِما عَمِلتُم وذلِكَ على اللهِ يسيْرٌ)[7]

(وأرسل الله جميع الرسل) مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى : (رُسُلاً مُبشِّرينَ ومُنذرين لِئلّا يَكُونَ للنَّاسِ عَلى اللهِ حُجَّةٌ بعد الرُّسُلِ)[8]

وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم

---

(١) الاعراف :١٥٨ – (٢)المائدة:٣– (٣) الزمر : ٣١،٣٠ – (٤) طه : ٥٥ – (٥) نوح : ١٧ ، ١٨ –
(٦) النجم : ٣١ – (٧) التغابن : ٧ – (٨) النساء : ١٦٥

النبيين ، لانبي بعده .

والدليل على أن نوحا أول الرسل قوله تعالى : (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده)[1] الآية .

وكل أمة بعث الله اليها رسولا من نوح الى محمد عليهما السلام ، يأمرهم بعبادة الله وحده لاشريك له ، وينهاهم عن عبادة الطاغوت ، والدليل قوله تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[2]

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والايمان بالله ، قال ابن القيم رحمه الله : معنى الطاغوت ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن حكم بغير ماأنزل الله ، والدليل قوله تعالى : (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)[3] وهذا معنى لا اله الا الله ، وفي الحديث : (رأس الامر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) والله أعلم .

(هذا آخر رسالة الشيخ أبي عبد الله في العقائد) فانظر أيها النبهاني اليها واقرأها من أولها الى آخرها ، فهل الذي يعتقد هذا الاعتقاد يعد من المبتدعين السالكين غير سبيل الرشاد ؟ أم المبتدع هو الذي غير وبدل ، وحرف وأول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وليس عليه دليل في دين المسلمين ، كما ابتدعت أيها الزائغ من الغلو العظيم في حق النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، ثم عملت بغير شريعته ، وسلكت غير سنن سنته .

فيا أيها النبهاني ، والشيخ الشيطاني ، من الاحق أن يكون من المبتدعين ؟ أأنت ومن على شاكلتك من الغواة الضالين ؟ أم حزب الرسول الذين سمعت عقيدتهم في الدين المبين ؟! .

وأقسم بالله العلي الشأن : أن النبهاني ليس له معرفة بدينه كمعرفة أولئك

---

(١) النساء : ١٦٣ ـ (٢) النحل : ٣٦ (٣) البقرة : ٢٥٦

الصبيان ، وليته جدد ايمانه على يد واحد من حزب الرسول ، وقرأ عنده تلك العقائد من الاصول ، ليخرج عن جادة ضلاله ذلك الزائغ الجهول •

(وأما قول النبهاني) وان قلت : ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقي الخ •

(فيقال له) ان هذا من بعض الظن الذي قال الله تعالى فيه : (يا ايُّها الذِينَ آمنوا اجتَنبوا كَثيراً من الظَّنِّ إنَّ بعض الظَّن إثْمٌ)[1] على مابينه المفسرون وأطنبوا فيه ، فان مصنف (جلاء العينين) انما صنفه قبل أن تكون بينه وبين السيد صديق حسن نواب بهوبال معارفة ومكاتبة ، ومصنف (جلاء العينين) لما سافر الى مكة المكرمة شرفها الله تعالى سنة [2] وتسعين ومائتين وألف من الهجرة : اجتمع ببعض أصحاب ذلك الامام الهمام ، بل ملك العلماء الاعلام ، فذكر له عن أحواله وبيان منزلته من معرفة الحديث وسائر علوم الدين ، فوسطه في أخذ اجازة منه بما صح لديه ، وبعد عود الهندي الى الهند اجتمع بالنواب ، وذكر له عن مصنف (جلاء العينين) ماشاهده من فضله ، وطلب منه أن يرسل اليه الاجازة ، فكتب اليه اجازة مفصلة وأرسلها اليه بعد عوده الى وطنه ، وطلب منه أن يرسل اليه نسخة من (جلاء العينين) فأرسلها اليه ، والتمس منه طبع الكتاب ان كان قد وقع لديه موقع القبول ، فبهره حسن وضعه ، ولطافة ترتيبه ، وماستودعه فيه من المطالب العالية ، فأرسله الى مصر وطبعه ، والنواب رحمه الله لم يكن له حاجة لمعاونة أحد ولاخدمته ، وفضله أشهر من أن ينبه عليه ، ولم يكن على مذهب الوهابية فانه ليس للوهابية مذهب يخصهم بل هم حنابلة كما سبق ، والنواب رحمه الله كان من المحدثين ، فكان يتبع ماصح لديه من الحديث ، كما هو شأن أهل الحديث والاثر واتباع سيد البشر ، ومثله كثيرون في البلاد الهندية قبل عصره وبعده •

(ومنها أنه قال) ولست أعترض عليه بجوابه عن ابن تيمية ان بعض أقوال ابن تيمية التي نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه الى قوله منذ مئات من السنين •

(جوابه) أن مصنف (جلاء العينين) أحسن العبارة في ابن حجر كل الاحسان ، ونوه به في ترجمته حيث قال : هو واحد العصر ، ثاني القطر ، علامة المنقول ، فهامة المعقول ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر ــ نسبة على ماقيل الى جد

---

(١) الحجرات : ١٢ (٢) بياض بالاصل قدر كلمة •

من أجداده كان ملازما للصمت تشبيها له بالحجر ــ الهيتمي السعدي الانصاري الشافعي ، وذكر مولده ووفاته وتصانيفه ومن أخذ عنه ، فلم يترك من فضائله شيئا الا وذكرها ، ومن حق المترجم أن يذكر لمترجمه ماله وما عليه ، ولم يبين ماذكره أهل العلم فيه من تعصبه في مذهبه والحط على المخالفين ، وافترائه على أئمة المسلمين ، واضطرابه في أقواله ، وعدم ثباته على قول ، ومن يراجع أقواله في (الزواجر والقواطع) ثم يوازن بينها وبين أقواله في (الجوهر المنظم) و (الفتاوى الحديثية) يجد ماقيل فيه واضحا صريحا ولم يذكر أيضا جهله بالحديث الصحيح وعدم خبرته بفنه حتى شحن كتاب (الصواعق) وكتاب (تطهير الجنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان) وغيرهما بالاحاديث الموضوعة والخرافات المكذوبة ، ولاذكر أيضا انتحاله لكتب آخرين فنسبها لنفسه ، ولا عجبه بنفسه ورأيه ، كل ذلك قد أهمله مصنف (جلاء العينين) عفا الله عنه ، ولم نعلم سبب ذلك ، فهل تاقى غلاة الشافعية ، أم لم يقف على ماذكرناه مع شهرته ، نعم سمعت أنه كتب ردا على كتاب (تطهير الجنان) وبين ماشتمل عليه من مواقع النظر ، وسمى ماكتبه (بصادق الفجرين في الجواب عن سؤال أهل البحرين) وبلغني أن هذا الكتاب متداول في الانحاءالعراقية، وأما (الصواعق) فقد رد عليها غير واحد .

والمقصود : أن كلام النبهاني هذا لاورود له أصلا ، بل هو محض عدوان اقتضاه منه عدم الايمان ، وأما ماأورده في تضاعيف كتابه من عدم تصحيح بعض نقوله فهو من مقتضيات قوانين المناظرة ، كما لايخفى على الخبير بها ، العالم بأقسامها وضروبها .

(ومنها قوله) وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع ــ من قبيح التشنيع والتقريع ــ الامام تقي الدين السبكي ، حتى أنه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام، بل اما أن يقول قال السبكي أو القاضي السبكي ، وهو في الحقيقة المستحق للفظ شيخ الاسلام ، لأنه كان قاضي قضاة الشام ، مع كونه من أئمة العلماء الاعلام ، ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لايستحق لقب شيخ الاسلام ، وان كان من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام .

(فيقال له أما أولا) فهذا الكلام مخالف للحقيقة ، فان مصنف (جلاء العينين) قال ــ لما ذكر ترجمته ــ وهو ــ على مافي كتاب الشذرات وغيره ــ الامام العلامة

شيخ الاسلام علم الاعلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي الاصولي اللغوي البياني الجدلي الخلافي النظار ، ثم نقل عن الامام السيوطي تاريخ مولده ومن قرأ عليه ، وقوله وتخرج به خلق في أنواع العلوم ، وأقر له الفضلاء ، وولى قضاء الشام بعد الجلال القزويني ، وصنف الكتب المطولة والمختصرة ، ونقل بعض الابيات من شعره ، وذكر تاريخ وفاته ، وسؤاله أن يولى القضاء مكانه ولده تاج الدين وأنه أجيب الى ذلك وترحم عليهما ، فماذا يقول بعد ذلك القول ؟ فلم يبق الا أن يقول وكان يوحى اليه ، أو أن ملائكة السماء كانت تقرأ عليه وتأخذ عنه العلوم ، أو أن الخضر كان يتلقى عنه العلم اللدني ، كما ادعى ذلك لغيره ، ونحو ذلك من القول الباطل ، والهذيان العاطل ، والغلو الذي اعتاده من لا خلاق له ، حتى يرضي الشيخ النبهاني ، والهيكل الصمداني ، حيث لم يكتف بهذه المبالغات ، واستقل تلك العبارات في السبكي وابن حجر ، حتى قال عنها هناك انه شنع على ابن حجر بألفاظ لايحسن استعمالها في حق بعض طلبة العلم ، وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع الخ مع احسانه العبارة في الاثنين ، ومعاملته لهما بما لايستحقانه عند الفريقين ، فأي عبارة استعملها وهي لاتليق بهما ، مع أن الله تعالى قال في كتابه الكريم : (لا تَحسَبَنَّ الّذينَ يَفرحُونَ بِما أَتَوا ويُحبُّونَ أنْ يُحمَدُوا بِما لم يَفْعلوا فلا تَحسبَنَّهُم بِمفازَةٍ مِن العَذَابِ)[1] فليراجع تفسير هذه الآية .

(وأما ثانيا) فيقال له : انا لو سلمنا أنه لم يكن مبجلا لهما كما يحب النبهاني في عباراته ولا أعطاهما حقهما في تعبيراته فهو ليس بملام على ذلك ، لأنه بصدد مؤاخذتهما فيما افترياه على الشيخ ، ورد مااعترضا عليه ، وان كلامهما فيه مما لايقبل ، لأنهما كانا من ألد خصمائه ، فليس المقام مقام مدحهما ، والاطراء عليهما ، كما لايخفى على من له أدنى المام بفن البلاغة .

(وأما ثالثا) فيقال ان عدم تعبيره مرة أو مرتين بشيخ الاسلام في السبكي لايستوجب سجود السهو ، لا عند الحنفية ، ولا عند الشافعية ، ولا المالكية ، ولا الحنابلة ، ولا الظاهرية ، ولا ، ولا ، بل ولا أظن أن عليه شيئا في قانون الجزاء الذي حكم بمواده ـ شطرا من عمره في بيت الله المقدس ـ النبهاني الخبيث ، بل ليس ذلك من الواجبات الدينية ، ولا المشروعات الاسلامية ، بل لو قال قائل : قال أبو

(١) آل عمران : ١٨٧

بكر ، أو قال عمر ، أو قال عثمان ، أو قال علي ، أو روى أبو هريرة ، أو حدثنا شعبة ، وهكذا جميع الصحابة ، أو قال :روي عن أبي حنيفة ،أو مالك ، أو الاوزاعي، أو غيرهم من المجتهدين ، أو ذكر نحو هؤلاء من الأئمة فقط ولم يزد لفظ شيخ الاسلام ، فماذا يجب عليه من اللوم ؟ نعم قال بعضهم : من المستحسن الترضي عند ذكر أحد من الصحابة ، والترحم على العلماء وصلحاء الامة ونحو ذلك على ماقرره الشهاب في شرحه على الشفاء ، ونسأل الشيخ النبهاني هل ورد شيء في الكتاب أو السنة في وجوب التعبير عن السبكي بنحو الامام أو شيخ الاسلام فان تركهما أحد وجب تعزيره بل لابد أن يكون أحدهما جزأ من هذا العلم ؟ أما يستحي النبهاني من التكلم بمثل هذا الكلام ، أما يخجل أن يهذي بهذا الهذيان بين الانام ، نعم ورد في الحديث الصحيح : (ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح فاصنع ماشئت) فعياذا بك اللهم من عدم الحياء .

(وأما رابعا) فليت شعري بأي فضيلة استحق السبكي أن يعبر عنه بشيخ الاسلام ، هل باغرائه العوام على عبادة غير الله والمغالاة في الدين ، أو بنيابته في الشام بعد أن تقلدها بالرشوة حتى حرص عليها وعض عليها بالنواجذ وطلب أن تكون لولده من بعده ، أو بشتمه خيار عباد الله ، أو بجهله بما ورد في الكتاب والسنة كما نبه عليه ابن عبد الهادي الحافظ الشهير على ماسبق ، وهو في كل ذلك لايستحق هذا التعبير ، فلا أرى اللائق به الا أن يلقب بشيخ الغلاة ، ومصنف (جلاء العينين) عفا الله عنه لم يعط خصوم الشيخ وأعداء الحق حقهم من سوء التعبير اللائق بضلالهم ، ففي الحديث (اذا مدح الفاسق غضب الرب) .

(١) ومن العجيب قول هذا الزائغ العنيد ، النبهاني البليد ، ان لقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لايستحق لقب شيخ الاسلام الخ ، فانه قد ذم امامه من حيث لايشعر ، حيث كان هذا اللفظ فارغا من المعنى ، وادعى اسما بلا مسمى ، كما هو شأنه اليوم في أمثاله ، فأنا نسمع أن لهذا العصر مشايخ للاسلام كثيرين ولا مسمى لهم ،ونراهم يقولون : فلان صاحب الفضيلة ، وفلان صاحب السماحة ، وفلان صاحب السعادة ، وفلان صاحب العزة ، وهلم جرا ، ولا فضيلة ولا سماحة ولا سعادة ولا عزة لمن قيل له

---

(١) ابتدأت بتأليف هذا الكتاب اوائل رمضان ، يعني اليوم الاول منه ، وانتهيت الى هنا فى آخر ليلة منه ، وهي ليلة الخميس ، وهي ليلة العيد جعله الله تعالى مباركا على المسلمين منه .

هذا التعليق موجودفى الاصل فجرى ابقاؤه كما هو ، المصحح .

ذلك ، كما هو معلوم لدى كل ذي فهم ، ويتحرجون من اطلاق تلك الالفاظ على من اتصف بتلك المعاني حقيقة ، حيث يصدهم عنه اصطلاح العصر ، وهذا كما اصطلح أهل اللغة في عرفهم على تسمية الفلاة مفازة ، والأعمى بصيرا ، واللديغ سليما ، ونحو ذلك مما هو مذكور في موضعه .

وذكر العلامة ابن خلدون في الفصل الثاني والثلاثين من مقدمته ــ في بيان التلقيب بأمير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وأنه محدث من عهد الخلفاء ــ قال : فأما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بألقاب تشريفية ، حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم ، مثل شرف الدولة ، وعضد الدولة ، وركن الدولة ، ومعز الدولة ، ونصير الدولة ، ونظام الملك ، وبهاء الدولة ، وذخيرة الملك ، وأمثال هذه ، وكان العبيديون أيضا يخصون بها أمراء صنهاجة ، فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الالقاب ، وتجافوا عن ألقاب الخلافة أدبا معها ، وعدولا عن سماتها المختصة بها ، شأن المتغلبين المستبدين ، ونزع المتأخرون أعاجم المشرق ــ حين قوي استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة ــ الى انتحال الالقاب الخاصة بالملك ، مثل الناصر ، والمنصور وزيادة على ألقاب يخصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقة الولاء والاصطناع بما أضافوها الى الدين فقط ، فيقولون : صلاح الدين ، أسد الدين ، نور الدين ، قال : وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقتسموا ألقاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر ، والمنصور ، والمعتمد ، والمظفر ، وأمثالها ،كما قال ابن أبي شرف ينعي عليهم :

مما يزهدني في أرض أندلس
أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

ثم أطال في الكلام ابن خلدون .

فالشيخ النبهاني قصد هذا المعنى وجعل امامه ــ باطلاق هذا اللقب عليه اصطلاحا ــ كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد ، فلله دره مأأدق فكره ، وأبعد نظره ؟! ونقول له اذا كان الامر كما ذكر فنحن لانلقب ابن تيمية بشيخ الاسلام اصطلاحا فارغا عن معناه ، بل نطلقه عليه لغة وشرعا لااصطلاحا ، وهو بحمد الله في

غنى عن التعبيرات الاصطلاحية الفارغة عن المعاني ، على أن آثار ابن تيمية وفضائله التي أقر بها المخالف والموافق تغنيه عن اطلاق مثل هذه الالفاظ ، وفي كتاب (الـرد الوافر)الذي ألفه العلامة الحافظ الامام ناصر الدين الشافعي في بيان من أثنى علـى الشيخ ابن تيمية من أكابر الأئمة وأطلق عليه شيخ الاسلام مايرغم أنف هذا المخذول.

(ومنها ماقاله) في شأن الشيخ ابن تيمية وهو رجل مطعون في عقيدته الـخ ، وقد مر الكلام على مثل هذا الكلام مرارا فلا تتعب الاسماع باعادة الجواب عنه .

ولله در من قال ــ وهو الشيخ أبو العلاء المعري في قصيدته المشهورة ــ :

وقال السهى للشمس ضوءك حائل

وطاولت الارض السماء سفاهة وعير قسا بالفهاهة بأقل

(ويقول ابن سند)

وما على العنبر الفواح من حرج ان مات من شمه الزبال والجعل

أو هــل على الاســد الكــرار من ضــرر

ان ينهــق العير مربوطا أو البغـــل

أو هل علــى الانجــم الخضــراء منقصـــة

ان عابها من حصى الخضراء منجـــدل

(ومنها أنه قال) : فما الذي حمل صاحب (جلاء العينين) على معاملتهما أسوء المعاملة ، والميل كل الميل مع ابن تيمية ، وهو يدعي أنه من أهل السنة والجمـاعة ، لا والله بل هو من أهل البدعة ، والارواح جنود مجندة ، فروحه هي من أجنادروح ابن تيمية ، فلا تأتلف مع هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كـان الى قوله بل حكم لجميع الوهابية .

جوابه من وجوه : (الوجه الاول) يقال للنبهاني الزائغ : نسألك ماحمل ابن حجر والسبكي وكل منهما كان منه ما كان في حق الشيخ ابن تيمية وأصحابه وجماعة من حفاظ الحديث ، من شتمهم أقبح شتم ، وسبهم ولعنهم بما هو مشهور في كتبهم ، حتى أن ابن حجر لم يكتف بذلك في كتاب واحد من كتبه ، بل ذكر ذلك في تحفته ، وفي فتاواه الفقهية ، وفي فتاواه الحديثية ، وفي غيرها ، حتى قال في كتابه (الجوهـر المنظم ، في زيارة القبر المعظم) من جملة كلام : ان ابن تيمية عبد أضله الله وأغواه ، وألبسه رداء الخزي وأرداه ، وبوأه من قوة الافتراء والكذب ماأعقبه الهـوان ، وأوجب له الحرمان ، ثم قال : ولقد تصدى شيخ الاسلام ، وعالم الانام ، المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته : التقي السبكي ــقدس الله روحه ونور ضريحهــ

للرد في تصنيف مستقلّ ، أفاد فيه وأجاد وأصاب ، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب ، فشكر الله مسعاه ، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه ، قال : ومن عجائب الوجود ماتجاسر عليه بعض السدجى من الحنابلة فغبر في وجوه مخدراته الحسان ، التي لم يطمثهن انس من قبله ولا جان ، وأتى بما دل على جهله ، وأظهر عوار غباوته وعدم فضله ، فليته اذ جهل استحيا من ربه ، وعساه اذا فرط رجع الى لبه ، ولكن اذا غلبت الشقاوة استحكمت الغباوة ، فعياذا بك اللهم من ذلك ، وضراعة اليك أن تديم لنا سلوك أوضح المسالك ، هذا ماوقع من ابن تيمية مما ذكر — وان كان عثرة لاتقال أبدا ، ومصيبة يستمر عليه شؤمها دواما وسرمدا — ليس بعجب ، فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب ،وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب ، اذ خالف اجماعهم في مسائل كثيرة ، وتدارك على أئمتهم — سيما الخلفاء الراشدين — باعتراضات سخيفة شهيرة ، وأتى من نحو هذه الخرافات بما تمجه الاسماع ، وتنفر عنه الطباع ، حتى تجاوز الى الجناب الاقدس ، المنزه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس ، فنسب اليه العظائم والكبائر ، وخرق سياج عظمته وكبرياء جلالته بما أظهر للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم ، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين ، حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله ، أو بحبسه وقهره ، فحبسه الى أن مات ، فخمدت تلك البدع ، وزالت تلك الظلمات ، ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأسا ، ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا ، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة ،وباؤا بغضب من الله ،وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

(انتهى كلام ابن حجر) ومثل ذلك كثير في كتبه ، وقد أدينا له حقه فيما كتبناه عليه صاعا بصاع ، وبينا مازوره وافتراه ، وأقمنا عليه الحجج والبراهين في هدم مابناه .

(والمقصود) أن يقال للنبهاني : ماحمل ابن حجر أن يتهور ذلك التهور والغل الذي أبداه للذين آمنوا ومن سبقه بالايمان ؟ فبأي جواب يجيب عن ابن حجر أجبناه عن مصنف (جلاء العينين) بمثله ، مع علمه أنه لم يلعن ابن حجر ولم يشتمه ، ولم يقل فيه وفي أضرابه من الغلاة ماقاله الله في اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، مع أن ابن تيمية وأصحابه دعوا الى الله وعملوا صالحا ، وذبوا عن دينه ، وجاهدوا في الله ، وعظموا رسوله صلى الله عليه وسلم كمال

التعظيم ، وهدموا أركان البدع والضلال والكفر ، وهذه كتبهم التي تتداولها الايدي تشهد بذلك ، وتكذب ابن حجر ، وتسود وجهه بسواد لايبيض ، أهكذا جزاء الاحسان ؟ أهكذا يقال في حفظةالسنة والقرآن ؟.

(والنبهاني) ان كان يحسن قراءة العبارة يعلم أن مصنف (جلاء العينين) لم يقصر في حسن التعبير والتبجيل الذي ذكره في ابن حجر ، مع أن كل منصف يعلم أنه ليس أهلا لذلك .

(الوجه الثاني) يقال للنبهاني : ان صدر من مصنف (جلاء العينين) شيء من ذلك فالذي حمله عليه انصافه ومزيد اطلاعه على أقوال الأئمة ، وما ورد في الكتاب والسنة ، والامتثال لقوله تعالى :(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)[1] وماورد في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من علمه الله علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار) وهو لم يمل الا الى الحق كما هو شأن أهل السنة ، فانهم يتبعون ماورد ولا يصرفون النصوص الى ماتهواه أنفسهم ، بل يردون المتشابه الى المحكم منها ، وهذا من علائم أهل الحق الناجين يوم القيامة ، وقد سبق بيان معنى السنة والبدعة ، وذكرنا هناك من الأحق بالاتباع ومن المستحق أن يكون من أهل الابتداع ، ومصنف (جلاء العينين) كان ممن يعتقد أن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لايغيره الابد ، ليس له والد ولا ولد ، وأنه سميع بصير ، بديع قدير ، حكيم خبير ، علي كبير ، ولي نصير، قوي مجير ، ليس له شبه ولا نظير ، ولا عون ولا ظهير ، ولا شريك ولا وزير ، ولاند ولا مشير ، سبق الأشياء فهو قديم بقدمها ، وعلم كون وجودها في نهاية عدمها ، لم تملكه الخواطر فتكيفه ، ولم تدركه الابصار فتصفه ، ولم يخل من علمه مكان فيقع به التايين ، ولم يعدمه زمان فينطلق عليه التاوين ، ولم يتقدمه دهر ولا حين ، ولا كان قبله كون ولا تكوين ، ولا تجري ماهيته في مقال ، ولا تخطر كيفيته ببال ، ولا يدخل في الامثال والاشكال ، صفاته كذاته ، ليس بجسم في صفاته ، جل أن يشبه بمبتدعاته ، أو يضاف الى مصنوعاته (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[2] أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لاطاعوه ، خلق الخلائق وأفعالهم ،

---

(١) آل عمران : ١٠٦ ، ـ (٢) الشورى : ١١

وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لاسمي له في أرضه وسماواته ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وعلمه محيط بالاشياء ، والقرآن كلام الله تعالى ، وصفة من صفات ذاته غير محدث ولا مخلوق ، كلام رب العالمين ، في صدور الحافظين ، وعلى ألسن الناطقين ، وفي أسماع السامعين ، وباكف الكاتبين ، وبملاحظة الناظرين ، برهانه ظاهر ، وحكمه قاهر ومعجزه باهر ، وأن الله تعالى كلم موسى تكليما ، وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما ، وأنه خلق النفوس وسواها ، وألهمها فجورها وتقواها ، والايمان بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، وان مع كل عبد رقيبا وعتيدا ، وحفيظا وشهيدا ، يكتبان حسناته ، ويحصيان سيئاته ، وان كل مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، يعاين عمله عند حضور منيته ، ويعلم مصيره قبل ميتته ، وأن منكرا ونكيرا الى كل أحد ينزلان سوى النبيين ، فيسألان ويمتحنان ، عما يعتقده العبد من الايمان ، وأن المؤمن يحبر في قبره بالنعيم ، والكافر يعذب بالعذاب الاليم ، وانه لامحيص لمخلوق من القدر المقدور ، ولن يتجاوز ماخط في اللوح المسطور ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله جل اسمه يعيد خلقه كما بداهم ، ويحشرهم كما ابتداهم ، من صفايح القبور وبطون الحيتان في تخوم البحور ، وأجواف السباع وحواصل الطيور ، وأن الله تعالى يتجلى في القيامة لعباده الابرار ، فيرونه بالعيون والابصار ، وأنه يخرج أقواما من النار فيسكنهم دار القرار ، وأنه يقبل شفاعة محمد المختار ، في أهل الكبائر والاوزار ، وأن الصراط حق تجوزه الابرار ، وأن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم حق يرده المؤمنون ويذاد عنه الكفار ، وان الايمان هو قول باللسان ، واخلاص بالجنان ، وعمل بالاركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالاوزار ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وأفضل المرسلين ، وأمته خير الأمم أجمعين ، وأفضلهم القرن الذين شاهدوه ، وآمنوا به وصدقوه ، وأفضل القرن الذين صحبوه أربع عشرة مائة بيعة الرضوان بايعوه ، وأفضلهم أهل بدر نصروه ، وأفضلهم أربعون في الدار كنفوه ، وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه ، شهد لهم بالجنة ، وقبض وهو عنهم راض ، وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار ، الخلفاء الراشدون المهديون الاربعة الاخيار ، وأفضل الاربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليهم الرضوان ، وأفضل القرون بعدهم القرن الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يتبعونهم ، وأن نوالي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأسرهم ، ولا نبحث عن اختلافهم في أمرهم ، ونمسك عن الخوض في فكرهم الا بأحسن الذكر لهم ،

ولا ندخل فيما شجر بينهم ، اتباعا لقوله تعالى : (والَّذينَ جاؤُا منْ بعْدِهِم يَقُولونَ رَبَّنَا اغفِر لنَا ولاخوانِنَا الَّذينَ سَبقُونَا بالايْمانِ ولا تَجعلْ في قلوبنَا غلاً للذِينَ آمنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ)[1] ثبتنا الله تعالى على ذلك ، وأدامنا على السلوك في أقوم المسالك .

هذا مما كان يعتقده مصنف (جلاء العينين) منذ ميز بين اليمين والشمال ، وعرف الحرام من الحلال ، الى أن وضع في لحده ، وهي بعض من عقيدة صنفها والده صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى ، فما الذي سوغ للنبهاني وأحل له أن يجعل من يعتقد هذه العقيدة من المبتدعة ، ثم ماكفاه ذلك حتى حلف يمينا ، وقال : ان صاحب (جلاء العينين) ليس من أهل السنة بل هو والله من أهل البدعة بسبب انتصاره لابن تيمية وعدم تجويزه الاستغاثة بغير الله ودعاء المخلوقين ، وقد حنث في يمينه ووجب عليه الكفارة ان كان من أهل الايمان والأيمان ، مع أن ماهو عليه من الضلال البعيد ، والغي الذي ليس عليه من مزيد ، وما دل عليه شعره من غلوه والحاده ، ومسلكه الذي هو سالك فيه مدة حياته وعليه يموت ، ينادي كل ذلك بأفصح لسان ، على أنه قد خرج عن ربقة الايمان ، ومع ماهو عليه قد فتح فاه في ثلب أهل التوحيد ، كالكلب عند التثاؤب وشتم خيار عباد الله ، فسبحان اله الخلق ماأحلمه ، وما أجل شأنه وأعظمه .

(الوجه الثالث) ان من سلف من اخوانه كانوا يقولون مثل مقالته ، ويعتقدون أن ماهم عليه هو الحق ، قال تعالى : (وقالتِ اليَهود ليسَت النَّصارى على شَيءٍ وقالتِ النَّصارى ليْستِ اليهودُ عَلى شَيءٍ وهُم يَتلونَ الكتَابَ)[2] الآية ، وقال : (ولَنْ ترْضى عنْكَ اليهُود ولا النَّصارى حتَّى تتَّبع ملتهُم قل إنَّ هُدى اللهِ هو الهدى ولئن اتَّبعتَ اهْواءَهُم بعد الَّذي جاءَكَ من العلم مالكَ منَ اللهِ من وليٍّ ولا نصيرٍ)[3] أخبر سبحانه في الآية الاولى أن كلا من اليهود والنصارى يزعمون أنهم على الحق دون غيرهم من غير دليل ولا تحكيم للعقل تقليدا لاسلافهم ،

---

(١) الحشر : ١٠ ـ (٢) البقرة : ١١٣ ـ (٣) البقرة : ١٢٠

وهم يتلون الكتاب ، وفيه أن الحق ما قام عليه الدليل واقتضاه البرهان ، لا أنه بالدعاوي الكاذبة ، وهكذا النبهاني وأضرابه من الغلاة يعتقدون أن الحق ماتلقوه عن أسلافهم ، وما ورثوه عن مشايخهم وان قام الدليل على خلافه ــ والآية الاخرى دلت على أن اليهود والنصارى لايرضون عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آمن به ، حتى يتبعون ضلالهم وغيهم الذي قامت الحجة على فساده ، ودل البرهان على بطلانه ، وهم لاينظرون الى مايدل عليه الدليل ، بل قلدوا فيما هم عليه آباءهم فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ان اتبع أهواءهم بعد ماحصل له من العلم واليقين ــ بأن ماهو عليه هو الحق وما عليه المخالفون هو الباطل ــ لم يكن له معين ولا ناصر ، ولا ملجأ ولا وزير يدفع عنه مايستحقه المعرضون عن الحق والزائغون عن الصراط المستقيم ، وهكذا النبهاني لايرضى عن كل من خالف باطله وضلاله ، واتبع الحق الصريح الذي دل عليه كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ، حتى يتبع الحاده وزيغه الذي دل على فساده مايزيد على ألف دليل ، مع أن الحق أحق بالاتباع ، ورضى الله ورسوله مقدم على رضى أعدائه وخصوم دينه ، فلا بدع اذا شتم النبهاني أهل الحق وعبر عنهم بالعبارات الفظيعة ، فان له سلفا بذلك ، ولله در من قال :

اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا عليّ لئامها

(الوجه الرابع) أنه قال : والارواح جنود مجندة فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ماكان مع كونهم في جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وامامه ابن تيمية بعكس ذلك ، ولكن الشرف والحسب لايغني عن العلم والادب ، الى آخر عبارته التي لايتكلم بمثلها صغار الطلبة .

(فنقول) ان ماذكره في هذا المقام كلمة حق أريد بها باطل ، وذلك أن الله تعالى قال : (وَمَن يطِعِ الله والرَّسُولَ فأُولئكَ مع الَّذين أَنعَمَ اللهُ عَليهِمْ مِن النَّبيينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً ذَلِكَ الفضْلُ منَ اللهِ وكَفى بالله عَليماً)[1] .

ومعنى الآية على مافي التفسير : ومن يطع الله بالانقياد لأمره ونهيه ، والرسول

(1) النساء : ٦٩ ، ٧٠

المبلغ ماأوحي اليه منه باتباع شريعته والرضا بحكمه (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بما تقصر العبارة عن تفصيله وبيانه (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وفي الحديث : (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انك لأحب الي من نفسي ، وانك لأحب الي من ولدي ، واني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فانظر اليك ، واذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وأني اذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية) ومعنى الصديق والشهيد والصالح مفصل في التفسير ، وفي الآية فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان أن تنيجتها أقصى ماتنتهي اليه همم الامم ، وأرفع ماتمتد اليه أعناق أمانيهم ،وتشرئب اليه أعين عزائمهم ،من مجاورة أعظم الخلائق مقدارا ، وأرفعهم منارا ، وليس المراد بالمعية اتحاد الدرجة ، ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة ، بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وان بعدت المسافة بينهما ، ومنهم من قال لامانع من أن يرفع الادنى الى منزلة الأعلى متى شاء تكرمة له ثم يعود ولا يرى أنه أرغد منه عيشا ، ولا أكمل لذة ، لئلا يكون ذلك حسرة في قلبه ، وكذا لا مانع من أن ينحدر الأعلى الى منزلة الادنى ثم يعود من غير أن يرى ذلك نقصا في ملكه أو حطا من قدره • وقد ثبت في غير ما حديث أن أهل الجنة يتزاورون •

والشيخ ابن تيمية ــ قدس الله روحه ــ من أكثر الناس طاعة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كما دلت عليه كتبه ، ككتاب (الصارم المسلول) وغيره ، حتى أنه كابد ما كابد من خصومه في الله سبحانه ، هذا مع ما كان عليه من التقوى والزهد والورع الذي شهد له به خصومه ، وهكذا أصحابه وتلامذته رضي الله تعالى عنهم ، وقد شهد له كبراء الامة أنه كان من أكابر المجتهدين ، ومن أئمة الدين ، ومن أخيار المسلمين ، وخواص المؤمنين على ماسنذكر ذلك في مناقبه ، وفي الحديث (أنتم شهداء الله في أرضه) فمن المرجو من لطف الله تعالى وفضله أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم ، وكذلك حديث الجنازة التي مرت فأثنوا عليها خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : (وجبت) يؤكد هذا الرجاء ، فمصنف (جلاء العينين) يرجى له أن تكون روحه مع روح هذا الرجل الذي أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فانه أيضا كان ممن أطاع الله وذب عن دينه ، وعن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واوذى

حيا وميتا من أعداء الدين وخصوم الموحدين ، ومنهم هذا النبهاني عدو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه القويم •

والحديث الذي ذكره رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) ، قال الخطابي في بيان معنى هذا الحديث ــ على ماذكر في فتح الباري ــ يحتمل أن يكون اشارة الى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد ، وان الخير من الناس يحن الى شكله ، والشرير نظير ذلك يميل الى نظيره ، فتعارف الارواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر ، فاذا اتفقت تعارفت ، واذا اختلفت تناكرت ، قال : ويحتمل أن يراد الاخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ماجاء أن الارواح خلقت قبل الاجسام ، وكانت تلتقي فتتشام ، فلما حلت بالاجسام تعارفت بالامر الاول فصار تعارفها وتناكرها على ماسبق من العهد المتقدم ، قلت : القول بتقدم خلق الارواح على الاجساد غير مرضي عند السلفيين فلا التفات لهذا الاحتمال ، وقال غيره المراد أن الارواح أول ماخلقت خلقت على قسمين ، ومعنى تقابلها أن الاجساد التي فيها الارواح اذا التقت في الدنيا ائتلفت أو اختلفت حسبما خلقت عليه الارواح في الدنيا ، قال الحافظ العسقلاني : ولا يعكر عليه أن بعض المتنافرين ربما ائتلفا لأنه محمول على مبدأ التلاقي فانه يتعلق بأصل الخلقة بغير سبب ، وأما في ثاني الحال فيكون مكتسبا لتجدد وصف يقتضي الالفة بعد النفرة كايمان الكافر واحسان المسيء ، وقوله (جنود مجندة) أي أجناس مجنسة ، أو جموع مجمعة •

قال ابن الجوزي : ويستفاد من هذا الحديث أن الانسان اذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في ازالته حتى يتخلص من الوصف المذموم ، وكذلك القول في عكسه •

(وقال القرطبي) الارواح وان اتفقت في كونها أرواحا لكنها تتمايز بأمور مختلفة تتنوع بها فتتشاكل أشخاص النوع الواحد ، وتتناسب بسبب ما اجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة ، ولذلك تشاهد أشخاص كل نوع تألف نوعها وتنفر من مخالفها ، ثم انا نجد بعض أشخاص النوع الواحد يتآلف وبعضها يتنافر ، وذلك بحسب الامور التي يحصل الاتفاق والانفراد بسببها ، انتهى •

(فتبين) مما ذكر في معنى الحديث : أن روح النبهاني الخبيث ، لم تتعارف مع

أرواح أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وحفاظ الحديث ، المتبعين للسنن المعادين للبدع والاهواء ، المعرضين عن الدنيا وزخرفها ، الطالبين وجه الله ورضاه ، وهم أهل الارواح الطيبة الطاهرة ، فكانت مما تناكر ، فلذلك خالفهم وعاداهم وشحن كتابه بثلبهم وسبهم ، وكيف تتعارف روحه الخبيثة مع تلك الارواح الطيبة وقد صرف عمره في الاحكام الطاغوتية ، وترويج الامور الشيطانية ، والميل الى الظلمة والمجرمين ، ومعاداة المسلمين ، والله تعالى يقول حكاية عن بعض أصفيائه .

(رَبِّ بِمَا أَنعَمتَ عَلَيَّ فلنْ اكُونَ ظَهيراً لِلْمُجرمينَ)[1]

وقد قال بعض أهل الفضل والتقوى : على العالم أن يتصف بالحلم والزهد والقناعة بالقليل وترك الدنيا ، لأن ذلك سيرة الانبياء ، وهو اللائق بحال العلماء ، فان كثيرا من النصوص مشتملة على ذم الدنيا وطلبها ، فطلبها للعالم زيادة على الكفاية جمع بين المتنافيين ، واغراء للعامة على الانهماك فيها ، وأن يقتصر في حاجته على قاضي الحوائج ، المعطي على التحقيق ، الذي بيده مقاليد السموات والارض ، كيف وقد تكفل بالرزق قال تعالى : (وَمَا مِنْ دَابةٍ في الارضِ الَّا على اللهِ رزقُها)[2] وقال تعالى : (وَمَن يتَّقِ الله يَجْعل لهُ مَخْرَجاً ويرزُقهُ مِن حَيثُ لا يَحْتسِبُ . وَمَن يَتَوَكَّلْ على الله فهُو حَسْبُهُ)[3]

وأن يكون بعيدا من ولاة الامور داعيا لهم بالنصر والتأييد والعدل والتوفيق ، وبعيدا من الظلمة لأن قرب العالم منهم والتردد اليهم لأجل السحت وتحسينه لهم ماهم عليه فتنة له ولهم ولغيره ، ولما خالط الزهري ولاة الامور كتب اليه صديق له من العلماء يقول : عافانا الله واياك من الفتن ، ونجانا واياك من المحن ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه ، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت ، أنك آنست وحشة الظالم ، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ، ولم يترك باطلا ، حتى قربك وأدناك ، وأكرمك وواساك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم ، وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم ، وسلما يتوصلون بك الى ضلالتهم ، يدخلون الشك بك على العلماء ، ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما

---

(١) القصص : ١٧ – (٢) هود : ٦ – (٣) الطلاق : ٢ ، ٣

أيسر ماعمروا منك في جنب ماخربوا عليك ، وما أدنى ماأصلحوا منـــك في جنب ماأفسدوا عليك من دينك ، فما يشك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم : (فَخلفَ مِن بعْدِهِم خَلفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبعُوا الشَّهوات)[1] فانك تعامل من لايهمل ، ويحفظ عليك من لايغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم شديد ، وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد ، ولا يخفى على الله من شيء وهو الحفيظ المجيد ، انتهى •

والنبهاني الضليل ليس من أولئك القبيل ،بل خسته مشهورة ،ودناءته مذكورة، مع ماضم الى ذلك الضلال من العقائد الفاسدة في الاله عزاسمه ، حيث أنه ممـــن قلد القائلين بالحلول والاتحاد ، والغلو في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتـــى اعتقد فيه أنه موجود في كل زمان ومكان ، والاغراء على دعاء غير الله والالتجاء الى ماسواه ، وكل ذلك من متفرعات القول بوحدة الوجود ، فان القائلين بها لم يخطئوا عبدة الأصنام في عبادتها ، وكل كلام الله تعالى ينطبق على كلام غيره ، فعندهم أن ما تكلم به الانسان نظما أو نثرا فهو كلامه ، وعليه قول الشيخ محيي الدين :

وكـــل كلام في الوجود كلامـــه سـ ـــواء علينـــا نثـــره ونظامه

فلا شك أن روح النبهاني الخبيثة من جنود هذه الارواح ، وقد تعارفت مـــع أرواح الغلاة فأتلفت وتناكرت مع أرواح الاصفياء الطاهرة المقدســـة فاختلفت ، فالحديث كما يصدق على خصمه فهو صادق عليه•

أفلا يستحي من هذا حاله ، ووصفه واعتقاده ، وجهله وضلاله ، أن يخاصم أهل الحق ، وفرسان العلم ، وأئمة الاسلام ، وبحور الفضل ، وورثة الانبياء ، وهو ليس من قبيل هؤلاء الرجال ، بل ولا ممن يعد في صف النعال ، وقد حمله شيطانـــه على القاء نفسه في هذه المهالك ، وقاده الى هذه المعارك ، وما أحسن ما قال القائل:

ولقد أقول لمن تحرش بالهـــوى عرضت نفسك للبلا فاستهدف

(وقـــال آخر) :

أقـــول لمحرز لما التقينـــا تنكب لا يقطـرك الزحـــام

(ثم ان قوله) مع كونهم في جانب تعظيم جده الخ •

(جوابه) أن تعظيم جده انما يكون بالذب عن شريعته ، والمحافظة على سنته، لا بمخالفته فيما أمر به ونهى عنه ، فهذا هو العصيان وعدم المحبة ، قـــال الله تعالى:

---

(١) مريم: ٥٩

(قلْ إن كُنتُم تُحبُّونَ اللهَ فاتَّبعُوني يحببكُم اللهُ ويغفِرْ لكُم ذُنوبكُم)[1]
وتعظيمه وتوقيره انما يكون بالاتباع لا بالابتداع ، ولا بمخالفة ماجاء به هو وغيره من الانبياء والرسل عليهم السلام من المحافظة على التوحيد وعدم اثبات خصائص الألوهية لغير الله ، ألا ترى أن الفاطميين من العبيديين كانوا يزعمون أنهم من العترة فلما أحدثوا ما أحدثوا وابتدعوا ما ابتدعوا خرجوا عن دينه وصاروا من أعدائه بسبب الاعراض عن شريعته ، على أن الحق يقبل من أي شخص كان ، فالنظر الى ماقاله القائل لا الى القائل ، ومما ينسب الى الامام علي كرم الله وجهه لاتنظر الى من قال وانظر الى ماقال ، والله عز اسمه يقول : (يا أَيُّها النَّاسُ إنا خَلقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعلناكُم شُعوباً وقبائلَ لتعارَفوا إنَّ أكْرمكُم عندَ اللهِ أتقَاكُم)[1]

فالبيت الذي أورده هو صادق عليه لا على مصنف (جلاء العينين) فقدكان رحمه الله هاشميا علما وعملا وقولا وفعلا .

وباهلة من قيس عيلان ، وهو في الاصل اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها ، وقولهم باهلة بن أعصر ، انما هو كقولهم تميم بنت مر ، فالتذكير للحي ، والتأنيث للقبيلة سواء كان الاسم في الاصل لرجل أو لامرأة .

وفي كتب الحنفية : وقريش بعضهم أكفاء بعض ، ولا تفاضل فيما بينهم من الهاشمي والنوفلي والتيمي والعدوي وغيرهم وبقية العرب بعضهم أكفاء بعض ، فالباهلي كفو للتميمية والطائية والقيسية وغير ذلك .

فالنبهاني المخذول ان كان منتسبا لنبهان بن جرم بن عمر بن الغوث ، وبنو نبهان بطن من طي ، فليس لقبيلته فضل على بني باهلة ، بل هم سواء في نظر الشرع والعقل ، هذا ان سلم له دعوى هذا النسب ، وان قلنا أنه نبطي من أنباط الشام ، أو من الجرامقة ـ كما هو الظاهر ـ وان النسبة الى نبهان جبل مشرف على حق عبد الله بن عامر بن كريز ويتصل به جبل رنقاء الى حائط عوف ، فلا خفاء في كونه حينئذ أخس بني آدم ، فضلا عن أن يكون أخس العرب .

والمقصود أن النبهاني على كلا النسبتين لارجحان لقومه على بني باهلة ، ومن

(١) آل عمران : ٣١ ـ (٢) الحجرات : ١٣

جعل بني باهلة أخس العرب ، وأنهم ليسوا كفوا للعرب ، فهو غالط فان النص الذي ورد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاتفصيل فيه ، مع أنه صلى الله عليه وسلم كان أعلم بقبائل العرب وأخلاقهم ، وقد أطلق وما رموا به ان صح عنهم ، فليس بعيب شرعي ، كما أن التعيير بشرب ألبان الابل وأكل لحومها كذلك كما قال شاعرهم •

تعيرنا ألبانها ولحومها   وذلك عار يا ابن ريطة زائل

وكما كانت تعير قريش بالسخينة ، وهو طعام كانوا يتخذونه أيام الجدب ، وكل ذلك بسبب ما كانوا عليه من الجاهلية ، والا فالعيب هو الذي يجعله الشرع عيبا ، كالعيوب التي كانت في بني نبهان منها عبادتهم للفلس ، وهو صنم لهم كان بنجد قريبا من فيد ، وكان سدنته بني بولان ، وهم وبنو نبهان أبناء عم ، وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ، ولا يأتيه خائف الا أمن ، ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت ، ولم تخفر حويته ، وبولان ابن عم نبهان هو الذي بدا بعبادته ، فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليه على بن أبي طالب فهدمه ، وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان قلده اياهما ، يقال لهما مخذم ورسوب ، وهما اللذان ذكرهما علقمة ابن عبدة ، فقدم بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فهو سيفه الذي كان يتقلده •

ولهم أصنام أخرى ليس هذا المقام موضع ذكرها •

والمقصود أن بني نبهان وبني باهلة كانوا على منهج واحد ، فما يذم بهأحدهما يذم به الآخر ، بل ربما كان في بني باهلة رجال أكابر ، تعقد عند ذكرهم الخناصر ، في العلم والدين والشجاعة والفروسية وغير ذلك من الشيم والسخاء والكرم ، ولم يكونوا في الجاهلية جميعا معروفون بالخساسة ، بل فيهم الاجواد رفيعوا العماد ، وكون فصيلة منهم أو بطن صعاليك فعلوا ذلك لايسري في حق الكل ، فتعيير القبيلة بعيب صدر عن واحد منهم من خصال الجاهلية ، كما عيروا بني فزارة بما فعل واحد منهم فعلا منكرا فقال قائلهم :

لاتأمنن فزاريا خلوت به   على قلوصك واربطها باسيار

هذا كله ان قلنا بصحة النسب الى نبهان الطائي ، وصدقنا دعواه الكاذبة ،وان قلنا انه نبطي منسوب الى ذلك فبنو باهلة أفضل منه وأشرف في الحسب والنسب ، بل في الدين والادب •

(ومنها ماقاله) في صاحب (جلاء العينين) أيضا وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكي وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة ، من الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، وجمهور الحنابلة أيضا ، ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه حق نفسه وحق أبيه وحق المسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا ، وأنه لوث نفسه بأقذار البدع الوهابية التي لايغسلها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة ، وكما آذى نفسه بذلك أشد الأذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين أهل المذاهب الاربعة ــ حتى المنصفين من الحنابلة ــ بذمهم اياه ، وخوضهم في عرضه ما بقيت الدنيا وبقي فيها هذا الكتاب ، نعم قد استعاض عن ذلك برضا صديق حسن عنه وطائفته الوهابية فهذا هو ربحه من تلبيسه على المسلمين بهذا الكتاب ، وتوهيمهم أن ما عليه ابن تيمية وطائفته من البدعة الشنيعة في مسألة الزيارة والاستغاثة وغيرهما مما خالفوا به أهل السنة هو الحق ، وتطاوله على أئمة المسلمين مثل السبكي وابنه وابن حجر ، الى قوله هذا لعمري مما لايختاره عاقل لاخيه فضلا عن نفسه وأبيه .

(فيقال للنبهاني) هذا مبلغ علمك ، دأبك تكرير هذيانك ، وقد أجبنا عن ذلك كله في غير موضع من هذا الكتاب ، مع كونه صرير باب ، أو طنين ذباب ، بل انه أشبه شيء بنبح الكلاب وقلنا : انه لم يحكم على من ذكرهم بحكم ، بل نقل ما كان بين الفريقين وما ذكره أهل العلم الاكابر وأئمة المسلمين في المسائل التي تنازعوا فيها ، ولو لم يصنف صاحب (جلاء العينين) كتابه هل كانت تبقى تلك المسائل مجهولة لأهل العلم والأفاضل المدققين ، ألم تكن هذه المسائل مفصلة في الكتب ومذكورة فيها على أتم وجه ؟ هذا كتاب (القول الجلي) الذي صنفه السيد صفي الدين قبل أن يخلق صاحب (جلاء العينين) بمدة من السنين قداشتمل على جميع ما اشتمل عليه جلاء العينين اجمالا ، وكذلك (الدرة المضية) وكذلك (الرد الوافر) للحافظ ابن ناصر الدين الشافعي ، وكذلك (افاضة العلام) من مصنفات الشيخ ابراهيم الكوراني (ومسلك السداد) له ، الى غير ذلك من الكتب المصنفة في هذا الباب قديما وحديثا ، فلم لم يذكر النبهاني تلك الكتب ومصنفيها ، وما الذي حمله أن يتخذ (جلاء العينين) ومصنفه سبابة المتندم وأكثر عليه الهياط والمياط ، حتى يتخيل للناظر في كلامه هذا أن السماء انفطرت ، وأن الكواكب قد انتثرت ، وان القبور بعثرت ، وان الوحوش حشرت ، فما هذه المسائل التي ذكرها مصنف (جلاء

العينين) وقد قامت على النبهاني منها قيامته الكبرى ؟ وما أهمية زيارة القبور والاستغاثة بالموتى حتى يقام لها ويقعد ، ويهاج ويعربد ؟ وما أرى ذلك الا من مزيد الحسد ، ولله در الحسد ما أعدله بدأبصاحبه فقتله ، ومن الحري أن ينشد على لسان صاحب جلاء العينين :

ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابي وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم ان قوله ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه الخ : مردود، فقد طالعه كثير من أهل الفضل المنصفين فاستصوبوه ، وأثنوا عليه ، وعرفوا الحق الذي فيه ، وحسنوا ظنهم بأئمة المسلمين وخيار المؤمنين ، ودعوا له ولوالديه ولمن نشر كتابه ، واستفادوا الفوائد التي لم يكونوا عارفين بها ولا واقفين عليها ، وعدوا ذلك خدمة للمسلمين عموما ولسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم خصوصا ، حيث ذب عن دينه وشريعته الغراء ماكدر صفوها ، وأماط الأذى عنها ، وقالوا كما قال الامام أحمد نضر الله وجهه : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله عز وجل الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة،وأطلقوا عنان الفتنة،فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين ، انتهى .

فانظر أيها المنصف الى وصف الجاهلين الذي في هذه الخطبة ، وطبقه على مايقوله النبهاني تجد الامام نضر الله وجهه كأنه قد عناه وقصده بلفظه ومعناه ، وفي الحديث (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) واني قد طالعت كثيرا من كتب هؤلاء الغلاة الجهلة ولم أر فيها كالهذيان الذي هذى به هذا الزائغ ، ومع ذلك رددتها بتوفيق الله ، وشفيت منها صدور المؤمنين ، وكلام هذا الزائغ ظلمات بعضها فوق بعض ، فكل ماكتبته عليه من الرد أراني قد أتيت بقليل من كثير مااستوجب ، فالله المستعان عليه .

(وقد تذكرت) عند وصولي الى هذا المقام ماكان يقوله سلف النبهاني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحببت ذكره هنا ، وادراجه في الكتاب ، ليعلم الناظر البصير أن أعداء الحق في كل عصر على وتيرة واحدة ، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشؤون .

ألا إنما الايام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم ولا غد خلاف الذي مرت به السنوات

روى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحق قال حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال قلت له : (ما أكثر مارأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ، قال : حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مارأينا مثل ماصبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، قد سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا ، فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض مايقول ، قال فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال تسمعون يامعشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى مامنهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه باحسن مايجد من القول ، حتى انه ليقول انصرف انصرف ياأبا القاسم انصرف راشدا فوالله ماكنت جهولا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به ، يقولون له : أنت الذي يقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ؟ قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر الصديق دونه يقول — وهو يبكي — أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه) .

وعن الربيع بن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (أراد صاحب اليمن أن يؤوي

النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه الوليد فزعم أن محمدا ساحر ، وأتاه العاص بن وائل فأخبره أن محمدا تعلم اساطير الاولين ، وأتاه آخر فزعم أنه كاهن ، وآخر أنه شاعر ، وآخر زعم أنه مجنون ، فأهلكهم الله ، كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه) وذكر تفصيل عذابهم •

والكلام على ماكابد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم من مشركي العرب مذكور في غير هذا الموضع ، وقد نصره الله عليهم ، وانتقم منهم كما ينتقم من أعداء ورثته والعاملين بسنته ويهلك خصومهم ، كالنبهاني وغيره من الغلاة الذين هم على طريقة أسلافهم عبدة الاصنام ، وعلى مسلكهم المذموم ، وفي كتب السير قد بين ما أصاب أعداء الرسول من البلاء المبين ، قال الشيخ في كتابه (الجواب الصحيح) ويدخل في هذا الباب مالم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذمه ويذم دينه بأنواع من العقوبات ، وفي ذلك من القصص الكثيرة مايضيق هذا الموضع عن بسطه ، وقد رأينا وسمعنا من ذلك مايطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة ، التي تبين كلاءة الله لعرضه ، وقيامه بنصره وتعظيمه لقدره ، ورفعه لذكره ، وما من طائفة من الناس الا وعندهم من هذا الباب مافيه عبرة لأولي الالباب ، قال : ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام اذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار الى أن يسب العدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو ، فانه يكون ذلك قريبا ، كما قد جربه المسلمون غير مرة ، تحقيقا لقوله تعالى :(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق ، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم ، انتهى •

فهانحن ننتظر انتقام الله تعالى من النبهاني واضرابه الغلاة ، فقد عادوا أهل الحق وورثة نبيهم صلى الله عليه وسلم وحفاظ دينه ، وان يعاملهم بعدله ، فقد أساؤا القول فيهم ، وافتروا عليهم ، ورموهم بالعظائم ، ولا باعث لذلك سوى الدعوة الى الله وتوحيده وافراده بالعبادة ، والنبهاني منهم يقول ان كل ذلك ليس من خصائص الاله مع كونه من أعداء الله ورسوله ، حيث خالف الشريعة الغراء ، وصرف شطرا من عمره في حكمه بالقوانين المخالفة لما شرعه الله تعالى ، مع ما اتصف به من المساوي والمنكرات •

(ومنها أنه قال) وقد لعمري آذى أباه وعقه بتلك النقول التي كان الناس عنها في غفلة ، لانها مفرقة في تفسيره فجمعها في كتابه مفتخرا بها ، ومثبتا عند صديق حسن وطائفته ان أباه هو أيضا على مذهبهم ومشربهم في ذلك ، وقد سمعت بسبب هذا — من بعض علماء مكة — كلاما فظيعا في حقه وحق أبيه ، الى آخر ماقاله في هذا الباب •

(فيقال له) ان ماذكر في (روح المعاني) من المسائل التي خالف فيها الغلاة أهل الحق — كمسألة دعاء غير الله ، والالتجاء الى ماسواه ، والحلف بغيره ، والنذر لغيره ، ونحو ذلك مما هو من خصائص الاله المعبود — هي مذكورة صريحا في القرآن العظيم ، وكتب الحديث الصحيحة ، ومصنفات الأئمة طافحة بها ، وكذلك مسألة الكلام والعلو وسائر ماورد من الصفات فيها كتب كثيرة ، ومصنفات شهيرة — على ماسبق بيانه ، ومضى دليله وبرهانه — فصاحب (جلاء العينين) ذكر منها نبذة يسيرة ، والمسائل التيفاتته منها كثيرة ،و (روحالمعاني) ليس منفردا بذكر ماقام على صحته الحجج القطعية ، والبراهين العقلية والنقلية ، ومن طالع البيضاوي، والكشاف ، وتفسير ابن جرير ، وغير ذلك : يجد الامر واضحا كفلق الصباح ، ولولا أن يطول الكتاب لنقلنا كل ذلك ، غير أن هذه التفاسير تتداولها الايدي ، والمنصفون من أهل البصائر يعلمون ذلك ، فمصنف (جلاء العينين) لم يعق والده، بل نشر فضله وسعى في انتفاعالناس به ، وانه سلك مسلكه في حب انتفاع اخوانه المسلمين ونصيحتهم •

بابه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وقد كان صاحب (روح المعاني) رحمه الله تعالى سلفي الاعتقاد ، مشارا اليه بالبنان في العلم والعمل من بين علماء الاقطار والبلاد ، وقد رأيت له رسالة بخطه ألفها في بيان عقيدته ومذهبه ، وكيفية اشتغاله واجازاته في العلوم العقلية والنقلية ، وتراجم من أخذ عنهم العلم ، وترجمة أئمة مذهبه الامام الشافعي والامام الاشعري رحمهما الله تعالى ، وبين فيها — بعد أن ذكر عقيدته التي تلقاها من الكتاب والسنة وادعى انها عين اعتقاد الامام الاشعري — ان اعتقاد الامام الاشعري لايخالف ماعليه الامام أحمد رحمه الله ، ونص عبارته :

(فان قلت) ليس جميع ماذكرته مذهب الامام الاشعري كما يفصح بذلك تتبع الكتب ، بل هو مذهب الامام أحمد بن حنبل (قلت) مذهب الامام الاشعري عند

المحققين والعلماء المنصفين هو مذهب الامام ، كما يبين ذلك كتابه (الابانة في أصول الديانة) وهو آخر كتاب صنفه وعليه تعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه.

قال فيه (فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة) فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون ودياناتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته - قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله تعالى به الحق ، ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله تعالى عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفخم .

وجملة قولنا : أنا نقر بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاء من عند الله تعالى ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لانرد من ذلك شيئا ، وأنه واحد لا اله الا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله مستو على عرشه كما قال : (الرَّحْمٰنُ على العَرشِ استَوى) [1] وان له وجها كما قال : (ويَبْقى وجهُ ربِّك ذُو الجَلال والاكْرام) [2] وان له يدين بلا كيف كما قال : (بَلْ يداهُ مبْسُوطَتَان) [3] وان له عينين بلا كيف كما قال : (تَجري باعْيُننا) [4] وأن من زعم أن أسماء الله تعالى غيره كان ضالا ، وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب ، وأن القلب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، وأنه يضع السموات على أصبع ، والارضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلا عن عدل ،ونصدق بجميع الروايات التي رواها وأثبتها أهل النقل من النزول

---

(١) طه : ٥ - (٢) الرحمن:٢٧ - (٣) المائدة : ٦٤ - (٤) القمر ١٤

الى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : (هل من سائل ؟ هل من مستغفر) وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافا لأهل الزيغ والتضليل ، ونقول أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال : (وَجَاء رَبُّكَ والملكُ صَفّاً صفّاً)[1] وان الله تعالى يقربُ من عباده كيف شَاء كما قال : (ونَحنُ اقربُ اليه منْ حَبْلِ الوريدِ)[2] وكما قال : (ثُم دنى فتَدلّى . فكَان قابَ قوسيْنِ أَو أدْنى)[3] انتهى ملخصا .

(قال صاحب تفسير روح المعاني) رحمه الله وقد ذكر ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري ، فيما نسب للامام الاشعري) . مايقرب من ذلك وان لم يكن بلفظه ، ثم قال عقبه : هذا ما عليه امامنا الاشعري ومتقدموا أصحابه ، لكن كثرت المقالة بين متأخري الاشاعرة والحنابلة حتى أدى ذلك الى تضليل كل من الفريقين صاحبه ، وذلك في مسائل تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والقدم والوجه والعينين وغير ذلك من أحاديث الصفات ، قال : ولقد أجاد ولي الله بلا نزاع ، وحامل لواء الشريعة والحقيقة بلا دفاع : الملا ابراهيم ابن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهراني الشهر زوري الكردي نزيل المدينة الشافعي بالفحص عن كل ماينسب الى الحنابلة ، فجمع رسائل عديدة وكتبا مفيدة وطالعها ودقق النظر فيها ، ثم ألف رسالة في ذلك ، وقال فيها : لما أمعنت النظر في رسائل القوم ومصنفاتهم وجدتهم برآء من كثير مما رمتهم أصحابنا الشافعية من التجسيم والتشبيه ، وانما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين ، كما هو المعروف من حال امامهم رضي الله تعالى عنه من ابقاء الآيات والاحاديث على ظواهرها ، والايمان بها كذلك ، مفوضون فيما أشكل معناه ، وهذا لايذمه أحد من الاشعرية ، بيد أن الحنابلة مشددون في رد التأويل في كل ذلك ، مجهلون من يذهب اليه ، فيقولون : الله تعالى ورسوله وسلف الامة ادرى بمعاني الآيات والاحاديث من هؤلاء المؤولين ، وما ورد عنهم انهم أولوا شيئا من ذلك ، فاما أن يكون ذلك لان معناه خفي عليهم فكيف ظهر لهؤلاء ماخفي على اولئك ، واما لأنها على مايظهر من معناها لأن الشرع جاء بلغة العرب فمراد الله تعالى بهذه الالفاظ هو المعاني التي تريدها منها العرب في لغتهم ، وتطلق بحسب مايليق به ، فالمراد بالاستواء والفوق والنزول معانيها المقصودة في كلام العرب ، فاذا قلت زيد فوق السرير

---

(١) الفجر : ٢٢ ـ (٢) ق ، ١٦ ـ (٣) النجم : ٨ ، ٩

فمعناه مستقر عليه متمكن منه مستعل ، ولما علمنا أن زيدا جرم من الاجرام والسرير كذلك تحقق لنا أن الفوقية في حقه واستقراره فوق السرير يوجب مماسته لـه ، وتحيزه في جهة من جهاته ، وغير ذلك من الاوصاف التي توجب استقـرار جرم على جرم ، واما المولى جل جلاله فماهية ذاته غير مدركة لاحد من الخلق فكيف يقال بأن استقراره فوق العرش يوجب مماسته له وتحيزه في جهة لان ذلك استقرار الجسم ، وأما استقرار من ليس بجسم فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا حتى نعلـم ماهيتـه والماهية غير معلومة ، فنثبت له استقرارا حقيقيا فوق كل عرشه ، لانه أثبته لنفسـه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يليق بذاتـه ، ويقتضيه كمال صفاته ، وكذلك يقولون في النزول ونظائره .

(قال) وقد بالغ ابن القيم عفى الله تعالى عنه ورحمه في الرد على أئمتنا الاشعرية في مثل هذا وأتى بعبارة سوء ، حتى قال : لام الاشعرية كنون اليهودية ، ولقد أساء سامحه الله تعالى في الخطاب ، وتنكب بمحض العصبية عن الصواب ، لأن الاشعرية لم يجحدوا استوى ، بل به يقرؤن والى الله عز وجل يتقربون ، ولكن بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر منه محالا على الله تعالى ، فقال معنى استوى استولى لورود اللفظين معا في لغة العرب ، وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت الفريقين فيما وقعوا فيه ، والا فالكل على هدى ان شاء الله تعالى ، لأن المفوض مسلم لمراد الله تعالى تارك لما لم يكلف بعلمه ، والمتأول متبع لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة حامل عليه مالم يتضح معناه حتى تكون العقيدة كلها على نسق واحـد ، ولا يسوغ الى فهم القاصر معنى لايليق بالرب فيثبته له ، فالتأويل لاجل هذا حسن حراسة عن اعتقاد مالا يجوز اعتقاده ، فاذا سمع قاصر الفهم استوى لم يتبادر الـى فهمه الا المعنى المستحيل ، فاذا سمع قول العالم معناه استولى عليه بالقهر والغلبـة زالت تلك الشبهة من قلبه ، وهذا الذي أولنا به الاستواء وان لم يكن هو مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو لاشك معنى ثابت لله متصف به لاينافي ماهو معناه عند الله تعالى ، فلا كبير ضرر في ذلك ولا تحكم ، اذ لم نقل ليس له معنى الا هذا ، بل نقول يحتمل أن يكون معناه هذا وهذا صدق ، لأنه محتمل كما لايخفى .

(وقال أيضا) ولقد اطلعت على رسالة للشيخ ابن تيميـة وهي معتبرة عنـد الحنابلة وطالعتها كلها فلم أر فيها شيئا مما ينبذ ويرمى به في العقائد سوى ماذكرنا من تشديده في رد التأويل ، وتمسكه بالظواهر مع التفويض والمبالغة في التنزيـه

مبالغة يقطع معها بأنه لا يعتقد تجسيما ولا تشبيها ، بل يصرح بذلك تصريحا لاخفاء فيه ، والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم ويأخذ بلازم قوله الذي لايقول به ولا يسلم لزومه ، وعلى كل حال فهو كما قال كثير من المشائخ في الشيخ محيى الدين ، قال سيدنا العلامة الشيخ عبد الله بن محمد العياشي وكثيرا ماكنت أسمع من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر رضي الله تعالى عنه يقول محكم كلامه يقضي على متشابهه ، ومطلقهيرد الى مقيده ، ومجمله الى مبينه ، ومبهمه الى صريحه ، كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه •

فالحنابلة مبرؤن مما نسب اليهم، وكذا الاشعرية أيضا منزهون مما يرمون به من التعطيل والتحريف لكلام الله تعالى عن مواضعه ، والكل على هدى يدينون دين الحق ، والمخالفون شرذمة قليلة لايعبأ بهم ، كما قال الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه (معيد النعم ، ومبيد النقم) • ثم نقل كلامه الى آخره ، انتهى كلام الكوراني •

وقال بعد أن فرغ من نقله : وأقول من أراد أن يشرح صدره ، ويتبين له تبينا لامراء فيه صحة مذهب الاشعرية ، وانه مذهب أهل السنة والجماعة : فليطالع كتاب الامام أبي القاسم ابن عساكر المسمى (بتبيين كذب المفتري ، فيما نسب الى أبي الحسن الاشعري) فقد أتى فيه من أدلة الكتاب والسنة وأقاويل السلف والخلف مالا يمتري معه عاقل خال من التعصب انه امام السنة ورئيس الجماعة المضمون لها العصمة من الله تعالى •

ثم نقل صاحب (روح المعاني) في رسالتهكلام الكورانيفي الثناءعلى عقائدالاشعري وانه على ماعليه السلف ، واطال الكلام في ذلك الى أن قال : ولولا خوف السآمة وحذر الملامة لاتيت في هذا المقام بما يبرىء الكلام ، ويروي الاوام ، ولكن ما كل ما يعلم يقال ، ولكل زمان دولة ورجال ، بل لعمري فيما ذكرنا كفاية للمسترشدين ، وهداية للمستهدين ، وأما الذين هووا في مهاوي الجهل ، وعقلوا بعقال الحسد والتعصب عن التمسك بزمام العقل ، واشتغلوا بالاغراض واغتروا بالاعراض ، فلا ينفعهم اختصار ولا اطناب ، ، ولا كتاب ولا خطاب ، فليس لدائهم من دواء الا السيف والدعاء •

الحمد لله هذي العين لا الاثر ‏ ‏ ‏ فما الذي باتباع الحق ينتظر
وقت يفوت واشغال معوقة ‏ ‏ ‏ وضعف عزم ودار شأنها الغير

والناس ركضى الى مهوى مصارعهم | وليس عندهم من ركضهم خبـــر
تسعى بها خادعــات من سلامتهـم | فيبلغون الى المهوى ومــا شعــروا
والجهل أصل فساد الناس كلهـــم | والجهل أصـــل عليه يخلق البشر
وانما العلم عن ذي الرشد يطرحــه | كما عــن الطفل يوما تطرح الســرر
وأصعب الــداء داء لايحس بـــه | كالدق يضعف حســا وهو يستعــر
وانمـــا لم تحس النفس موبقهــا | لأن أجزاءه قد عمـــه الضـــرر

(هذا مانقلناه) من رسالةصاحب تفسير (روح المعاني) • وبـــه يرغم أنف الزائغ النبهاني ، حيث تبين به ان الامام الاشعري على ماعليه السلف ، وان منخالفه من المنتسبين اليه قد غير وحرف ، فمصنف (جلاء العينين) ان وافق والده في تلـك العقيدة السالمة من وصمة البدع فقد وافق الحق الحقيق بالقبول واتبع ، غير أن النبهاني لجهله وافلاسه من كلفضل يرى أن الحق لم يعده وان ماهو عليه هـــو الفصل والعدل •

(وأما قوله) وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة كلاما فظيعا فــي حقــه الخ •

(فيقال له) عنه وعن والده هذا الكلام مردود من وجوه :

(الوجه الأول) أنا نستفسر من النبهاني هذا ونسأله على فرض صدق كلامه وصحة نقله ونقول له من سلم من لسان الورى ، ومن أمن معرة كلام الناس ، ومن الذي اتفق على محبته وموالاته جميع الأنام ؟ هذا إله العالمين وخالق السمـــوات والارضين قد حكى في كتابه الكريم عن أعدائه وماتقولوا به في شأنه مالا يخفىعلى من له بصيرة • من ذلك ما كان من اليهود مما هو مذكور في توراتهم،وما هومذكور في القرآن من افترائهم على الله تعالى ، وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد جعلوا داود النبي ولد زنا ، كما جعلوا المسيح ولد زنا ، ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك الى التوراة، كما جعلوا ولدي لوط ولدي زنا،ثم نسبوا داود وغيره منأنبيائهم الى ذينك الولدين ، وقالوا ان الله استراح في اليوم السابع مــن خلــق السموات والأرض ، فأنزل الله تعالى على رسوله تكذيبهم بقوله :(ومامسّنا مِن لغُوبٍ)[1] أي تعب وقالوا ان الله فقير وقد حكاه سبحانه عنهم في كتابه الكريم بقوله : (لقدْ

---

(١) ق : ٣٨ •

سَمِعَ اللهُ قولَ الَّذيْن قالوا إنَّ الله فَقِيرٌ ونَحنُ أَغنيَاءُ سَنكْتُبُ ما قَالوا وقَتْلَهُمُ الأَنبيَاءَ بغيرِ حَقٍ ونقُولُ ذوقُوا عذَابَ الحرْيق . ذَلكَ بِمَا قدَّمت أَيْدِيكُم وأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بظَلَّام للعبِيدِ)[1] أنزل الله تعالى هذه الآية لما قالوا مابنا الى الله تعالى من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما تتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لأغنياء ، ولو كان غنيا عنا ماستقرض منا ، ولما كان هذا القول منهم في غاية العظم والهول قال (سنكتب ماقالوا) الخ أي لن يفوتنا أبدا تدوينه واثباته .

وقالوا : ان الله بخيل ليس بجواد ولا كريم ، قال تعالى : (وَقَالتِ اليَهودُ يَدُ اللّهِ مَغْلولَةٌ) فرد عليهم بقوله : (غُلَّت أَيْدِهم ولعنُوا بِمَا قالوا . بلْ يداهُ مبْسُوطَتانِ يُنفقُ كَيفَ يشَاءُ)[2] وقالوا ان العزيز كان ابن الله ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، قال تعالى : (وقالت اليَهودُ عُزيْرٌ ابْنُ اللّه وقالتِ النَّصارَى المسِيحُ ابْنُ اللّهِ)[3] وقال تعالى : (وقالَتِ اليهودُ والنَّصارى نَحنُ أَبناءُ اللّهِ وأَحبَّاؤُهُ قلْ فَلِمَ يُعذِّبُكم بذنوبكُم بلْ انتُم بَشَرٌ ممن خَلَقَ)[4] وقالوا (إنَّ اللّه عهِدَ اليْنَا أَنْ لا نؤْمِنَ لرسولٍ حتى يأْتينا بقربان تأْكله النَّارُ) فرد عليهم بقوله (قُلْ قدْ جاءَكُم رُسُلٌ مِن قبلي بالبيِّنات وبالَّذِي قُلتُم فلِمَ قتلْتُموهم إن كُنتُم صَادِقيْن)[5] (وقَالوا لنْ تَمسَّنَا النَّارُ إلا أَياماً معْدودَةً)[6]

وقالوا ان الله تعالى بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة ، وقالوا ان الله ندم على خلق بني آدم ، وأدخلوا هذه الفرية في التوراة ، وقالوا عن لوط انه وطيء ابنتيه ، وأولدهما ولدين نسبوا اليهما جماعة من الأنبياء ، وقالوا في بعض دعاءصلاتهم : انتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك فتجرؤا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة ، كأنهم ينخونه بذلك لينتخي لهم ويحتمي كأنهم يخبرونه أنه قد اختار الخمول لنفسه وأحبائه ، فيهزونه بهذا الخطاب للنباهة واشتهار الصيت ، وما كان منهم مع موسى عليه السلام فأمر مشهور .

---

(1) آل عمران : ١٨١ ، ١٨٢ — (٢) المائدة : ٦٤ — (٣) التوبة : ٣٠ — (٤) المائدة : ١٨ —
(٥) آل عمران : ١٨٣ (٦) البقرة : ٨٠

وبالجملة فافتراؤهم على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم كثير جدا ، وقد ذكر نبذة منه العلامة ابن حزم في كتابه (الملل والنحل) ، والحافظ ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى) .

(وأما ما كان من النصارى) فهو أنهم اعتقدوا أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ، ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط ، فالتحم ببطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم وطمث ، ثم خرج الى القماط والسرير ، كلما بكى ألقمته أمه ثديها ، ثم انتقل الى المكتب بين الصبيان ، ثم آل أمره الى لطم اليهود خديه ، وصفعهم قفاه ، وبصقهم في وجهه ، ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه ، والقصبة في يده ، استخفافا به وانتهاكا لحرمته ، ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه فشدوه عليه وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه ، وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب ، هذا وهو بزعمهم الذي خلق السموات والارض ، وقسم الأرزاق والآجال، ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن مكن أعداءه من نفسه ، لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم ، ويفدي أنبياءه ورسلهوأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن ابليس ، فان روح آدم وابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن ابليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه .

فهذا بعض كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له ، ولهذا قيل انهم سبوا الله ورسوله مسبة ماسبه اياها أحد من البشر ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال : (شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وكذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، أما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحدالصمد الذي لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد ، وأما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني ، وليس ذلك بأهون عليّ من اعادته) .

وقال تعالى : (أَلَا إِنَّهُم مِن إفكِهِم لَيَقُولونَ ولَدَ اللهُ وإنَّهم لكاذِبونَ) [1]

وقال : (لقد كفر الّذيْن قالوا إن الله هُو المسيْحُ ابنُ مريَم) [2] الى غير ذلك من الآيات المشتملة على سوء اعتقادهم في الله .

وأما ما كان من مشركي العرب فقد قال تعالى عنهم : (وجعلوا لله شركاء

---

(١) الصافات : ٥١، ٥٢ ـ (٢) المائدة : ٧٢

الجنَّ وخلقهم وخرقوا له بنينَ وبنات بغيرِ علم سُبحانهُ وتعالى عمَّا يصفون بديعُ السَّموات والارْضِ أنى يكونُ له ولدٌ ولم تكُن له صاحِبةٌ وخلقَ كُلَّ شيءٍ وهو بكُلِّ شيءٍ عليم)[1] وقال (وقلِ الحمدُ لله الَّذي لم يتَّخذْ ولداً ولم يَكُنْ له شريكٌ في الملْكِ ولم يكُن له وليٌ من الذُّلِّ)[2] وقال: (تبارك الَّذي نزَّل الفُرقانَ على عبده ليكُونَ للعالمِيْن نذيْراً . الَّذي لهُ مُلْكُ السَّموات والأرضِ ولم يتَّخذ ولداً ولم يكُن لهُ شريكٌ في الملك وخلقَ كُلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ تقديراً)[3] (وقالوا اتَّخذَ الرَّحمنُ ولداً سُبحانه بل عبادٌ مُكْرمُونَ . لا يَسبقُونهُ بالقَول وهُم بأمْرِه يعمَلونَ . يعلم ما بينَ ايْديهمْ وما خلفَهم ولا يشفعُون إلا لمن ارتضى وهُم مِن خشيته مُشفقونَ . ومن يقلْ منهُم إنّي إله مِن دُونِه فذلكَ نجْزيه جهنَّم كذلكَ نجزي الظَّالمينَ)[4] وقال : (وقَال اللهُ لا تتَّخذُوا إلهين اثنين إنَّما هُو إلهٌ واحدٌ فإيَّاي فارهبُونِ . ولهُ مَا في السَّموات والأرضِ ولهُ الدِّينُ واصِباً) الى قولهِ : (ويجعلونَ لله البنَاتِ سُبحَانه ولهمْ مَا يشتهُونَ)[5] وقال : (ولا تجعلْ معَ اللهِ إلهاً آخرَ فتلقى في جهنَّم ملوماً مدحُوراً . أفأصفَاكم ربُّكُم بالبنِيْنَ واتَّخذَ مِنَ الملائكةِ إناثاً إنَّكُم لتقُولونَ قولاً عظِيْماً . ولقدْ صرَّفنا في هذا القُرآنِ ليذَّكَّرُوا ومَا يزِيدهُم إلّا نفوراً . قلْ لو كانَ معَهُ آلهةٌ كما يقُولونَ إذاً لابتغَوا إلى ذي العَرشِ سَبيلاً)[6] وقال: (فاستَفْتهم ألربِّكَ البنات ولهم البنُونَ . أمْ خلقْنا الملائكَة إناثاً وهُم شاهِدُونَ . ألا إنَّهم منْ إفكهِم ليقُولونَ . ولَدَ اللهُ وإنَّهم لكاذِبُونَ . أصطَفى البنَاتِ على البنينَ . مالكُم كيفَ

---

(١) الانعام : ١٠٠ ، ١٠١ – (٢) الاسراء : ١١١ – (٣) الفرقان : ١ ، ٢ – (٤) الانبياء : ٢٦ –٢٩ –
(٥) النحل : ٥١ – ٥٧ (٦) الاسراء : ٣٩ – ٤٢

تَحكُمون . أَفلَا تذَكَّرُونَ . أَمْ لكُم سُلطَانٌ مُبيْنٌ . فأْتُوا بكِتابكُمْ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ . وجَعلوا بيْنَهُ وبيْن الجنَّةِ نسباً ولقَد علمت الجنَّةُ إنَّهم لمحضَرونَ سُبحانَ اللهِ عَما يَصفُونَ . إلَّا عبادَ الله المخلَصِينَ . فانّكُم وما تعبُدُون . ما أَنتُم عليْه بفَاتنيْن . إلَّا مَنْ هُو صَال الجحيْم)[1] وقَالَ (أَفرَأَيتُم اللَّاتَ والعزَّى ومنَاةَ الثَّالثَةَ الأُخرى . أَلكُمُ الذَّكَرُ ولهُ الأُنثَى . تِلْكَ إذاً قِسْمةٌ ضِيزَى . إنْ هِي إلَّا أَسْماءٌ سَمَّيتُموها أَنتُم وآباؤُكُم مَا أَنْزلَ اللهُ بهَا مِنْ سُلْطانٍ إن يتَّبعُونَ إلَّا الظَّن وما تَهوى الأَنفُسُ ولقدْ جاءَهُم مِن ربِّهم الهُدَى) الى قوله : (إنَّ الَّذيْن لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ ليُسمُّونَ الملائكَةَ تسمِيةَ الأُنثى)[2] وقال تعالى: (وجَعلُوا لهَ مِن عبَادِهِ جُزءاً)[3] أي نصيبا وبعضا ، أو جعلوا لله نصيبا من الولد ،تعالى الله عن ذلك ، فان الولد جزء من الوالد ، قال صلى الله عليه وسلم : (انما فاطمة بضعة مني)

وقوله : (وجَعلوا للهِ شُركاءَ الجِنَّ وخَلَقَهم وخَرَقُوا لهُ بنينَ وبنَات بغيْرِ علْم) قال الكلبي نزلت في الزنادقة ، قالوا : ان الله وابليس شريكان ، فالله خالق النور والناس والدواب والانعام ، وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب .

وأما قوله : (وجَعلُوا بينهُ وبينَ الجِنَّة نسَباً) فقيل هو قولهم الملائكة بنات الله ، وسمى الملائكة جِنا لاجتنانهم عن الابصار ، ومن الناس من قال حي من الملائكة يقال لهم الجن — ومنهم ابليس — وهم بنات الله ، وقال الكلبي : قالوا — لعنهم الله — بل بذور تخرج منها الملائكة ، وقوله : (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال الثعلبي : هم كفار العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا عزير بن الله ، الى غير ذلك من المقالات التي سبوا بها فاطر السموات ، ولنا كتاب سميناه (آراء بني آدم في إله العالم) لم يكمل بعد ، وفيه ترى ماتكلم به الناس في الههم ومعبودهم عز اسمه .

(١) الصافات : ١٤٩ — ١٦٣ — (٢) النجم : ١٩ — ٢٧ (٣) الزخرف : ١٥

وأما ما كان من الامم مع أنبيائهم وما صدر منهم في شأنهم من الاذى والشتم والسخرية وغير ذلك مما حكاه الله في كتابه فذلك لايستوعبه المقام ، وما كان من العرب الجاهليين ــ ولا سيما قريش ــ في حق خاتمهم صلى الله عليه وسلم مما تشيب منه لمم المداد ، قد فصل في كتب السير والتواريخ .

وقد ذكر شيخ الاسلام في كتابه (الصارم المسلول) فصولا مهمة في ذلك ، فذكر قصة الاعمى الذي قتل أم ولد له كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة كعب بن الاشرف اليهودي ، وقصة قتل العصماء بنت مروان من بني خطمة التي هجت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة قتل أبي عفك اليهودي لهجائه أيضا ، وقصة ابن أبي سرح وقصة ابن زنيم الديلمي لهجائه أيضا ، وحديث القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ، وحكاية قتل ابن خطل ، والامر بقتل من كان يهجوه ويؤذيه من شعراء قريش ، وقصة قتل أبي رافع اليهودي لأجل أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصة هلاك المستهزئين ، وحديث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيمه المغانم ما أحسنت ولا أجملت ، وغير ذلك مما آذوه به صلى الله عليه وسلم مما حكى في القرآن ، كرميه تارة بأنه شاعر ، وأخرى بأنه كاهن ، ومرة بأنه مجنون ، ونحوها مما مر بيانه ، فانتقم الله تعالى منهم ، وشفى الله بهم صدور المؤمنين .

وفي كتاب (أعلام النبوة) للماوردي : فان قيل مجيء الانبياء موضوع لمصالح العالم وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ومحمد جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافيا لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام فزال عن حكمهما في النبوة لمخالفتهما في السيرة ، قال : فالجواب أن السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا ، واللطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا ، لأن الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية ، والحقوق الدينية ، ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير ، وينتفي به الشر ، لأن النفوس الاشرة لايكفها الا الرهبة ، فكان القهر لها أبلغ في انقيادها من الرغبة ، وكانت العرب أكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم أعظم من اللطف وأنفع منه .

ويجاب أيضا : أنه لم يكن في جهاده بدعا من الرسل ، فقبله ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الاربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها ، وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه وأتباعه ، وهذا يوشع بن نون قتل نيفا وثلاثين ملكا من ملوك

الشام ، وأباد من مدنها مالم يبق له آثر ، ولا من أهله صافر ، من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب منهم اتاوة ، : وساق الغنائم ، وغزا داود من بلاد الشام مالم يدع فيها رجلا ولا امرأة الا قتلهم وهو موجود في كتبهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الاباء ، ثم تكلم بكلام يتعلق بهذا المعنى الى أن قال : وانما تطلبت الملاحدة بمثل هذا الاعتراض القدح في النبوات ، فانهم لم يعفوا نبيا من القدح في معجزته والطعن على سيرته ، حتى قال منهم في عصرنا ماطعن به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم بشعر نظمه فقال :

وفالق البحر لم يفلق جوانبه ... اذ ضاع فيه ضياع الحر في السفل
ومدع يدعى الاشياء خلقته ... ما باله زال والاشياء لم تزل
وآخر يدعى بالسيف حجته ... هل حجة السيف الا حجة البطل

قال فحضرت حين وردت هذه الأبيات الى بعض أهل العلم فأجاب عنها بقوله

قل للذي جاء بالتكذيب للرسل ... ورد معجزهم بالزيغ والدغل
وقال في ذاك أبياتا مزخرفة ... ليوقع الناس في شك من الملل
ضياع موسى دليل من أدلته ... من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس أن الله فالقه ... وأن موسى ضعيف تاه في السبل
ومعجز الخلق في فلق المياه له ... وجعله البر مايحتاط بالحيل
وابن البتول فان الله نزهه ... عما ذكرت من الدعوى على الجمل
ما كان منه سوى طير يقدره ... طينا وربي أحياه ولم يزل
وقال اني باذن الله فاعله ... واذن ربي يحيى الخلق لاعملي
وصاحب السيف كان السيف حجته ... بعد البيان عن الاعجاز والمثل
وجاء مبتدئا بالنصح مجتهدا ... بمعجزات لما حارت أولو النحل
منها كتاب مبين نظمه عجب ... فيه من الغيب ماأوحى الى الرسل
فافحم الشعراء المفلقين به ... لما تحداهم بالرفق في مهل
وأنبع الماء عذبا من أنامله ... من غير ماصخرة كانت ولا وشل
وشارف القوم وافاه وكلمه ... وقال اني من قتلي على وجل
والذئب قد أخبر الراعي بمبعثه ... فجاء يشهد بالاسلام في عجل
والجذع حن اليه حين فارقه ... حنين ذات جؤار ساعة الهبل
وأخبر الناس عما في ضمائرهم ... مفصلا بجواب غير محتمل

ونبأ الروم عن نصر يكون لهـــا ... من بعد سبعة أعوام على جـــدل
والفرس أخبرها عن قتل صاحبهـا ... برويز اذ جاءه فيروز في شغـــل
وان تقصيت ماجـــاء النبي بـــه ... طال النشيد ولم آمن من الملـــل

انتهى ماذكره الامام الماوردي ، وقصص الانبياء عليهم السلام فيما كابدوه من أممهم مذكورة في كتب التواريخ والتفاسير والسير بما لامزيد عليه •

فنقول للنبهاني : ألم يكن لصاحب (جلاء العينين) ووالده في ذلك أسوةحسنة وهل ينقصهم بغض الخصوم شيئا مما هم عليه من الشرف ؟ كلا •

من كان فوق محل الشمس رتبته ... فليس يرفعه شيء ولايضعه

وقد علمت أيها النبهاني ماكان من عاقبة أعداء الله وخصوم رسوله صلى الله عليه وسلم كيف فرق جمعهم ، وشتت شملهم ، ومحا ذكرهم ، وأذل قدرهم ، فاذا كان الله ورسله عليهم السلام كما ذكرنا فليس من الغريب أن يصادف ورثة رسـله ماصادفوا ، وماأحسن قول القائل :

قيـــل ان الاله ذو ولـــــد ... قيـل ان الرســول قد كهنـــا
مانجـــا الله والرسول معـــا ... من لســـان الورى فكيف أنـــا

(ويقال للنبهاني أيضا) أما سمعت ماقال الروافض في أصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم وما طعنوا به فيهم هل لحق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مما قالوه وافتروه نقص ؟ كلا ، بل رفع الله تعالى درجتهـــم بسبب بغض الروافض لهم وطعنهم عليهم ، وزاد الروافض بذلك بعدا عن الله ومقتا ، وباؤا بغضب منه ، وهكذا أعداء أهل الحق في كل عصر •

واذا أراد الله نشر فضيلـــة ... طويت أتاح لهـا لسان حســـود

واعلم ان ماينقله الروافض عن الصحابة من المثالب نوعان :

(أحدهما) ماهو كذب ، اما كذب كله واما محرف قد دخلـه من الزيـــادة والنقصان ماأخرجه الى الذم والطعن ، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب ، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأمثالهما من الكذابين •

(النوع الثاني) ماهو صدق ، وأكثر هذه الامور لهم فيها معاذير تخرجها عنأن تكون ذنوبا ، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي ان أصاب المجتهد فيها فله أجران وان أخطأ فله أجر ، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب ، وما قدر

من هذه الامور ذنبا محققا فان ذلك لايقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة ، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة ، ذكر ذلك الشيخ (في المنهاج) وبين الاسباب المزيلة للذنوب ، وذكر أصولا جامعة نافعة في هذا الباب ، وما ذكره صادق على أعداء علماء الدين وحفاظ الموحدين ، فان النبهاني وأضرابه الغلاة لم يزالوا يتكلمون بكلام موافق لكلام الروافض ، وهكذا الكلام في النواصب والخوارج وما كان منهم من التجاوز على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، ولم ينتقص به من قدر الامير شيء ، ولا لحقه وهن من ذلك ، وما تكلم به النبهاني وأضرابه في شأن خصومهم بالنسبة الى ماتكلم به أعداء الصحابة وخصومهم كنغبة من داماء ، وجرعة من بحر ماء ، فهو لايورث طعنا الا لجاهل منقوص ، ولا يؤثر في البنيان المرصوص •

(الوجه الثاني) أن يقال للنبهاني : ان ماكان من الطعن والبغض لمصنف (جلاء العينين) ووالده فهو لاشك من القبوريين الغلاة ، بسبب مالحقهم من هدم بنيانهم وابطال برهانهم ، لا لذنب صدر ولا لجناية لاتغفر ، بل اذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله ، فيجب على الانسان أن يكون في هذا الباب قاصدا لوجه الله متبعا لرسوله ، ليكون عمله خالصا صوابا ، قال تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [1] وقال تعالى : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا) [2] .

قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية : أخلص دينه وعمله لله ، وهو محسن في عمله ، وقال الفراء في قوله تعالى (فقل أسلمت وجهي لله) أخلصت عملي ، وهذا المعنى يدور عليه القرآن ، فان الله تعالى أمر أن لايعبد الا اياه ، وعبادته فعل ماأمر وترك ماحظر(والاول) هو اخلاص الدين والعمل لله (والثاني) هو الاحسان وهو العمل الصالح ، ولهذا كان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا ،واجعله

(١) البقرة : ١١١ ، ١١٢ – (٢) النساء : ١٢٥

لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا ، وهذا هو الخالص الصواب ، كما قال الفضيل بن عياض في قوله (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) قال أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر بمعروف ونهي عن منكر ، وهو من أفضل الاعمال الصالحة ، فيجب أن يبتغي به وجه الله ، وأن يكون مطابقا للامر ، وفي الحديث : (من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي أن يكون عالما بما يأمر به ، عالما بما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى عنه ، حليما فيما يأمر به ، حليما فيما ينهى عنه) فالعلم قبل الامر ، والرفق مع الامر ، والحلم مع الامر ، فان لم يكن عالما لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم ، وان كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذي لا رفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه ، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد ، وقد قال تعالى لموسى وهرون : (فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[1] ثم اذا أمر ونهى فلا بد أن يؤذى في العادة ، فعليه أن يصبر ويحلم ، كما قال تعالى : (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)[2] وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع ، وهو امام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، فان الانسان عليه أولا أن يكون أمره لله ، وقصده طاعة الله فيما أمر به ، وهو يحب صلاح المأمور أو اقامة الحجة عليه ، فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله ، وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطا ، ثم اذا رد عليه ذلك أو أو ذي أو نسب الى أنه مخطيء وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه ، وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه ، وربما اعتدى على ذلك المؤذي ، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة ، فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب اليهم ، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون

(١) طه : ٤٤ — (٢) لقمان : ١٧

الدين كله لله ، بل يغضبون على من خالفهم وان كان مجتهدا معذورا لايغضب الله عليه ، ويرضون عمن كان يوافقهم وان كان جاهلا سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد ، فيفضي هذا الى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله ، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله ، وهذا حال الكفار الذين لايطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا ، لاينظرون الى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله ، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس ، قال الله تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)[1] فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة ، اذا عرفت ذلك كله عرفت منشأ الذم والبغضاء من الغلاة لخصومهم في كل عصر ، فحينئذ يسقط كل ماذكره النبهاني في هذا الباب .

(الوجه الثالث) ــ وهو موضح للوجه الذي قبله وتتمة له ــ أن أصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله ، والموالاة لله ، والعبادة لله ، والمعاداة لله ، والاستعانة بالله ، والخوف من الله ، والرجاء لله ، والاعطاء لله ، والمنع لله ، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ، ونهيه نهي الله ، ومعاداته معاداة الله ، وطاعته طاعة الله ، ومعصيته معصية الله ، وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه فلا يستحضر مالله ورسوله في ذلك و لايطلبه ، ولا يرضى لرضى الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى اذا حصل مايرضاه بهواه ، ويغضب اذا حصل مايغضب له بهواه ، ويكون ــ مع ذلك ــ معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين ، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا بل قصد الحمية لنفسه وطائفته ، أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه ، أو فعل ذلك شجاعة وطبعا أو لغرض من الدنيا : لم يكن لله ولم يكن مجاهدا في سبيل الله ، فكيف اذا كان الذي يدعى الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، ومع خصمه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وكفر بعضهم بعضا ، وفسق بعضهم بعضا ، ولهذا قال الله تعالى فيهم : (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ . وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

---

(١) الانفال : ٣٩

اللهَ مُخْلِصِيْن لهُ الدِّينَ حُنفاء ويُقيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتوا الزَّكاةَ وذلِكَ دِيْنُ القَيِّمَةُ)[1] وقال تعالى : (كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً)[2] يعني فاختلفوا كما في سورة يونس ، وكذلك في قراءة بعض الصحابة ، وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين أنهم كانوا على دين الاسلام ، وفي تفسير عطية عن ابن عباس أنهم كانوا على الكفر ، وهذا ليس بشيء ، وتفسير عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس ، بل قد ثبت عنه أنه قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ، وقد قال في سورة يونس: (وَما كانَ النّاسُ إلّا أُمَّةً واحدَةً فَاخْتَلَفُوا)[3] فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقا .

والاختلاف في كتاب الله على وجهين ، (أحدهما) أن يكون كله مذموما كقوله : (وإنَّ الذيْنَ اخْتَلَفُوا في الكِتَابِ لفِي شِقَاقٍ بعيْدٍ)[4] (والثاني) أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل ، كقوله : (تِلْكَ الرُّسُلُ فضَّلْنَا بعْضَهُمْ عَلى بعْضٍ مِنهُم مَن كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بعضَهم دَرجاتٍ وآتينَا عِيْسى ابْنَ مَريَمَ البيِّناتِ و أَيَّدْناهُ برُوحِ القُدُسِ ولَو شَاءَ اللهُ ما اقْتَتَلَ الَّذيْنَ مِنْ بعْدِهِم منْ بعْدِ ما جَاءتْهُم البيِّناتُ ولكِن اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم من آمَنَ ومِنهُمْ مَنْ كَفَرَ ولَو شَاء اللهُ ما اقْتَتَلُوا ولكِنَّ اللهَ يفْعَلُ ما يُرِيْدُ)[4]

لكن اذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم ، كقوله :(وَلا يزالونَ مُخْتَلِفِيْنَ إلّا مَنْ رَحِمَ ربُّكَ ولِذَلكَ خَلقهُم)[5] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم) ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم ، قال الفراء : في اختلافهم وجهان : (أحدهما) كفر بعضهم بكتاب بعض (والثاني) تبديل مابدلوا وهو كما قال ، فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه، وهو تبديل مابدل ، فالاختلاف لابد أن يجمع

---

(١) البيّنة : ٤ ، ٥ ـ (٢) البقرة : ٢١٣ ـ (٣) يونس : ١٩ ـ (٤) البقرة : ١٧٦ ، ٢٥٣ ـ (٥) هود : ١١٨ ، ١١٩

النوعين .

ولهذا ذكر كل من السلف أنواعا من هذا : (أحدها) الاختلاف في اليوم الذي يكون فيه الاجتماع ، فاليوم الذي أمروا به يوم الجمعة فعدلت عنه الطائفتان ، فهذه أخذت السبت ، وهذه أخذت الاحد ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له ، الناس لنا فيه تبع اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى) وهذا الحديث يطابق قونه تعالى: (فَهَدَى اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيْهِ مِنَ الحَقِّ بِإذْنِه)[1] وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول : (اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفوا فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم) .

والحديث الاول يبين أن الله تعالى هدى المؤمنين لغير ما كان فيه المختلفون ، فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، وهو مما يبين أن الاختلاف كله مذموم .

(والنوع الثاني القبلة) فمنهم من يصلي الى المشرق ، ومنهم من يصلي الى المغرب ، وكلاهما مذموم لم يشرعه الله تعالى.

(والثالث ابراهيم) قالت اليهود كان يهوديا ، وقالت النصارى كان نصرانيا ، وكلاهما كان من الاختلاف المذموم :(مَا كَانَ ابراهِيْمُ يَهُودِياً ولا نصْرانياً ولكِنْ كَانَ حَنيفاً مُسْلِماً وما كَانَ مِنَ المشْرِكِيْنَ)[2]

(والرابع عيسى) جعلته اليهود لعبة ، وجعلته النصارى إلها ، تعالى الله عن افكهم علوا كبيرا .

(والخامس الكتب المنزلة) آمن هؤلاء ببعض ، وهؤلاء ببعض .

(والسادس الدين) أخذ هؤلاء بدين وهؤلاء بدين .

(ومن هذا الباب) قوله تعالى : (وَقالت اليهُود ليْست النَّصارَى على شَيءٍ، وقالت النَّصاري ليْسَتِ اليَهُود على شَيءٍ)[3] وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه

---

(١) البقرة : ٢١٣ - (٢) آل عمران : ٦٦ - (٣) البقرة : ١١٣

قال : (اختصمت يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، ولايدخل الجنه الا من كان يهوديا ،وكفروا بالانجيل وعيسى ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وكفروا بالتوراة وموسى فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي قبلها) •

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط ، فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء ، والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء ، والقدري النافي يقول ليس المثبت على شيء ، والقدري الجبري المثبت يقول ليس النافي على شيء ، والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء ، والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء ، بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الاصولية والفروعية المنتسبين الى السنة ، فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء ، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء ، والاشعري يقول ليس السالمي على شيء ، والسالمي يقول ليس الاشعري على شيء ، وصنف السالمي كأبي علي الاهوازي كتابا في مثالب الاشعري ، وصنف الاشعري كابن عساكر كتابا يناقض ذلك من كل وجه وذكر فيه مثالب السالمية ، وكذلك أهل المذاهب الاربعة وغيرها ، لاسيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الاصولية وخلط هذا بهذا ، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب الشافعي ومالك وأحمد شيئا من أصول الاشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه الى مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئا من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية ويضيفه الى مذهب أبي حنيفة ، وهذا من جنس الرفض والتشيع ، لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماء لاتشيع في تفضيل بعض الصحابة •

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لاشريك له ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يدور معه على ذلك ويتبعه أين وجده ، ذكر ذلك كله الشيخ ، ثم انه أطال الكلام وأتى بما تلتذ به المسامع والافهام •

فما ذكره النبهاني ونقله عن دعواه من بعض المكيين هو من هذا القبيل ، فان كل أحد يتعصب لما تمذهب به ويتشيع لأقوال أئمته ومتبوعيه فلا شك أن الغلاة القبوريين هم أعدى الناس لمن تصدى لابطال أقوالهم ورد مذهبهم ،ومن المعلوم أن مصنف (جلاء العينين) وسلفه داروا على الحق وتبعوه ، حيث قصدهم توحيد الله بعبادته وحده لاشريك له ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يلتفتوا الى

ماخاض به الخصوم ، قال تعالى : (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[1]

ومن ظن ممن يلاقي الحروب أن لايصاب فقد ظن عجرا

ومن كان قصده رضى الله عنه والفوز بثوابه والخلود بنعيمه لم يلتفت الى أقوال الناس ، فقد سبق لك ما كان من الفرق الاسلامية وغير الاسلامية ، بل وأتباع المذاهب بعضهم مع بعض ، ولولا ضيق المقام لذكرنا بعض أقاويلهم في مخالفيهم ، وما أحسن قول القائل :

فياليت ما بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

(الوجه الرابع) أن النبهاني لم يصرح بما سمعه من الطعن والقدح حتى تتكلم عليه ، والظاهر أن ذلك مايقوله بعض غلاة العراقيين كابن جرجيس وأتباعه من أنه كان على طريقة الوهابيين ، وسبب ذلك أن ابن جرجيس هذا كان من غلاة الشافعية فاعترض على عبارة في كتاب (الطراز المذهب) لوالد مصنف جلاء العينين ، وافرد للاعتراض رسالة هذى فيها بما تمجه الاسماع مما يتعلق بالاستغاثة والاستعانة ودعاء غير الله ، فرآها صاحب جلاء العينين بعد وفاة والده ــ وهو اذ ذاك شاب ــ فكتب على تلك الرسالة ردا ألقمه به حجر السكوت ، وسماه (شقائق النعمان ، على شقاشق ابن سليمان) يعني به داود بن جرجيس بن سليمان العائي ، وكان من الجهل على جانب عظيم ، ومن التجاسر على التحريف والتدليس ، مايعجز عن مثله ابليس ، وقد فضحه الله تعالى بهذا الرد ، وقد قرظ عليه العلماء ، منهم الفاروقي شاعر عصره بقوله :

شقاشق ابن سليمان أصخت لها سمعا فاسمعني تعبيرها القججا
ومن شقائق نعمان عليه بها مامنه أظهر عن افصاحه البججا

(وقال أيضا)

مزامير داود النبي لنا بها غنى عن سماع في شقاشق داود
فدع عنك يانعمان رد اعتراضه ولا ترمه اذ جاء يعوي بجلمود

(وقال أيضا)

شقاشق لابن سليمان قد حكت غداة الطعن يوم الكفاح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

---

(١) الانعام : ٩١

وداود هذا هو الذي قال في كتابه صلح الاخوان أو غيره ـ بعد أن ذكر عدة شبه من شبهه على جواز التوسل بسائر الحيوانات واثبات الجاه الكثير لجملة من الجمادات ـ وأعظم من ذلك وأوضح دلالةماذكره الفقهاء في باب الاستسقاء للتوسل بها الى الله تعالى ، وقال أيضا : لايخفى عليك مما قدمنا أن التوسل بالجمادات والحيوانات قد وقع في الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة عن الصحابة والتابعين ، والسلف الصالحين ، مما يضيق عنه نطاق الحصر ، انتهى .

وكان لم يزل يهذي بمثل هذا الهذيان الى أن أهلكه الله ، ومصنف جلاء العينين كان سيفا في عنقه ، كم قد بحث معه فألقمه حجر السكوت ، فكان هذا الزائغ وشيعته لم يزالوا يذكرونه بالالقاب المنكرة،فيقولون أنه وهابي ومنكر ونحو ذلك.

وكان من المنقمين عليه الحاسدين له من أهل بلده آل جميل ، وهم كلهم جهلة لايميزون بين يمينهم وشمالهم ،لا دين لهم ، ولا يصلون ،ولا يصومون ، ولايزكون، ولا يؤدون فرضا من فرائض الله ، وكان دأبهم السعي على المسلمين ، والتزوير والافتراء والدعاوى الكاذبة ، ومع ذلك كانوا يتزيون بزي العلماء ، وهم أجهل الناس ، وكانوا من أعظم الخصوم لمصنف جلاء العينين ، وأشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ولم يزالوا يسعون به الى الحكومة ، ويفترون عليه أمورا لم تخطر ببال أحد ، حتى ابادهم الله وأهلكهم ، ولم يبق منهم اليوم على ما أعلم الا بعض أطفال وسفهاء أحلام ، ولا شك أن الله تعالى ينتقم من أعداء رسله وورثة أنبيائه ، ولولا ضيق المقام لبسطنا الكلام في أحوال هذه العائلة الخبيثة ، فاني قد بلغني مفصل أحوالهم وما قال فيهم شعراء بلدهم ، وهم أيضا من أهل عانات ، ثم سكنوا بغداد ، وقبل سنين ادعوا النسب القادري فكذبهم أهل بغداد في مجلس انعقد في حضور والي البلد ، ورأوا يومئذ من الخزي ماهمأهل له ، ومن جملة من شهد عليهم بذلك مصنف جلاء العينين وغيره من أكابر البلد وعلمائها ، فعادوا كل من شهد عليهم .

والحاصل : أن أعداء أهل الحق كثيرون ، وأزهد الناس بالعالم جيرانه وأهل بيته ، كما ورد في ذلك الخبر الصحيح ، ولعل المكي الذي تكلم بما تكلم في شأن مصنف جلاء العينين ووالده كان ابن دحلان أو بعض شيعته ، فقد كان أيضا من أعظم الناس غلوا في دعاء المخلوقين ، وقد تكلم في كتابه على والد مصنف جلاء العينين في نقله عن القدوري في مسألة سؤال الله بأحد من خلقه وكذب نقله حسدا من عنده أو جهلا منه ، والا فمن له أدنى المام بالعلم يعرف صحة ذلك النقل ، وهو مذكور

في كتابه بعبارة صحيحة على ماسبق ، والعالم الجليل لايخلو من حاسد وخليل ، بل ترى كثيرا من الناس أخلاء ، وهم في الحقيقة خلاء ، وأجلاء وهم عند التأمل لاخلاء ولا ملاء ، يظهرون الصلاح والوداد ويخفون ــ أخفاهم الله تعالى ــ العداوة والفساد ، فلا فرج الله عنهم هما ، ولا حمد لهم بين الانام اسما ، و لاحسن لهم حالا ولا أصلح لهم مآلا •

كل خليل كنت خاللته　　لاترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب　　ماأشبه الليلة بالبارحة

حسدوا فذموا ، ومن يغب عن أبصارهم غابوا ونموا ، ولا بدع فالكريم اذا غاب غيب ، واذا هاب هيب ، على أن في ذمهم شهادة بالكمال ، واثباتا لمزيد الفضل والافضال ، فزادهم الله تعالى حسدا ، وأماتهم كدرا ونكدا ، وماأحسن ماقال القائل :

أيها الحاسد المعد لذمي　　ذم ماشئت رب ذم كحمد

لافقدت الحسود مدة عمري　　ان فقد الحسود أخبث فقد

كيف لا أوثر الحسودبشكري　　وهو عنوان نعمة الله عندي

هذا وشرح الكلام لايسعه أمثال هذا المقام •

وبالجملة : ان من ذمه الله ورسوله فهو المذموم ، ومن رضيا عنه فهو المرضي ، ومن حكما بعدالته فهو العدل •

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في أثناء كلام له : ان الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الاحكام التي يستقل بها العقل ، فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا ، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا ، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلما ، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا ، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم ، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة ، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها ، والواجب من الصلاة والصيام والصدقة والحج ماأوجبه الله ورسوله ،والمستحقون لميراث الميت من جعلهم الله ورسوله وارثين ، والذي يقتل حدا أو قصاصا من جعله الله ورسوله مباح الدم بذلك ، والمستحق للفيء والخمس من جعله الله ورسوله مستحقا لذلك ، والمستحق للموالاة والمعاداة من جعله الله ورسوله مستحقا للموالاة والمعاداة ، والحلال ماأحله الله ورسوله ، والحرام ماحرمه الله ورسوله ، والدين ماشرعه الله

ورسوله ، فهذه الأمور كلها ثابتة بالشرع ، انتهى •

فما قاله النبهاني ان صدق فيه فهو مما لايلتفت اليه ، وقد ذكرنا ماكان عليه مصنف جلاء العينين ووالده من صحة العقيدة ، وصدق النية ، واتباع السنن ، والعمل بما شرعه الله من الاحكام والسيرة السلفية ، والذب عن الدين ومخاصمة أعدائه ، والرد على خصومه ، وكل ذلك مما جعله الله ورسوله من أدلة النجاة وقبول العمل، والتزكية لديه ، والعدالة المرضية عنده ، وأقوى برهان على الرضوان والفوز بالجنان والنجاة من النيران ، ثم بعد هذا يقال وقد راعى القائل مقتضي الحال :

قل للذي يذكرني بين الملا من البشر
من قال خيرا يلقه ومن يقل شرا فشر

نعم ان النبهاني أبهم جرحه وأخفى قدحه ليهول به على السامعين ويعظمه على المطالعين ، ومن شدة الظهور الخفاء كما هو شأن الشمس في وسط السماء ، وقد قيل لابد للود والبغضاء من سبب كما هو المعلوم لذوي الأدب ، وذلك هو الذي لم يزل يكرره في كلامه ألا وهو الانتصار لابن تيمية في اختياراته وفي مسألة منعه من اعمال المطي لزيارة القبور الذي دل عليه الحديث الصحيح ، وهذا هو الذنب الذي لايغفر ، والعيب الذي لايستر عند النبهاني وأضرابه ، والقائل به مجروح، والمنتصر له مقدوح ، ومن المعلوم لدى المنصفين الواقفين على مقاصد الشرع المبين : أن ذلك لايستوجب الكلام الفظيع ، والقدح الشنيع ، بعد أن تبين أن هذه المسائل هي أعلى مقاصد الدين ، وأنها ثابتة بالنصوص القرآنية وسنة سيد المرسلين ، وقد علمت أن مدار المدح والقدح على الشريعة الغراء ،فنسأله سبحانه الرضوان والعفو يوم الجزاء•

(الوجه الخامس) قد صح في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أنتم شهداء الله في الأرض) وقال : (يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا : بم يارسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيء) فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار ، وكان أبو ثور يقول : أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة ويحتج بهذا ، وهذا على قول من يقول يشهد بالجنة لمن شهد له المؤمنون ، ولكل مؤمن جاء فيه نص ، ومنهم من لايشهد بالجنة لأحد الا للأنبياء ، وهذا قول محمد بن الحنفية والاوزاعي ، ومنهم من يقول يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص ، وهذا قول كثير من أهل الحديث ، فهذه ثلاثة أقوال لهم في الشهادة بالجنة ، والكلام عليها مفصل في غير هذا الموضع ، والقول الاول هو المشهور ، وعليه قول

جماعة من الجمهور ، فاذا كان الثناء الحسن والحمد والمدح مما يعلم به عدالة من أثني عليه وحمد ومدح وأنذلك دليل على القبول عند الله والفوزبرضوان الله تعالى والفوز بجنانه علمنا بذلك أن مصنف (جلاء العينين) ووالده كانا ولله الحمد من خيار عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، فقد رأيت كتابا بمجلدين ضخمين ألفه بعض فقهاء شافعية بغداد في مناقب العلامة المفسر الشهير صاحب تفسير روح المعاني قدس الله روحه ، سماه مؤلفه (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود) ذكر فيه مؤلفه نسب المترجم وما حصلهمن الفنون والعلوم ، وماجرى له من المباحث والمناظرات مع علماء عصره ، وما وردته من دقائق المسائل ، وما أجاب به عنها ، وما ورد له من الكتب والرسائل من الاقطار والبلاد ، وما قالته الشعراء فيه من المدائح ، وما صادفه مدة عمره من التبجيل والاحترام من أهل السنة ومشاهير اتباع المذاهب ، وما رثاه به العلماء والادباء والشعراء المفلقون نظما ونثرا مما لم يصادف مثله في هذه العصور ، وذكر مشائخه ومن أخذ عنهم من المشائخ ومن أخذ عنه ، وما له من المصنفات وبدائع المحررات ، وما كان عليه من التقوى والورع والجد في العبادة والمجاهدة في الدين والذب عنه ، وغير ذلك مما يدل دلالة صريحة على أنه كان من أكابر العلماء العاملين ، وعباد الله الصالحين ، رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن كافة علماء المسلمين •

وقد قرظ هذا الكتاب ــ أعني حديقة الورود ــ جمع من أدباء العصر ، ومشاهير الشعراء ، منهم الشاعر الشهير ، ومن عزله النظير ، الاديب الفاروقي عليه الرحمة بقوله :

وغادة قد أكسبت عادة	مهما تقل فانها صادقة
وانها مثل حذام بما	تقوله أولو النهى واثقة
فصيحة مستعذب لفظها	أشعارها جزيلة رائقة
أبو الثنا مفتي الورى كفوها	ليست لحبر غيره لائقة
وكم له من شيمة أصبحت	شمس السنا لحسنها عاشقة
وفيك يامحمود قد أرخوا	ترجمة أحبب بها فائقة

وقد أرخها أيضا الاديب الاريب الشيخ عبد الحميد الاطرقجي أحد شعراء العراق بقوله :

حديقة قد صدحت أطيارها	باسم الشريف السيد محمود

ومن يداه سفحت أنهارهـــا اذ هي قاموس الندى والجود
ومن نداه لقحت أشجارهـا وأثمرت باللؤلؤ المنضـــود
ومن شذاه نفحت أزهارهـا طيبا كأنفاس أريج العـــود
ومن سناه لمحت أقمارهـــا نورا سرى في سائر الوجــود
أنبتها مفتي الورى حتى غدت بالحسن تحكي جنة الخلــود
واقتبست من طبعه فارخــوا طبعــا زهت حديقــة الورود

وأرخها أيضا واحد الشعراءالاديب الفاضل السيد شهاب الموصلي عليه الرحمة بقوله :

طلعت في أوج مجد طلعـــة فارتني الشمس منهـا مغرمة
فتنتني والــذي صـــورها من جمــال منه روحي هائمة
عللتنــي بكــلام لـــين ينعش ويحيـــى رممـــه
وأشارت وسنـــاها ساطـع في شهاب الدين أسنى ترجمه
هـــي أم للاغاني صـــيرت نزهة الدنيا لديهـــا كالأمــة
روضة غناء يزهو زهرهـــا من معان في عــلاه عائمـــة
لربيــع الفضل فيهـا بهجــة تشــرح الصدر وتبري سقمه
أنبتت من كل مــدح رائــق قد سقــاه بالعطايا الدائمــة
حاتمي الجود وكفـا كفــه راح يروي عن عطاه عكرمــة
حيدر والـــده ان ينتمـــي أمــة الزهراء حقـا فاطمــة
خصــه الله بمعنـــى جاذب لقلوب الناس حبـــا ألزمــه
خف روحا ورجيح فضـــله لايوازي الشعر قدرا قيمــه
وافــق الغيب ســـدادا رأيه يحسم الخطب ويمحو ظلمــه
والفتاوى وجدت أحكامهـــا منذ شدت في عراه المحكمــة
قد أعـــز الدين علما وتقى وأذل الجهل حتى أعـــدمه
عالــم الدنيـــا اليــه يلتجي كــل علم حيث أضحى علمــه
والصدور العلما قد أرخــوا أصدر المحمود نعــم الترجمة

الى غير ذلك من تقاريظ أكابر العلماء وأفاضل العصر مما لو جمع لكان سفرا كبيرا ٠

ولما كان كتاب (حديقة الورود) مطنبامفصلا جدا : لخصه أجل تلامذة المترجم،

وأحد العلماء الاعلام ، شيخ الكل في الكل ، الشيخ عبد السلام ، أحد أكابر الشافعية في بغداد ، درس نحو خمسين سنة في المدرسة القادرية ، وكان جنيد زمانه صلاحا وعفة وديانة ، وعمر مايزيد على ثمانين سنة ، وله التصانيف المفيدة ، وسمى رحمه الله تعالى مالخصه (أريج الند والعود ، في ترجمة شيخنا العلامة أبي عبد الله شهاب الدين السيد محمود) ، وهذه خطبة كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المحمود بكل لسان ، الموصوف جل شأنه بفنون المحامد وصنوف الاحسان ، والصلاة والسلام على أكمل الخليقة ، ومن غدا شريف مدحه مجازا للوصول الى عين الحقيقة ، وعلى آله وأصحابه المترجمين بألسنة سيوفهم عن الحق المبين والمتأدبين بآدابه .

(أما بعد) فيقول العبد المفتقر الى خفي الالطاف ، مدرس الحضرة القادرية عبد السلام المنتمي الى الشواف ، ان كتاب (حديقة الورود ، في ترجمة حضرة شيخنا العلامة أبي الثناء شهاب الدين محمود) وان تضمن من أزهار مدائحه قدست روحه كل منقبة عالية ، وتكفل من نشر أريج فضائله بكل فضيلة غالية ، قد انتظمت في سلكه الدراري والدرر ، وأزهرت في رياضه ورود البلاغة ولا زهر الخمائل غب المطر ، من نظم رق وراق ، ونثر سما وفاق ، قد اعتصر من عناقيد الابداع ، فلم يتفق مثله في عصر ومصر من حقائق الاختراع ، فانتشى به عقل الدهر ، غير أنه لطوله لايقف الناظر فيه على مجمل خصال الممدوح ، ولا يتضح للواقف انموذج شمائل المترجم كمال الوضوح ، فأحببت أن أحرر شريف ترجمته على سياق التراجم المعتادة في كتب التواريخ على سبيل الاجمال ، وأكتب في هذه الأوراق ملخص فضائله على طرز بيان فضائل الفضلاء بموجز من المقال ، ولعمري أني لاأقدر أن أؤدي مايليق بشأنه ، والحري بعلو قدره وعرفانه .

ولو أن ثوبا حيك من نسج تسعة وعشرين حرفا في علاه قصير

فنظمت هذه العقود ، وقلت غير مكترث بحسود ، متوكلا على ذي الكرم والجود : ان شيخنا — طيب الله ثراه ، وجعل الفردوس الاعلى مستقره ومثواه — هو المولى الحبر ، ذو الفضل الممدود ، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود ، نجل الفاضل النقي ، والزاهد التقي ، الحليم الاواه ، مولانا السيد الحاج عبد الله ، نجل الطيبين الطاهرين بلا اشتباه ، حتى تنتهي سلسلة نسبه الشريف الى حضرة جده الاعلى سيد العالمين ، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين الى يوم الدين ، وقد كان عليه الرحمة آية من آيات الله في جميع العلوم ، وأعجوبة من عجائب الدهر

في المنطوق منها والمفهوم ، علامة دهره في المعقول والمنفول ، وفهامة عصـــره في الفروع والاصول ، الى آخر ماقال من العبارات المزرية بعقود اللآلىء ، وهي رسالة مفيدة ، حوت على اختصارها المسائل الفريدة ، وقد ترجمه كثير من الفضلاء ، وأثنوا عليه بأحسن الثناء •

(وأما ولده مصنف جلاء العينين) رحمه الله تعالى ففضله مشهور ، وعلم علمه على كاهل الاعلام منشور ، وفي الاقطار والبلاد مذكور ، ومن المعلوم لدى كل أحد أن ماء الورد من الورد ، والشبل في المخبر مثل الاسد ، وقد ترجمه كثير من الافاضل والادباء وأثنوا عليه خيرا ، وبلغني أنه قد جمع ماورده من المدائح الشعرية والمقالات النثرية وما كان من ثناء أفاضل عصره من أهل مصره وغير مصره في مجموع مفرد ، ليس له ثان في العدد ، ولو كنت ظفرت به لنقلت منه ماتتحلى به المسامع والافواه ، وتلتذ بذكره الالسنة والشفاه ، وذلك ماعدا ماقرظوا به كتبه ، كتقاريظ الشقائق ، وجلاء العينين ، وغالية المواعظ ، والقول الفسيح في الرد على عبد المسيح مجلــدين ضخمين في الرد على النصارى ، وغير ذلك من المآثر الحميدة ، والمناقب السديدة ، مما يضيق عنه نطاق البيان ، وتكل من نقله البنان •

وبالجملة : فما كان من ثناء العدول الثقاة على مصنف جلاء العينين ووالـــده أوضح دليل على أنهما كانا من المقبولين عند الله تعالى ، وأنهما من العدول الاخيار وقد نفع الله بكتبهم الامة وانتشرت في جميع بلاد المسلمين ، كمـــا هو مشـــاهد ومحسوس لدى كل منصف ، مع أنا في عصر ركدت فيه ريح الفضــل ، وانصرفت أفكار كثير من الناس عن الفضائل الدينية ، والكمالات الايمانية ، بل ان من أنصف اعترف أن ليس في العراق من بيوتات العلم غير بيتهم ، فابناء هذا البيت اليوم قــد قام على مآثرهم فسطاط الدين في العراق ، كما يدلك على ذلك ماانتشر من مصنفاتهم وآثارهم الجيدة ، نعم نرى في العراق كثيرا من أهل العمائم غير أنهم أعظم بلاء على الدين المبين ، وما أحسن ما قال القائل من أفاضل الاماثل :

لاتغرنك اللحى ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقر
في شجر الســرو منهم شبــه له رواء وما لــه ثمــر

وليس في بلدهم من يطاولهم في فن من الفنون ، وكلهم مكبون على تحصيــل العلم ونشره ، معرضون عن الدنيا وزخارفها ، ليسوا بمنهمكين عليها كغـيرهم من المنتسبين الى العلم •

(والحاصل) أنهم وأسلافهم ممن يفتخر بمثلهم أهل الانصاف من فضـــلاء المسلمـين •

(قال الفاروقي) رحمه الله تعالى في كتابه (العقود الجوهرية) بعد أن ذكـر ترجمة بعض أفاضلهم : اعلم أن هذا البيت لاتجري فيه سفن لـو أن وعسى وليت •

بيت من المجد شادوه على كرم — وبالمجرة مدوه على طنب

أما والده ـ يعني المفسر الشهير صاحب روح المعاني رحمه الله ـ فكـان في الزوراء واسطة عقد الفضلاء والبلغاء ، وناديه مجتمع العلماء والادباء ، حيث كانت له صلابة في الدين ، وحزم في لين ، وايمان في يقين ، وحرص في علم ، وعمل في حلم ، وقصد في غنى ، وخشوع في عبادة ، وتجمل في فهم ، وصبر في شدة ، وطلب في حلال ونشاط في هدى ، وتحرج عن طمع ، قرأت عليه بعضا من المنطق والنحو وغير ذلك ومدحته بعدة قصائد ، هي لجيد الزمان قلائد ، وكاتبني وكاتبته لما كان في بلدةفروق مكاتبة الشائق الى المشوق ، وذكر جملة ذلك في رحلته (نشوة الشمول ، في السفر الى اسلامبول) وكتاب (نزهة الالباب ، في الذهاب والاقامة والاياب) وذكرها الغير في كتاب (حديقة الورود ، في مناقب أبي الثناء شهاب الدين محمود) فكم قطفت من شقائق نعمانها ، مايفوق من الرياض على ريحانها ، وأما أبناؤه فرحم الله الماضي منهم ووفق الباقين الى مافيه صلاح الدنيا والدين ، فانهم بحمد الله كالحلقة المفرغة لايدري أين طرفاها ، وكعز الى السماء لاتميز منها فاها •

أيا لقيت تقل لاقيت سيدهم — مثل النجوم التي يسري بها الساري

واني كنت معهم في حياة والدهم رحمه الله وبعد وفاته خلا وفيا ، وحبيبا صفيا، آنس بهم كما يأنسون بي ، وأستر بقربهم مثل مايسترون بقربي ، أستنشـــق من محادثتهم ريح الكمال ، وأقرط آذاني [1] بما تنشر أقلامهم من الدراري وشفاههم من الاقوال ، ولا زلت أجتمع بهم في بغداد ، وأفرج برؤيتهم غمتي في ذلك الناد ، كما أن المترجم اليوم في القسطنطينية تهزه لعلو المقام هاتيك الأريحية ولا برحت هنا أيضا أنزه ناظري بتلك الطلعة الزكية ، والغرة الهاشمية ، لازال قطبا تدور عليه رحى أفاضل العصر وأكابر كل مصر ، انتهى •

فهل سمعت أيها الشيخ النبهاني ماتلوناه عليك ، وقدمناه بين يديك ، فأين بقي قولك الباطل ، وكلامك العاطل ، فماأنت والعلماء الاخيار ، وما أنت والسادة الابرار،

---

(١) ـ القرط هو الشنف ونحوه يجعل في الاذن ، أي أجعل ذلك عالقا في أذني كالقرط •

أما بلغك ما قيل رحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ؟ أما سمعت من حملة العلوم أن لحم العلماء مسموم ؟ فما جوابك اذا قال قائلهم :

الى حكم أشكو ظلامة معتد هو العدل كم أردى ظلوما وجندلا

ثم ان الذي أوجب تطاول النبهاني انحطاط العالم الاسلامي – والامر لله تعالى – الى ماتراه العيون ، مما كنا نظن أن لايكون ، فتنة بعد فتنة بعد أخرى وبلاء بمثله مقرون ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى : (قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلى أَنْ يبعَثَ عَلَيكم عَذَاباً مِن فوقِكُم أَو مِنْ تَحتِ أرجُلِكُم أَو يَلبِسَكُم شِيعاً ويُذِيق بعْضَكُم بأْسِ بَعْضٍ انظُرْ كَيف نُصَرِّفُ الآياتِ لعَلَّهُم يَفقَهُون)[1] ان المراد (بفوقكم) أي الامراء السوء ، وبقوله (أو من تحت أرجلكم) أي من قبل سفلتكم فتطاول السفلة والسفهاء على أخيار العلماء هو من علامات غضب الله على عباده ، فلهذا كان من النبهاني ما كان ، مع ماهو عليه من الغرور والجهل ، وظنه أنه قد خلا له الجو .

واذا ماخلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزالا

وقد جرت عادة الله تعالى بمثل معاداة النبهاني وأضرابه لأهل الحق ، ولذلك أنزل الله تعالى في تسلية رسوله صلى الله عليه وسلم قوله عز اسمه : (وكَذَلكَ جَعَلْنا لِكلِّ نَبيٍّ عدُواً شَياطِينَ الإنس والجِنِّ يُوحِي بعضُهم الى بعْضٍ زُخْرُفَ القَولِ غُرُوراً ولو شاء ربُّكَ ما فعلوهُ فذَرهم وما يفْترونَ)[1]

وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عداوةقريش وما بنوا عليه من الاقاويل والافاعيل ماهو مذكور في غير هذا الموضع ، وزخرف القول هو المزوق من الكلام الباطل ، والعدو بمعنى أعداء كما في قوله :

اذا أنا لم أنفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي

وتمام الكلام على الآية في موضعه .

وقد فرغنا من الكلام على ماقاله النبهاني في كتب الشيخ ابن تيمية ، وابن القيم، وابن عبد الهادي ، وجلاء العينين ، وما انتقد به عليها ، وبقي كلام طويل أعرضنا عن

(١) الانعام : ٦٥ ، ١١٢

ذكره في هذا المقام طلبا لاختصار الكلام .

ولو كان هذا موضع القول لاشتفى غليلي ولكن المقال مواضع

(ذكر من ألف في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية)

اعلم أن ما كان من النبهاني وغيره ـ ممن هو على شاكلته ـ من القدح والاعتراض على أولئك العلماء الأجلة ـ بسبب انتصارهم لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، وتوجيههم لكلامه ، ورد اعتراضات الخصوم والذب عنه ـ ظنا منهم أن المنتصرين للحق وأهله هم الذين عرفوهم من أناس معدودين ، وليس الامر كما زعموا ، بل ان في كل عصر أناسا يعرفون الحق وبه يعدلون ، تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم : (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم) . وهؤلاء هم حفظة الدين ، وخصوم المبتدعين ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين .

(ثم ان) المنصفين من أهل العلم في كل عصر لايحيط بهم نطاق الحصر ، ونحن نذكر منهم بعض من وقفنا على قوله في شيخ الاسلام ، وما رآه فيه من الأحكام ، ليعلم المنصف أن مصنف جلاء العينين ليس بدعا فيما صنفه حتى صار غرضا لسهام ملام النبهاني وأمثاله من الغلاة ، وفتحوا عليه أفواها كأفواه الكلاب عند التثاؤب ، بل كم قد سبقه من امام همام ، وعلماء أعلام ، وهانحن ذاكرون بحوله تعالى منهم بعض الاكابر ، الذين تعقد عند ذكرهم الخناصر ، ليتحلى عاطل جيد هذا الكتاب بدرر مالهم من المناقب والمآثر ، وغرر ماكانوا عليه من المفاخر ، فنقول : (منهم قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي رحمه الله) وهو الامام العالم العلامة الحافظ المتقن شيخ العصر ، أستاذ الدهر ، محدث زمانه ، المتفرد بالرواية والدراية ، حجة الله على المعاندين ، وآيته الكبرى على المبتدعين ، شرح صحيح الامام البخاري بشرح لم يسبق له نظير في شروحه ، مع ماكان له من المصنفات المفيدة ، والآثار السديدة ، تولى القضاء في مصر ، وبنى مدرسة عظيمة بالقرب من جامع الازهر ، وأنشأ فيها خزانة كتب وضع فيها كتبا نفيسة في فنون مختلفة ، وكان مشغولا بالتأليف والتدريس ، وكانت وفاته سنة اثنتين وستين وسبعمائة للهجرة ، وله

غير شرح البخاري شروح على بعض المتون المشهورة ، وله كتاب الطبقات في علماء الحنفية ، وهو كتاب جامع لاحوالهم وتراجمهم ، واختصر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ، وله أيضا تاريخ مفيد .

(وبالجملة) كان رحمه الله من مشاهير عصره علما وزهدا وورعا ، وممن له اليد الطولى في الفقه والحديث ، وقد أسف المسلمون على فقده ، وهو الحري بقول القائل :

واني لمعذور اذا مابكيته	بأكثر من قطر الغمام وأغزر
ولي عبرة لم ترق عند ادكاره	كما لي فيه عبرة المتفكر
وقد كان لم يحجب سناه بحاجب	ولم تستتر أضواؤه بمستر
فوا أسفي ان كان يغني تأسفي	وواحذري ان كان يغني تحذري
وكنت أراني في النوائب صابرا	فاعدمني صبري فأين تصبري
واني لمقبول المعاذير في الأسى	ومن يعتذر مثلي الى الصبر يعذر

وكان رحمه الله تعالى محبا لعلماء الحديث وحفاظ السنة النبوية ، لاسيما لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، فقد أثنى عليه الثناء الجميل ، وذكر له مناقب جليلة ، وذب عنه ، وخاصم من بغى عليه واعتدى ، وله تقريظ بديع على كتاب (الرد الوافر) أثنى فيه على الشيخ بما يليق بجلالة قدره ، ويكفي دليلا على جلالة قدر الشيخ ، وأنه من أكابر أئمة أهل السنة : شهادة مثل هذا الامام ونظرائه من حفاظ الانام رحمة الله عليهم أجمعين ، وقد أثنى على الشيخ ابن تيمية ثناء لامزيد عليه ونوه بشأنه وأطنب في بيان مناقبه ،ومن ذلك ماكتبه على كتاب (الرد الوافر) في مناقب الشيخ أيضا ، وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) ان أضوع زهر تفتق عنه أكمام ألسن الانام وأبدع ذكر يعبق منه طيب الافهام حمد من أجرى ماء التبيان في عود اللسان لحمل ثمار المعاني والبيان ، وكشف ضياء الاوهام بشمس الحقائق ، وأبان مافي القلوب بأقمار الدقائق ، وأشرع أسنة الخواطر والأفكار ، بأيدي أنوار البصائر والأبصار ، الى ثغر العلوم والاخبار ، وأقلع عنا بنسائم ألطافه عجاجة الظنون والشكوك ووقع لنا مناشير الصدق في السلوك وأراحنا في ركوب أعناق الكلام من العثرات والملام ، وأزاحنا عن الوقوع في تيار العبرات انه ولي الانعام ، وعصمنا من سلوك مسالك لايؤمن فيها العثار ، ومحالات تستحيل فيها الاعذار ، والصلاة والسلام على من

ختمت به النبوة والرسالة ، المخلوق من طينة الفصاحة والبسالة ، الذي أصعدته ذروة الملكوت وأعطته الكتاب ، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب ، محمد المصطفى المستأثر بالشفاعة يوم الحساب ، وعلى آله الذين استأسدوا في رياض نبوته وأصحابه الذين تقلدوا بسيوف النصرة في دعوته ، وعلى علماء الامة الذين استظهروا على صدمات الدهر وصولته ، بنزع ألسنتهم من تفويق سهام الطعن الى أغراض العصبية ، واقلاع أسنة خوضهم في أعراض الانفس الابية ، فلذلك صاروا أنجما للاهتداء ، وبدورا للاقتداء ، فأجدر بهم أن يفوه لهم بمشايخ الاسلام ، وأنصار شرائع خير الانام •

وبعد ، فان مؤلف كتاب (الرد الوافر) قد جد في هذا التصنيف البديع الزاهر، وجلا بمنطقه السحار الرد على من تفوه بالاكفار على علماء الاسلام ، والأئمة الأساطين الأعلام ، الذين تبوؤا الدار في رياض النعيم ، واستنشقوا رياح الرحمة من رب كريم ، فمن طعن في واحد منهم أو نقل نقلا غير صحيح قيل عنهم فكأنما نفخ في الرماد ، أو اجتنى من خرط القتاد ، وكيف يحل لمن يتسم بالاسلام أو يتنسم نسمة من علم أو فهم أو افهام : أن يكفر من قلبه عن ذلك سليم بهيج ، واعتقاده لايكاد الى ذلك يهيج ، ولكن من لم يوازنه طبعه في القريض لم يزل يجد العذب مرا كالمريض ، والعائب لجهله شيئا يبدي صفحة معاداته ، ويتخبط خبط العشواء في محاوراته ، وليس هو الا كالجعل باشتمام الورد يموت حتف أنفه ، وكالخفاش يتأذى ببهور سنى الضوء لسوء بصره وضعفه ، وليس لهم سجية نقادة ، ولا روية وقادة ، وماهم الا صلقع بلقع سلقع ، والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة ، وهيان بن بيان ، وهي ابن بي ، وضل بن ضل ، وضلال بن التلال ، ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شم عرانين الأفاضل ، ومن جم براهين الاماثل، الذي كان له من الادب مآدب تغذي الارواح ، ومن نخب الكلام له سلافة تهز الاعطاف المراح ، ومن يانع ثمار أفكار ذوي البراعة طبعه المعلق في الصناعة الخالية عن وصمة الفجاجة والبشاعة ، وهو الكاشف عن وجوه مخدرات المعاني حجاب نقابها ، والمفترع عرائس المباني بكشف جلبابها ، وهو الذاب عن الدين ظن الزنادقة والملحدين ، والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال هو كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسبه الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف يكون ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على

الزيغ والشقاق ، ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق الا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور مثاب ، وليس فيه شيء مما يلام أو يعاب ، ولكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر ، وكيدهم الباهر ، وكفى للحاسد ذما آخر سورة الفلق ، في احتراقاته بالقلق ، ومن طعن في واحد ممن قضى نحبه منهم أو نقل غير ماصدر عنهم فكأنما أتى بالمحال ، واستحق به سوء النكال ، وهو الامام الفاضل البارع التقي النقي الورع الفارس في علمي الحديث والتفسير والفقه والاصولين بالتقرير والتحرير ، والسيف الصارم على المبتدعين ، والحبر القائم بأمور الدين ، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، ذو همة وشجاعة واقدام فيما يروع ويزجر ، كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة ، خشن العيش ذو القناعة من دون طلب الزيادة ، وكانت له المواعيد الحسنة السنية ، والاوقات الطيبة البهية ، مع كفه عن حطام الدنيا الدنية ، وله المصنفات المشهورة المقبولة ، والفتاوى القاطعة غير المعلولة ، وقد كتب على بعض مصنفاته قاضي القضاة كمال الدين ابن الزملكاني رحمه الله تعالى .

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة   هو بيننا أعجوبة الدهر

ثم ذكر ترجمة ابن الزملكاني ، ثم قال : أفلا تكفي شهادة هذا الحبر لهذا الامام ، حيث أطلق عليه حجة الله في الاسلام ، ودعواه أن صفاته الحميدة لايمكن حصرها ويعجز الواصفون عن عدها وزبرها ، فاذا كان كذلك فكيف لايجوز اطلاق شيخ الاسلام عليه ، أو التوجيه بذكره اليه ، وكيف يسوغ انكار المعاند الماكر الحاسد ، وليت شعري مامتمسك هذا المكابر المجازف الجاهل المجاهر وقد علم أن لفظة الشيخ لها معنيان لغوي واصطلاحي فمعناه اللغوي أن الشيخ من استبان فيه الكبر ، ومعناه الاصطلاحي من يصلح أن يتلمذ له ، وكلا المعنيين موجود في الامام المذكور ، ولا ريب أنه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الانام فاذا كان كذلك كيف لايطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخ المسلمين يكون شيخا للاسلام ، وقد صرح باطلاق ذلك قضاة القضاة الاعلام ، والعلماء الافاضل أركان الاسلام ، وهم الذين ذكرهم مؤلف هذا الكتاب الرد الوافر في رسالته التي أبدع فيها بالوجه الظاهر ، وقد استغنينا بذكره عن اعادته ، فالواقف عليه يتأمله ، والناظر فيه يتقبله ، وأما ماجريات [1] هذا الامام فكثيرة في مجالس عديدة ، فلم

(1) هكذا عبارة الاصل

يظهر في ذلك لمعانديه فيما ادعوا به عليه برهان غير تنكيدات رسخت في القلوب من ثمرات الشنآن ، وقصارى ذلك أنه حبس وقيد ، وقد حبس الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ومات في الحبس ، فهل قال أحد من العلماء أنه حبس حقا ، وحبس الامام أحمد رضي الله عنه وقيد لماقال قولا صدقا ،والامام مالك رضي الله عنه ضرب ضربا شديدا مؤلما بالسياط ، والامام الشافعي رضي الله عنه حمل من اليمن الى بغداد بالقيد والاحتياط ، وليس ببدع أن يجري على هذا الامام ماجرى على هؤلاء الأئمة الأعلام ، وكان آخرحبسه بقلعةدمشق ، وتوفي فيها في الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن عشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وكان مرضه سبعة عشر يوما ، وصلى عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلوا عليه في الجامع الاموي ، ثم دفن في مقابر الصوفية الى جنب أخيه الشيخ شرف الدين ، ومولده في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة بحران ، وقدم مع والده الى دمشق ، وقد امتلأ الجامع وقت الصلاة عليه أكثر من يوم الجمعة ، وحضر الامراء والحجاب ، وحملوه على رؤوسهم ، وخرجوا به من باب الفرج ، وامتد الخلق الى مقابر الصوفية وختموا على قبره ختمات ، وبات أصحابه على قبره ليالي عديدة ، ثم ذكر شعر بعض من رثاه ، ونبذة من شعر بعض من مدحه وأثنى عليه ، كالامام زين الدين عمر بن الوردي ، وأثير الدين أبي حيان ، وذكر ترجمة ابن الوردي ، وبعد أن أورد شعر أبي حيان قال :

ومثل الامام أبي حيان اذا شهد له بأنه ناصر الشريعة ، ومظهر الحق ، ومخمد الشر ، وأنه الامام الذي كانوا ينتظرون مجيئه : فكفاه مدحا وتزكية ، فاذا كان هذا الامام بهذا الوصف بشهادة هذا الامام وبشهادة غيره من العلماء الكبار فماذا يترتب على من يطلق عليه الكفر ، أو ينبزه بالزندقة ، ولا يصدر هذا الا عن جاهل ، أو مجنون كامل ، فالاول يعزر بغاية التعزير ، ويشهر في المجالس بغاية التشهير ، بل يؤبد في الحبس الى أن يحدث التوبة ، أو يرجع عن ذلك بأن يحسن الأوبة ، والثاني يداوى بالسلاسل والأصفاد ، والضرب الشديد بلا أعداد ، وهذا كله من فساد هذا الزمان ، وتوانى ولاة الامور عن اظهار العدل والاحسان ، وقطع دابر المفسدين ، واستئصال شأفة المدبرين، حيث يتعدى جاهل— يزعم أنه عالم— يثلب أعراض المسلمين، ولا سيما الذين مضوا الى الحق بالحق وبه كانوا عاملين ، وهذا الامام مع جلالة قدره في العلوم نقلت عنه على لسان جم غفير من الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس ،

وأجوبة قاطعة عند السؤال منه من المعضلات ، من غير توقف منه بحالة من الحالات

(ومن جملة) ماسئل عنه ــ وهو على كرسيه يعظ الناس ، والمجلس غــاص بأهله : مارأيكم في رجل يقول ليس الا الله ، ويقول الله في كل مكان ، هل هو كفر أم ايمــان ؟

(فأجاب على الفور) من قال ان الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين ، بل هو مخالف للملل الثلاث ، بل الخالق سبحانه وتعالى بائن من المخلوقات ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، بل هو الغني عنها البائن بنفسه منها ، وقد اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الاربعة وسائر أئمة الدين أن قوله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(١) ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات وحال فيها ، ولا أنه بذاته في كل مكان ، بل هو سبحانه وتعالى مع العبد أينما كان ، يسمع كلامه ويرى أفعاله ، ويعلم سره وخفاه ، رقيب عليهم ، مهيمن عليهم ، بل السموات والارض وما بينهما كل ذلك مخلوق لله ليس الله بحال في شيء منه سبحانه ،(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(٢) لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل ، فلا تمثل صفاته بصفات خلقه ، ومذهب السلف اثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ، وقد سئل الامام مالك رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(٣) فقال الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

فهذا الامام كما رأيت عقيدته وكاشفت سريرته ، فمن كان على هذه العقيدة كيف ينسب الى الحلول والاتحاد والتجسيم ، أو مايذهب اليه أهل الالحاد ، أعاذنا الله واياكم من الزيغ والضلال والفساد ، وهدانا الى سبيل الخير والرشاد ، انه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير ، حرره منمقا فقير رحمة ربه العلي الغني ، أبو محمد محمود بن أحمد العيني عامله الله بلطفه الخفي والجلي ، بتاريخ الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة .

ومنهم الامام الحافظ محمد ابن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقــي الشافعي

---

(١) الحديد : ٤ ــ (٢) الشورى : ١١ ــ (٣) طه : ٥

رحمه الله ، وكان رحمه الله تعالى من أعلم العلماء العاملين ، والحفاظ المتقنين ، قد بلغ بشامخ فضله عنان السماء ،وأفاد المستفيدين فوائد جلت عن الاحصاء ، وكان ذا رسوخ وتمكين ، واعتقاد رصين ، ذا أخلاق سنية ، وصفات مرضية ، وكان له ذهن وقاد ، وفطنة أدرك بها مرتبة الاجتهاد ، وعلم ماخفي على غيره من العباد ، اليه تنتهي الحقائق ، وعنه تروى الدقائق ، له التصانيف المفيدة ، والكتب الفريدة ، وكان ذا تواضع وانصاف ، وديانة وعفاف ، يحب الانتصار للحق وأهله ، ويذعن لما يدل عليه البرهان من غير قدحه ولا تعليله ، وقد أثنوا عليه بما يليق بمقامه الرفيع ، وترجمه جماعة من الافاضل واتفق على فضله الجميع ، وممن ترجمه العلامة الحافظ قطب الدين الخضيري الدمشقي عليه الرحمة في كتابه الذي ألفه في طبقات الشافعية، وذكر نبذة من أوصافه الحميدة ، ومزاياه المرضية ، وكان من الموالين لشيخ الاسلام ، والعارفين بقدر ذلك الامام ، لم يزل يجادل عنه خصومه ، ويذب عنه اعتراضاتهم الموهومة ، وقد ألف بعض الزائغين السالكين مسلك السبكي من غلاة الشافعية الناكبين عن المحجة البيضاء والسنة النبوية كتابا ذكر فيه تكفير من يطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام بسبب منعه الاستغاثة بغير الله ، وقوله بما اختاره من الاحكام ، فرد عليه الحافظ الدمشقي هذا ردا شفى به صدور المؤمنين ، وذكر في رده من مناقب الشيخ وعلومه ومن أثنى عليه من أكابر الأئمة ماتقر به عيون المسلمين ، وسمى كتابه هذا (الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام كافر) والكتاب مفصل ، وفيه مسائل مهمة ، قرظه مشاهير علماء عصر مصنفه ، وأكابر أئمة المذاهب الاربعة ، كالحافظ ابن حجر العسقلاني ، وقاضي القضاة الامام نور الدين العيني ، وقد سبق ذكر ماقالاه ، والامام البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي ، والامام شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي وغيرهم ، وسنذكر تقاريظهم ان شاء الله ، والكتاب نادر الوجود ، ومنه نسخة جيدة في خزانة كتب ولي الدين في جامع السلطان بايزيد في دار السلطنة العثمانية المحروسة موسومة بعدد تسع وأربعين وأربعمائة وألف ، نسأله تعالى أن يوفق نشر هذا الكتاب وينعم على المسلمين بمعرفة فوائده •

ماقاله الامام العلامة قاضي القضاة شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي عليه الرحمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، اللهم صل

على سيدنا محمد سيد السادات ، من أهل الارضين والسموات ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ويسر والطف واختم بخير آمين .

وبعد ، فقد وقفت على هذا التصنيف الجامع ، والمنتقى البديع المطرب للمسامع ، وعملت بشروط الواقفين من استيفاء النظر ، فوجدته عقدا منظما بالدرر ، يفوق عقود الجمان ، ويزرى بقلائد العقيان ، ويضوع مسك الثناء على جامعه مدى الزمان ، وقال لسان الحال في حقه ليس الخبر كالعيان ، وكيف لا وهو مشتمل على مناقب عالم زمانه ، والفائق على أقرانه ، والذاب عن شريعة المصطفى باللسان والقلم ، والمناضل عن الدين الحنيفي وكم أبدى الحكم ، صاحب المصنفات المشهورة ، والمؤلفات المأثورة الناطقة بالرد على أهل البدع والالحاد ، القائلين بالحلول والاتحاد ، ومن هذا شأنه كيف لايلقب بشيخ الاسلام ، وينوه بذكره بين العلماء الاعلام ، ولا عبرة بمن يرميه بما ليس فيه ، أو ينسبه بمجرد الأهواء لقول غير وجيه ، فلم يضره قول الحاسد ، والباغي والطاعن والجاحد .

وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا   اليها عيون لم تزل دهرها غمضا

غير أن الحسد يحمل صاحبه على اتباع هواه ، وان يتكلم فيمن يحسده بما يلقاه ، لله در الحسد ماأعدله ، بدأ بصاحبه فقتله ، وما أحق هذا العالم بقول القائل :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا علمه   فالقوم أعداء له وخصوم

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : (اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أو قال العشب) أعاذنا الله من حسد يسد باب الانصاف ، ويصد عن جميل الاوصاف ، وكيف يجوز أن يكفر من لقب هذا العالم بشيخ الاسلام ومذهبنا أن من كفر أخاه المسلم بغير تأويل فقد كفر ، لأنه سمى الاسلام كفرا .

ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي في ترجمة أبيه الشيخ تقي الدين السبكي في ثناء الأئمة عليه بأن الحافظ المزي لم يكتب بخطه لفظة شيخ الاسلام الا لابيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابن أبي عمر ، فلولا أن ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ماقرن ابن السبكي أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها ولو كان ابن تيمية مبتدعا أو زنديقا مارضي أن يكون أباه قرينا له .

نعم نسب الشيخ تقي الدين الى أشياء أنكرها عليه معاصروه ، وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق ، وأفرد كلا منهما

بتصنيف ، وليس في ذلك مايقتضي كفره ولازندقته أصلا ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين أنه لم يصدر منه ذلك تهورا وعدوانا ، حاش لله ، بل لعله لرأى رآه وأقام عليه برهانا ، ولم نقف الى الآن بعد الفحص والتتبع على شيءمن كلامه يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما نقف على رده على أهل البدع والاهواء وغير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلو مرتبته في العلم والدين ، وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين ، قال الله تعالى :

(قُلْ هَل يستَوي الَّذِين يعْلَمُــونَ والَّذينَ لا يَعلَمُــون) [1]

وصــح أن رســول الله صلى الله عليــه وســلم قــال : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا) وفي رواية (حق كبيرنا) وكيف يجوز أن يقدم على رمي عالم بالفسق أو الكفر ولم يكن فيه ذلك ، وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لايرمي رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك) ، ثم كيف يجوز الاقدام على سب الاموات بغير حق وهــو محرم ، فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا) وكيف يجوز أذى المؤمن بغير حق والله تعالى يقــول :

(والَّذينَ يُؤْذُونَ المؤْمنين والمؤْمنات بغيرِ ما اكْتَسَبُوا فَقد احْتَمَلوا بُهْتَاناً وإثماً مُبيناً) [2] وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهى الله عنه)

فالواجب على من أقدم على رمي هذا العالم بما ليس فيــه الرجــوع الى الله تعالى ، والاقلاع عما صدر منه ، ليحوز الاجر الجزيل بالقصد الجميل ، وان اطلع على أمر يحتمل التأويل فلا يقطع بمايخالف ذلك التأويل بغير دليل ، وان صح عنده أمر جازم عنه يقتضي انكاره فينكره قاصدا للنصيحة ، ولا يهضم مقام الرجل مــع شهرته بالعلم والفضل والتصانيف والفتاوى التي سارت بها الركبان ، والله تعــالى يحفظنا من الخطأ والخطل ، ويحمينامن الزيغ والزلل ، والحمد لله رب العــالمين ، وكتب في اليوم الموافق ليوم ولادة النبيصلى الله عليه وسلم ، يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ٨٣٥ .

---

(١) الزمر : ٩ ـ (٢) الاحزاب : ٥٨

ومنهم الامام العلامة قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي عليه الرحمة ، كان علامة عصره ، وفهامة مصره ، أتقن علوم الدين ، وعلم حقائق اليقين ، حتى كان تذكرة الامام ، وعليه مدار أصحاب مذهبه في الاحكام ، له التصانيف التي لم يسبقه اليها غيره من الافاضل ، والفوائد التي هي واسطة عقد الفضائل ، وكان على منهج السلف الصالح ، ويعد مخالفتهم من أفضح الفضائح ، ولم يزل يثني على المحدثين ، ويصوب آراءهم في عقائد الدين ، وأفرد المصنفون له تراجم مفصلة ، وأثنوا عليه بعباراتهم المطولة ، وذكروا أنه كتب في مناقب شيخ الاسلام مايليق بشأنه من الكلام ، وقد قرظ كتاب الرد الوافر ، وذكر من مناقبه نحو ماذكره الاكابر ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل قلوب العلماء كنوز لطائف الحكم ، وألسنتهم مكفوفة عما فيه نقص أو جرح أو ألم ، وأسماعهم عن سماع قول الفحش في صمم ، وخصهم بين الانام بجلائل النعم ، وجعلهم محفوظين عن الخوض في الاعراض ، متجانبين عما يؤدي الى ظهور الاغراض ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث للعرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه ذوي الكرم والهمم •

(وبعد) فان صاحب هذا التأليف قد أمعن النظر وأجاد ، وبين وأتقن وأفاد فيما هو المقصود والمراد ، من الرد على من أكفر علماء الاسلام ، وهم الأئمة الاعلام ، بنسبتهم الشيخ العالم الناسك تقي الدين ابن تيمية الى كونه شيخ الاسلام •

فنقول وبالله التوفيق : ان الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان على مانقل الينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق كان عالما متقنا متفننا ، متقللا من الدنيا معرضا عنها ، متمكنا من اقامة الدليل على الخصوم ، حافظا للسنة عارفا بطريقها ، عالما بالأصلين أصول الدين وأصول الفقه ، قادرا على الاستنباط لاستخراج المعاني ، لايلويه في الحق لومة لائم ، قائم على أهل البدع المجسمة ، والحلولية والمعتزلة ، والروافض وغيرهم ، والانسان اذا لم يخالط ولم يعاشر يستدل على أحواله وأوصافه بآثاره ، الا أن مااتصف به تلميذه ابن القيم من العلم يكفي ذلك دليلا على ماقلناه ، وما نقل الينا مما اجتمع في جنازته من الخلائق التي لاتحصى حتى شبهت جنازته بجنازة الامام أحمد رضي الله عنه عبرة لمن اعتبر ، وما نقل الينا من تسلطه على الجان المردة عبرة أيضا •

قال تلميذه ابن قيم الجوزية ـ عند كلامه على الصرع في (الطب النبوي)

واختياره أن الصرع على قسمين : صرع يتعلق بالاخلاط ، وصرع يتعلق بالارواح الخبيثة ـ كان شيخنا ابن تيمية يأتي الى المصروع ويتكلم في أذنه بكلمات فيخرج ولا يعود اليه بعد ذلك ، وحكايته مع الذي اختطفت زوجته معروفة ، ومع الذي كان يرتفع الى السقف معروفة أيضا ، فمن كان متصفا بهذه الأوصاف كيف لايلقب بشيخ الاسلام بأي معنى أريد منه ، وكيف يحل أن ينسب مثل هذا الشيخ أو واحد من المشايخ المذكورين في هذا التأليف أو واحد من المتصفين بالاسلام ـ ولو في الظاهر ـ الى الكفر ، مع ماعليه أهل السنة والجماعة من أن مقترف الكبيرة عمدا لايخرج من الايمان ، ولا يدخل في الكفر ، وأنه ان مات ولم يتب كان في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنبه وان شاء غفر له وعفا عنه ، وأنه لايجوز تكفير أحد من أهل القبلة ، وذلك أعم من أن يكون سنيا أو بدعيا أو معتزليا أو شيعيا أو من الخوارج ، وهو المروي عن أبي حنيفة ، فانه سئل عن طائفة من الخوارج معينين ، فقال : هم أخبث الخوارج ، فقيل هل تكفرهم ؟ فقال لا ، وهكذا المروي عن الشافعي والاشعري وأبي بكر الرازي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وهذه المسألة مشهورة في موضعها •

ومما يدل على هذا ماقاله الفقهاء حيث قالوا وتقبل شهادة أهل الاهواء الا الخطابية ، وانما تقبل شهادتهم لاسلامهم ، واستثنوا الخطابية لأنهم يعتقدون جواز الكذب في الشهادة ، فاذا كان الحكم فيما ذكرناه هكذا فكيف بمسلم متصف بالاوصاف الحسنة المتقدمة •

وقد أخبرني من حضر مجلس هذا المكفر فقال ان ابن تيمية كافر مجوسي ، النصارى واليهود خير منه ، فان النصارى واليهود لهم كتاب وابن تيمية لاكتاب له •

فنعوذ بالله من هذه النزغة الشيطانية المفظعة القبيحة ، مع أنه لم ينقل عن ابن تيمية كلام يقتضي كفرا ولا فسقا ولا مايشينه في دينه ، وقد كتبت في زمنه محاضر لجماعة من العلماء العدول اطلعنا عليها بأنه لم يقع منه شيء مما يشينه في دينه ، ووصفوه في تلك المحاضر بأعظم مما قلناه من أوصافه المتقدمة ، وانما قام عليه بعض العلماء في مسألتي الزيارة والطلاق ، وقضية من قام عليه مشهورة ، والمسألتان المذكورتان ليستا من أصول الاديان ، وانما هما من أصول الشريعة التي أجمع العلماء على أن المخطيء فيها مجتهد مثاب لايكفر ولا يفسق ، والشيخ كان يتكلم في المسألتين بطريق الاجتهاد ، وقد ناظر من أنكر عليه فيهما مناظرة مشهورة بادلة يحتاج

من عارضه فيها الى التأويل ، وهذا ليس بعيب ، فان المجتهد تارة يخطيء وتارة يصيب ، وهو مثاب على اجتهاده وان كان مخطئا ، ولو اشتغل هذا المكفر بالله ،وبما يجب عليه من طاعته ،وصان لسانه ومنع نفسه من الاشتغال بمالايعنيه،وحمل أحوال المسلمين على الصلاح ، واقتدى بقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم) وبقول عيسى عليه السلام حين عارضه خنزير في بعض الطرق ، فقال : (اذهب يامبارك ، فقيل له في ذلك فقال اني أعود لساني الخير) وبقول عمر رضي الله عنه : لاتظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها من الخير محملا .[1]

واعلم أنه اذا نقل الينا كلام أحد وثبت أنه كلامه بالطريق الصحيح الشرعي ونظرنا في ذلك الكلام فلم نجد له وجه صحة وانما وجدناه مصادما الشريعة من كل وجه : فان كان المنقول عنه ذلك الكلام ميتا ولم يثبت عندنا رجوعه نسبناه الى مايقتضي كلامه ، وان كان حيا قمنا عليه ، فان تاب والا رتبنا عليه ماتقتضي الشريعة المحمدية ــ لما أكفر واحدا من أهل القبلة كما في هذه القضية ، وكماوقع له مثل ذلك في حق شخص ممن اجتمع الناس على علمه وخيره ودينه وتبحره في العلوم ، وهو الشيخ شمس الدين البساطي قاضي قضاة المالكية ، في الديار المصرية ، فنسأل الله تعالى أن يتوب عليه ، وأن يصون لسانه عن الزلل ، وأن يجعل مانحن فيه خالصا لله تعالى ، وأن يدخلنا الجنة بمنه وكرمه ، قال ذلك عبد الرحمن التفهني عامله الله بلطفه الخفي في رابع عشر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة .

(ومنهم الامام العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي عليه الرحمة) وكان من أكابر رجال المالكية وفقهائهم ، وأجل مشايخهم وعلمائهم ، أخذ العلم عن أئمة لهم لسان صدق في الأمة ، وأخذ عنه جماعة من علماء عصره وأجلاء مصره ، وكان لاتأخذه في الله لومة لائم ، وهو في جميع شؤونه بصير حازم ، مع تواضع ولين جانب ، وفكاهة هي من أعجب العجائب ، وله مصنفات في فنون مختلفة ، هي فريدة في بابها من بين الكتب المصنفة ، وقد حسده أيضا جماعة من أهل عصره ، ورموه بالعظائم كما فعلوه مع أهل الفضل غيره ، وكان ممن عرف قدر شيخ الاسلام ، وكتب في مناقبه ماتلتذبه المسامع والافهام ،وقد عثرنا على تقريظ له على كتاب (الرد الوافر) ومنه يعلم ما كان عليه من الفضائل والمآثر ، وهو قوله :

---

(١) يظهر أن جواب لو هو قوله الاتي : لما أكفر الخ وأن قوله : واعلم متصحفة عن وعلم عطفا على اشتغل وصان الخ ..

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على سيد المرسلين ، محمد وآله وصحبه أجمعين •

(وبعد) فقد نظرت في هذا الكتاب الدال على أن مصنفه من الحفاظ المطلعين ، وأنه قد وفى بما قصد اليه اما صراحة واما اشارة ، مع أن الامامة للشيخ تقي الدين ابن تيمية في العلم مما لايحتاج الى الاستدلال عليه لحصول العلم الضروري عن الأخبار المتواترة بذلك ، وأما قول من قال انه كافر وانه من قال في حقه انه شيخ الاسلام فهو كافر ، فهذه مقالة تقشعر منها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك ابليس اللعين عجبا بها ويشمت ، وتنشرح أفئدة المخالفين وتتثبت ، ثم يقال له : لو فرضنا أنك اطلعت على مايقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني ، وكيف تصح لك هذه الكلية المتناولة لمن سبقك ولمن هو آت بعدك الى يوم القيامة ، وهل يمكنك أن تدعي أن الكل اطلعوا على مااطلعت عليه ، وهل هذا الا استخفاف بالاحكام ، وعدم مبالاة ببني الأيام ، والواجب أن يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه يخرج به شرعا من العهدة فبها ، والا برح تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على أعراض المسلمين ، وكتبه محمد بن أحمد البساطي المالكي عفا الله عنه ، والحمد لله وحده ، وذلك سنة خمس وثلاثين وثمانمائة من الهجرة •

ومنهم الامام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي البزار عليه الرحمة ، وهو أحد الأئمة الذين تبوؤا قمة الجوزاء ، وبلغت شهرتهم في علو الدرجة الى السماء ، فضله السلسبيل ، والبحر الطويل ، والاصيل ابن الاصيل ، الذي ترك عبد الحميد في أبيجاد ، والحريري في حومة الأولاد ، وابن العميد ساقط العماد ، الجامع بين الرقة واللطافة ، والنزاهة والظرافة ، وبدائع الافكار ، ودقائق الانظار ، والمعاني الرائقة ، والنكات الفائقة ، مع فصاحة تخرس لها الألسن طوع القلم ، وسبح طويل ببحر القرطاس تقف بساحله الامم ، وبلاغة يتحلى بها جيد الدهر ، ويتمنطق بها خصر العصر ، وكان له من المصنفات ماتجاوز العد ، وقد جمعت حسن السبك ، وسهولة العبارة ، والفوائد العجيبة ، وهي في فنون مختلفة ، ومنها كتاب أفرده في مناقب شيخ الاسلام ، وعلم الاعلام ، أبي العباس تقي الدين ابن تيمية ، أودع فيه من مناقب ذلك الامام ومزاياه ومآثره مالم يجتمع في كتاب ، وأتى فيه بالعجب العجاب بل بفصل الخطاب ، وذلك من آيات انصافه واذعانه للحق ، وقلما يتفق ذلك لأهل العلم وغالبهم من تحمله عصبية رجال مذهبه على الميل عن الحق والاضراب عنه ، كما كان من

السبكي وابنه وابن حجر ، غير أن الله سبحانه وتعالى خص هذه الامة بخصائص ، منها أنها لاتجتمع على ضلالة ، وذلك مما استوجبت به أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، وقد لخص بعض أبواب هذاالكتاب الشيخ مرعي الحنبلي في كتاب مناقب شيخ الاسلام ، وسنذكره ان شاء الله تعالى .

ومنهم أوحد الأدباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد العمري الشافعي عليه الرحمة ، كان فائقا في عصره على الاقران ، بما حواه من الادب والعرفان ، بل هو ملك انس تكونت ذاته من نور ، وفلك فضل على قطب الكمال يدور ، تألقت في سماء المعالي كواكبه ، وزاحمت العيوق من غير عائق مناكبه ، وتناولت عنقود الثريا سواعده ، وتأسست فوق المجرة قواعده ، فرفع من العلوم منارها ، وقدح زند فكره بصوانة البلاغة فأورى نارها ، وبزغ قمر كماله من فلك الفصاحة ، ونبع غصن نجابته من دوحة الكرم والسماحة ، ودأب في طلب العلوم فأحرز منها ماأحرز ، ووشى حواشي مطول فضله بمعاني بديع بيانه وطرز ،وغاص فكره بقاموس العلوم فاستخرج من عباب المنطوق والمفهوم أصداف فوائد ملئت بصحاح الجواهر ، وقلدها في نحور الطالبين فافحم بمعجز البراهين كل مباحث ومناظر ، هو تحفة للناظرين ، وروضة للطالبين ، وغنية للمبتدئين ، وهو الفقيه الذي ليس له أشباه ولا نظائر ، والبليغ الذي يشهد المسامر انه الزاخر ، تقر له بالاعجاز الصدور والاعجاز ، فتحريره الروض الرائق ، وفكره كنز الدقائق ، وتقريره الدر المختار ، وتعبيره تنوير الابصار ، وحكاياته ربيع الأبرار ، والمحدث الذي ألحق الأحفاد بالأجداد ، وأتى من فنون الاسناد ماسلسل به الرواية فملأ بروايته الوراد ، قام على أقدام التحقيق ، وأبرز عرائس المخدرات من خدور التدقيق .

بدا والعلم ليس له عيون	فأجراها ونورها أناسي
وأبدع في مباحثه فنونا	رايناهن واضحة القياس

فهو الذي رفأ خرقه ، وأشع في سحابه برقه ، وأصدح على أفنانه ورقه ، فمنار الايمان بهدايته في ايضاح ، ومشكاة الرواية في رأيه ذات مصباح ، وليالي المحابر مشرقة من شمس معارفه بصباح ، وأعناق المشكلات بصوارم ذهنه مجزومة ،وكتائب المعضلات بسمر أقلام كتبه مهزومة ، ورياض العلوم به زاهرة ، وأفلاك الفهوم على تقريره دائرة ، ونجب التوجيه بأمثال نوادره سائرة ، وخدود الطروس عن غرر ابداعه سافرة ، ووجوهالبيان كاشفة النقاب عن محاسن تحبير جده الحالي بها هذا الكتاب ،

وهو من بيت فضل ومجد ودراية ، وسلفنا أهل علم وعمـــل ورواية ، نسبه بابن الخطاب متصل ،وحسبه من كل جرثومة مجد منفصل •

قوم لهم بين الانـــام مناقب كالشمس في العلياعلى التحقيق
مافيهـــم الا نجيب كامـل ذاعت فضائله بكـــل طريق
ناهيك من شرف ترى أنسابهم موصولة في حضـرة الفاروق

وكان هذا الفاضل مقتفيا أثر سننهم ، وآخذا بفروضهم وسننهم ، يلـوح من فرقه سيما جده الامام الفاروقي ، ويرشح من قلبه السليم بعقارب الاقارب رشحات الترياق الفاروقي ، وهو منذ أميطت عنه التمائم ولاحت له من أثر أسلافه العـلائم اشتغل بقراءة الفقه والحديث والتفسير والأصول ، وشرع في طلب العلوم من المعقول والمنقول ، الى أن صار العلم المفرد ، ولم يسبقه من أهل عصره أحد •

وفي تاريخ أبي الفدا مانصه : في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق بالطاعون ، ومنزلته في الانشاء معروفة ، وفضيلته في النظم والنثر موصوفة ، كتب السر للسلطان الملـــك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محي الدين ، ثم عزل بأخيه القاضي عـلاء الدين وكتب السر بدمشق ، ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف ، حتى مات عن نعمة وافرة ، قال أبو الفدا : دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل في المدرسة التي أنشأتها ففرح لي بها ، وأنشد فيها بيتين أرسلهما لي بخطه ، وهما :

وفي بلد المعرة دار علـــــم بني الوردي منها كل مجـــد
هي الوردية الحلواء حسنـــا حمدت الله اذ بك تم مجـدي

(فأجبته بقولي)

أمولانا شهـــاب الدين اني حمدت الله اذ بك تم مجـدي
جميع النا س عنـــدكم نزول وأنت جبرتني ونزلت عنـدي

انتهى ماقاله :

وله مصنفات كثيرة ليس هذا موضع استيفائها ، ومن أجلها قدرا كتابه المسمى (بمسالك الابصار ، في الممالك والامصار) وهو كتاب مفصل لم يؤلف نظيره في بابه في بضع وعشرين مجلدا ، أودعه أحوال البلاد والدول بتحقيق وتدقيق وتفاصيل لم يشتمل عليها غيره ، ومن ذلك تراجم أفاضل عصره ،وأفرد فصلا طويلا في مناقب شيخ الاسلام ، وأثنى عليه بما يليق به من الثناء الجميل ، وذكر ما كـــان له من المزايـا

والفضائل ومنزلته في العلم والاجتهاد ، ولو اطلع عليها الزائغ النبهاني وأضرابه الغلاة عبدة غير الله لغصوا بريقهم ، وقد ذكر منها نبذا مفيدة العلامة الشيخ مرعي الحنبلي فيما ألفه من مناقب الشيخ على ماسنذكره .

ومنهم الحافظ الامام شمس الدين صاحب الصارم المنكي عليه الرحمة ، وقد سبق بيان نبذة من أحواله وفضائله عند الرد على كلامه على كتاب (الصارم المنكى) وقد ترجمه جميع من صنف من المترجمين المنصفين ، وله ذكر جميل في طبقات ابن رجب والشذرات ، وهو من أجل تلامذة شيخ الاسلام ، وصنف كتابا كبيرا في مناقب شيخه سماه (الدرة المضية في مناقب الامام ابن تيمية) وقد نقل عنه الشيخ مرعي أيضا في مناقبه على ماسيجيء ان شاء الله تعالى .

ومنهم الحافظ الامام الأجل الشهير بابن قيم الجوزية عليه الرحمة والرضوان وهو أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي رضي الله عنه ، كان واسع العلم ،عارفا بالخلاف ومذاهب السلف ، وله من التصانيف مالا يعد كثرة ، منها : أعلام الموقعين ، وبدائع الفوائد ، وجلاء الافهام ، في الصلاة على خير الأنام ، ورفع اليدين ، وتحفة الودود في أحكام المولود ، والفتح المكي ، والفتح القدسي ، وغير ذلك ، وهو طويل النفس في مؤلفاته ، وجرت له محن مع القضاة ، منها سبب فتواه بجواز الرجوع بغير محلل ، فأنكروا عليه وآل الأمر الى أن رجع عنه ، كذا في الدرر الكامنة من المائة الثامنة اقتصارا ، وفضله أشهر من أن ينبه عليه ، وأظهر من أن يشار اليه ، وكتبه المنتشرة اليوم أعدل شاهد على علو شأنه وطول باعه في كل علم .

وقد ألف في مناقب الشيخ ماتقر به عين المؤمن ، وينشرح له صدر كل مسلم ، وذكر أيضا نبذة مفيدة من أحواله في كثير من كتبه ، لاسيما في كتابه مدارج السالكين شرح منازل السائرين ، ووفق بين أحواله وأحوال أكابر عباد الله الصالحين ، وعرف منزلته ومقامه ، وقد كان من أجل تلامذة الشيخ وأصحابه ، وأدرى من غيره بشؤنه وأحواله ، ودرجته من علم اليقين وبلوغه مقام المجتهدين الأعلام .

وبالجملة : ان ابن القيم نفسه كان حسنة من حسنات ابن تيمية وهو ذلك العالم الذي سارت بذكر فضائله الركبان ، وهو كما قال القائل :

برغم الاعادي نال ماهو نائل فاجدع آناف العداة وارغما
ولو رام أن يرقى الى النجم لارتقى ويوشك رب الفضل أن يبلغ السما

ولاغرو أن يعلو وها هو قد عـــلا ولا بدع أن يسمو وها هو قد سما
عزائمه كالمشرفية والظبـــــــا وآراؤه مازلن في الخطب أنجمـــا
يصيب بها الاغراض ممـــا يرومه ولا يخطيءالمرمى البعيـد اذا رمى

ومنهم العلامة المحدث السيد صفي الدن الحنفي البخاري نزيل نابلس عليـه الرحمة ، وكان آية في علم الحديث والتفسير والأصلين والتصوف وأحوال الرجال ، كما كان مشهورا بالانصاف من بين علماء مصره ، ومن أوضح الدلائل على انصافه كتابه الذي صنفه في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ، كما لايخفى على من طالع كتابه هذا ، وقد رد على المنكرين عليه وذب عنه ماهو بريء منه ، وذكر دلائل مااختاره من الأقوال ، وسمى ذلك الكتاب (القول الجلي ، في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) • وقد تلقى كتابه هذا علماء عصره بالقبول ، وقرظوه وأثنوا عليه بالثنـاء الجميل ، وذكروا أن مافيه هو الحق الذي قام عليه البرهان والدليل ، وممن قرظـه الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عليه الرحمة فقال بعد الخطبة (أما بعد) فقد اطلعت على هذا الجزء الشريف ، وسرحت طرفي في رياض روضه المنيف ، فرأيته بديعا جامعا لفصل القول وخطابه ، معرفا بسناء مقام الشيخ شيخ الاسلام ، أحد سلاطين المحدثين الاعلام ، من أذعن لغزارة علمه الموافق والمخالف ، واعترف بتحقيقه وسعة اطلاعه من هو على مؤلفاته واقف ، الامام ابن تيمية أحمد تقي الدين ، وأنه ممن دان بسيرة السلف الصـالحين ، منزه عن سـوء الاعتقاد وزيغ العقيدة ، سالكا لطريقة السلف الحميدة ، وأن مايعزى اليه من بعض المخالفات في الاصول والابتداع هو منه بريء ، كما يصرح به النقـل من كلامه في مشهور مؤلفاته الدال على أنه بموافقة أهل السنة حري ، وما يعزى اليه من المخالفات في بعض الفروع والطعن في السادة الصوفية أولى الشأن العلي فذلك مما لانوافقـه عليه ، ولا نسلم شيئا من ذلك اليه ، كما حقق جميع ذلك وحرره سيدنا مؤلف القول الجلي ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم ، وكتبه تراب أقدام أهل الحديث الشريف النبـوي عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عفا الله عنه وختم له بالحسنى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف من الهجرة •

وممن قرظه أيضا الامام العلامة الشيخ محمد التافلاني مفتي الحنفية بالقـدس الشريف رحمه الله قال بعد خطبته البليغة (وبعد) فقد وقفت على هذا القول الجلي

في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي فوجدته قولا جليا ، وصراطا سويا ، قد نبذ مؤلفه التعصب ظهريا ، فمن يهز نخلاته تساقط عليه رطبا جنيا ، ومن ضرب عنه كشحا يقول لمؤلفه لقد جئت شيئا فريا .

كلا لقد سلك مولانا صفي الدين مايستعذبه العارفون ، ومحجته بيضاء نقية لايعقلها الا العالمون ، والخطأ في ابن تيمية معلوم ، ولا ينجو منه الا معصوم ، وقد اعترف له بطول الباع في العلوم الشرعية وغيرها الموافق والمخالف ، ولا ينكر ذلك الا غبي أو جاهل أو حسود أو متعصب على حجر جمود واقف ، وقد أثنى عليه جمهور معاصريه ، وجمهور من تأخر عنه ، وكانوا خير مناصريه ، وهم ثقات صيارفة حفاظ ، عريفهم في النقد دونه عريف عكاظ ، وطعن فيه بعض معاصريه بسبب أمور أشاعها مشيع لحظ نفسه ، أو لاجل المعاصرة التي لاينجو من سمها الا من قد كمل في قدسه ، فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ، ورماه بعظائم موجبة للتعزير أو الحد ، ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الامام علي ومعاوية فقالوا تلك دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر منها ألسنتنا لنجا من هذا العناء ، وقول الآخر لما سئل عن ذلك فأجاب (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1]

وهذا الامام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى ، واطلع عليها القاصي والداني من علماء الورى ، فما وجدوا فيها عقيدة زائغة ، ولا عن الحق رائغة ، وكم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال ، وكم رماهم بصواعق محرقة كالجبال ، تنادي صحائفه البيضاء بعقيدة السلف ، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف ، شهد له الاقران بالاجتهاد ، ومن منعه له فقد خرط بكفه شوك القتاد ، وما سوى العقائد نسبت اليه مسائل جزئية رأى فيها باجتهاده رأي بعض السلف ، لدليل واضح قام عنده ، فكيف يحل الطعن فيه بسهام الهدف ، وهذا محمد بن اسحق قال فيه امام دار الهجرة ذاك دجال من الدجاجلة ، ومع ذلك وثقه تلميذه الامام المجتهد محمد بن ادريس ، وروى عنه حديث القلتين ، ووصفه بالدجاجلة لم يبق من الذم شيئا ، ولم يرمه أحد بكفر ولا زندقة ولافسق ، وأمثال هذه القضية جرت في الاعصر الاول وبعدها مرارا ، وأشنع مانسب اليه منع الزيارة لقبور الانبياء ، فهذه ان صحت عنه

---

(١) البقرة : ١٤١

فلعله انما منع شد الرحال اليها قصدا ، وأما الزيارة لتلك القبور المقدسة تبعا فلا يصح نسبة المنع اليه ، كيف وهو مصرح باستحباب زيارة قبور آحاد المؤمنين ، ولله در الامام حافظ الشام ابن ناصر حيث ألف في الذب عنه رسالة هي أمضى من السيف الباتر ، ولله در أمير المؤمنين الحافظ ابن حجر والحافظ الاسيوطي وأضرابهم من الأسود الكواسر ، فقد شنوا الغارة على من طعن فيه فباؤا بالأجر الوافر ، أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ، وثمة أشياء أخر أشيعت عنه وهي أكاذيب وفرية وما فيها مرية ، وهي سنة الله في أحبابه ، وأما طعنه على بعض المشهورين من الصوفية فهو ليس بفريد في ذلك ، بل سلفه مثله وأعلى منه في تلك المسالك ، وما قصده مع أمثاله الا الذب عن ظاهر الشريعة ، خوفا على ضعفاء الامة من اعتقاد أمور شنيعة ، ومن كان هذا قصده يمدح ويثاب ولا يلام ، فكيف يزعم زاعم خروجه بذلك عن الاسلام •

هذا وفصل الخطاب ــ عند أولي الألباب ــ ان معتقد طريق السلف على غاية الصواب ، ومن أداه اجتهاده لدليل قام عنده في فرع فقهي بعد تبحره في العلم لايلام عرضه ولا يعاب ، وان خالف المذاهب الاربعة أوالمذاهب المنقرضة الغير المتبعة، والمقلد اذا التزم مذهبا لايجوز له الطعن في رجل برع ونال رتبة الاجتهاد ، (لينفق ذو سعة من سعته) وليس الرافل في حلل المجد في غرف القصور كخادم الباب ، ورسالة مولانا صفي الدين هذه صاحبة القدح المعلى ، وهي قبلة أرباب التحقيق والمصلى ، هي من الضنائن الاعلى جواهرها ثمينة لايخطبها الا رجل كفولها ولمثلها ، ولقد كشفت نقاب حسنها في زمان لاتخطب الخطاب مثلها ، ولا يرشفون نهلها وعلها، اذا تليت عليهم آياتها حاصوا كحيص الحمر ، وشنوا الغارة على عرج الحمير ، وقالوا ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين واتخذوها هجرا وصمموا على النكير ، وما ذاك الا أصحاب الهمم الا النادر ، وقليل ماهم في هذا الزمان الداثر ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لانبي بعده ، وعلى آله وأصحابه أرباب النجدة •

وممن صنف في مناقبه أيضا الشيخ مرعي الحنبلي العلامة الشهير رحمه الله، وهو على مافي كتاب (خلاصة الأثر) العلامة المحبي مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي ــ نسبة لطور كرم قرية بقرب نابلس ــ ثم المقري ، أحد أكابر العلماء من حنابلة مصر ، كان اماما محدثا فقيها ، ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة ، أخذ عن الشيخ محمد المرداوي ، وعن

القاضي يحيى الحجاوي ، ودخل مصر وتوطنها ، وأخذ بها عن الشيخ الامام محمد الحجاوي الواعظ ، والمحقق أحمد الغنيمي ، وكثير من المشائخ المصريين ، وأجازه شيخه فتصدر للافراء والتدريس في جامع الأزهر ، ثم تولى المشيخة في جامع السلطان حسن ، ثم أخذها منه عصريه العلامة ابراهيم الميموني ، ووقع بينهما من المعارضات مايقع بين الاقران ، وألف كل منهما في الآخر رسائل ، وكان منهمكا على العلوم انهماكا كليا ، فقطع زمانه بالافتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف ، فسارت بتآليفه الركبان ، ومع كثرة اضداده وأعدائه ماأمكن أن يطعن فيها أحد ، ولا نظر بعين الازراء اليها ، ثم ان المترجم عدله من المصنفات نحو سبعين كتابا في فنون شتى ، قال : وله غير ذلك من فتاوى ومسائل نافعة يتداولها الناس ، وكان في فن النظم والنثر آية ، وكتابه بديع الانشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات ، يشهد لهبطول باعه في ذلك ، وله ديوان شعر منه قوله :

ياساحر الطرف يامن مهجتيسحرا	كم ذا تنام وكم أسهرتني سحرا
لو كنت تعلم ما ألقاه منك لما	أتعبت يامنيتي قلبا اليك سرى
هذا المحب لقد ساءت صبابته	بالروح والنفسقوماًبالوصال سرا
ياناظري ناظري بالدمع جاد وما	أبقيت في مقلتي يامقلتي نظرا
يامالكي قصتي جاءت ملطخة	بالدمع ياشافعي كذبتها نظرا
عساك بالحنفي تسعى على عجل	بالوصل للحنبلي يامن بدا قمرا
يامن جفا للغير موعده	يامن ويامن عقلنا قمرا (١)
الله منصفنا بالوصل منك على	غيظ الرقيب بمن قد حج واعتمرا

وكانت وفاته بمصر في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف رحمة الله عليه، ومن جملة ماعدله من الكتب (الكواكب الدرية في مناقب الامام المجتهد ابن تيمية) وقد اطلعت على هذا الكتاب فرأيته من أحسن الكتب المؤلفة في هذا الباب ، لاسيما وقد اشتملت على غرر مناقب ذلك الامام ، ودرر مزاياه التي هي للدهر ابتسام ، فما هي الا روضة فوحاء فيحاء ، وحديقة مزهرة غناء ، مكللة بغرر المعاني والاقوال ، مرصعة بدرر الشواهد والأمثال ، تجذب السرور الى الصدور بأمراس السطور ، مشتملة على الرقة والانسجام في النثر والنظام ، فما هي الا لآليء ويواقيت مابين نضيد وشتيت ، من رآها من الأفاضل وأهل الكمال قال هكذا هكذا فليكن المقال •

(١) فى هذا البيت نقص وانكسار وهو كذا فى الاصل

أكرم بترجمة يضوع عبيرها — تعزى الى المشهور في الآفاق
اللوذعي اللسن الذي أضحت أفا — ضل عصره بأنامل الأحداق
تجنى ثمار فنونه الغرر التي — ببراعة حرثت على الاوراق

فلله در ذلك المؤلف الاديب ، والمصنف الاريب ، لقد أتى بتأليف هو أبهى من انسان العين في عين الانسان ، وأشهى من زلال العين الى عين الظمآن ، ولمثل مصنفه يقال اذ لكل مقام مقال :

مصنف لو رآه منصف فطن — لقال ما الروض الا بعض نزهته
تظن كل أديب حين يسمعه — صبا وذا وعد من يهوى بزورته
فأين لطف الصبا مما حواه ولم — ألمم اذا قلت في تشبيه رقته

ولعمري ليست نغمات الطيور في الأسحار على شرفات القصور والأشجار بأرق منها في الاسماع الكريمة ، وأوفق الى الطباع السليمة •

اذا طرقت مسامعنا ابتهجنا — وفزنا في سرور وانبساط
وخلنا أن تاليها علينا — ينادينا الى نادي النشاط

فيالها من مناقب لايمل سامعها ، ولا يكل مطالعها ، ولا بدع في هذا ولاعجب ، فقد قال بعض أهل الادب : ان أحاديث نجد لاتمل بتكرار فكيف وهي أحاديث مجد ، ومدائح ناحية القصد ، ولولا مخافة الاسهاب لما عدلنا عن الاطناب ، وهيهات أن يستوفي هذا التقريظ ثناء على ذلك النثر والقريض ، ولكونها على اختصارها اشتملت على أحوال ذلك الامام سنذكرها ان شاء الله تعالى بالتمام •

وقد صنف في مناقب شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه غير من ذكرنا من الأفاضل ، والعلماء الأكابر ، وذب عنه وأخذ بأقواله واختارها في عصره وبعده ، وكان ذلك من علائم بصائرهم وفطنهم ، فلا تجد في عصر من الاعصار من يذب عنه ويختار قوله ويسلك مسلكه الا وهو الفائق على غيره ذكاء وفطنة وانصافا ، ولا تجد من يخالفه ويعاديه الا وهو من أهل الغلو والغباوة وحب الدنيا والمخالف للسنة والمعادي للحق ، وهذه منقبة لم تكن الا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينلها أحد من أكابر المجتهدين ، فمن الذي منهم ألف في مناقبه من الكتب ماألف فيه !؟ فسبحان من خص بعض عباده بخصائص لم ينلها غيره بجد ولا اجتهاد • (قُلِ اللَّهُمَّ مالكَ الملكِ تُؤتِي الملكَ مَنْ تشَاءُ ، وتَنْزِعُ المُلْكَ

مِمَّنْ تَشَاء ، وتعِزُّ مَنْ تشاءُ وتذِلُّ مَن تَشَاءُ ، بيدِكَ الخَيْرُ إنكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ) [1]

والثناءعليه في كل عصر من أفاضله ومشاهير علمائه لايمكننا استقصاؤه ولا الاحاطة به ، ولا سيما في هذا العصر بعد أن انتشرت كتبه ورسائله وفتاواه ، ففي الهند عدد كثير من المحققين كتبوا في مناقبه ، وذبوا عنه ، وأخذوا بأقواله واختياراته ، وفي نجد كذلك ، فان قوله لديهم متبع ، ومرجح على أقوال كثير من المجتهدين ، وفي مصر جمع غفير على هذا المنوال ، كتبوا في مناقبه مقالات مطولة ومختصرة ، وأثنوا عليه وذبوا عنه ، وخطؤا المنكرين عليه ، والمبغضين له حسدا من عند أنفسهم ، ومنهم شيخ الاسلام الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وهو الفاضل الذي عقم الزمان أن يأتي بمثله فضلا وانصافا وذكاء وبلاغة ، ونثرا وشعرا ، وغيرة على الدين ، قدس الله روحه ونور ضريحه .

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يازمان فكفر

وقد أثنى عليه تقريرا وتحريرا ، ومن طالع كتبه عرف ذلك ، ومنه ماكتبه في كتابه الاسلام والنصرانية وهكذا أصحابه وتلامذته الأفاضل الأعلام ، بل كل منهم في عصره امام ، وفي العراق أيضا جماعة من أهل الفضل والانصاف يعترفون بما كان عليه الشيخ من المنزلة القعساء ، والعلم الذي لاتجد أحدا يطاوله به ، وأما المبغضون له في العراق فهم المنافقون الدجالون الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وكلهم أهل بلادة وغباوة لايعبأ بهم ، ولا يلتفت اليهم ، أولئك حزب الشيطان ، وقوم البهتان ، وأعداء الرحمن ، والسواد الأعظم من سكنة العراق على ماوصفنا ، ولا بدع فبلاد العراق معدن كل محنة وبلية ، ولم يزل أهل الاسلام منها في رزية بعد رزية ، فأهل حروراء وما جرى منهم على الاسلام لايخفى ، وفتنةالجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الاسلام انما خرجت ونبغت بالعراق ، والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به واشتهر من أصولهم الخمسة التي خالفوا بها أهل السنة ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء في توحيد الربوبية غاية يسقط بها الامر والنهي انما نبغوا وظهروا بالبصرة ، ثم الرافضة والشيعة وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت ، والقول الشنيع في الامام علي وسائر الأئمة ، ومسبة أكابر

---

(1) آل عمران : ٢٦

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كل هذا معروف مستفيض ، والمقصود أن أهل الفضل منهم ــ وقليل ماهم ــ محبون للسنة ناصرون لأهلها معارضون لمن يخاصمهم •

وفي دمشق وسائر بلاد الشام أيضا جماعة من أكابر علماء هذا العصر وفضلائه قد نصروا الشيخ واختاروا أقواله ، وردوا على المخالفين له من الجهلة والغلاة ، وأثنوا عليه ووثقوه ، ورجحوه على كثير من الأئمة في كثيرمن الفنون ، وصبروا على مارأوه من كيد الخصوم وتحاملهم ومخاصمتهم للباطل ، وهم أحق الناس بذلك لأن الشيخ قدس الله روحه الزكية منهم ، وكان جيرانهم ومن بلادهم ظهرت أنوار السنة النبوية، وفي الحديث الصحيح مايشعر بأنهم هم المؤيدون للسنة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم في الغرب) قال بعض شراح الحديث : المراد بهم أهل الشام ، فانهم أكثر الناس اشتغالا بالحديث ، وأعناهم بحفظ السنة ، قال العلامة الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في الحديث الصحيح (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) وفي صحيح البخاري وهم بالشام ، وقد قال كثير من علماء السلف أنهم علماء الحديث ، وهذا أيضا من دلائل النبوة ، فان أهل الحديث بالشام اليوم أكثر من سائر أقاليم الاسلام ولله الحمد ، ولاسيما بمدينة دمشق حماها الله وصانها ، كما ورد في الحديث أنها تكون معقل المسلمين عند وقوع الفتن انتهى ، وابن تيمية وأصحابه من أهل الشام ، وقيامه بالانتصار للسنة ورد البدع أمر لاينكر ، ولا بعد أن يكون الحديث الشريف اشارة اليه والى أضرابه ، فهو من أعلام النبوة ، فتأمله فانه دقيق •

وممن أثنى على الشيخ ابن تيمية كثير من أصحاب المجلات العلمية التي تنشر في مصر وغيرها ، كالفاضل الكامل صاحب (المؤيد الأغر) الذي فاق البلغاء الاولين في تحريره وبيانه ، ووقوفه ومزيد عرفانه، وهو الذي اذاحرر حبر ،واذا تكلم حير ،فسح الله تعالى في مدته ، وهو لم يزل يثني على الشيخ ويحث على نشر كتبه واقتنائها ، ويكبح المنكرين عليه ، جزاه الله عن المسلمين خيرا ، وكثر أمثاله فيهم •

ومنهم صاحب (مجلة المنار) وهو الفاضل الذي ظهر فضله ظهور الشمس في رابعة النهار ، ومجلته كأنها روضة نقطها الغمام قطرا ، ونسيم اسحار هبين على قلب متيم قد توقد جمرا ، أودع فيها دواء الاسقام الروحانية ، وترياق العلل الجسمانية ،

قد شيد فيها أركان الاسلام ، ورفع فيها قواعد الاحكام ، وكم جلا فيها عن وجه الحق ماانسدل عليه من الحجب ، وأوضح دقائق الحقائق التي أجنتها بطون الكتب ، وأثنى على شيخ الاسلام وأشاع فضله بين الانام ، نسأله تعالى أن يحفظه من طوارق الأيام ويصونه من كيد اللئام •

ومنهم الفاضل العلامة الذي حلى جيد الفضل بما أملى ، حتى غدا بكل منقبة أحرى وأولى بما أولى ، الذي أسرج خيول المجد ، وألجم أفواه الحساد ، وأقام ما تهدم من أركان الفخر ، وأقعد على الأعجاز أرباب العناد ، ألا وهو رفيق بك العظم نزيل القاهرة ، حرسه الله تعالى وأيد به المعالي ، وحفظه من مزعجات الأيام والليالي ، فانه قال في كتابه (تنبيه الافهام الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام) من جملة كلام طويل مانصه : لم يقف الجمود بعلماء المتأخرين عند هذا الحد ، بل تجاوزوه الى ماهو أعظم نكالا وأشد ، فانهم لما استرسلوا بالتقليد ، وحرموا على أنفسهم العمل بنصوص الكتاب والسنة ـ الا ماجاء منها بالعرض عن طريق الشيوخ ـ وأصبحوا حيارى في مدافعة البدع والأضاليل التي خالطت أوهام المسلمين ، وأدتتهم من الوثنية بمقدار ماأقصاهم عنها الاسلام : ألف بعضهم من هذه البدع ماألفته نفوس العامة ، ونزلته منزلة العقائد الدينية ، وفيها مايصادم أصول الدين ، فجعلوا يبدعون كل منكر لهذه البدع قائل بالرجوع الى سذاجة الدين والعمل بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين ، ويستعملون في تبديع من هذا شأنه من أساليب التعسف مايشعر بتناهي ضعف العلم وفساد ملكة الحق عند المتأخرين ، يدلك على هذا أن أحدهم لما يريد تبديع منكري هذه البدع أو تكفير مجتهد بمسألة من المسائل مثلا ويرى أن أدلتهم من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة وأنه لاسبيل له للاتيان بدليل منهما يضاد أدلتهم لأن نص الصحيح لايضاد نص الصحيح يعمد الى حديث موضوع أو قول من أقوال الشيوخ فيجعله حجة له على أولئك بازاء حجتهم من الكتاب والسنة الصحيحة ، أو يجمع نصوصا متفرقة يتصد كل منها بمعناه وجها مخصوصا فيستنتج منه حكما يطابق هواه مخالفا في هذا طريقة السلف ، ولم هذا ؟ لأنه لم يلتمس في مناظرته بيان الحق وتمحيص الحقائق ، وانما هو يلتمس رضا العامة بمجاراة أفكارهم ابتغاء الزلفى عندهم ، وتعظيمهم له ، أو هو يحاول التماس المعذرة أمام النفس التي يتجلى لها الحق فيصدها عنه مرغما بحكم العادة والتقليد ، (واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، أولو كانوا لايعقلون شيئا ولا يهتدون) •

ومن أراد شاهدا على هذا فليراجع كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) ليرى كيف أن بعض العلماء المعاصرين لشيخ الاسلام ابن تيمية كفر ــ تعسفا وافتراء ــ هذا الشيخ الجليل المعدود من نوابغ علماء الاسلام وأئمة الهدى المصلحين ، لتفرده في عصره بالانكار الشديد على أهل البدع التي انتشرت يومئذ بين المسلمين ، وبيان ماأصبحت عليه الامة من الزيغ في العقائد عن طريق الصحابة والتابعين ، حاثا على الرجوع الى سذاجة [1] الدين ، وتطهير العقيدة من شوائب المبتدعين ، مستندا في كل ماقاله وأملاه على الكتاب العزيز والسنة الصحيحة •

فهل بعد تكفير من يقول بمثل هذا القول من حجة على فساد ملكات العلماء وانحطاط درجة التعليم بين المسلمين ؟ وهل يعجب من تدني عامة الأمة الى الدرجة التي هم فيها اليوم من فساد العقيدة والاخلاق بعد وصول علمائهم الى هذا الحد من سوء التعلم والتعليم ؟ انتهى كلام هذا الفاضل •

فانظر الى قوة هذا الكلام وانصاف قائله ، لاهتك الله له حريما ولامزق له أديما •

ومنهم العلامة المفضال ، المتميز بين أقرانه بالأدب والكمال ، الذي أوقد للمشكلات سراجا من فكره غدت ذبالته لمداراة فراش أذهان الطلاب قطبا ، وأجرى من صخور العويصات سلسبيلا فراتا وماء عذبا ، خلف الأوائل ، وشرف الأواخر ، والاماثل ، السيد محمد بدر الدين الحلبي ، لازالت بحار علومه تقذف بالدرر ، ولا برحت غرر طروسه مزينة بالطرر ، فقد أجرى من ياقوتة فكره السيالة بحارا ، وأعلى للفضل بنير ذهنه منارا ، حيث ألف كتابه الفريد في بابه ، وأبدع كل الابداع في فصوله وأبوابه ، وأتى فيه بما لم يسبق اليه ، ولم يقدم أحد من السابقين عليه ، وهذا الفاضل لم يزل يعطر محافل العلماء بنشر مناقب شيخ الاسلام وأصحابه ، ويجادل عنه تقريرا وتحريرا انتصارا للحق وشغفا به ، وكم ألقم الخصم الألد حجر السكوت ، وتركه من غيظه وخجله يكاد يموت ، متع الله تعالى بحياته أرباب الاستفادة وأسبغ نعمه عليه حتى ينال من كل خير مراده •

ومنهم الذكي الذي أذكى بوقاد ذهنه ذبالة نبراس الفضل بعد انطفائها ، والألمعي الذي لمعت أشعة فكره على دارس الفواضل فأحياها بعد فنائها ، العالم الأفضل والكامل الأكمل ، أبو الهمم محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ، لازالت بدور فلك العرفان مقتبسة من أنوار شمس كماله أعظم قبس ، فانه حفظه الله تعالى منذ

(١) كذا هنا وفي الصفحة قبلها وهذه الكلمة ترد صفة نقص فلعلها هنا تصحفت عن سماحة او نحوها .

جرى جواد قلمه في مضمار ميادين القراطيس ، وشرع لسان بيانه يجول في عرصات الدرس والتدريس ، لم يزل مشغوفا بذلك الامام ، ذاكرا لمحامده ومناقبه بين الخاص والعام ، قد ملأ المجلات المصرية الشهيرة ببيان فضائله ومعارفه ، وما كان عليه من الدرجة الرفيعة ، وما بث من الدقائق في صحائفه ، وكم ترك خصومه ومن ناواه حيارى ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، لازال بالخير محفوفا ، ولا برح حائزا من الفضائل صنوفا الى غير أولئك من الأكابر ، ممن لاتستوعبهم الدفاتر ،ولعل الله تعالى ييسر لنا افراد كتاب نجمعهم فيه ، ونستوعب من تكلم في مناقب الشيخ من أكابر أفاضل هذا العصر ، ونذكر مالهم في هذا الباب من النصوص والعبارات ، ومالهم من النظم والنثر في مديحه ليكون ذلك سفرا من أجل الأسفار ، والله الموفق .

(فيا أيها النبهاني) قد سمعت ماسمعت من تقريري وبياني ، فهل بقي لك لوم على مصنف جلاء العينين ووالده بسبب ماكان منهما من الانتصار للحق والذب عن السنة وابطال البدع التي هي غذاء روحك الخبيثة ؟ وقد سبقهما في ذلك علماء أعلام ، ومشايخ عظام ، ومن كان له انصاف من ذوي الفضل الكرام ، وأظن أنه لجهله لم ير في عمره مما ألف في هذا الباب سوى كتاب جلاء العينين ، ولم يعرف معناه ، بل لم يحسن أن يقرأ عبارة لفظه ومبناه ، فلذلك جعله سبابة المتندم ، وخصه ومؤلفه بشتمه وسبه كما شتم شيخ الاسلام وأكابر أصحابه اقتداء بمشايخه السبكي وولده وابن حجر ، وقلدهم تقليد أعمى ، ولم يلتفت الى الدليل ، وقد كفيناه وأعطيناه حقه بل زدناه كما قد قيل :

ان السؤال والجواب مثلما قد قيل في التمثيل أنثى وذكر

ونحن قد تطفلنا على هذا المبحث فمن الواجب أن يرد على ذلك الزائغ بعض أبناء مصنف جلاء العينين ، فقد بلغني أن فيهم أفاضل فكان من حقهم أن يذبوا عن والدهم ، ويلقموا هذا الخصم الذي خطا خطوات العدوان بحجر سكوت ، ولكن اعراضهم عن ذلك اما لعدم وصول الكتاب اليهم واما عدم مبالات بما كان من الجاهل النبهاني ، كما قال القائل :

عذرت البزل ان هي خاطرتني فما بالي وبال ابن اللبون

فان نبح الكلاب لايضر السحاب ، وطنين الذباب لايخاف منه أولو الألباب ، وما أحسن ما قال ابن سند أحد سكنة العراق من علماء نجد :

يامعهد الزيغ لاحياك مبتكر | من السحاب ضحوك البرق منهمل
ولا أنبني فيك فسطاط السعود ولا | أقيم فيك لابكار الرضا كلل
ولا عداك البلى في كل آونة | حتى تزول الجبال الشم والقلل
اذ أنت دمنة خبث طالما رتعت | فيها من الحمر الأهلية الهمل
من كل من خبثت منه ضمائره | اذا انقضى دخل منها أتى دخل
رأى خيار الورى طرا فجانبهم | كذا يجانب أرباب العلى السفل
وصار يرميهم منه بكل هجا | وما على البدر لو أزرى به طفل
وما على العنبر الفواح من حرج | ان مات من شمه الزبال والجعل
أو هل على الأسد الكرار من ضرر | أن ينهق العير مربوطا أو البغل
أو هل على أنجم الخضراء منقصة | ان عابها من حصى الغبراء منجدل
فلا وربك لايزرى بشمس ضحى | أعابها الجدي أم قد عابها الحمل
وقد يعيب الفتى من ليس يدركه | اذ كل ضد بذم الضد مشتغل
كما يعيب فتاة راق منظرها | قبيحة ويعيب الصائب الخطل
والزج يحسد لؤما خرص سمهره | كذاك يهجو الشجاع الباسل الفشل
فلا يضر أولي الفضل الألى سبقوا | من صحب خير الورى انذمهم سفل
مثل الأسنة والأسياف مابرحت | بطعن أعدائهم والضرب تنصقل

(وقد آن أن نشرع) بما وعدنا به من نقل كتاب (الكواكب الدرية) للشيخ مرعي الحنبلي فانها على اختصارها حوت ملخص أحوال الشيخ وما كان عليه ، فانه بعد خطبة الكتاب ذكر الكتب التي لخص منها مباحث كتابه ، ثم ذكر ترجمة الشيخ ونسبه ، ثم ذكر ثناء الأئمة عليه ، ثم أفرد فصلا عد فيه بعض مصنفاته وذكر سعة حفظه وقوة ملكته ، ثم أورد فصلا في ذكر بعض مآثره الحميدة وصفاته السديدة ، وفصلا آخر في تمسكه بالكتاب والسنة ، وآخر في محنته وتمسكه بالطريقة السلفية ، وما كان من الشيخ نصر المنبجي من العداوة ، ثم أفرد فصلا في سفر الشيخ الى مصر وما صادفه من المحنة ، ثم ذكر ما وقع له بعد عوده الى دمشق ، وما كان له من الاختيارات ، ثم ذكر قصة حبس الشيخ بقلعة دمشق الى وفاته ، ثم ذكر قوله في مسألة السفر الى زيارة القبور وصورة السؤال وجواب الشيخ فيها ، ثم ذكر ما كان من انتصار علماء بغداد له يومئذ ، وجواب الشيخ جمال الدين الحنبلي رحمه الله ، وأجوبة أخرى موافقة لقول الشيخ ، وماكتبه علماء بغداد للملك الناصر من الثناء

على الشيخ ، ثم ذكر وفاته وما كان من الاحتفال بجنازته ، ثم ذكر الشعر الذي رثوه به ، ثم ختم الكتاب بالموعظة والتحذير من التعرض للعلماء .

هذا مجمل مافي الكتاب ، وهي مطالب عالية ، كلها شجى في أفواه الغلاة ، وكلها ترد على هذيان النبهاني وأضرابه ، وتبين الحق لطالبه ، وتوضح الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وهانحن ننقل ماذكره من تفصيل ذلك الاجمال ، ومنه سبحانه الهداية وهو المستعان :

قال رحمه الله بعد البسملة : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عن العلماء العاملين ، والأئمة المجتهدين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، وبعد ، فهذه فوائد لطيفة ، وفرائد شريفة ، في مناقب شيخ الاسلام ، وبحر العلوم ، ومفتي الفرق ، المجتهد أحمد تقي الدين بن تيمية ، لخصتها (من مناقبه) للشيخ الحافظ الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحليم بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي (ومن مناقبه) للشيخ الامام العالم الأوحدي الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن موسى البزار (ومن مناقبه) للشيخ الامام العالم أوحد الأدباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد ابن القاضي محي الدين يحيى بن العمري الشافعي .

(فأقول وبالله التوفيق) ابن تيمية هو الشيخ الامام العالم العامل الرباني ، امام الأئمة ، وعلامة الأمة ، ومفتي الفرق ، وبحر العلوم ، وسيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر، ووحيد الدهر ، شيخ الاسلام ، بركة الأنام ، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، عالم الزهاد ، وأوحد العباد ، قامع المبتدعين ، وآخر المجتهدين ، تقي الدين ، أبو العباس ، أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التي لم يسبق الى مثلها ، كذا ترجمه بهذه الترجمة ابن قدامة المتقدم .

(واختلف) لم قيل ابن تيمية ؟ فقيل : ان جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء فرأى هناك طفلة ، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا فقال ياتيمية ياتيمية فلقب بذلك ، وقيل ان جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب اليها وعرف بها .

(ولد رحمه الله تعالى) بحران يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة ، وبقي بحران الى أن بلغ سبع سنين ، ثم بعد ذلك هاجر والده به وباخوته الى الشام عندجور التتر ،فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب ، فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة ، فابتهلوا الى الله سبحانه واستغاثوا به فنجوا وسلموا ، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين ، فنشأ بدمشق أتم انشاء وأزكاه ، وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه ، وكانت مخائل النجابة عليه في صغره لائحة ، ودلائل العناية فيه واضحة ، فلم يزل منذ ابان صغره مستغرق الأوقات في الجد والاجتهاد ، وختم القرآن صغيرا ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمته مجالس الذكر ، وسماع الأحاديث والآثار ، ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية ، أما دواوين الاسلام الكبار كمسند الامام أحمد ، وصحيح البخاري ، ومسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود السجستاني ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدار قطني ، فانه سمع كلا منها مرات عديدة ، وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع بين الصحيحين للامام الحميدي — كذا قال الشيخ الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر — وسمع من مشايخ كابن عبد الدائم المقدسي وطبقته ، وطلب بنفسه قراءة وسماعا من خلق كثير ، وقرأ الكتب الكبار ، وكتب الطباق والاثبات ، ولازم السماع واشتغل بالعلوم ، قال ابن عبد الهادي بن قدامة : وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ ، وسمع مسند الامام أحمد مرات ، وسمع الكتب الكبار والأجزاء ، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير ، وعني بالحديث ، وقرأ ونسخ وانتقى وتعلم الخط والحساب في الكتاب ، وحفظ القرآن ، وأقبل على الفقه وقرأ في العربية ، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو ، وأقبل على التفسير اقبالا كليا ، حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك ، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة ادراكه ، انتهى .

(فصل في ثناء الأئمة على ابن تيمية) قد أكثر أئمة الاسلام من الثناء على هذا الامام ، كالحافظ المزي ، وابن دقيق العيد ، وأبي حيان النحوي ، والحافظ ابن سيد الناس ، والعلامة كمال الدين ابن الزملكاني ، والحافظ الذهبي ، وغيرهم من أئمة العلماء .

(قال جمال الدين) أبو الحجاج المزي عن ابن تيمية : مارأيت مثله ، ولا رأى

هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .

(وقال القاضي) أبو الفتح ابن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ مايريد ويدع مايريد ، وقلت له : ماكنت أظن أن الله بقي يخلق مثلك .

(وقال الشيخ ابراهيم الرقي) الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم ، فان طال عمره ملأ الأرض علما وهو على الحق ، ولا بد مايعاديه الناس فانه وارث علم النبوة .

(وقال قاضي القضاة) أبو عبد الله ابن الحريري ان لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن هو ؟

(وقال أبو حيان) شيخ النحاة لما اجتمع بابن تيمية ما رأت عيناي مثله ، ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال :

لما أتينا تقي الدين لاح لنا	داع الى الله فردا ماله وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهرنا حبرا	بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره درست	وأخمد الشر اذ طارت له شرر
يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ	هذا الامام الذي قد كان ينتظر [1]

(وقال العلامة ابن الوردي) ناظم البهجة في رحلته ـ لما ذكر علماء دمشق وترك التعصب والحمية ـ وحضرت مجالس ابن تيمية فاذا هو بيت القصيدة ، وأول الخريدة ، علماء زمانه فلك هو قطبه ، وجسم هو قلبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر ، والبحر على القطر ، حضرت بين يديه يوما فأصبت المعنى ، وكناني وقبل بين عيني اليمنى ، وقلت :

ان ابن تيمية في	كل العلوم أوحد
أحييت دين أحمد	وشرعه ياأحمد

(وقال الحافظ فتح الدين) أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري ـ بعد أن ذكر ترجمة الحافظ المزي ـ وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ،

---

(١) وفى نسخة : كنا نحدث عن حبر يجيء فها   أنت الامام الذي قد كان ينتظر
هذا التعليق وجد بالاصل فجرى ابقاؤه كما هو : المصحح

فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته ، تبرز في كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه ، كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويردون من بحر علمه العذب النمير ، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، الى أن دب اليه من أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ماينتقد عليه من أمور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاما أوسعوه بسببه ملاما ، وفوقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، يسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون ، ولم يزل بمجلسه الى حين ذهابه الى رحمة الله ، والى الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور •

(ثم قال) قرأت على الشيخ الامام حامل راية العلوم ومدرك غاية الفهوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله ، بالقاهرة قدم علينا ، ثم ذكر حديثا من جزء ابن عرفة •

(وقال الشيخ علم الدين البرزالي) في معجم شيوخه : أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الشيخ تقي الدين أبو العباس الامام المجمع على فضله ونبله ودينه قرأ القرآن وبرع فيه والعربية والأصول ، ومهر في علم التفسير والحديث ، وكان اماما لايلحق غباره في كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان اذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن ايراده ، واعطائه كل قول مايستحقه من الترجيح والتضعيف والابطال ، وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب ،هذا مع انقطاعه الى الزهد والعبادة ، والاشتغال بالله تعالى ، والتجرد من أسباب الدنيا ، ودعاء الخلق الى الله تعالى ، وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم ، فاتنفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه وموافقة قوله لعمله وأناب الى الله تعالى خلق كثير ، وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى •

وقال العلامة الزملكاني أحد أئمة الأعلام : لقد أعطى ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وقد ألان الله له

العلوم كما ألان لداود الحديد ، كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لايعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لايعرفه مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه مالم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها الا فاق فيه أهله والمنسوبين اليه ، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف ، ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر فكتب فيها مجلدة كبيرة ، وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود ـــب فيها مجلدة كبيرة أيضا ، ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ،ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها •

وقال عن كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل) من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الامام العالم العلامة الأوحد البارع الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الاسلام ، مفتي الأنام ، سيد العلماء ، قدوة الفضلاء ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، حجة الله على العباد ، راد أهل الزيغ والعناد ، أوحد العلماء العاملين ، آخر الأئمة المجتهدين ، أبي العباس أحمد بن تيمية ، حفظ الله على المسلمين طول حياته ، وأعاد عليهم من بركاته ، انه على كل شيء قدير •

وقال عن كتاب (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد ، العابد القدوة ، امام الأئمة ، وقدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهدين ، أوحد علماء الدين ، بركة الاسلام ، حجة الاعلام ، برهان المتكلمين ، قامع المبتدعين ، محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ، وقامت به على أعدائه الحجة ،واستبانت ببركته وهديه المحجة :تقي الدين أحمد ابن تيمية ، أعلى الله مناره ، وشيد به من الدين أركانه ، ثم قال :

ماذا يقول الواصفون له	وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة	هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة	أنوارها أربت على الفجر

(وقال الشيخ الامام القدوة) الزاهد ،عماد الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم الواسطي : شيخنا السيد الامام ، العلامة الهمام ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفاتق عن الحقائق ، ومؤصلها بالأصول الشرعية للطالب

الفائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهرا وقلبه في العلى قاطن ، انموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأمة حذوهم وسبيلهم ، فكان في دارس نهجهم سالكا ، ولأعنة قواعدهم مالكا : الشيخ الامام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، فوالله ثم والله ثم والله لم يرتحت أديم السماء مثله علما وحالا ،وخلقا واتباعا، وكرما وحلما في حق نفسه ، وقياما في حق الله عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس عقدا ، وأصحهم علما وعزما ، وأعلاهم ـ في انتصار الحق وقيامه ـ همة وأسخاهم كفا ، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأطال في ترجمة الشيخ •

(وقال الحافظ الناقد أبو عبد الله شمس الدين الذهبي) نشأ ـ يعنى الشيخ تقي الدين رحمه الله ـ في تصون تام ، وعفاف وتأله ، وتعبد ، واقتصاد في الملبس والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت ،وأكب على الاشتغال ، ومات والده وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ، فدرس بعده بوظائفه وله احدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم ، وكان يورد الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح ، وكان آية في الذكاء وسرعة الادراك ، رأسا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحرا في النقليات ، هو في زمانه فريد عصره علما وزهدا وشجاعة وسخاء وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه ، وتأهل للتدريس والفتوى ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتقدم في علم التفسير والأصول ، وجميع علوم الاسلام أصولها وفروعها ، ودقها وجلها ، فان ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وان عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وان حضر الحفاظ نطق وخرسوا ، وسرد وأبلسوا ، واستغنى وأفلسوا ، وان سمى المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم، وان لاح ابن سينايقدم الفلاسفة فلسهم وتيسهم ،وهتك أستارهم ،وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو أعظم من أن يصفه كلمي ، أو ينبه على شأوه قلمي ، فان سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن توضع في مجلدين ، فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته ، فانه كان رباني الأمة ، وفريد الزمان ، وحامل لواء الشريعة ، وصاحب معضلات المسلمين ، رأسا في العلم ، يبالغ

في اطراء قيامه في الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبالغة مارأيتها ولا شاهدتها من أحد ، ولا لاحظتها من فقيه ، قال وكان له بـاع طويـل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقل أن يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنف فيها واحتج له بالكتـاب والسنة .

ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة أن يجيـز له مروياته وينص على أسماء جملة منها ، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون ، وله الآن عدة سنين لايفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده ، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنهـا الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصـر والشام قياما لامزيد عليه ، وبدعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لايداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ماشتهر منه من الورع وكمال الفكر وسرعة الادراك والخوف من الله العظيـم والتعظيم لحرمات الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ، ووقعات شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله ،فانه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يدمنها ، وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء ، وسائر العامـة تحبه لأنه منتصب لنفعهم .

(وأما شجاعته) فبها تضرب الأمثال ، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال ، ولقـد أقامه في نوبة غازان وقام بأعباء الأمر بنفسه ، وقام وقعد ، وطلع وخرج ، واجتمـع بالملك مرتين ، وبخطلو شاه ، وببولاي ، وكان فنجق يتعجب من اقدامه وجرأته على المغول ، وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليث حرب ، وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني مارأيت بعيني مثله ، ولا والله مارأى هو مثل نفسه .

(وقال في مكان آخر في ترجمة طويلة) وله خبرة تامة بالرجـال وجرحهـم ، وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالي والنازل ، وبالصحيح والسقيم، مع حفظ لمتونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى في عـزوه الى الكتب الستـة

والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله ، غير أنه يغترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي .

(وأما التفسير) فمسلم اليه ، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت اقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة ، واذا رآه المقري تحير فيه ، ولفرط طول باعه في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهي أقـوالا عديدة ، وينصر قولا واحدا موافقا لما دل عليه القرآن والحديث ، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحوا من أربعة كراريس أو أزيد ، وما أبعد أن تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد ، وله في غـير مسألة مصنف مفرد في مجلد ، ثم ذكر بعض تصانيفه رحمه الله .

(وكتب الذهبي) طبقة بخطه يقول فيها : سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الامام العالم العلامة الأوحد شيخ الاسلام مفتي الفرق قدوة الأمة أعجـوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد أبي العباس أحمد بن تيميـة رضي الله عنه .

(وقال الشيخ علم الدين) رأيت اجازة بخط الشيخ تقي الدين وقد كتب تحتها الشيخ شمس الدين الذهبي : هذا خط شيخنا الامام شيخ الاسلام فرد الزمان بحـر العلوم تقي الدين ، مولده عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمـائة ، وقـرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلم والتفسـير وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة ، وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حيـاة شيوخه ، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ ، ومعرفته بالتفسير اليها المنتهي ، وأما حفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه .

وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيرا ، وعربيته قوية جدا ، وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب ، وأما شجاعته وجهاده واقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت ، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهـم المثل ، وفيه زهد وقناعة باليسير من المأكل والملبس ، انتهى كلام الذهبي ولقد أنصف رحمه الله تعالى .

(وقال بعض قدماء أصحاب الشيخ ابن تيمية) وقد ذكر نبذة من سيرته : أما مبدأ أمره ونشأته فانه نشأ من حين نشأ في حجور العلماء ، راشفا كؤوس الفهوم ، راتعا في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون ، لايلوي الى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور وخصوصا علم الكتاب العزيزوالسنةالنبوية ولوازمهما ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا سلفيا ، متألها عن الدنيا صينا تقيا ، برا بأمه ورعا عفيفا ، عابدا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، راجعا الى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا ، وقافا عندحدودالله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، لاتكاد نفسه تشبع من العلم ولا ترتوي من المطالعة ، ولا تمل من الاشتغال ولا تكل عن البحث ، وقل أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه الا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله مقصودة بالكتاب والسنة ، ولقد سمعته في مبادىء أمره يقول انه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينجلي اشكال ماأشكل ، قال وأكون اذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لايمنعني ذلك من الذكر والاستغفار الى أن أنال مطلوبي ، قال : ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة اذا اجتمعت بالشيخ ابن تيمية في ختمة أو مجلس ذكر خاص مع المشائخ وتذاكروا وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب ، وتأثيرا في النفوس ، وهيمنة مقبولة ، ونفعا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التي سمعته أياما كثيرة ، حتى كأن مقاله بلسان حاله ، وحاله ظاهر في مقاله .

(وقال الشيخ الامام الحافظ) شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي في كتابه المناقب : لم يبرح شيخنا يعني ابن تيمية في ازدياد من العلوم، وملازمة للاشتغال وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبيل الخير ، حتى انتهت اليه الامامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والانابة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والأمانة ،والعفة والصيانة ، وحسن القصد والاخلاص ، والابتهال الى الله ، وكثرة الخوف منه ، وكثرة المراقبة له ، وشدة التمسك بالأثر ، والدعاء الى الله ، وحسن الأخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم ، والصبر على من آذاه والصفح عنه والدعاء له ، وسائر أنواع الخير .

وكان رحمه الله سيفا مسلولا على المخالفين ، وشجى في حلوق أهل الأهواء

والمبتدعين ، واماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين ، وكان بحرا لاتكـدره الدلاء ، وحبرا يقتدي به الأخيار الألباء ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الاعصـار ، واشتغل بالعلوم ، وكان ذكيا كثير المحفوظ ، اماما في التفسير وما يتعلق به ، عارفـا بالفقه واختلاف العلماء والأصلين والنحو واللغة ، وغيرذلك من العلوم النقلية والعقلية، وماتكلم معه فاضل في فن الا ظن أن ذلك الفن فنه ، ورآه عارفا به متقنا له ، وأما الحديث فكان حافظا له ، مميزا بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله مضطلعا من ذلك، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع ، وأثنى عليه وعلى فضائلـه جماعة من علماء عصره .

(وقال الشيخ الامام الفاضل الأديب) أحمد شهاب الدين بن فضل الله العمري الشافعي في تاريخه المسمى (بمسالك الأبصار ، في ممالك الأمصار) في ترجمة الشيخ ابن تيمية ــ وهي طويلة تبلغ كراسة فأكثر ــ (ومنهم أحمد) بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ، العلامة الحافظ الحجة المجتهد المفسر ، شيخ الاسلام ، نادرة العصر ، علم الزهاد ، تقي الدين ، أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ، هو البحر من أي النواحي جئته ، والبدر من أي الضواحي أتيته ، رضع ثدي العلم منذ فطم ، وطلع وجه الصباح ليحاكيه فلطم ، وقطع الليل والنهـار دائبين ، واتخذ العلم والعمل صاحبين ، الى أن أنسى السلف بهداه ، وأنأى الخلف عن بلوغ مداه ، على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور ، وتسنأت منه عظماء على مشاهير الشهور ، فأحيا معالم بيته القـديم اذ درس ، وجنى من فننـه الرطيب ماغرس ، وأصبح في فضله آية الا أنه آية الحرس ، عرضت له الكدي فزحزحهـا ، وعارضته البحار فضحضحها ، ثم كان أمة وحده ، وفردا حتى نزل لحده ، جـاء في عصر مهول بالعلماء ، مشحون بنجوم السماء ، تموج في جانبيه بحور خضارم ، وتطير بين خافقيه نسور قشاعم ، وتشرق في أنديته بدور دجنة ، وصدور أسنـة ، الا أن صباحه طمس تلك النجوم ، وبحره طم على تلك الغيوم ، ففاءت سمرته على تلـك التلاع ، وأطلت قسورته على تلك السباع ، ثم عبيت له الكتائب فحطم صفوفهـا ، وخطم أنوفها ، وابتلع غديره المطمئن جداولها ، واقتلع طوده المرجحن جنادلهـا ، وأخمدت أنفاسهم ريحه ، وأكمدت شرارهم مصابيحه .

تقدم راكبا فيهم اماما ولولاه لما ركبوا وراه

فجمع أشتات المذاهب وشتات الذاهب ، ونقل عن أئمة الاجماع فمن سواهم

مذاهبهم المختلفة واستحضرها ، ومثل صورهم الذاهبة وأحضرها ، فلو شعر أبو حنيفة بزمانه وملك أمره لأدنى عصره اليه مقتربا ، أو مالك لأجرى وراءه أشهبه ولوكبا ، أو الشافعي لقال ليت هذا كان للأم ولدا وليتني كنت له أبا أو الشيباني ابن حنبل لما لام عذاره اذ غدا منه لفرط العجب أشيبا ، لا بل داود الظاهري وسنان الباطني لظنا تحقيقه من منتخله ، وابن حزم والشهرستاني لحشر كل منهما ذكره في نحله ، أو الحاكم النيسابوري والحافظ السلفي لاضافه هذا الى مستدركه وهذا الى رحله ، ترد اليه الفتاوى ولا يردها ، وتفد عليه فيجيب عنها بأجوبة كأنه كان قاعدا لها يعدها •

أبدا على طرف اللسان جوابه فكأنما هي دفعة من صيب

وكان من أذكى الناس ، كثير الحفظ قليل النسيان ، قلما حفظ شيئا فنسيه ، وكان اماما في التفسير وعلوم القرآن ، عارفا بالفقه واختلاف الفقهاء والأصولين ، والنحو وما يتعلق به ، واللغة والمنطق وعلم الهيئة ، والجبر والمقابلة وعلم الحساب ، وعلم أهل الكتابين وأهل البدع وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما تكلم معه فاضل في فن من الفنون الا ظن أن ذلك الفن فنه ، وكان حفظه للحديث مميزا بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله ، متضلعا من ذلك ، وله تصانيف كثيرة ، وتعاليق مفيدة ، وفتاوى مشبعة في الفروع والأصول والحديث ، ورد البدع بالكتاب والسنة، وأطال في ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى فاقتصرنا على ذلك خوف التطويل •

(وقال الشيخ الامام الحافظ) سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار في كتابه الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : أما غزارة علومه فمعرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واشتهاره بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته فان فيه من الغاية التي ينتهي اليها والنهاية التي يعول عليها ، ولقد كان اذا قريء في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضي المجلس بجملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها ، وأما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وماخصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم في دين الله وما خصوا به من بين الأمة فانه كان رضي الله عنه من

أضبط الناس لذلك ، وأعرفهم فيه ، وأسرعهم استحضارا لما يريده منه ، فانه قل ان ذكر حديثا في مصنف أو فتوى أو استشهد به أو استدل به الا وعزاه في أي دواوين الاسلام هو ، ومن أي قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما ، وذكر اسم راويه من الصحابة ، وقل أن سئل عن أثر الا وبين في الحال حاله وحال أكثره وذاكره ، ولا والله مارأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه ونصر ماجاء به منه ، حتى كان اذا أورد شيئا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم ينسخه غيره من حديثه يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ، ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان ، ومنحه الله تعالى بمعرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل وما روي عن كل منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود في كل زمان ومكان ونظره الصحيح الثاقب الصلب للحق مما قالوه ونقلوه وعزوه ذلك الى الأماكن التي بها أودعوه ، حتى كان اذا اشتغل عن شيء من ذلك كان كأن جميع المنقول فيه عن الرسول وأصحابه والعلماء من الأولين والآخرين متصور ومسطور بازائه يقول منه مايشاء ويذر مايشاء ، وهذا قد اتفق عليه كل من رآه ، وقل كتاب من فنون العلوم الا وقد وقف عليه ، فكأن الله تعالى قد خصه بسرعة الحفظ وبطء النسيان ، لم يكن يقف على شيء ويسمع بشيء غالبا الا ويبقى على خاطره ، اما بلفظه أو معناه ، وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره ، فانه لم يكن له مستعارا بل كان له شعارا ودثارا ، جمع الله له ماخرق له العادة ، ووفقه في جميع عمره لاعلام السعادة ، وجعل مآثره لامامته من أكبر شهادة ، حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عني نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله : (ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) فلقد أحيا الله تعالى به ما كان قد درس من شرائع الدين ، و جعله حجة على أهل عصره أجمعين ، والحمد لله رب العالمين •

(وبالجملة) فكلام الأئمة بالثناء عليه مما يطول ، وفيما ذكرناه كفاية تدل على علو رتبته ورفيع شأنه ومرتبته رضي الله تعالى عنه آمين •

وأثنى عليه كثير من الفضلاء بالقصائد في حال حياته فمن ذلك قصيدة نجم الدين اسحاق ابن أبي بكر التركي وهي :

ذراني من ذكرى سعـاد وزينب	ومن ندب اطلال اللـوى والمحصب
ومن مـدح آرام سنحن برامـة	ومن غزل في وصف سـرب وربرب

ولا تنشداني غير شعر الى العلى يظل ارتياحا يزدهيني ويطبي
وان أنتما طارحتماني فليكن حديثكما في ذكر مجد ومنصب
بحب المعالي لابحب ام جندب أقضي لبانات الفؤاد المعذب
خلقت امرءا جلدا على حملي الهوى فلست أبالي بالقلى والتجنب
سواء أرى بالوصل تقريض جؤذر أو اعراض ظبي ألعس الثغر أشنب
ولم أصب في عصر الشبيبة والصبا فهل أصبون كهلا بلمة أشيب
يعنفني في بغيتي رتب العلى جهول أراه راكبا غير مركبي
له همة دون الحضيض محلها ولي همة تسمو على كل كوكب
فلو كان ذا جهل بسيط عذرته ولكنه يدلي بجهل مركب
يقول علام اخترت مذهب أحمد فقلت له اذ كان أحمد مذهب
وهل في ابن شيبان مقال لقائل وهل فيه من طعن لصاحب مضرب
أليس الذي قد طار في الأرض ذكره وطبقها مابين شرق ومغرب

الى أن قال

امام الهدى الداعي الى سنن الهدى وقد فاضت الأهواء من كل مشعب
وأصحابه أهل الهدى لايضرهم على دينهم طعن امرىء جاهل غبي
هم الظاهرون القائمون بدينهم الى الحشر لم يغلبهم ذو تغلب
لنا منهم في كل عصر أئمة هداة الى العليا مصابيح مرقب
فأيدهم رب العلى من عصابة لاظهار دين الله أهل تعصب
وقد علم الرحمن أن زماننا تشعب فيه الرأي أي تشعب
فجاء بحبر عالم من سراتهم لسبع مئين بعد هجرة يثرب
يقيم قناة الدين بعد اعوجاجها وينقذها من قبضة المتغصب
فذاك فتى تيمية خير سيد نجيب أتانا من سلالة منجب
عليم بأدواء النفوس يسوسها بحكمته فعل الطبيب المجرب
بعيد عن الفحشاء والبغي والأذى قريب الى أهل التقى ذو تحبب
يغيب ولكن عن مساو وغيبة وعن مشهد الاحسان لم يتغيب
حليم كريم مشفق بيد أنه اذا لم يطع في الله لله يغضب
يري نصرة الاسلام أكرم مغنم واظهار دين الله أربح مكسب
وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا ضلالة كذاب ورأى مكذب

ولم يلـف من عاداه غير منـافق وآخـر عن نهج السبيـل منكب
لقد حاولوا منه الـذي كان رامه من المصطفى قدمـا حيي بن أخطب
ولكن رأوا من بأسه مثـل مارأى من المرتضى في حربـه رأس مرحب
تمسك أبا العباس بالدين واعتصـم بحبل الهـدى تقهر عـداك وتغلب
ولا تخش من كيد الأعادي فما هـم سـوى حائر في أمره ومـذبذب
جنـودهم من طامع ومضلـل مسيلمـة منهم يلـوذ بأشعب
وجندك من أهل السماء ملائـك يمدك منهـم موكب بعد موكب
لئن جحدت علياء فضلك حسـد لعمر أبي قـد زاد منهـم تعجبي
وهل ممكن في العقل أن يجحدالسنا ضحى وضيـاء الشمس لم يتحجب
أيا مطلبا حزنـاه من غير مهلـك وكم مهلك صد الـورى دون مطلب
ربيب المعالي يافع الجود والنـدى فتى العلم كهل الحلم شيـخ التأدب
بسيـط معان في وجيز عبـارة بتهذيبه تعجـيز كل مهـذب
وليس له في الزهد والعلم مشبـه سوى الحسن البصري وابن المسيب
ومن رام حبرا دونه اليوم في الورى فذاك الذي قد رام عنقـاء مغـرب
أليس هو الحبر الذي بانتصـاره حيي الدين حتى بالأمـانة قد حبي
وجاهـد في ذات الاله بنفسـه وبالمـال والأهلـين والأم والأب
وماجئت في مدحي له متطلبـا به عرضـا يفنى ولا نيـل منصب
ولكنني أبغـي رضى اللـه خالقي وأرجو به غفـران زلـة مذنب

(وقال القاسم ابن محمود بن عساكر)

تقي الدين أضحى بحر علـم يجيـب السائلـين بلا قنـوط
أحـاط بكل علم فيه نفـع فقـل ماشئت في البحر المحيط

وقصائد مدحه في حياته كثيرة ،وكذلك بعد وفاته كما سيـأتي انشاء الله تعالى

(فصل في تصانيف ابن تيمية وسعة حفظه وقوة ملكته رحمة الله عليه)

قد مرت الاشارة الى ذلك في كلام الأئمة وقول العلامة ابن الزملكاني لقـد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد ، وتقدم قول الحافظ الذهبي وماأبعد أن تصانيفه الآن تبلغ خمسمائة مجلد •

(وقال الشيخ ابن عبد الهادي بن قدامة) للشيخ رحمه الله تعالى من التصانيف

والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط ، قال ولا أعلم أحدا من متقدمي الأئمة ولامتأخريهم جمع مثل ماجمع ، ولاصنف نحو ماصنف، ولا قريبا من ذلك مع أن أكثر تصانيفه انما أملاها من حفظه ، وكثيرا منها صنفه في الحبس ، وليس عنده مايحتاج اليه من الكتب .

فمن ذلك ماجمعه في التفسير وماجمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم ، وذلك أكثر من ثلاثين مجلدا ، وقد بيض أصحابه بعض ذلك وكثير منه لم يكتبوه ولو كتب كله لبلغ خمسين مجلدا ، وكان رحمه الله تعالى يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم أسأل الله تعالى الفهم وأقول يامعلم ابراهيم علمني ، وكنت أذهب الى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول يامعلم ابراهيم فهمني .

(وقال أبو حفص) عمر البزار في المناقب : وأما مؤلفاته ومصنفاته فانها أكثر من أن أقدر على احصائها ، بل هذا لايقدر عليه أحد ، لأنها كثيرة جدا كبارا وصغارا وهي منتشرة في البلدان ، فقل بلد نزلته الا ورأيت من تصانيفه ، فمنها مايبلغ عشرين مجلدا كتخليس التلبيس من تأسيس التقديس ، ومايبلغ سبع مجلدات كالجمع بين العقل والنقل ، وما يبلغ ست مجلدات ككتاب تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، وما يبلغ خمس مجلدات كمنهاج الاستقامة والاعتدال ، وما يبلغ أربع مجلدات ككتاب الرد على طوائف الشيعة والقدرية ، رد على ابن المطهر الرافضي ، وبين جهل الرافضة وضلالتهم وكذبهم ، ومايبلغ ثلاث مجلدات كالرد على النصارى ، ومجلدين كنكاح المحلل ، وابطال الحيل ، وشرح عقيدة الاصبهانية ، وما يبلغ مجلدا فكثير جدا ، ككتاب تفسير سورة الاخلاص مجلد ، وكتاب الكلام على قوله سبحانه وتعالى : (الرَّحمنُ عَلى العَرشِ استَوى)[1] مجلد نحو خمس وثلاثين كراسة والصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد ، وكتاب المسائل الاسكندرية في الرد على الملاحدة الاتحادية ، وتنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل مجلد ، وله في الرد على الفلاسفة مجلدات ، وقال : الفروع أمرها قريب فمن قلد أحدا من الأئمة جاز له العمل بقوله مالم يتيقن خطأه ، وأما الأصول فقد رأيت أهل البدع والضلال تجاذبوا فيها وأوقعوا الناس في التشكيك في أصول دينهم فلذلك أكثرت من

---

(١) طه : ٥

التصنيف في الرد عليهم •

(وبالجملة) فذكر أسماء كتبه مما يطول ، وله من الرسائل والقواعد والتعاليق مالا يمكن حصره ، وقد ذكر كثيرا منها الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة ، وقال من الله تعالى على الشيخ بسرعة الكتابة ويكتب من حفظه من غير نقل ، قال وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلدا لطيفا في يوم ، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر وأحصي ماكتبه في يوم وبيضه فكان ثماني كراريس في مسألة من أشكل المسائل ، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلدا ، وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين فكثير جدا ، وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن تحصى ، لكن دون منها بمصر على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدا ، وهذا ظاهر مشهور ، وقل أن وقعت واقعة وسئل عنها الا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر ، وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره الى زمن طويل ومطالعة كتب ، وقد لايقدر مع ذلك على ايراد مثله •

(وقال الشيخ صالح تاج الدين محمد) حضرت مجلس الشيخ رضي الله عنه وقد سأله يهودي عن مسألة في القدر وقد نظمها شعرا في ثمانية أبيات ، فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها ، وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرا ، فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه فاذا هو نظم [1] من بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتا ، وقد أبدى فيها من العلوم مالو شرح لبلغ مجلدين كبيرين ، وهذا من جملة بواهره ، وكم له من جواب فتوى لم يسبق الى مثله •

(وأما سعة حفظه وقوة ملكته) فقد تقدم التنبيه عليه كثيرا في كلام الأئمة ، وقد أذعن له بذلك المخالف والموافق ، وقال ابن عبد الهادي بن قدامة بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم الى دمشق وقال : سمعت أن في هذه البلاد صبيا يقال له أحمد بن تيمية سريع الحفظ وقد جئت قاصدا لعلي أراه ، فقال له خياط هذه طريق كتابه وهو الى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة يمر ذاهبا الى الكتاب ، فلما مر قيل ها هو الذي معه اللوح الكبير ، فناداه الشيخ وأخذ منه اللوح وكتب له من متون الحديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثا ، وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته اياه ثم قال : أسمعه عليّ فقرأه عليه عرضا كأحسن مايكون ، ثم كتب عدة أسانيد

(1) قد ذكر في كتابه الفتاوى الحلبية ، واورده ابن السبكي في طبقاته مع اجوبة اخرى لعلماء ذلك العصر اه كذا في الاصل .

انتخبها فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها ، فقام الشيخ وهو يقول ان عاش هـذا الصبي ليكونن له شأن عظيم ، فان هذا لم ير مثله ، فكان كما قال .

(وقال الحافظ أبو حفص) كان ابن تيمية اذا شرع في الدرس يفتح الله عليه أسرار العلوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء ، ونص بعضها وتبيين صحتها ، وتزييف بعضها ، وايضاح حجتـه ، واستشهاد بأشعار العرب ، وهو مع ذلك يجري كما يجري التيار ، ويفيض كما يفيض البحر ، ويصير منذ يتكلم الى أن يفرغ كالغائب عن الحاضرين مغمضا عينيه ، ويقع عليه اذ ذاك من المهابة مايرعد القلوب ويحير الابصار والعقول .

(ومن أعجب) الأشياء في حقه أنه لما سجن صنف كتبا كثيرة ، وذكر فيهـا الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم ، وعزا كـل شيء من ذلك الى ناقليه وقائليه ، وذكر أسماء الكتب التي ذكر ذلك فيها ، وفي أي موضع هو منها ، كل ذلك بديهة من حفظه ، لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه ، ونقبت واعتبرت فلم يوجد بحمد الله فيها خلل ولا تغيير .

(وأما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه) فانه في ذلك من الجبال التي لاترتقى ذروتها ولا ينال سنامها فقل ان ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمنكره وذاكره وناقله، أو راو الا وقد عرف حاله من جرح وتعديل باجمال وتفصيل .

(وأما ماوهبه الله تعالى ومنحه به) من استنباط المعاني من الألفـاظ النبوية والأخبار المروية وابراز الدلائل منها على المسائل وتبيين مفهوم اللفظ ومنطـوقه وايضاح المخصص للعام والمقيد للمطلق والناسخ للمنسوخ وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها ومايترتب عليها ومايحتاج فيه اليها فمما لايوصف ، حتى كان اذا ذكر آية أو حديثا وبين معانيه وما أريد به يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه ، ويدهشه ماسمعه أو وقف عليه منه ، ولقد سئل يوما عن حديث (لعن الله المحلل والمحلل له) فلم يزل يورد فيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلدا كبيرا ، وقل أن يذكر له حديث أو حكم الا وتكلم عليه يومه أجمع ، أو تقرأ بحضرته آية من كتاب الله تعالى ويشرع في تفسيرها الا وقضى المجلس كله فيه .

(وأما ماخصه الله تعالى) من معارضة أهل البدع في بدعهم ، وأهل الأهواء في أهوائهم ، ومبالغته في ذلك من دحض أقوالهم ، وتزييف أمثالهـم وأشكالهـم ، واظهار عوارهم وانتحالهم ، وتبديد شملهم وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شبههـم الشيطانية ، ومعارضاتهم النفسانية ، بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية ،

والدلائل النقلية ، والتوضيحات العقلية : فمن العجب العجيب •
(ذكر هذا كله) الحافظ أبو حفص عمر البزار ، وقال الحمد لله الذي من علينا برؤيته وصحبته ،ولقد جعله الله حجة على أهل عصره •
(وأنا أقول) الحمد لله الذي من علينا بمحبته ، واعتقاد أنه ممن تمسك بالكتاب والسنة ، والقيام بنصرهما والذب عنهما ، فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة وينفعنا به آمين •
(فصل في بعض مآثره الحميدة على سبيل التلخيص والا فبسطها يستدعي طولا)
(أما تعبده) فانه رضي الله عنه كما قال الأئمة الناقلون عنه قل ان سمع بمثله انه كان قد قطع جل وقته وزمانه في العبادة ، حتى أنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله وما يزاوله ، لا من أهل ولا من مال ، وكان في ليله منفردا عن الناس كلهم خاليا بربه عز وجل ضارعا اليه مواظبا على تلاوة القرآن العظيم مكررا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية ، وكان اذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة ، وكان اذا رأى في طريقه منكرا أزاله ، أو سمع بجنازة سارع للصلاة عليها ، أو تأسف على فواتها ، ولا يزال تارة في افتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ، ثم كذلك بقية يومه ، وكان مجلسه عاما للكبير والصغير والجليل والحقير ، ويرى كل منهم في نفسه أنه لم يكرم أحدا بقدره، ثم يصلي المغرب وتقرأ عليه الدروس ، ثم يصلي العشاء ، ثم يقبل على العلوم الى أن يذهب طويل من الليل ، وهو في خلال ذلك كله الليل والنهار لايزال يذكر الله تعالى ويوحده ويستغفره •

(وأما ورعه) فكان من الغاية التي ينتهى اليها في الورع أن الله تعالى أجراه مدة عمره كلها على الورع ، فانه ماخالط الناس في بيع ولا شراء ، ولا معاملة ولا تجارة ، ولامشاركة ، ولا مزارعة ، ولا عمارة ، ولا كان ناظرا أو مباشرا لمال وقف ، ولم يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ، ولا أمير ، ولا تاجر ، ولا كان مدخرا دينارا ولا درهما ، ولا متاعا ولاطعاما ، وانما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته رضي الله تعالى عنه العلم اقتداء بسيد المرسلين ، فانه قال : (ان العلماء ورثة الأنبياء ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر) •
(وأما زهده) فقد جعله الله شعارا من صغره ، ولقد اتفق كل من رآه خصوصا

من مال الى ملازمته أنه مارأى مثله في الزهد في الدنيا ، واشتهر عنه ذلك حتى لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة ؟ لقال ماسمعت بمثل ابن تيمية ، وما اشتهر بذلك الا لمبالغته في الزهد مع تصحيح النية ، لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء ، ولا سرية حوراء ، ولا حرص على دينار ولادر هم ، ولا رغب في دواب ولا نعم ، ولا ثياب فاخرة ولا حشم ، ولا زاحم في طلب الرياسات ، ولا رؤي ساعيا في تحصيل المباحات، مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره خاضعين لقوله ، وادين أن يتقربوا الى قلبه مهما أمكنهم مظهرين لاجلاله ، فأين حاله هذا من حال من أغراهم الشيطان بالوقيعة فيه ، أما نظروا ببصائرهم الى صفاتهم وصفاته ، وسماتهم وسماته، وتحاسدهم في طلب الدنيا وفراغه عنها ، ومبالغته في الهرب منها ، وخدمتهم للأمراء واختلافهم الى أبوابهم وذل الأمراء بين يديه وعدم اكتراثه بهم ، وقوة جأشه في محاوراتهم ؟ بلى والله ولكن قتلتهم الحالقة حالقة الدين لا حالقة النعم •

(وأما ايثاره مع فقره) فكان رضي الله عنه مع رفضه للدنيا وتقلله منها مؤثرا بما عساه يجده منها قليلا كان أو كثيرا ، لايحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدق به ، ولا الكثير فيصرفه النظر اليه عن الاسعاف به ، فقد كان يتصدق حتى اذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه فيصل به الفقراء ، وكان يستفضل من قوته الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه •

(وذكر الشيخ صالح زين الدين علي الواسطي) أنه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة ، قال : فكان قوتنا أنه يأتيني بكرة النهار ومعه قرص قدره نصف رطل بالعراقي فيكسره بيده لقما ويأكل ، ثم يرفع يده قبلي ، ولا يفرغ باقي القرص من بين يدي حتى أشبع الى الليل ، وكنت أرى ذلك من بركة الشيخ ، ثم بعد عشاء الأخيرة يؤتى بعشائنا فيأكل هو معي لقيمات ثم يؤثرني بالباقي ، وكنت أسأله أن يزيد على أكله فلا يفعل ، حتى أني كنت في نفسي أتوجع له من قلة أكله ، وكان هذا أكلنا في غالب مدة اقامتي عنده ، وما رأيت نفسي أعزمنها في تلك المدة ، ولا رأيتني أجمع هما مني فيهما •

(وحكى غير واحد) ماشتهر عنه من كثرة الايثار وتفقد المحتاجين والغرباء واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لهم بل ولكل أحد من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه واسداء المعروف اليه بقوله أو فعله ووجهه وجاهه •

(وأما كرمه) فكان رضي الله تعالى عنه مجبولا على الكرم ولا يتنطعه ولا يتصنعه بل هو له سجية ، وكان لايرد من يسأل شيئا يقدر عليه من دراهم ودنانير وثياب وكتب •

وقال الحافظ ابن فضل الله العمري : كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فيهب ذلك بأجمعه ، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه ، لايأخذ منه شيئا الا ليهبه ، ولا يحفظه الا ليذهبه •

وقال في موضع آخر : كان يجيئه من المال في كل سنة مالا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آلافا ومئين ، لايلمس منه درهما بيده ، ولا ينفقه في حاجته ، بل كان اذا لم يقدر يعمد الى شيء من لباسه فيدفعه الى السائل ، وذلك مشهور عند الناس من حاله •

حكى من يوثق به قال : كنت يوما جالسا بحضرة شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه فجاء انسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجا الى مايعتم به فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر لذلك الرجل ولم يحتشم للحاضرين عنده ، وحدث من يوثق به أن الشيخ رضي الله تعالى عنه كان مارا في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ مايعطيه فنزع ثوبا على جلده ودفعه اليه ، وقال : بعه بما تيسر وأنفقه ، واعتذر اليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة ، وسأله انسان كتابا ينتفع به فقال خذ ماتختار ، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفا قد اشتري بدراهم كثيرة فأخذه ومضى ، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك ، فقال : أكان يحسن بي أن أمنعه بعد ماسأله ؟ دعه فلينتفع به ، وكان رضي الله تعالى عنه ينكر انكارا شديدا على من ينال شيئا من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ، ويقول ماينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه •

(وأما لباسه) فكان رضي الله تعالى عنه متوسطا في لباسه لايلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر اليه ، ولا أطمارا ولا غليظة تشهر لابسها من عالم أو عابد ، بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطيهم ، ولم يكن يلبس نوعا واحدا من اللباس ، بل يلبس مااتفق وحصل ، ويأكل ماحضر ، وكانت بذاذة الايمان عليه ظاهرة ، لايرى متصنعا في عمامة ولا لباس ، ولا مشية و لاقيام ، ولا جلوس ، ولم يسمع أنه أمر أن يتخذ له ثوب بعينه ، بل كان أهله يأتون بلباسه وقت حاجته لبدل ثيابه التي

عليه ، وربما اتسخت ولا يأمر بغسلها حتى يسأله أهله ذلك ، وكذا كان في المآكل ، فما سمع أنه طلب طعاما قط ولا عشاء ولا غداء ولو بقي مهما بقي لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل ، بل كان ربما يؤتى بالطعام وربما يترك عنده فيبقى زمانا حتى يلتفت اليه ، واذا أكل يأكل شيئا يسيرا ، وما ذكر من ملاذ الدنيا ونعيمها ، ولا كان يخوض في شيء من حديثها ولا يسأل عن شيء من معيشتها ، بل جل همه وحديثه في طلب الآخرة ومايقرب الى الله تعالى .

(وأما تواضعه) فما سمع بأحد من أهل عصره مثله رحمه الله في ذلك ، فكان يتواضع للكبير والصغير ، والجليل والحقير ، والفقير ، ويدنيه ويكرمه ويباسطه بحديث زيادة عن الغنى ، حتى أنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبرا لقلبه ، وكان لايسأم ممن يستعبه أو يسأله ، بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه ، ولا يجبهه ولا يتفوه بكلام يوحشه ، بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط ، وكان يلزم التواضع في حضوره مع الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه وغيره .

(وأما كرماته وفراسته) فقال الشيخ الحافظ أبو حفص عمر جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل وطال كلامنا فيها ، وجعلنا الشيخ المرجع ، فلما حضر هممنا بسؤاله عنها فسبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة عما كنا فيه،ويذكر أقوال العلماء فيها ثم يرجح منها مارجحه الدليل ، حتى أتى على آخر ماأردنا ،فبقينا ومن حضرنا مبهوتين متعجبين ، وكنت في صحبتي له اذا خطر لي بحث يشرع يورده ويذكر الجواب عنه من عدة وجوه .

قال : وحدثني الشيخ الصالح المقري أحمد ،قال : لما قدمت دمشق لم يكن معي شيء من النفقة البتة ، وأنا لاأعرف أحدا من أهلها ، فجعلت أمشي في زقاق كالحاير واذا الشيخ أقبل نحوي مسرعا فسلم وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيهادراهم وقال أنفق هذه الآن واخل خاطرك مما أنت فيه فان الله لايضيعك ، ثم انصرف فسألت من هذا فقيل ابن تيمية ، وله مدة ماجتاز بهذا الدرب ، وكان جل قصدي من سفري الى دمشق لقاءه ، فتحققت أن الله أظهره عليّ وعلى حالي ، فما احتجت بعدها الى أحد مدة اقامتي بدمشق ، بل فتح الله عليّ من حيث لاأحتسب .

وقال وحدثني الشيخ العالم المقري تقي الدين عبد الله قال لما سافرت الى مصر ــ حين كان الشيخ مقيما بها ــ فقدمتها ليلا وأنا مريض مثقل ، فأنزلت في بعض الأمكنة

فلم ألبث أن سمعت من يناديني باسمي وكنيتي فأجبته وأنا ضعيف ، فدخل اليّ جماعة من أصحاب الشيخ فقلت كيف عرفتم بقدومي هذه الساعة ، قالوا أخبرنا الشيخ أنك قدمت وأنت مريض فأمرنا أن نسرع بنقلك ، وما رأينا أحدا جاءه ولا أخبره بشيء ، قال ومرضت بدمشق فلم أشعر الا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض ، فدعا لي وقال جاءت العافية ومشيت من وقتي •

(وقال الشيخ عماد الدين المقري المطرز) قدمت على الشيخ ومعي حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علي ورحب بي وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا ، فلما كان بعد أيام وقد نفدت نفقتي أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه ، فمنعني وأجلسني دونهم ، فلما خلا دفع اليّ جملة دراهم ، وقال أنت الآن بغير نفقة فعجبت من ذلك •

(ولما نزل المغل) بالشام لأخذ دمشق رجف أهلها ، وجاء اليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين ، فتوجه الى الله ، ثم قال : أبشروا فان الله يأتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثالثة ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض ، قال الذي حدث فوالذي نفسي بيده ما مضى الا ثلاث منذ قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض •

(وكان الشيخ) يعود المريض ، فمرض شاب بدمشق فكان يعوده في كل يوم فجاء يوما الشاب فدعا له فشفي سريعا ، وقال له عاهد الله أن تعجل الرجوع الى بلدك أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك ضيعة وتقيم ههنا ؟ قال الشاب : فقبلت يده وقلت ياسيدي اني تائب الى الله ، وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركتهن بلا نفقة، ولم يكن عرف بحالي أحد من أهل دمشق •

ومضى بعض الفضلاء متوجها الى مصر ليلي القضاء وعزم على قتل رجل صالح بها اذا وصل ، فلما بلغ الشيخ ذلك قال ان الله لايمكنه مما قصد ولا يصل الى مصر حيا ، فبقي بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت •

(وذكر الحافظ) ابن عبد الهادي بن قدامة أن الشيخ لما أفتى بمسألة شد الرحال للقبور اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ ، فقال أحدهم ينفى فنفي القائل ، وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل ،وقال آخر يعزر فعزر القائل ، وقال آخر يحبس فحبس القائل ، قال : وأخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها •

(وبالجملة) فكرامات الشيخ رحمه الله تعالى كثيرة جدا ، قالوا ومن أظهر كراماته انه ما سمع بأحد عاداه أو تنقصه الا وابتلي بلايا غالبها في دينه ، قالوا وهذا ظاهر مشهور لايحتاج فيه الى شرح صفته ، قالوا ومن أمعن النظر ببصيرته لم ير عالما من أهل أي بلد شاء موافقا له مثنيا عليه الا ورآه من اتبع علماء بلده للكتاب والسنة ، وأشغلهم بطلب الآخرة والرغبة فيها ، وأبلغهم في الاعراض عن الدنيا والاهمال لها ، ولا يرى عالما مخالفا له منحرفا عنه الا وهو من أكبرهم نهمة في جمع الدنيا ، وأكثرهم رياء وسمعة ، والله أعلم .

(وأما شجاعته وجهاده) فأمر متجاوز للوصف ، فكان رضي الله تعالى عنه كما قال الحافظ سراج الدين أبو حفص في مناقبه هو من أشجع الناس وأقواهم قلبا ، مارأيت أحدا أثبت جأشا منه ، ولا أعظم في جهاد العدو منه ، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وأخبر غير واحد أن الشيخ كان اذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم ، ان رأى من بعضهم هلعا أو جبنا شجعه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة ، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين ، وكان اذا ركب الخيل يجول في العدو كأعظم الشجعان ، ويقوم كأثبت الفرسان ، وينكي العدو من كثرة الفتك بهم ، ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت ، وحدثوا أنهم رؤا منه في فتح عكة أمورا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها ، قالوا ولقد كان السبب في تملك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره .

(ولما ظهر السلطان ابن غازان) على دمشق المحروسة جاءه ملك الكرج وبذل له أموالا كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق فوصل الخبر الى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين، ورغبهم في الشجاعة ، ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن ، وزوال الخوف ، فانتدب منهم رجل من وجوههم وكبرائهم وذوي أحلامهم ، فخرجوا معه الى حضرة السلطان غازان ، فلما رأى الشيخ أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة ، حتى أدناه منه وأجلسه ، وأخذ الشيخ في الكلام معه في عكس رأيه من تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين ، وأخبره بحرمة دماء المسلمين ، وذكره ووعظه ، فأجابه الى ذلك طائعا ، وحقنت بسببه دماء المسلمين ، وحميت ذراريهم وصين حريمهم .

(وقال الشيخ كمال الدين ابن الأنجا قدس الله روحه) كنت حاضرا مع

الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ويرفع صوته على السلطان ويقرب منه في أثناء حديثه ،حتى لقد قرب أن يلاصق بركبته ركبة السلطان، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته مصغ لما يقول شاخص اليه لايعرض عنه ، وان السلطان من شدة ماأوقع الله له في قلبه من المحبة والهيبة سأل من هذا الشيخ فاني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه ، فأخبر بحاله وماهو عليه من العلم والعمل ، فقال الشيخ للترجمان قل للغازان[1] أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وامام وشيخ ومؤذنون على مابلغنا فغزوتنا وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت ، ثم خرج من بين يديه مكرما معززا بحسن نيته الصالحة من بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ماأراده ، وكان أيضا سببا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهليهم وحفظ حريمهم ، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة التجاسر ، وكان يقول لن يخاف الرجل غير الله الالمرض في قلبه ، فان رجلا شكى الى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال لو صححت لم تخف أحدا أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك .

(وأخبر قاضي القضاة أبو العباس) أنهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فأكلوا منه الا ابن تيمية ، فقيل لم لم تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ؟ ثم ان غازان طلب منه الدعاء ، فقال في دعائه : اللهم ان كنت تعلم أنه انما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك فان تؤيده وتنصره ، وان كان للملك والدنيا والتكاثر فان تفعل به وتصنع ، فكان يدعو عليه وغازان يؤمن على دعائه ، ونحن نجمع ثيابنا خوفا أن يقتل فيطرطس بدمه ، ثم لما خرجنا قلنا له كدت تهلكنا معك ونحن ما نصحبك من هنا ، فقال : وأنا لاأصحبكم ، فانطلقنا عصبة وتاخر ، فتسامعت به الخوانين والأمراء فاتوه من كل فج عميق ، وصاروا يتلاحقون به ليتبركوا برؤيته ، فما وصل الا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه ، وأما نحن فخرج علينا جماعة فشلحونا ، فانظر ــ كما قال الحافظ ابن فضل الله العمري ــ الى قيامه في دفع حجة القتال واقتحامه ، وسيوفهم تدفق لجة البحار ، حتى جلس الى السلطان محمود غازان حيث لجم

(1) قوله : قل للغازان . كان الاصل : قل للقاآن، والصواب الاول فان قاآن لقب ملك ملوك المغول الذي كان مقره بالصين وغازان اول من آمن من ملوك المغول فى ايران وبسبب ايمانه امن جميع عساكر المغول اه مصححه الكردي . كذا فى الاصل .

الأسد في آجامها ، وتسقط القلوب في دواخل أجسامها ، خوفا من ذلـك السبـع المغتال ، والنمروذ المختال ، والأجل الذي لايدفع بحيلة محتال ، فجلس اليه وأومأ بيده الى صدره ، وواجهه ودرأ في نحره ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعا دعـاء منصف أكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه وهو مقبل اليـه ، ثم كان علـى هذه المواجهة القبيحة والمشاتمة الصريحة أعظم في صدر غازان والمغل من كل من طلع معه من سلف العلماء في ذلك الصدر ، وأهل الاستحقاق لرفعة القدر ، هذا مع ماله من جهاد في الله ، لم يفترعه فيه طلل الوشيج ، ولم يحرعه فيه ارتفاع النسيج ، مواقـع حروب باشرها ، وطوائف ضروب عاشرها ، وبوارق صفاح كاشرها ، ومضايق رماح حاشرها ، وأصناف خصوم لد قطع جدالها قوي لسانه ، وجلاها بسنا سنانه ، وجرت له مع غازان وقطلو شاه وبولاي أمور ونوب قام فيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش الا الله .

(ولما قدم بعد ذلك) عام سبعمائة التتار مع غازان لفتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين ركب الشيخ البريد الى الجيش المصري فدخل القاهرة في ناس يوم حادي عشر جمادى الأولى ، فاجتمع بأركان الدولة وحثهم على الجهاد ، وتلا عليهـم الآيات والأحاديث ، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهـدين من الثواب ، فاستقامـوا وقويت هممهم ، وأبدوا له عذر المطر والبرد ، ونودي بالغزاة ، وقـوي العـزم ، وعظموه وأكرموه ، وتردد الأعيان الى زيارته ، واجتمع به في هذه السنة ابن دقيـق العيد ، ثم في اليوم السابع والعشرين من جمادى الأولى المذكور وصل الشيـخ الى دمشق على البريد ، وأرسل الله على العدو من الثلج العظيم والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج ماالله به عليم ، فأصاب غازان وجنوده وأهلكهم ، وكان سبب رحيلهم ، وفرق الله بين قلوب العدو المغل والكرج والفرس والمستعربة ،وألقى بينهم تعاديا وتباغضا ، كما ألقى عام الأحزاب بين قريش وغطفان وبين اليهود ،فأرسل الشيخ كتابا مطولا لمصر يقول فيه : لما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو جزاء منه لبيان أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وان لم يصنع الفعل وان تباعدت الديـار .

(وحكي من شجاعة الشيخ) في مواقف الحـروب نوبة شقحب سنة اثنتـين وسبعمائة ونوبة كسروان مالم يسمع الاعن صناديد الرجال ،وشجعان الأبطال،فكان تارة يباشر القتال ، وتارة يحرض عليه قائما شاكيا سلاحه ولأمة حربه يوصي الناس

بالثبات ، ويعدهم بالنصر ، ويبشرهم بالغنيمة ، وركب البـريد الى مهنى بن عيسى واستحضره الى الجهاد ، وركب بعدها الى السلطان واستنفره وواجهه بالكلام الغليظ وواجه أمراءه وعساكره ، ولما جاء السلطان الملك الناصر بجيوش الاسلام للقاء القتال جعل الشيخ يشجع السلطان ويثبته ، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال ياخالد بن الوليد فقال له لاتقل هذا بل قل يا الله واستغث بالله ربك ووحده تنصر ، وقل يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ، ثم صار تارة يقبل على الخليفـــة وتارة على السلطان ويهديهما ويربط جأشهما حتى جـاء نصر الله والفتـــح ، وحكي أنه قال للسلطان اثبت فانك منصور ، فقال له بعض الأمراء قل ان شاء الله فقال ان شاء الله تحقيقا لاتعليقا فكان كما قال .

(وحكى بعض حجاب الأمراء) قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء وقد تراءى الجمعان يافلان أوقفني موقف الموت ، قال : فسقته الى مقابلة العدو ــ وهم منحدرون كالبدر تلوح أسلحتهم من تحت الغبار ــ وقلت له : هذا موقف الموت فدونك وماتريد ، قال فرفع طرفه الى السماء وأشخص بصره وحرك شفتيه طويـلا ثم انبعث وأقـدم على القتال ، وقد قيل أنه دعا عليهم وان دعاءه استجيب منه في تلك الساعة ، قال : ثم حال القتال بيننا والالتحام وماعدت رأيته حتى فتح الله ونصر ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق المحروسة والشيخ في أصحابه شاكيا في سلاحه ، عالية كلمته ، قائمة حجته ، ظاهرة ولايته ، مقبولة شفاعته ، مجابة دعوته ، ملتمسة بركته ، مكرما معظمـا ، ذا سلطان وكلمة نافذة ، وهو مع ذلك يقول للمادحين له أنا رجل ملة لارجل دولة ، قال بعض أصحابه ــ وقد ذكر هذه الواقعة وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين ــ وقد اتفق كلهم وأجمعوا على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبته ، وسماع كلامه ونصيحته ، واتعظوا بمواعظه ، ولم يبق من يكون بالشام تركي ولا عربي الا واجتمع بالشيـخ في تلك المدة ، واعتقد خيره وصلاحه ، ونصحه لله ولرسوله والمؤمنين .

(ثم لم يزل الشيخ رحمه الله تعالى) قائماأتم قيام علىقتال أهل جبل كسروان، وكتب الى أطراف الشام في الحث على قتالهم ، وأنها غزاة في سبيل الله ، ثم توجه هو بمن معه لغزوهم بالجبل صحبة ولي الأمر نائب المملكة ، وما زال مع ولي الأمـر في حصارهم حتى فتح الله الجبل وأجلى أهله ،وكان توجه الشيخ الى الكسروانيين أول ذي الحجة سنة أربع وسبعمائة ، ورد على شيوخ روافضهم في دعواهم عصمة عليّ ، وقال ان عليا وعبد الله بن مسعود اختلفا في مسائل وقعت وفتاوى أفتيا بها وعرض

ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فصوب فيها قول ابن مسعود ، ثم كتب الشيخ للسلطان يخبره بأمر الفتح وعن عقائدهم ، وهي أنهم يعتقدون كفر الصحابة وكفر من ترضى عنهم ، أو حرم المتعة ، أو مسح على الخفين ، ولا يقرون بصلاة ولا صيام ولا جنة ولا نار ، ولا يحرمون الدم والميتة ولحم الخنزير ، ويشتملون على اسماعيلية ونصيرية وحاكمية وباطنية ، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى •

ثم قال : وتمام هذا الفتح أمر السلطان بحرمان أهل الفساد من مشايخ الدين يصلونهم ، ويتقدم الى قراهم بأعمال دمشق وصعد وطرابلس وحمص وحماه وحلب بأن تقام فيهم شرائع الاسلام الجمعة والجماعة وقراءة القرآن ، وتكون لهم خطباء ومؤذنون ، ويقرأ فيهم الأحاديث النبوية ، وتكثر فيهم المعالم الاسلامية ، وأطال الكلام في كتابه ، وحث السلطان على ذلك ، وقال : ان غزوهم اقتداء بسيرة علي بن أبي طالب في قتاله للحرورية المارقين الذين تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتالهم ونعت حالهم ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهم (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤون القرآن لايجاوز جناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ، يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه •

(وكان رضي الله عنه) قائما في نصر الدين واظهار الحق بأدلة أقطع من السيوف ، وأجمع من السجوف ، وأجلى من فلق الصباح ، وأجلب من فلق الرماح ، اذا وثب في وجه خطب تمزقت على كتفيه الدرع وانتشر السرد ، ولقد نافسنا ملوك جند كشخان عليه ووجهت دسائس رسلها اليه ، ولما وشوا به الى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه : انني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وان في نفسك أخذ الملك ، فلم يكترث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر : أنا أفعل ذلك والله ان ملكك وملك المغل لايساوي عندي فلسا ، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة : انك والله لصادق ، وان الذي وشى بك الي لكاذب ، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية مالولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة مايلقى اليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان ممن ظاهر حاله العدالة ، وباطنه

مشحون بالفسق والجهالة .

(فصل في تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة)

قال الشيخ الامام العالم العامل الأوحد الفاضل الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار رحمه الله تعالى ، كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رضي الله تعالى عنه من أعظم أهل عصره قوة ومقاما وثبوتا على الحق وتقريرا لتحقيق توحيد الحق ، لايصده عن ذلك لومة لائم ولا قول قائل ، ولا يرجع عنه بحجة محتج ، بل كان اذا وضح له الحق يعض عليه بالنواجذ ، ولا والله مارأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى كان اذا أورد شيئا من حديثه في مسألة — ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديث — يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ، ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان .

قال : واذا نظر المنصف اليه بعين العدل يراه واقفا مع الكتاب والسنة ، لايميله عنهما قول أحد كائنا من كان ، ولايراقب في الأخذ بمعلومهما أحدا ، ولايخاف في ذلك أميرا ولا سلطانا ولا سوطا ولا سيفا ، ولا يرجع عنهما لقول أحد ، وهو متمسك بالعروة الوثقى واليه الطول ، وعامل بقوله تعالى : (فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ الى اللهِ والرَّسُولِ) [1] الآية ، وبقوله تعالى (وما اخْتَلَفْتُم فيهِ مِن شَيءٍ فَحُكْمُهُ الى اللهِ) [2] وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل مااشتهر عنه من كثرة المتابعة للكتاب والسنة ، والامعان في تتبع معانيهما والعمل بمقتضاهما ، ولهذا لايرى في مسألة أقوال العلماء الا وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة ، وتحرى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول ، قال : وهذا أمر قد اشتهر وظهر ، فانه رضي الله عنه ليس له مؤلف مصنف ولا نص في مسألة ولا أفتى الا وقد اختار فيه مارجحه الدليل النقلي والعقلي على غيره ، وتحرى قول الحق المحض ، وبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة ، بحيث اذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة يثلج قلبه عليها ، ويجزم بأنها الحق المبين ، وتراه في جميع مؤلفاته اذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه ويقدمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد ، وقد سبقه الامام الشافعي رحمه الله الى ذلك حيث قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي .

---

(١) النساء : ٥٩ — (٢) الشورى : ١٠

ولما من الله عليه بذلك جعل حجة في عصره لأهله ، حتى أن أهل البلاد البعيدة كانوا يرسلون اليه بالاستفتاء عن وقائعهم ، ويقبلون عليه في كشف ماالتبس عليهم حكمه ، فيشفي عليلهم بأجوبته المسددة ، ويبرهن على الحق من أقوال العلماء المتعددة ، حتى اذا وقف عليها كل محق ذي بصيرة أذعن بقبولها ، وبان له حق مدلولها •

(فصل في محنة ابن تيمية رحمه الله تعالى وتمسكه بطريق السلف)

قل من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه حيث لم يداهن الناس ويصانعهم ، ولذا قل صديقه على حد قوله : (ماترك الحق من صديق لعمر) وقال سفيان الثوري رحمه الله : اذا رأيت الرجل يثني عليه جيرانه فاعلم أنه مداهن ، وما وقع من المحنة للأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري مشهور كما بينته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، وأكثروا من الخوض في أبي حنيفة رحمه الله ، حتى أنه رؤي في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لي بكلام الناس فيّ ماليس في ، هذا وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بمحن وخاض فيه أقوام ونسبوه للبدع والتجسيم وهو من ذلك بريء •

فأول محنة ــ كما نقله الثقاة ــ في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة بسبب عقيدته الحموية الكبرى ، وهي جواب سؤال ورد من حماه فوضعها مابين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي ، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن رجح مذهب السلف على مذهب المتكلمين وشنع عليهم •

(فمن بعض قوله في مقدمتها) ماقاله الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره ، ومن المحال أن يكون خير الأمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه ، ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن ضد ذلك اما عدم العلم والقول ، واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق ، وكلاهما ممتنع ، أما الأول فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ، ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده ، وأعظم

مطالبه ، وليست النفوس الصحيحة الى شيء أشوق منها الى معرفة هذا الأمر ، وهذا أمر معلوم بالفطرة ،فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ، هذا لايكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم اعراضا عن الله وأعظمهم اكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله ، فكيف يقع في أولئك ، وأما كونهم كانوا معتقدين غير الحق أو قائليه فهذا لايعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم •

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو اضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ، ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ــ ممن لم يقدر قدر السلف ، بل ولاعرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها ــ من أن طريقة السلف أسلم ،وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، فان هذا القول اذا تدبره الانسان وجده في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة ، ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين ، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات •

فهذا الظن الفاسد أوجبه اعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الالهي ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله ، كيف يكون هؤلاء المتأخرون ــ لاسيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم ، حيث يقول الامام فخر الدين الرازي :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم ، مثل قول بعض رؤسائهم :

نهاية اقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

(ويقول آخر منهم) لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما

رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الاثبات (اليهِ يصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيبُ)[1] (الرَّحْمٰنُ على العَرْشِ اسْتَوى)[2]
واقرأ في النفي (ليْسَ كَمِثْلهِ شَيءٌ)[3] (ولا يُحيطُونَ به عِلْماً)[4]
ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي •

(ويقول الآخر منهم) لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان ، وها أنا أموت على عقيدة أمي •

(ويقول الآخر منهم) أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام •

(ثم اذا حقق عليهم الأمر) لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المنقوصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون ، أعلم بالله وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مابرزوا به على سائر اتباع الأنبياء ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟؟! ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة اليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والايمان ؟؟!

وانما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره ، وأطال رحمه الله الكلام ثم قال :

ان كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب والسنة دون مايفهم من الكتاب والسنة اما نصا واما ظاهرا : فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لايبوحون به قط ولا يدلون عليه لانصا

---

(١) فاطر : ١٠ ـ (٢) طه : ٥ ـ (٣) الشورى : ١١ ـ (٤) طه : ١١٠ .

ولا ظاهرا حتى يجيء أبناء الفرس والروم وفروخ الهنود والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة ، فان كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب ـ وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة ظاهرا ـ لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة ، أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا في أصل الدين ، فان حقيقة الأمر على مايقوله هؤلاء أنكم يامعشر العباد لاتطلبوا معرفة الله ولا مايستحقه من الصفات نفيا واثباتا لا من الكتاب و لامن السنة ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم فصفوه به سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن ، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به ، وقدصرح طائفة منهم بما مضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والأخبار بصفات من أرسله ، وأطال الكلام ، ثم قال :

ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لاتعتقدوا مادلت عليه ، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم ٠

ثم الرسول أخبر أن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة ، فقد علم ماسيكون ، ثم قال : (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله) وقال في صفة الفرقة الناجية (هي من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي) فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال ، وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم ،وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ، وان كان قد نبغ أصل هذه المقالة في أواخر عصر التابعين ، ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والنصارى ، فان أول من قالها في الاسلام الجعد بن درهم ، وأخذها عنه جهم بن صفوان ، والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأبان عن طالوت ، وطالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ثم القول الشامل في جميع هذا الباب ان يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ، لاتتجاوز به القرآن والحديث ، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ،ثم ذكر الشيخ رحمه

الله تعالى جملا نافعة وأصولا جامعة في اثبات الصفات والرد على الجهمية ، وذكر من النقول عن سلف الأمة مايطول ذكره .

(ثم قال في آخر كلامه) وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ، قسمان يقولون تجري على ظواهرها ، وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها ، وقسمان يسكتون .

(أما الأولون) فقسمان : (أحدهما) من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف ، واليه توجه الرد بالحق .

(والثاني) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله، فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق ، اما جوهر واما عرض ، فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضى والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام .

فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم تكن أعراضا يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساما يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين ، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لايخالفه وهو أمر واضح ــ فان الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين ، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه ، وما أحسن ما قال بعضهم اذا قال لك الجهمي : كيف استوى أو كيف ينزل الى السماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك ؟ فقل له كيف هو في نفسه ؟ فاذا قال لك لايعلم ماهو الا هو وكنه الباري غير معلوم للبشر ، فقل له : والعلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته ، وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك ، بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء ، وقد أخبر الله تعالى أنه لاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن

في الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه ، وهذه الروح قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص عن بيان كيفيتها ، أفلا يعتبر العاقل عن الكلام في كيفية الله تعالى ؟ مع انا نقطع بأن الروح في البدن ، وأنها تخرج منه وتعرج الى السماء ، وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة ، لانغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه ، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته ، فعدم مماثلتها للبدن لاينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها ، الا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص ، فيكونون قد أخطؤا في اللفظ ، وأنى لهم بذلك ؟ •

(وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها) ويقولون هي على خلاف ظاهرها :
فقسم يتأولونها ويعينون المراد ، مثل قولهم : استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدرة ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق اليه ، الى غير ذلك من معاني المتكلمين •

(وقسم يقولون) الله أعلم ما أراد بها ، لكنا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه •

(وأما القسمان الواقفان) فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله تعالى ويجوز أن لايكون صفة لله ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم •

(وقسم) يمسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقريرات •

(فهذه الأقسام) الستة لايمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها ؛ والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة •

(ثم قال) فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته ، فان من لم يدخل فيه هو في عافية ، ومن أنهاه فقد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر ، فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله ، وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا ، وقد قال الناس أكثر مايفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان ، ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب فيقول مختلف يؤفك عنه من أفك يعلم

الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست بينة وانما هي كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العالم البصير أنهم من وجه يستحقون ما قال الشافعي رضي الله عنه حيث قال حكمي في أهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ، ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر - والحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم - رحمتهم ورققت عليهم ، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما ، وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وابصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ، ومن كان عليما بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم ، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد الا بعدا •

(فنسأل الله) العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين •

(هذا آخر الحموية الكبرى) ألفها الشيخ رحمه الله وعمره دون الأربعين سنة ، ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع مالا يوصف ولا يعبر عنه ، وجرى له من المناظرات العجيبة والمباحثات الدقيقة مع أقرانه وغيرهم في سائر أنواع العلوم ماتضيق عنه العبارة ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه •

(قال الحافظ الذهبي في أثناء كلامه) في ترجمة الشيخ ابن تيمية : ولما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزبوا له ، وآل بهم الأمر الى أن طافوا بها على قصبة من جهة القاضي الحنفي ونودي عليه بأن لايستفتى ، ثم قام بنصرته طائفة آخرون وسلمه الله تعالى ، فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يسأل عن معتقده ، فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد انتهى •

(وقال الشيخ علم الدين) وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الامام تقي الدين ابن تيمية ، وكان الشروع فيها من أول

الشهر واستمرت الى آخر الشهر •

(وملخصها) أنه كتب جوابا لسؤال سئل عنه من (حماه) في الصفات ، فذكر فيه مذهب السلف ورجحه على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين ، واجتمع به سيف الدين جاغان في حال نيابته بدمشق وقيامه مقام نائب السلطنة ، وامتثل أمره وقبل قوله ، والتمس منه كثرة الاجتماع به ، فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعته مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ :، وما ألمهم بظهوره وذكره الحسن ، فانضاف شيء الى أشياء ، ولم يجدوا مساغا الى الكلام فيه لزهده ، وعدم اقباله على الدنيا ، وترك المزاحمة على المناصب ، وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه ، وما يظهر فيها من غزارة العلم وجودة الفهم ، فعمدوا الى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف • ويعتقدونه الصواب ، فأخذوا الجواب الذي كتبه ، ثم سعوا السعي الشديد الى القضاة والفقهاء واحدا واحدا ، وأوغروا خواطرهم وحرفوا الكلام وكذبوا الكذب الفاحش ، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه من ذلك ، ووافقهم على ذلك جلال الدين الحنفي قاضي الحنفية يومئذ ومشى معهم الى دار الحديث الأشرفية ، وطلب حضوره وأرسل اليه فلم يحضر ، وأرسل اليه في الجواب أن العقائد ليس أمرها اليك وان السلطان انما ولاك لتحكم بين الناس ، وان انكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي فوصلت اليه هذه الرسالة فأوغروا خاطره ، وشوشوا قلبه ، وقالوا لم يحضر ورد عليك ، فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة ، فنودي في بعض البلد ، ثم بادر سيف الدين جاغان وأرسل طائفة فضرب المنادي وجماعة ممن حوله وأخرق بهم فرجعوا مضروبين في غاية الاهانة ، ثم طلب سيف الدين من قام في ذلك وسعى فيه فدارت الرسل والأعوان عليهم في البلد فاختفوا •

ثم اجتمع الشيخ ابن تيمية بالقاضي امام الدين الشافعي وواعده لقراءة العقيدة الحموية ، فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر من بكرة النهار الى نحو الثلث من ليلة الأحد — ميعادا طويلا — وقرأ فيه جميع العقيدة ، وبين مراده من مواضع أشكلت ولم يحصل انكار عليه من الحاكم ولا ممن حضر المجلس ، بحيث انفصلوا والقاضي يقول : كل من تكلم في الشيخ فأنا خصمه •

وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد : كل من تكلم في الشيخ نعزره ،وخرج الناس ينتظرون مايسمعون من طيب أخباره ، فوصل الى داره في ملأ كثير من الناس

وعندهم استبشار وسرور به ، وكان سعيهم في حقه أتم السعي ، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى وبأمور يستحي الانسان من الله تعالى أن يحكيها فضلا عن أن يختلقها ويلفقها ، فلا حول ولا قوة الا بالله ،ورأى جماعة من الصالحين في هذه الواقعة وعقيبها مرائي حسنة جليلة لو ضبطت لكانت مجلدا تاما انتهى .

(ثم سكنت هذه الفتنة) ثم بعد ذلك بمدة طويلة ظهر الشيخ نصر المنبجي بمصر ، واستولى على أرباب الدولة القاهرة ، وشاع أمره وانتشر ، فقيل لابن تيمية انه اتحادي وانه ينصر ابن عربي وابن سبعين فكتب اليه [1] نحو ثلاثمائة سطر ينكر عليه ، فتكلم نصر المنبجي مع قضاة مصر في أمره ، وقال هذا مبتدع ، وأخاف على الناس من شره ، وقام معه في ذلك القاضي ابن مخلوف المالكي ، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير ، فحسن القضاة للأمراء طلبه الى القاهرة وأن يعقدله مجلس بدمشق فلم يرض نصر المنبجي ، وقال ابن مخلوف قل للامراء ان هذا يخشى على الدولة منه كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب .

(فورد مكتوب السلطان) الى دمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته ، فلما كان ثماني رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقي الدين الى القصر الى مجلس نائب السلطنة الأفرم ، فلما اجتمعوا عنده سأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته وقال هذا المجلس عقد لك وقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك ، فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية ، وقال هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام ،فقرئت في المجلس وبحث فيها ، وبقيت مواضع أخرت الى مجلس آخر .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور ، وحضر المخالفون ومعهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واتفقوا على أن يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين فتكلم معه ، ثم أنهم رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني، فناظر الشيخ وبحث معه وطال الكلام وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل ، وقد أظهر الله من قيام الحجة ماأعز به الشيخ ابن تيمية ، واختلفت نقول المخالفين للمجلس وحرفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها ، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته فالله المستعان .

ثم بعد ذلك عزر بعض القضاة بدمشق شخصا يلوذ بالشيخ ، وطلب جماعة ثم

---

(١) هذا المكتوب موجود فى كتاب جلاء العينين فى صحيفة ٥٤ فليراجع أه كذا فى الاصل .

أطلقوا ، ووقع هرج في البلد ، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم رجع ، فحضر عنده الشيخ وذكر له ماوقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الأذى فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل ، وأمر فنودي في البلد أنه من تكلم في العقائد حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته ، وقصد بذلك تسكين الفتنة .

وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ مجلس ثالث بالقصر ورضي الجماعة بالعقيدة ، وفي هذا اليوم عزل قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني .

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان الى القاضي باعادته الى الحكم ، وفيه أنا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين وقد بلغنا ماعقد له من المجالس وانه على مذهب السلف وماقصدت بذلك الا براءة ساحته .

(ثم ان الشيخ مرعي مؤلف هذا الكتاب) أعني كتاب مناقب الشيخ ابن تيمية ذكر بعض ألفاظ ماوقع في المناظرة ناقلا لها عما حكاه الشيخ عن نفسه ، وقد أخل بنقله واختصاره ، والعبد الفقير مؤلف كتاب الرد على الزائغ النبهاني قد ذكرت سابقا ماكان في المجالس التي انعقدت لمناظرة الشيخ بنص عبارته وعين كلامه ، فأغنانا ذلك عما ذكره الشيخ مرعي في هذا الباب .

ثم قال الشيخ مرعي (فصل) في توجه الشيخ الى مصر ومحنته بها ، وسبب محنته وابتلائه قيامه في الله والرد على أهل البدع والعقائد الفاسدة ، فقد حث على غزو الكسروانيين الروافض وغيرهم من الدروز والنصيرية ، وغزاهم بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم ، وكاتب السلطان فيهم بحسم مادة شيوخهم الذين يضلونهم ، والأمر باقامة شعائر الاسلام وقراءة الأحاديث ونشر السنة ببلادهم كما مر ذكره ، وكان استئصالهم في المحرم سنة خمس وسبعمائة .

ولما كان تاسع جمادى الأولى من سنة خمس بالغ الشيخ في الرد على الفقراء الأحمدية والرفاعية بسبب خروجهم عن الشريعة بعد أن حضروا نائب السلطنة وشكوا من الشيخ ، وطلبوا أن يسلم لهم حالهم وأن لايعارضهم ولا ينكر عليهم ، وطلبوا حضور الشيخ فلما حضر وقع بينهم كلام كثير ، فقال الشيخ – في كلام طويل – أنهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد في بعضهم من التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة : فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر والبدع في

الاسلام والأعراض عن كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والكـــذب والتلبيس واظهار المخارق الكاذبة مثل ملابسة النار والحيات واظهار الدم والـلأذن والزعفران وماء الورد والعسل وغير ذلك ، وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة ، كطلي أجسامهم لدخول النار بدهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل ، وقال لهم بحضرة نائب السلطنة ادخل أنا وهم النار ومن احترق فعليه لعنة الله ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار بالحمام ، فلما زيفهم الشيخ وأظهر تلبيسهم قال حتى لو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين وطرتم في الهواء ومشيتم على الماء لاعبرة بذلك مع مخالفة الشرع ، فان الدجال الأكبر يقـول للسماء أمطري فتمطر ، وللأرض أنبتي فتنبت ، وللخربة أخرجي كنوزك فتخـرج ، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون ، وليس لأحد الخروج عن الشريعة ولا عن كتاب الله وسنة رسوله .

وذكر لهم قول أبي يزيد البسطامي لو رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به ، وأطال الكلام في ذلك بحيث انفصل الأمر من عند نائب السلطنة أن كل من خرج منهم عن الكتاب والسنة ضربت عنقه .

ثم ظهر الشيخ المنبجي بمصر وشاع أمره ، فقيل للشيخ ابن تيمية أنه اتحادي ، فكتب اليه الشيخ نحو ثلاثمائة سطر بالانكار عليه ، فاعتز الشيخ نصر قضاة مصـر وعلماءها على ابن تيمية ، وقال انه سيء العقيدة مبتدع معارض للفقـراء وغيرهم ، وطعنوا فيه عند السلطان ، فورد مرسوم السلطان لدمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته، فعقد المجلس للمناظرة ثامن رجب سنة خمس وسبعمائة بحضرة العلماء والقضاة كما مر ، ولا يبعد أن يكون الروافض وغيرهم قد برطلوا عليه ، ثم لم يقنع ذلك الشيخ نصر المنبجي بل اجتمع مع طائفة من علماء مصر للجاشنكير الذي تسلطن بمصـر ، فأوهمه الشيخ نصر أن ابن تيمية يخرجهم من الملك ويقيم غيرهم وانه مبتدع ، فورد مرسوم السلطان الى دمشق باحضار ابن تيمية الى مصر خامس شهر رمضان سنـة خمس وسبعمائة ، فلما طلب الى الديار المصرية مانع نائب الشام وقال عقد لهمجلسان بحضرتي وحضرة القضاة والفقهاء وماظهر عليه سوء ، فقال الرسول لنائب دمشق أنا ناصح لك ، وقد قيل : انه يجمع الناس عليك وعقد لهم بيعة فجزع من ذلك وأرسله الى القاهرة على البريد .

(ذكر خروجه لمصر)

قالوا : ولما توجه الشيخ من دمشق المحروسة لمصر في يوم الاثنين ثاني عشر رمضان سنة خمس وسبعمائة وكان يوما مشهودا غريب المثل في كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره الى قريب الجبودة فيما بين دمشق والكسوة التي هي أول منزل ، وهم مابين باك وحزين ومتعجب ومتنزه ومزاحم متغال فيه ودخل الشيخ مدينة مصر غرة يوم السبت وعمل في جامعها مجلسا عظيما •

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي الى القاهرة ، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام على عادته ، وانتدب له الشمس ابن عدلان خصما احتسابا ، وادعى عليه عند القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول ان الله فوق العرش حقيقة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت ، زاد الحافظ الذهبي وأن الله يشار اليه الاشارة الحسية ، وقال اطلب عقوبته على ذلك ، فقال القاضي : ماتقول يافقيه ؟ فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه ، فقال له القاضي : أجب ، ماجئنا بك لتخطب ، فقال : ومن الحاكم في ، قيل له القاضي المالكي ، قال كيف يحكم في وهو خصمي ، وغضب غضبا شديدا وانزعج ، فأقيم من ساعته وحبس في برج أياما ، ثم نقل منه ليلة عيد الفطر الى الحبس المعروف بالجب هو وأخواه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحيم ، ثم ان نائب السلطنة سيف الدين سلار بعد أكثر من سنة وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي ، ومن الفقهاء الباجي والجزري والنمراوي ، وتكلم في اخراج الشيخ من الحبس ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة ، فأرسلوا اليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك فلم يجب الى الحضور ، وتكرر الرسول اليه في ذلك ست مرات وصمم على عدم الحضور ، فطال عليهم المجلس وانصرفوا من غير شيء •

وفي شهر ذي الحجة سنة ست وسبعمائة طلب اخوة الشيخ تقي الدين : شرف الدين وزين الدين من الحبس الى مجلس نائب السلطنة سلار ، وحضر القاضي زين الدين ابن مخلوف المالكي وجرى بينهم كلام كثير ، وأعيدا الى مواضعهما بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي وظهر عليه في النقل وخطأه في مواضع ، وفي ثاني يوم أحضر الشيخ شرف الدين وحده الى مجلس نائب السلطنة وحضر ابن

عدلان وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره وبحث معه وظهر عليه .

وفي صفر سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين ابن جماعة بالشيخ تقي الدين في دار الاحدى بالقلعة بكرة الجمعة وتفرقا قبل الصلاة وطال بينهما الكلام ، وفي ربيع الأول من سنة سبع دخل الأمير حسام الدين مهني بن عيسى ملك العرب الى مصر وحضر بنفسه الى الجب ، فأخرج الشيخ تقي الدين يوم الجمعة الى دار نائب السلطنة بالقلعة وحضر بعض الفقهاء وحصل بينهم بحث كثير وفرقت بينهم صلاة الجمعة ، ثم اجتمعوا الى المغرب ولم ينفصل الأمر ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان ، وحضر جماعة من الفقهاء كثيرة ، كنجم الدين ابن الرفعة ، وعلاء الدين الباجي ، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد ، وعز الدين النمراوي ، وشمس الدين ابن عدلان ، ولم يحضر القضاة وطلبوا واعتذر بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره ، وانفصل المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة ، وكتب كتابا الى دمشق بكرة الاثنين يتضمن خروجه ، وأنه أقام بدار سفير بالقاهرة ، وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن الأمير مهنى أياما ليرى الناس فضله ، ويحصل لهم الاجتماع به ، وكان مدة مقام الشيخ في الجب ثمانية عشر شهرا ، وفرح خلق كثير بخروجه وسروا سرورا عظيما ، وحزن آخرون ، وامتدحه الشيخ الامام نجم الدين سليمان بن عبد القوي بقصيدة منها :

فاصبر ففي الغيب مايغنيك عن حيل ... وكل صعب اذا صابرته هانا
ولست تعدم من خطب رميت به ... احدى اثنتين فأيقن ذاك ايقانا
تمحيص ذنب لتلقى الله خالصة ... أو امتحانا به تزداد قربانا
ياسعد انا لنرجو أن تكون لنا ... سعدا ومرعاك للزوار سعدانا
وان يضر بك الرحمن طائفة ... ولت وينفع من بالود والانا
ياأهل تيمية العالين مرتبة ... ومنصبا فرع الأفلاك تبيانا
جواهر الكون أنتم غير أنكم ... في معشر أشربوا في العقل نقصانا
لايعرفون لكم فضلا ولو عقلوا ... لصيروا لكم الأجفان أوطانا
يامن حوى من علوم الخلق ماقصرت ... عنه الأوائل مذ كانوا الى الآنا
ان تبتلى بلئام الناس يرفعهم ... عليك دهر لأهل الفضل قد خانا
اني لأقسم والاسلام معتقدي ... وانني من ذوي الايمان ايمانا
لم ألق قبلك انسانا أسر به ... فلا برحت لعين المجد انسانا

في أبيات كثيرة غير هذه يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه .

وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم وجلس ، فاجتمع عليه خلق عظيم، فسئل منه الوعظ ، فاستعاذ وقرأ الفاتحة وتكلم في تفسير (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وفي معنى العبادة والاستعانة الى العصر .

ثم لم يزل الشيخ رحمه الله بمصر يعلم الناس ويفتيهم ويذكر بالله ويدعو اليه ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة الى العصر الى أن ضاق منه خلق كثير .

وقال الحافظ الذهبي : أقام بمصر يقريء العلم ، واجتمع خلق عنده الى أن تكلم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وهم ابن سبعين وابن عربي والقونوي وأشباههم ، فتحزب عليه صوفية وفقراء وسعوا فيه ،واجتمع خلائق من أهل الخوانق والربط والزوايا واتفقوا على أن يشكوا الشيخ للسلطان ، فطلع منهم خلق الى القلعة وخلق تحت القلعة وكانت لهم ضجة شديدة حتى قال السلطان ما لهؤلاء ؟ فقيل له : جاؤا من أجل الشيخ ابن تيمية يشكون منه ويقولون انه يسب مشائخهم ويضع من قدرهم عند الناس ، واستغاثوا منه وأجلبوا عليه ، ودخلوا على الأمراء في أمره ولم يبقوا ممكنا ، وأمر أن يعقد له مجلس بدار العدل ، فعقد له يوم الثلاثاء في عشر شوال الأول سنة سبع وسبعمائة ، وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته وقوة قلبه وصدق توكله وبيان حجته مايتجاوز الوصف وكان وقتا مشهودا .

وذكر الشيخ علم الدين البرزالي وغيره أن في شوال من سنة سبع وسبعمائة شكى شيخ الصوفية بالقاهرة كريم الدين الآملي وابن عطاء وجماعة نحو الخمسمائة من الشيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره الى الدولة فخيروه بين الاقامة بدمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختار الحبس ، فدخل عليه جماعة في السفر الى دمشق ملتزما ما شرط فأجابهم ، فأركبوه خيل البريد ليلة ثامن عشر شوال ، ثم أرسل خلفه من الغد بريد آخر فركب على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم في اعتقاله ، وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء ، فقال بعضهم له ماترضى الدولة الا بالحبس ، فقال قاضي القضاة وفيه مصلحة له ، واستناب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع ، وقال ماثبت عليه شيء ، فاذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحير ، فقال الشيخ : أنا أمضي الى الحبس

وأتبع ماتقتضيه المصلحة ، فقال نور الدين فيكون في موضع يصلح لمثله ، فقيل له ماترضى الدولة الا بمسمى الحبس ، فأرسل الى حبس القضاة بحارة الديلم ، وأجلس في الموضع الذي جلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس ، وأذن في أن يكون عنده من يخدمه ، وكان جميع ذلك باشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة .

(ولما دخل الحبس) وجد المحابيس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عما هم فيه ، كالشطرنج والنرد مع تضييع الصلوات ، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه الى الله تعالى بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء ، وعلمهم من السنة مايحتاجون اليه ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك ، حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيرا من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس ، وصار خلق من المحابيس اذا أطلقوا يختارون الاقامة عنده ، وكثر المترددون اليه حتى كان السجن يمتليء منهم ، واستمر الشيخ في الحبس يستفتي ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس ، فلما كثر اجتماع الناس بهوترددهم اليه ساءذلك أعداءه وحصرت صدورهم، فسألوا نقله الى الاسكندرية فنقل اليها مع أمير مقدم على البريد ، ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه وحبس ببرج منها ، وأشيع بأنه قتل وأنه غرق غير مرة ووصل الخبر الى دمشق بعد عشرة أيام فحصل التألم وضاقت الصدور وتضاعف الدعاء ،وا ستمر الشيخ بثغر الاسكندرية ثمانية أشهر مقيما ببرج مليح مطبق له شباكان ، أحدهما الى جهة البحر يدخل اليه من شاء ويتردد الأكابر والأعيان والفقهاء يقرؤن عليه ويبحثون معه ويستفيدون منه وأرسل صاحب سبتة الى الشيخ يطلب منه الاجازة .

فلما دخل السلطان الملك الناصر الى مصر بعد خروجه من الكرك وقدومه الى دمشق وتوجه منها الى مصر سنة تسع وسبعمائة بادر لاحضار الشيخ من الاسكندرية في اليوم الثامن من شوال ، فخرج الشيخ منها متوجها الى مصر ومعه خلق من أهلها يودعونه ويسألون الله أن يرده اليهم ، وكان وقتا مشهودا ، ووصل الى القاهرة ثامن عشر الشهر ، واجتمع بالسلطان فييوم الجمعة الرابع والعشرين منه ، وأكرمه وتلقاه في مجلس حفل حضر فيه قضاة مصر والشام والفقهاء وأصلح بينه وبينهم .

(قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة) أخبرني بعض أصحابنا ، قال أخبرني

القاضي جمال الدين ابن القلانسي قاضي العساكر المنصورة ذات ليلة ــ وقد أشاع الجهلة والمبغضون بأخبار مختلفة ــ فقلت له : ان الناس يقولون كيت وكيت ، وأن الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعى عليه ويعزر ويطاف به ، فقال الشيخ : يافلان هذا لايقع ، ولايسمح السلطان بشيء من ذلك ، وهو أعلم بالشيخ وبعلمه ودينه، ثم قال : أخبرك بشيء عجيب وقع من السلطان في حق الشيخ وهو أنه حين توجه السلطان الى الديار المصرية ومعه القضاة والأعيان ونائب الشام الأفرم ، فلما دخل الديار المصرية وعاد الى مملكته وهرب سلار والجاشنكير واستقر أمر السلطان : جلس يوما في دست السلطنة وأبهة الملك وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده ، وقضاة مصر عن يمينه وقضاة الشام عن يساره ، وذكر لي كيفية جلوسهم منه بحسب منازلهم ، قال : ومن جملة من هناك ابن صصري عن يسار السلطان ، وتحته الصدر علي قاضي الحنفية ، ثم بعده الخطيب جمال الدين ، ثم بعده ابن الزملكاني ، قال وأنا الى جانب ابن الزملكان ، والناس جلوس خلفه ، والسلطان على مقعد مرتفع ، فبينما الناس كذلك جلوس انتهض السلطان قائما ، فقام الناس ، ثم مشى السلطان فنزل عن تلك المقعدة ولا يدري مابه ، واذا بالشيخ تقي الدين مقبل من الباب والسلطان قاصد اليه ، فنزل السلطان عن الايوان والناس قيام والقضاة والأمراء والدولة ، فتسالم هو والسلطان الى ضفة في ذلك المكان فيها شباك الى بستان فجلسا فيها حينا ثم أقبلا ويد الشيخ في يد السلطان ، فقام الناس وكان قد جاء في غيبة السلطان الوزير فخر الدين ابن الخليس فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصري ، وقعد السلطان على مقعده متربعا ، وشرع يثني على الشيخ عند الأمراء ثناء ماسمعته من غيره قط ، وقال كلاما كثيرا والناس يقولون معه ومثله الأمراء والقضاة ، وكان وقتا عجيبا وذلك مما يسوء كثيرا من الحاضرين من أبناء جنسه ، وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة مالايقدر أحد من أخص أصحابه يقوله ، ثم ان الوزير أنهى الى السلطان أن أهل الذمة قد بذلوا للدولة في كل سنة سبعمائة ألف درهم زيادة على الجالية الى أن يعودوا الى لبس العمائم البيض ، وأن يعفوا من هذه العمائم المصبوغة التي ألزمهم بها ركن الدين الجاشنكير ، فقال السلطان للقضاة ومن هناك ماتقولون ؟ فسكت الناس ، فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ، ويرد ماعرضه الوزير ردا عنيفا ، والسلطان يسكته برفق وتوقير ، وبالغ الشيخ في الكلام ، وقال مالا يستطيع أحد أن

يقول مثله ولا بقريب منه حتى رجع السلطان عن ذلك وألزمهم بما هم عليه واستمروا على هذه الصفة ، فهذا من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله .

قال وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر أن السلطان ـ لما جلسنا بالشباك ـ أخرج فتاوى لبعض الحاضرين في قتله واستفتاني في قتل بعضهم ، قال ففهمت مقصوده وأن عنده حنقا شديدا عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد في دولتك مثلهم ، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي وسكنت ماعنده عليهم ، قال : فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك مارأينا أعفى من ابن تيمية ، لم نبق ممكنا في السعي فيه ولما قدر علينا عفا .

(ثم ان الشيخ) بعد اجتماعه بالسلطان نزل الى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، قال الذهبي : ولم يكن الشيخ من رجال الدول ، ولا يسلك معهم تلك النواميس ، فلم يعد السلطان يجتمع به ، وعاد الى بث العلم ونشره ، والخلق يشتغلون عليه ، ويقرؤون ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة والأمراء والأكابر والناس يترددون اليه ، وفيهم من يعتذر اليه مما وقع ، فقال : قد جعلت الكل في حل مما جرى ، ولم يزل الشيخ مستمرا على عادته من نفع الناس وموعظتهم والاجتهاد في سبيل الخير .

(فلما كان) في شهر رجب سنة احدى عشرة وسبعمائة اتفق أن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ وتفردوا به وضربوه ، قال الشيخ علم الدين ظفر به بعض المبغضين له في مكان خال وأساؤا عليه الأدب ، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم الى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له فلم يجب الى ذلك ، قال بعض أصحابنا جئت الى مصر فوجدت خلقا كثيرا من الحسنية وغيرهم رجالا وفرسانا يسألون عن الشيخ فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب الممالك على البحر ، واجتمع عنده جماعة وتتابع الناس ، وقال له بعضهم ياسيدي قد جاء خلق من الحسنية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا ، فقال لهم الشيخ لأي شيء ؟ قالوا لأجلك ، فقال الشيخ : هذا لايجوز قالوا : فنحن نذهب الى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب دورهم فانهم شوشوا على الخلق وأثاروا هذه الفتنة على الناس ، فقال لهم : هذا مايحل ، قالوا فهذا الذي فعلوه معك يحل ؟ هذا شيء لانصبر عليه ، ولا بد أن نروح اليهم ونقاتلهم على مافعلوا والشيخ ينهاهم ويزجرهم ، فلما أكثروا في القول قال لهم : اما أن يكون الحق لي فهم في حل ، وان كان لكم فان لم تسمعوا مني فلا تستفتوني

وافعلوا ماشئتم ، وان كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ان شاء •

وأقام الشيخ بعد هذا مدة في الديار المصرية ، ثم انه توجه الى الشام صحبة الجيش المصري قاصدا الغزاة ، فلما وصل معهم الى عسقلان توجه الى بيت المقدس ، وتوجه منه الى دمشق ، وجعل طريقه على عجلون ، ووصل دمشق أول يوم من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وخرج خلق كثير لتلقيه وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته ، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع •

(ذكر ماوقع للشيخ ابن تيمية بعد عوده لدمشق المحروسة)

قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة : ثم ان الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر الى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازما للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة ونفع الخلق والاحسان اليهم والاجتهاد في الأحكام الشرعية ، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم أو بخلاف المشهور بما قام الدليل عليه عنده •

(ومن اختياراته) التي خالفهم فيها أو خالف المشهور من أقوالهم القول بقصر الصلاة في كل مايسمى سفرا طويلا كان أو قصيرا كما هو مذهب الظاهرية ، وقول بعض الصحابة •

(والقول) بأن البكر لاتستبرأ وان كانت كبيرة كما هو قول ابن عمر واختاره البخاري صاحب الصحيح •

(والقول) بأن سجود التلاوة لايشترط له وضوء كما هو مذهب ابن عمر واختاره البخاري أيضا •

(والقول) بأن من أكل في شهر رمضان معتقدا الليل فبان نهارا لاقضاء عليه كما هو في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم •

(والقول) بأن من أفطر في رمضان عمدا أو ترك الصلاة بلا عذر لاقضاء عليه ، وقال به بعض الظاهرية ، وحكي عن ابن بنت الشافعي ، وفي البخاري عن أبي هريرة (من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وان صامه) وبه قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وقال سعيد بن المسيب والشعبي وابن جبير

وابراهيم وقتادة وحماد يقضي يوما مكانه •

(والقول) بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة كما في حق القارن والمفرد ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رواها عنه ابنه عبد الله ، وكثير من أصحاب الامام أحمد رضي الله عنه لايعرفونها •

(والقول) بجواز المسابقة بلا محلل وان خرج المتسابقان •

(والقول) باستبراء المختلعة بحيضة وكذلك الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات •

(والقول) باباحة وطء الوثنيات بملك اليمين •

(والقول) بجواز عقد الرداء في الاحرام ولا فدية في ذلك ، وجواز طواف الحائض ولا شيء عليها اذا لم يمكنها أن تطوف طاهرا •

(والقول) بجواز بيع الأصل بفرعه ، كالزيتون بالزيت ، والسمسم بالشيرج •

(والقول) بجواز بيع مايتخذ من الفضة للتحلي وغيره بالفضة متفاضلا وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصنعة •

(والقول) بأن المائع لاينجس بوقوع النجاسة فيه الا أن يتغير قليلا كان أو كثيرا •

(والقول) بجواز التيمم في مواضع معروفة والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله •

(وكان يميل) آخرا لتوريث المسلم من الكافر الذمي وله في ذلك مصنف وبحث طويل •

(ومن أقواله) المشهورة التي جرى بسبب الافتاء بها محن وقلاقل قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق ، وان الطلاق الثلاث لايقع الا واحدة ، وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة ، منها قاعدة كبيرة سماها تحقيق الفرقان بين التطليق والايمان ، نحو أربعين كراسة ، وقاعدة سماها الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، بقدر النصف من ذلك ، وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة مجلد لطيف ، وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الايمان حقيقة ، وقواعد وأجوبة غير ذلك لاتنضبط ولا تنحصر ، وله جواب اعتراض ورد عليه من الديار المصرية ، وهو جواب طويل في ثلاث مجلدات بقطع نصف البلدي •

(ثم اجتمع بالشيخ) يوم الخميس نصف ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وسبعمائة

القاضي شمس الدين ابن مسلم الحنبلي وأشار عليه بترك الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق فقبل اشارته وعرف نصيحته وأجاب الى ذلك •

(فلما كان) يوم السبت أول جمادى الأولى من هذه السنة ورد البريد الى دمشق ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها الشيخ تقي الدين ، والأمر بعقد مجلس في ذلك ، فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة ، وانفصل الأمر على ماأمر به السلطان ، ونودي بذلك في البلد بعد الثلاثاء رابع الشهر المذكور ، ثم ان الشيخ عاد الى الافتاء بذلك وقال لايسعني كتمان العلم •

(فلما كان) يوم الثلاثاء تاسع عشري رمضان من سنة تسع عشرة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقريء عليهم كتاب السلطان ، وفيه فصل يتعلق بالشيخ بسبب الفتوى في هذه المسألة ، وأحضر وعوتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه في المنع من ذلك •

فلما كان بعد ذلك بمدة ثاني عشري رجب سنة عشرين عقد مجلس بدار السعادة وحضره النائب والقضاة وجماعة من المفتين ، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الافتاء في مسألة الطلاق ، وعاتبوه على ذلك ، وحبس في القلعة ، فبقي فيها خمسة أشهروثمانية عشر يوما ، ثم ورد مرسوم السلطان باخراجه ، فأخرج يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة احدى وعشرين ، وتوجه الى داره ، ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقي الدروس في أنواع العلوم •

(ذكر حبس الشيخ بقلعة دمشق الى أن مات فيها)

قالوا لما كان سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شد الرحال واعمال المطي الى قبور الأنبياء والصالحين ، وكثر القيل والقال بسبب العثور على جواب الشيخ الآتي ، وعظم التشنيع على الشيخ ، وحرف عليه ونقل عنه مالم يقله ، وحصلت فتنة طار شررها في الآفاق ، واشتد الأمر وخيف على الشيخ من كيد القائمين في هذه القضية ، بالديار الشامية والمصرية ، وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة ، وجبن منهم من كانت له همة •

وأما الشيخ رحمه الله فكان ثابت الجأش ، قوي القلب ، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه ، ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ ، فقال أحدهم ينفى فنفي القائل ، وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل ،

وقال آخر يعزر فعزر القائل ، وقال آخر يحبس فحبس القائل ، أخبر بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها .

واجتمع جماعة آخرون بمصر وقاموا في هذه القضية قياما عظيما ، واجتمعوا بالسلطان وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك وأرضى خاطرهم بالأمر بحبسه .

فلما كان يوم الاثنين سادس شعبان من السنة المذكورة ورد مرسوم السلطان بأن يكون في القلعة ، وأحضر للشيخ مركوب فأظهر السرور بذلك وقال اني كنت منتظرا ذلك ، وهذا فيه خير عظيم ، فركب الى القلعة وأخليت له قاعة حسنة ، وأجري اليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم له بما يقوم بكفايته ، وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قريء بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك وبمنعه من الفتيا .

(وليس بعجب) فقد وقع لأبي حنيفة مثله من المنع والحبس ، ووقع للامام أحمد كذلك فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وأوذي جماعة من أصحابه ، واختفى آخرون ، وعزر جماعة ونودي عليهم ، ثم أطلقوا سوى الامام شمس الدين محمد ابن أبي بكر امام الجوزية فانه حبس بالقلعة وسكنت الفتنة .

(وهذا صورة السؤال وجواب الشيخ عنه)

ماتقول السادة أئمة الدين ــ نفع الله بهم المسلمين ــ في رجل نوى زيارة قبور الأنبياء والصالحين ــ مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ــ فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا ؟ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من حج ولم يزرني فقد جفاني) (ومن زارني بعد موتي كان كمن زارني في حياتي) وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) أفتونا مأجورين ؟.

(الجواب) الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين :

(أحدهما) وهو قول متقدمي العلماء الذين لايجوزون القصر في سفر المعصية

كأبي عبد الله ابن بطة وأبي الوفاء ابن عقيل وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين أنه لايجوز القصر في مثل هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه في الشريعة فلا يقصر فيه •

(والقول الثاني) أنه يقصر وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم، كأبي حنيفة رحمه الله ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحراني ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون : ان هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : (زوروا القبور) وقد يحتج بعض من لايعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) رواه الدار قطني •

(وأما مايذكره) بعض الناس من قوله (من حج ولم يزرني فقد جفاني) فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله (من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة) فان هذا أيضا باطل باتفاق العلماء ، لم يروه أحد ولم يحتج به أحد ، وانما يحتج بعضهم بحديث الدار قطني •

وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بأنه صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء •

وأجاب عن حديث (لاتشد الرحال) بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب •

وأما الأولون فانهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) ، وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر بشده الرحال أن يصلي بمسجد أو بمشهد أو يعتكف فيه ويسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد ولم يجب عند أبي حنيفة لأنه لايجب عنده بالنذر الا ما كان جنسه واجبا بالشرع •

(وأما الجمهور) فيوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) والسفر الى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به •

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليه اذا نذره ، حتى نص العلماء على أنه لايسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان في المدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في الحديث الصحيح : (من تطهر في بيته ثم أتى الى مسجد قباء لايريد الا الصلاة فيه كان كعمرة)

قالوا ولأن السفر الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يعملها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة واجماع الأمة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله ابن بطة في (الابانة الصغرى) من البدع المخالفة للسنة والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد لأن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يسلم لهم أن السفر اليه لايجب بالنذر .

وقوله : (لاتشد الرحال الخ) محمول على نفي الاستحباب : عنه جوابان :

(أحدهما) أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا طاعة ولا هو من الحسنات فاذن من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرما باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ، ومعلوم أن أحدا لايسافر اليها الا لذلك ، وأما اذا نذر الرجل أن يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

(الوجه الثاني) أن الحديث يقتضي النهي والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يروها أحد من أهل السنن المعتمدة ولا شيئا منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالك امام أهل المدينة الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره أن يقول الرجل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم أو مشروعا أو مأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم أهل المدينة ، والامام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده مايعتمد عليه في ذلك من الأحاديث الا حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه ، وكذلك مالك في الموطأ ، وروى

عن عبد الله بن عمر أنه كان اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك ياأبا بكر ، السلام عليك ياأبت ، ثم ينصرف ، وفي سنن أبي داوود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لاتتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) وفي سنن سعيد بن منصور أن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رأى رجلا يختلف الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) فما أنت ورجل بالأندلس منه الا سواء ، وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا) وهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ماعتادوه من الدفن في الصحراء ، لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذه مسجدا فيتخذ قبره وثنا ، وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد بن عبد الملك لايدخل أحد اليه لا لصلاة هناك ، ولا لتمسح بالقبر ، ولا دعاء هنالك ، بل هذا جميعه انما كانوا يفعلونه في المسجد ، وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر •

وأما الوقوف للسلام عليه فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة أيضا ولا يستقبل القبر ، وقال أكثر الأئمة بل يستقبل القبر عند السلام خاصة ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك الا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها ، واتفق الأئمة على أنه لايمس قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقبله وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد ، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى :

(وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ولاتَذَرُنَّ وداً ولا سُواعاً ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسْراً)[1] قالوا هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلماماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها ، وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ، وذكره محمد بن جرير الطبري في التفسير عن غير واحد من السلف ، وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع •

---

(١) نوح : ٢٣

وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم ، الذين يعطلون المساجد ، ويعظمون المشاهد ،التي يشرك فيها ، ويكذب فيها ، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا ، فان الكتاب والسنة انما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد ، كما قال تعالى (قُل أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وأَقِيمُوا وُجُوهَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسجِدٍ وادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)[1] وقال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ)[2] وقال تعالى : (وأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً)[3] وقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)[4]
وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه كان يقول : (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك).

(هذا آخر ماأجاب به شيخ الاسلام ابن تيمية والله سبحانه وتعالى أعلم)

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من هذا الجواب المذكور ، وفيه ماهو أبلغ من هذا الجواب ، كما أشار اليه في الجواب ، ولما ظفروا في دمشق بجوابه هذا كتبوه وبعثوا به الى الديار المصرية ،وكتب عليه قاضي الشافعية قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصح ، الى أن قال : وانما المحرم جعله زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية مقطوعا بها ، هذا كلامه .

فانظر الى هذا التحريف على شيخ الاسلام ، والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وانما فيه ذكر قولين في شد الرحل للسفر الى مجرد زيارة القبور ، والزيارة من غير شد رحل اليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لايمنع الزيارة الخالية عن شد الرحل بل يستحبها ويندب اليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ الى هذه الزيارة في الفتيا لأن السائل لم يسأل عنها ، ولا قال انها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، لأن العامة فضلا عن العلماء يعرفون أن زيارة القبور سنة ، كيف يظن الجهل بذلك ممن سلم له الاجتهاد المطلق ، والله سبحانه لاتخفى عليه خافية .

---

(١) الاعراف : ٢٩ ـ (٢) التوبة : ١٨ (٣) الجن: ١٨ ـ (٤) ـ البقرة : ١١٤

ولما وصل خط القاضي المذكور الى الديار المصرية كثر الكلام وعظمت الفتنة وطلب القضاة بها فاجتمعوا وتكلموا ، وأشار بعضهم بحبس الشيخ فرسم السلطان به وجرى ماتقدم ذكره ، ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لايمكن ذكرها في هذا الموضع •

(ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ)

قالوا لما وصل ماأجاب به الشيخ في هذه المسألة الى علماء بغداد قاموا في الانتصار له وكتبوا بموافقته ، قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة ورأيت خطوطهم بذلك ، وينبغي ذكر شيء منها هنا •

هذه صورة جواب الشيخ الامام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود ابن عبد السلام بن البتي الحنبلي ومن خطه نقل قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم) بعد حمد الله الذي هو فاتحة كل كلام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، أعلام الهدى ومصابيح الظلام ، يقول أفقر عباد الله وأحوجهم الى عفوه : ما حكاه الشيخ الامام ، البارع الهمام ، افتخار الأنام ، جمال الاسلام ، ركن الشريعة ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، جامع أشتات الفضائل ، قدوة العلماء الأماثل ، في هذا الجواب من أقوال العلماء والأئمة النبلاء : بين لايدفع ، ومكشوف لايتقنع ، بل أوضح من النيرين ، وأظهر من فرق الصبح لذي عينين ، والعمدة في هذه المسألة الحديث المتفق على صحته ، ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي صيغته ، وذلك أن صيغة قوله صلى الله عليه وسلم : (لاتشد الرحال) ذات وجهين : نفي ، ونهي ، لاحتمالها لهما ، فان لحظ معنى النفي فمعناه نفي فضيلة واستحباب شد الرحل واعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، ويتعين توجه النفي الى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما ، والا لزم تخلف الخبر ، ولا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الاباحة ، فهذا وجه متمسك من قال باباحة هذا السفر بالنظر الى أن هذه الصيغة نفي ، وبني على ذلك جواز القصر ، وان كان النهي ملحوظا : فالمعنى حينئذ نهيه عن اعمال المطي وشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة ، اذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاض بتحريمه أو كراهته على حسب الأدلة ، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر لكونه منهيا عنه ، وممن قال بحرمته الشيخ الامام أبو محمد الجويني من الشافعية ، والشيخ الامام أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة ، وهو الذي

أشار القاضي عياض من المالكية الى اختياره ، وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور فمحمولة على مالم يكن فيه شد رحل واعمال مطي جمعا بينها ،ويحتمل أن يقال لايصلح أن يكون غير حديث شد الرحال معارضا له لعدم مساواته اياه في الدرجة لكونه من أعلى أقسام الصحيح ، والله تعالى أعلم .

(وقد بلغني) أنه رزىء وضيق على المجيب ، وهذا أمر يحار فيه اللبيب،ويتعجب منه الأريب ، ويقع منه في شك مريب ، فان جوابه في هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء وليس حاكما بالغض من الصالحين والأنبياء ، فان الأخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على رفعه اليه هو الغاية القصوى في تتبع أوامره ونواهيه ، والعدول عن ذلك محذور ، وذلك مما لامرية فيه ، واذاكان كذلك فأي حرج على من سئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ، ومال فيها الى بعض أقوال العلماء ، فان الأمر لم يزل كذلك على ممر العصور وتعاقب الدهور ، وهل ذلك محمول من القادح الا على امتطاء نضو الهوى ، المفضي بصاحبه الى التوى ، فان من يقتبس من فوائده ويلتقط من فرائده لحقيق بالتعظيم ، وخليق بالتكريم ،ممن له الفهم السليم ، والذهن المستقيم ، وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر ، الا كما قيل في المثل السائر (الشعير يؤكل ويذم) ولولا خشية الملالة لما سئمت من الاطالة .

(وكتب تحته) الامام صفي الدين ابن عبد الحق الحنبلي : الحمد لله رب العالمين : وصلاته على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ، ماذكره مولانا الامام العالم العامل ، جامع الفضائل ، بحر العلم ، ومنشأ الفضل ، جمال الدين الكاتب خطه أمام خطى هذا جمل الله به الاسلام ، وأسبغ عليه سوابغ الانعام ، أتى فيه بالحق الجلي الواضح ، وأعرض فيه عن اغضاء المشايخ ، اذ السؤال والجواب اللذان تقدماه لايخفى على ذي فطنة وعقل أنه أتى في الجواب بالمطابق للسؤال ، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه في ذلك الا أن يعترض معترض في نقله فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم ، والمتعرض له بالتشنيع اما جاهل لايعلم مايقول ، أو متجاهل يحمله حسده وحميته الجاهلية على رد ماهو عند العلماء مقبول، أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النكد ، بمحمد وآله الطاهرين .

(جواب آخر لعلماء الشافعية)

قال بعد البسملة والحمدلة : لاريب أن المملوك أوقف على ماسئله الشيخ الامام

العالم العلامة وحيد دهره ، وفريد عصره ، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية ، ومـا أجاب به ، فوجدته خلاصة ماقاله العلماء في هذا الباب ، حسبما اقتضاه الحال من نقله الصحيح ، وما أدى اليه البحث من الالزام والالتزام ، لايداخله تحامل ، ولا يعتريه تجاهل ، وليس فيه والعياذ بالله مايقتضي الازراء والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف يجوز للعلماء أن تحملهم العصبية أن يتفوهوا بالازراء والتنقيص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهل يجوز أن يتصور متصور أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم تزيد في قدره ، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه ؟ حاش للرسول من ذلك ، نعم لو ذكر ذاكر ابتداء وكان هنـاك قرائن تـدل على الازراء والتنقيص أمكن حمله على ذلك ، مع أنه كان يكون كناية لاصريحا ، فكيف وقد قاله في معرض السؤال وطريق البحث والجدال ، مع أن المفهوم من كلام العلماء وأنظار العقلاء أن الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردها ، حتى أنه لو حلف أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبر بها ، لكن القاضي ابن كج من متأخري أصحابنا ذكر أن هذه الزيارة عنده قربة تلزم ناذرها ، وهو منفرد به لايساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيـح ، والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي فيقوله عليهالسلام لاتشد الرحال الخ أنه لايجوز شدها الى غير ماذكر ، فمن اعتقد جواز الشد الىغير ماذكر أو وجوبه أو ندبيته كان مخالفا لصريح النهي ومخالفة النهي معصية ، حرره ابن الكتبي الشافعي حامدا لله على نعمه .

(جواب آخر لعلماء المالكية)

قال : ماأجاب به الشيخ الأوحد الأجل بقية السلف ، وقدوة الخـلف ، رئيس المحققين ، وخلاصة المدققين ، تقي الملة والحق والدين ، من الخلاف في هذه المسألة صحيح منقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم ، فلا مجال للاعتراض عليه في ذلك، اذ ليس بعيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غض من قدره ، وقد نص الشيخ أبومحمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور ، وهو اختيار الامـام القاضي عياض من المالكية ، وهو أفضـل المتـأخرين من أصحـابنا ، وفي المدونة ومن قال علي المشي الى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا الاأن يريد الصلاة في مسجديهما فليأتهما ، فلم يجعل نذر زيارة قبره طاعة يجب الوفاء بها ، ومن أصلنا أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها أكان من جنسها ماهو واجب بالشرع كما هو مذهب أبي حنيفة أو لم يكن ؟ قال القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق عقب هذه المسـألة :

ولولا الصلاة فيهما لما لزمه اتيانهما ، ولو كان نذر زيارته طاعة لزمه ذلك ، وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريبه ، والشيخ ابن بشير في تنبيهه ، وفي المبسوط :قال مالك ومن نذر المشي الى مسجد من المساجد ليصلي فيه قال فاني أكره ذلك له ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (لايعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس ، ومسجدي هذا) وروى محمد بن المواز في الموازية عنه الا أن يكون قريبا فيلزمه الوفاء ، لأنه ليس بشد رحل ، وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر في (كتاب التمهيد) يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة بأنه سفر منهي عنه الى الكفر ، فمن كفره بذلك من غير موجب فان كان مستبيحا ذلك فهو كافر ، والا فهو فاسق ، قال الامام أبو عبد الله محمد بن علي المازري في (كتاب المعلم) من كفر أحدا من أهل القبلة فان كان مستبيحا لذلك فقد كفر ، والا فهو فاسق يجب على الحاكم اذا رفع أمره اليه أن يؤدبه أو يعزره بما يكون رادعا لأمثاله ، فان ترك ذلك مع القدرة عليه فهو آثم ، والله تعالى أعلم ، كتب ذلك محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية في المدرسة الشريفة المستنصرية •

(جواب آخر لبعض علماء الشام المالكية)

قال : السفر الى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع ، وأما من سافر الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي فيه ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما فمشروع باتفاق العلماء ، وأما لو قصد اعمال المطي لزيارته صلى الله عليه وسلم ولم يقصد الصلاة فهذا السفر اذا ذكر رجل فيه خلافا للعلماء — وان منهم من قال أنه منهي عنه ، ومنهم من قال أنه مباح ، وأنه على القولين ليس بطاعة ولا قربة ، فمن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين كان حراما بالاجماع وذكر حجة كل منهما ، أو رجح أحد القولين — لم يلزمه مايلزم من تنقص ، اذ لاتنقص في ذلك ولا ازراء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال مالك لسائل سأله اذا نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان كان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه ، وان كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذي جاء (لاتعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد) والله أعلم ، كتبه أبو عمروابن أبي الوليد المالكي •

(وورد مع أجوبة أهل بغداد كتاب وفيه)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ناصر الملة الاسلامية ، ومعز الشريعة

المحمدية ، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية ، المليكة المالكية الناصرية ، ألبسها الله تعالى لباس العز المقرون بالدوام ، وحلاها بحلية النصر المستمر بمرور الليالي والأيام ، والصلاة والسلام على النبي المبعوث الى جميع الأنام ، وعلى آله البررة الكرام .

اللهم ان بابك لم يزل مفتوحا للسائلين ، ورفدك مابرح مبذولا للوافدين ، من عودته مسألتك وحدك لم يسأل أحدا سواك ، ومن منحته منائح رفدك لم يفد على غيرك ولم يحتم الا بحماك ، أنت الرب العظيم الكريم الأكرم ، قصد باب غيرك على عبادك محرم ، أنت الذي لا اله غيرك ولا معبود سواك ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتقدست أسماؤك ، لم تزل سننك في خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك ،فضلا منك عليهم ، واحسانا من لدنك اليهم،ليزدادوا لك في جميع الحالات ذكرا ،ولأنعمك في جميع التقلبات شكرا ، ولكن أكثر الناس لايعلمون (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) [1] اللهم أنت العالم الذي لايعلم ، وأنت الكريم الذي لايبخل قد علمت ياعالم السر والعلانية أن قلوبنا لم تزل برفع اخلاص الدعاء صادقة ، وألسننا في حالتي السر والعلانية ناطقة ، أن تمتعنا بامداد هذه الدولة المباركة الميمونة السلطانية الناصرية بمزيد العلا والرفعة والتمكين ، وأن تحقق آمالنا فيها باعلاء الكلمة ، ففي ذلك رفع قواعد دعائم الدين ، وقمع مكائد الملحدين ، لأنها الدولة التي برئت من غشيان الجنف والحيف ، وسلمت من طغيان القلم والسيف ، والذي عهده المسلمون وتعوده المؤمنون ، من المراحم الكريمة والعواطف الرحيمة ، اكرام أهل الدين ، واعظام علماء المسلمين ، والذي حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة الى الحضرة الشريفة ــ وان كانت لم تزل مرفوعة الى الله سبحانه وتعالى بالنية الصحيحة ــ قوله صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة ، قيل لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ، وعامتهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (الأعمال بالنيات) وهذان الحديثان مشهوران بالصحة مستفيضان في الأمة ، ثم ان هذا الشيخ المعظم الجليل والامام المكرم النبيل ، أوحد الدهر ، وفريد العصر ، طراز المملكة الملكية ، وعلم الدولة السلطانية ، لو أقسم مقسم بالعظيم القدير أن هذا الامام الكبير ليس له في عصره مماثل ولا نظير : لكانت يمينه برة غنية عن التكفير ، وقد خلت من وجود مثله

---

(1) العنكبوت : ٤٣

السبع الأقاليم الا هذا الاقليم ، يوافق على ذلك كل منصف جبل على الطبع السليم ، ولسنا بالثناء عليه نطريه ، بل لو أطنب مطنب في مدحه والثناء عليه لما أتى على بعض الفضائل التي فيه ، أحمد بن تيمية ، درة يتيمة يتنافس فيها ، تشترى ولا تباع ،ليس في خزائن الملوك مايماثلها ويؤاخيها ، انقطعت عن وجود مثله الأطماع •

لقد أصم الأسماع ، وأوهى قوى المتبوعين والأتباع : سماع رفع أبي العباس أحمد بن تيمية الى القلاع ، وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه الا أن يكون أمرا قد لبس عليه ، ونسب الى مالا ينسب مثله اليه ، والتطويل على الحضرة العالية لايليق ان يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق ، وقد نصب الله السلطان أعلى الله شأنه في هذا الزمان منصب يوسف الصديق لما صرف الله وجوه أهل البلاد اليه ، حيث أمحلت البلاد واحتاج أهلها الى القوت المدخر لديه ، والحاجة بالناس الآن الى قوت الأرواح الروحانية أعظم من حاجتهم في ذلك الزمان الى طعام الجثث الجسمانية، وأقوات الأرواح المشار اليها لاخفاء أنها العلوم الشريفة ، والمعاني اللطيفة، وقد كانت بلاد المملكة السلطانية ــ حرسها الله تعالى ــ تكال الثناء جزافا بغير أثمان ، منحة عظيمة من الله ذي السلطان ، ونعمة جسيمة اذ خص بلاد مملكته وأقليم دولته بما لايوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان ، وقد كان وفد الوافدون من سائر الأمصار فوجدوا صاحب صواع الملك قد رفع الى القلاع ، ومثل هذه الميرة لاتوجد في غير تلك البلاد لتشترى أو تباع ، وصادف ذلك جدب الأرض ونواحيها جدبا أعطب أهاليها ، حتى صاروا من شدة حاجتهم الى الأقوات كالأموات ، والذي عرض للمليك بالتضييق على صاحب صواعه مع شدة الحاجة الى غذاء الأرواح لعله لم يتحقق عنده أن هذا الامام من أكابر الأولياء وأعيان أهل الصلاح ، وهذه نزغة من نزغات الشيطان ، قال الله سبحانه : (وقُل لعِبادِي يَقُولُوا الَّتي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ الشَّيطانَ ينْزَغُ بيْنَهُم إنَّ الشَّيطَان كَانَ للانسانِ عدُواً مُبيْناً) .[1]

وأما ازراء بعض العلماء عليه في فتواه وجوابه عن مسألة شد الرحال الى زيارة القبور : فقد حمل جواب علماء هذه البلاد الى نظرائهم من العلماء وقرنائهم من الفضلاء ،وكلهم أفتى أن الصواب في الذي به أجاب ، والظاهر بين الأنام أن اكرام هذا الامام ومعاملته بالتبجيل والاحترام : فيه من قوام الملك ، ونظام الدولة ، واعزاز

---

(١) الاسراء : ٥٣

الملة واستجلاب الدعاء ، وكبت الأعداء ،واذ لال أهل البدع والأهواء ، واحياء الأمة ، وكشف الغمة ، ووفور الأجر ، وعلو الذكر ، ودفع البأس ، ونفع الناس ، ولسان حال المسلمين تال قول الكبير المتعال : (فَلَمَّا دَخلوا عَليهِ قالُوا يا أَيُّها العزِيْزُ مَسَّنَا وأَهْلَنَا الضُّرُّ وجِئْنَا ببضَاعةٍ مُزْجَاةٍ فأَوفِ لنَا الكَيلَ وتَصَدَّقْ عَلينا إنَّ اللهَ يَجْزِي المتَصَدِّقينَ)[1] والبضاعة المزجاة هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام ، والميرة المطلوبة الافراج عن شيخ الاسلام ، والذي حمل على هذا الاقدام قوله عليه السلام : (الدين النصيحة) والسلام •

(كتاب آخر لعلماء بغداد)

وفيه بعد البسملة والحمدلة : اللهم فكما أيدت ملوك الاسلام وولاة الأمر بالقوة والقهر وشيدت لهم ذكرا وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذخرا وللمكسور العائذ بأكناف بابهم جبرا فاشدد اللهم منهم بحسن معونتك لهم أسرا ، وأعل لهم مجدا ، وارفع لهم قدرا ، وزدهم عزا وعلى أعدائهم نصرا ، وامنحهم توفيقا مسددا وتمكينا مستمرا •

(وبعد)فانه لما قرع أسماع أهل البلاد المشرقية والنواحي العراقية التضييق على شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية سلمه الله تعالى عظم ذلك على المسلمين ، وشق على ذوي الدين ، وارتفعت رؤوس الملحدين ، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين ، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية عظم هذه النازلة من شماتة أصحاب البدع وأهل الأهواء بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء أنهوا حال هذا الامر الفظيع والحال الشنيع الى الحضرة الشريفة السلطانية ــ زادها الله شرفا ــ وكتبوا أجوبتهم في تصويب ماأجاب به الشيخ سلمه الله تعالى في فتاواه ، وذكروا من علمه وفضائله بعض ماهو فيه ، وحملوا ذلك بين يدي مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، غيرة منه على هذا الدين ، ونصيحة للاسلام وأمراء المسلمين ، والآراء المولوية العالية أولى بالتقديم ، لأنها ممنوحة بالهداية الى الصراط المستقيم •

(قلت) والظاهر أن هذه الكتب لم تصل للسلطان الملك الناصر ، اما لعدم من

---

(١) يوسف : ٨٨

يوصلها له أو لموت الشيخ قبل وصولها ، والا لظهر لها نتيجة ، ولم أقف على ذلك ، وهذه الأجوبة والكتب وصلت كلها الى دمشق •

(ثم ان الشيخ رحمه الله) استمر مقيما بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياما الى أن توفي ، ومازال في تلك المدة معظما مكرما ، يكرمه نقيب القلعة ونائبها اكراما كثيرا ، ويقضيان حوائجه ويبالغان في قضائها ، وما برح في هذه المدة مكبا على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير القرآن جملة كثيرة تشتمل على نفائس جليلة ، ونكت دقيقة ، ومعاني لطيفة ، وبين في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلق من علماء أهل التفسير ، وكتب في المسألة التي حبس بسببها عدة مجلدات ، منها كتاب في الرد على الأخنائي قاضي المالكية ، ومنها كتاب كبير حافل في الرد على بعض قضاة الشافعية ، وأشياء كثيرة في هذا المعنى ، وكان ماصنفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده وكتبه بعض أصحابه وظهر واشتهر ، فلما كان قبل وفاته بشهر ورد مرسوم باخراج ماعنده كله ، ولم يبق عنده كتاب ولا ورق ولا دواة ولا قلم ، وكان بعدذلك اذا كتب ورقة الى بعض أصحابه كتبها بفحم ، ولما أخرج ماعنده من الكتب والأوراق حمل الى القاضي علاء الدين القونوي وجعل تحت يده في المدرسة العادلية •

(فصل في ذكر وفاة الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى)

قال أهل التاريخ : كان مولد الشيخ ابن تيمية يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة احدى وستين وستمائة ، وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، ولما أخرجت كتبه من عنده أقبل بعد اخراجها على العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه اليقين ، وكان يختم القرآن في كل عشرة أيام ، وختم القرآن مدة اقامته بالقلعة احدى وثمانين ختمة ، انتهى في آخر ختمة الى آخر اقتربت (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) [1] ثم كملت عليه بعد وفاته وهو مسجى ، وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما ، وكان اذ ذاك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة ، فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته فاذن الشيخ له في ذلك ، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه ويلتمس منه أن يحلله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو

---

(١) القمر : ٥٤ ، ٥٥

غيره ، فأجابه الشيخ رضي الله تعالى عنه أني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق ، وقال مامعناه اني قد أحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه اياي لكونه فعل ذلك مقلدا غيره معذورا ولم يفعله لحظ نفسه ، بل لما بلغه مما ظنه حقا من مبلغه ، والله يعلم أنه بخلافه ، وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه الا من كان عدوا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم •

(وأكثر الناس) ماعلموا بمرضه فلم يفجأ الخلق الا نعيه ، قال الشيخ علم الدين : وفي ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الامام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا الامام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا فيها ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن ، ودخل عليه أقاربه وأصحابه ، وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات ، وامتلأ جامع دمشق ، وحضر جمع كثير الى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا ، وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ، ثم انصرفن ، واقتصر على من يغسله ويعين في غسله ، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ، وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل من غسله حتى حصل لكل واحد منهم شيء قليل ، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به ، وقيل ان الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم ، والخيط الذي فيه الزئبق وكان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما ، فلما فرغوا من ذلك أخرج ، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق الى جامع دمشق ، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسين وباب البريد وباب الساعات الى اللبادين والفوارة ، ولم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه الا حضر لذلك حتى غلقت الأسواق بدمشق وعطلت معائشها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم ، وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام ، قال بعض من حضر ولم يتخلف أحد فيما أعلم الا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختفوا من الناس خوفا على أنفسهم بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس •

(ولما أخرجت جنازته) فما هي الا أن رآها الناس فأكبوا عليها وحصل البكاء والضجيج والتضرع ، واشتد الزحام من كل جانب ، كل منهم يقصد التبرك ، حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله ، فأحدق الأمراء والأجناد ، واجتمع الأتراك فمنعوا الناس من الزحام عليهاخشية سقوطها ، وجعلوا يردونهم عن الجنازة بكل مايمكنهم وهم لايزدادون الا زحاما وكثرة ، حتى دخلت جامع بني أمية المحروس ظنا منهم أنه يسع الناس ، فبقي كثير من الناس خارج الجامع ، فصلي عليه رضي الله تعالى عنه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر ، وكان صلي عليه أولا في القلعة ، تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ، ثم حمل الى باب البريد على أيدي الكبراء والأشراف الى ظاهر دمشق واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام وكل باب أعظم زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام ، لكن المعظم من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي خرجت منه الجنازة ، ومن باب الفراديس ، وباب النصر ، وباب الجابية ، فلما خرجوا به لظاهر دمشق وضع بأرض فسيحة متسعة الأطراف ، فصلى عليه الناس أيضا ، وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، قال بعض من حضر من الثقاة : كنت ممن صلى عليه في الجامع وكان لي متشرف على المكان الذي صلي عليه فيه بظاهر دمشق فأحببت أن أنظر الى الناس وكثرتهم فأشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت أنظر يمينا وشمالا ولا أرى أواخرهم بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الارض كلها .

واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه علىأنهم يزيدون علىنحومن خمسمائة ألف ، وحضرها نساء كثيربحيث حزرن بخمسة عشر ألفا ، قال أهل التاريخ: لم يسمع بجنازة تمثل هذا الجمع الا جنازة الامام أحمد بن حنبل ، قال الدار قطني سمعت أبا سهل ابن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز ، قال أبو عبد الرحمن السلمي أنه حزر الحزارون المصلين على جنازة أحمد فبلغ العدد بحزرهم ألف ألف وسبعمائة ألف سوى الذين كانوا في السفن ، ثم حملت جنازة الشيخ الى قبره في مقبرة الصوفية فوضع ، وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضرا قبل ذلك فصلى عليه أيضا ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس ، ثم دفن وقت العصر الى جانب أخيه الشيخ الامام العلامة البارع الحافظ الزاهد العابد الورع جمال الاسلام

شرف الدين ، وكان قد توفي سنة سبع وعشرين في أيام حبس أخيه تقي الدين ، وصلي عليه في جامع دمشق ، ثم حمل الى باب القلعة فصلي عليه مرة أخرى ، وصلى عليه أخواه تقي الدين وزين الدين وخلق من داخل القلعة ، وكان الصوت بالتكبير يبلغهم وكثر البكاء في تلك الساعة ، وكان وقتا مشهودا ، ثم صلي عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحضر جنازته جمع كثير وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه ، وأثنى عليه الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني ، فقال : شرف الدين بارع في فنون عديدة من الفقه ، والنحو ، والأصول ، ملازم لأنواع الخير ، وتعليم العلم ، حسن العبادة ، قوي في دينه ، جيد التفقه ، مستحضر لمذهبه استحضارا جيدا ، مليح البحث صحيح الذهن ، قوي الفهم رحمه الله تعالى .

فلما دفن الشيخ تقي الدين الى جانب أخيه : جعل الناس يأتون قبره للصلاة عليه من القرى والأطراف والأماكن والبلاد مشاة وركبانا ، وتردد الناس الى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا ، ورؤيت له منامات كثيرة صالحة ، قال الحافظ الشيخ سراج الدين البزار : وما وصل خبر موته الى بلد فيما نعلم الا وصلي عليه في جميع جوامعه ومجامعه ، خصوصا أرض مصر ودمشق والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها ، وختمت له الختمات الكثيرة في الليالي والأيام في أماكن كثيرة لم يضبط عددها ، خصوصا بدمشق ومصر والعراق ، حتى جعل كثير من الناس القراءة له وأدار الربعة الشريفة على الناس للقراءة واهدائها له وظيفة معتادة ، قال ولم ير في جنازة مارؤي في جنازته من الوقار والهيبة ، والعظمة والجلالة ، وتعظيم الناس لها ، وتوقيرهم اياها ، وتفخيمهم أمر صاحبها ، وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل ، والزهادة والعبادة ، والاعراض عن الدنيا ، والاشتغال بالآخرة ، والفقر ، وايثار الكرم ، والمروءة ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، والفراسة ، والاقدام في الصدع بالحق ، والأغلاظ على أعداء الله ورسوله ،والمنحرفين عن دينه ، والتواضع لأولياء الله ، والتذلل لهم والاكرام ، والاعتذار والاحترام لجنابهم ، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذاتها ، وشدة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها ، حتى سمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان ، وكل منهم يثني عليه بما يعلمه من ذلك رضي الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به في الدنيا والآخرة ، آمين .

هذا وقد قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة في مناقبه ــ بعد أن أطال الكلام عليها ــ وللشيخ فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاته وسيرته وماجرى بينه وبين

الفقهاء والدولة والمتصوفة وحبسه مرات وأحواله لايحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب انتهى .

(فصل فيما رثي به الشيخ من القصائد بعد موته وذلك كثير لاينحصر)

ولما مات الشيخ ابن تيمية رحمه الله رثاه كثير من الفضلاء والأئمة العلماء بقصائد جمة لايسع هذا المختصر ذكرها ، قال الشيخ الامام ابن فضل الله العمري : رثاه جماعات من الناس بالشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز ، والغرب – نسأل فضل رحمة الله عليه – وها أنا أذكر شيئا من ذلك في هذا المختصر :

(فمنها) ما قاله الشيخ القاضي الامام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري الشافعي نثرا ونظما في حق الشيخ ، قال في كلام طويل : ورفع الى السلطان غير ما مرة ، ورمي بالكبائر ، وتربصت به الدوائر ، وسعي به ليؤخذ بالجرائر ، وحسده من لم ينل سعيه ، وكثر فارتاب ، وما تم وما زاد على أنه اغتاب ، وأزعج من وطنه تارة الى مصر ثم الى الاسكندرية وتارة الى مجلس القلعة في دمشق ، وفي جميعها يودع أخبية السجون ، ويلدغ بزباني المنون ، وهو على لينظر صحفه ، ويدخر تحفه ، حتى تستهدي أطراف البلاد طرفه ، وتستطلع بقايا الأقاليم شرفه ، الى أن خطفه آخر مرة من سجنه عقاب المنايا ، وجذبته الى مهواتها قرارة الرزايا ، وكان قبل موته قد منع الدواة والقلم ، وطبع على قلبه منه طابع الألم ، فكان مبدأ مرضه ومنشأ برضه ، حتى نزل قفار المقابر ، وترك فقار المنابر ، وحل بساحل ربه وما يحاذر ، واختار راحة قلبه من اللائم والعاذر ، فمات وما مات لابل حيّ ، وعرف قدره لأن مثله مارؤي ، مابري على المآثر الى أن ضريحه أحله ، وأتاه بشير الجنة يستعجله ، فانتقل الى الله والظن به أنه لايخجله ، وكان يوم دفنه يوما مشهودا ، ووقتا معدودا ، ضاقت به البلد وظواهرها ، وتذكرت به أوائل الرزايا وأواخرها ، ولم يكن أعظم منها منذ مئين من السنين جنازة رفعت على الرقاب ، ووطئت في زحامها الأعقاب ، وصار مرفوعا على الرؤوس متبوعا بالنفوس ، تحدوه العبرات ، وتتبعه الزفرات ، وتقول له الأمم لافقدت من غائب ، ولا قلامه النافعة لأبعدكن الله من شجرات ، كان أمة وحده ، وفردا حتى نزل لحده ، ثم قال :

أهكذا في الدياجي يحجب القمر ويحبس النوء حتى يحبس المطر
أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن منافع الأرض أحيانا فتستتر
أهكذا السيف لاتمضي مضاربه والسيف في الفتك مافي عزمه خور

أهكذا القوس ترمى بانعراء ومــا تصمى الرمايا وما في باعها قصـر
أهكذا يتــرك البحر الخضـم ولا يلوى عليـه وفي أصـدافه الدرر
أهكـذا يتقـي الدين قـد عبثت أيدي العدى وتعدى نحوه الضـرر
الى ابن تيميـة ترمى سهـام أذى من الأنـام ويدمى النـاب والظفر
بر السوابق ممتـد العبـادة لا ينـاله ملل فيهـا ولا ضجـر
ولم يكن مثله بعـد الصحـابة في علم عظيـم وزهـد ماله خطـر
طريقة كـان يمشي قبل مشيتـه بهـا أبو بكـر الصديق أو عمـر
فرد المـذاهب في أقوال أربعـة جاؤا على أثر السبـاق وابتدروا
لما بنـوا قبله عليا مذاهبهـم بنى وعمـر منها مثـل ماعمروا
مثل الأئمـة قد أحيا زمانهـم كأنه كان فيهم وهو منتظـر
ان يرفعوهم جميعـا رفع مبتدأ فحقه الرفع أيضـا أنه خبـر
أمثله بينكـم يلقى بمضيعـة حتى يطيـح له عمـدا دم هدر
يكون وهــو أماني لغـيركم تنوبه منكـم الأحداث والغـير
واللـه لو أنه في غير أرضكـم لكان منكـم على أبوابه زمـر
مثـل ابن تيميـة ينسى بمحبسـه حتى يمـوت ولم يكحل به بصـر
مثل ابن تيميـة ترضى حواسـده بحبسه ولكـم في حبسـه غدروا
مثل ابن تيمية في السجن معتقـل والسجن كالغمدوهو الصارم الذكر
مثل ابن تيمية يرمي بكـل أذى وليس يجلى قذى منه ولا نظـر
مثل ابن تيميـة تذوى خمائلـه وليس يلقـط من أفنـانه الزهـر
مثل ابن تيمية شمس تغيب سـدى ومـا تروق بها الآصـال والبكر
مثل ابن تيميـة يمضي وما عبقت بمسكه العاطر الأردان والطـرر
مثل ابن تيمية يمضي ومـا نهلت له سيـوف ولا خطيـة سمر
ولا تجـارى له خيل مسـومة وجوه فرسانها الأوضاح والغـرر
ولا تحف بـه الأبطـال دائـرة كأنهـم أنجم في وسطهـا قمر
ولا تعبس حـرب في مواقفـه يوما ويضحك في أرجائها الظفـر
حتى يقوم هذا الدين من ميـل ويستقيم على منهاجه البشـر
بل هكذا السلف الأبرار مابرحوا يبلى اصطبارهم جهدا وهم صبـر
تأس بالأنبياء الطهـر كم بلغت فيهم مضرة أقوام وكـم هجروا

في يوسف في دخول السجن منقبة   لمن يكابد مايلقى ويصطبر
ماأهملوا أبدا بل أمهلوا لمدى   والله يعقب تأييدا وينتصر
أيذهب المنهل الصافي ومانقعت   به الظماة ويبقى الحمأة الكدر
مضى حميدا ولم يعلق به وضر   وكلهم وضر في الناس أو ضرر
طود من الحلم لايرقى له فنن   كأنما الطود من أحجاره حجر
بحر من العلم قد فاضت بقيته   فغاضت الأبحر العظمى وماشعروا
ياليت شعري هل في الحاسدين له   نظيره في جميع القوم ان ذكروا
هل فيهم لحديث المصطفى أحد   يميز النقد أو يروى له خبر
هل فيهم من يضم البحث في نظر   أو مثله من يضم البحث والنظر
هلا جمعتم له من قومكم ملأ   كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا
قولوا لهم قال هذا فابحثوا معه   قدامنا وانظروا الجهال ان قدروا
يلقى الأباطيل أسحارا لها دهش   فليلقف الحق ماقالوا وما سحروا
فليتهم مثل ذاك الرهط من ملأ   حتى يكون لكم في شأنهم عبر
وليتهم أذعنوا للحق مثلهم   فآمنوا كلهم من بعدما كفروا
ياطالما نفروا عنه مجانبة   وليتهم نفعوا في الضيم أو نفروا
هل فيهم صادع للحق مقوله   أو خائض للوغي والحرب تستعر
رمى الى نحو غازان مواجهة   سهامه من دعاء عونه القدر
بتلّ راهط والأعداء قد غلبوا   على الشآم وطار الشر والشرر
وشق في المرج والأسياف مصلتة   طوائف كلها أو بعضها تتر
هذا وأعداؤه في الدور أشجعهم   مثل النساء بظل الباب مستتر
وبعدها كسروان والجبال وقد   أقام أطوادها والطود منفطر
واستحصد القوم بالأسياف جهدهم   وطالما بطروا طغوى وما نظروا
قالوا قبرناه قلنا ان ذا عجب   حقا وللكواكب الدري قد قبروا
وليس يذهب معنى منه متقد   وانما تذهب الأجسام والصور
لم يبكه ندما من لم يصب دما   يجري به ديما تهمي وتنهمر
لهفي عليك أبا العباس كم كرم   لما قضيت قضى من عمره العمر
سقى ثراك من الوسمي صيبه   وزار مغناك قطر كله قطر
ولا يزال له برق يغازله   حلو المراشف في أجفانه حور

لفقد مثلك يامن ماله مثل — تأسى المحاريب والآيات والسور
ياوارثا من علوم الأنبياء نهى — أورثت قلبي نارا وقدها الفكر
ياواحدا لست أستثني به أحدا — من الأنام ولا أبقي ولا أذر
ياعلما بنقول الفقه أجمعها — أعنك تحفظ زلات كما ذكروا
ياقامع البدع اللاتي تحببها — أهل الزمان وهذا البدو والحضر
ومرشد الفرقة الضلال نهجهم — من الطريق فلا حاروا ولا سهروا
ألم تكن للنصارى واليهود معا — مجادلا اذ هم في البحث قد حضروا
وكم فتى جاهل غر أبنت له — رشد المقال فزال الجهل والغرر
ماأنكروا منك الا أنهم جهلوا — عظيم قدرك لكن ساعد القدر
قالوا بأنك قد أخطأت مسألة — وقد يكون فهلا منك تغتفر
غلطت في الدهر أو أخطأت واحدة — أما أجدت اصابات فتعتذر
ومن يكون على التحقيق مجتهدا — له الثواب على الحالين لا الوزر
ألم تكن بأحاديث النبي اذا — سئلت تعرف ما نأتي وما تذر
حاشاك من شبهة فيها ومن شبه — كلاهما منك لايبقى له أثر
عليك في البحث أن تبدي غوامضه — وما عليك اذا لم تفهم البقر
قدمت لله ماقدمت من عمل — وما عليك بهم ذموك أوشكروا
هل كان مثلك من يخفى عليه هدى — ومن سمائك تبدو الأنجم الزهر

وكيف تحذر من شيء تزل به
أنت التقي فماذا الخوف والحذر

(ومنها) للعلامة أبي حفص عمر بن الوردي الشافعي ناظم البهجة عليه الرحمة :

قلوب الناس قاسية سلاط — وليس لها الى العليا نشاط
أينشط قط بعد وفاة حبر — لنا من نثر جوهره التقاط
تقي الدين ذو ورع وعلم — خروق المعضلات به تخاط
توفي وهو مسجون فريد — وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا — ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نحبا وليس له قرين — ولا لنظيره لف القماط
فتى في علمه أضحى فريدا — وحل المشكلات به يناط

وكان الى التقى يدعــو البرايـا | وينهى فرقـة فسقـوا ولاطــوا
وكان الجـن تفرق من سطــاه | بوعظ للقلــوب هو السيــاط
فيــا لله ماقــد ضم لحــد | ويالـلــه ماغطــى البــلاط
هم حســدوه لما لـم ينالــوا | مناقبه فقــد مكروا وشاطــوا
وكانــوا عن طريقتـه كسالى | ولكـــن في أذاه لهم نشـــاط
وحبس الدر في الأصداف فخـر | وعند الشيـخ بالسجن اغتبــاط
بآل الهاشمـــي له اقتـــداء | فقد ذاقوا المنـون ولم يواطــو
بنـوا تيميـــة كانوا فبانــوا | نجوم العلـم أدركها انهبـــاط
ولكـن يانـــدامة حاســديه | فشك الشــرك كان به يمــاط
ويافـرح اليهــود بما فعلتــم | فان الضـد يعجبــه الخبــاط
ألـم يك فيكم رجل رشيـــد | يرى سجن الامـام فيستشــاط
امــام لا ولايـة كـان يرجـو | ولا وقــف عليـــه ولا ربـاط
ولا جاراكـــم في كسب مــال | ولم يعهــد له بكم اختـــلاط
ففيم سجنتمـــوه وغظتمــوه | أما لجــزا أذيتــه اشتـــراط
وسجن الشيخ لايرضاه مثــلي | ففيه لقدر مثلكم انحطــــاط
أمــا والله لولا كتــم سـري | وخوف الشــر لانحــل الرباط
وكنت أقــول ماعنـــدي ولكن | لأهل العـلم ماحسن اشتطـــاط
فما أحــد الى الانصاف يدعــو | وكـل في هــواه له انخـــراط
سيظهر قصـــدكم ياحابسيــه | ويهنيكــم اذا نصب الصــراط
فها هو مات عنكم واسترحتـم | فعاطـــوا ماأردتم أن تعاطـــوا
وحلوا واعقــدوا من غـير رد | عليكم وانطـوى ذاك البســاط

(ومما ينسب اليه أيضا)

كـــان والله فقيهـــا عالمـــا | ذا عفـــاف وتقـــي مايتهـــم
غـــير لم يدر مداراة الـــورى | ومـــداراة الورى أمر مهـــم

(ومنها) للشيخ الامام محمد العراقي الجزري رضي الله تعالى عنه آمين :

عـز عندي يوم الرحيل العـــزاء | لنعـــي فيهـا الدموع دمـــاء

طرق الخافقين خطب جسيـــــم أطرقت منه في الورى العلمـــاء
خفت أن ترهق السمـــاء وكادت ترجف الأرض أو تمور السمـــاء
فقد المسلمـون قطب المعـــالي فبكتــه الأغواث والأوليـــاء
كسف النيرين فقــدك ياأحمـــ د حقـــا وغابت الجـــوزاء
أظلمت جلـــق التي كنت فيهـــا وأضـــاءت بغـــيرك البيـــداء
ياطليـــق اللســـان في كل فن فلقـــد شرفت بك العليـــاء
ان تكـن مت فلعلـوم التي أحييـ ت من بعـد موتهـــا أحيـــاء
مدحت فهمـك الحروف جـــلالا وكذاك الأفعـــال والأسمـــاء
يامزيل الأشـــكال عن كل فهـــم وله عن كـــل زلة اغضـــاء
لا الصباح صباح بعـدك عنـدي في ضياء ولا المساء مســـاء
ماحضـرت الجـــدال بين أناس يقرؤون الحـــديث الا وفـاءوا
أنت صخر الوجـود في كل أرض والبرايـــا جميعهـــا الخنساء
من لعـــلم التفسير فيمـــا رواه جابـــر أو مجاهـــد أو عطـــاء
عطلت بعـــدك الدروس فما فيه ا لرب الفهـــم السقيم شفـــاء
من لعـــلم الفتيـــا اذا اشتبه الأ مر وحارت في ردها الأذكيـــاء
من لعـــلم الحديث بعـدك فيما قاله الواصفون والأتقيـــــاء
طاهر الأصل كم حويت خصـــالا قصرت عن فروعهـــا الفصحـــاء
من تكن هذه السجايا سجـــاياه فــــلا تشتفـــي به الأعـــداء
كل ميت يكون مثـــل تقي الدين فالمـــوت عنـــده أحيـــاء
أيهـــا القبـــر ان فيك لبحـــرا جللتـــه مهابـــة وضيـــاء
وجـــلال وعفـــة ووقـــار وجمـــال وبهجـــة وسنـــاء
تعست ليـــلة الفـــراق وغـــابت أنجـــم أشـــرقت لهـــا لألآء
نعت الناعيـــات نعيـــك في الأ فق وناحت في دوحها الورقـــاء
أيهـــا الحبر أوحش الآن ربـــع كنـــت فيـــه ومنـــزل وفنـــاء
هان قدر الحمراء عنـــدك من ز هدك واستحقـــرت لك البيضـــاء
ونبذت الدنيـــا فعشت فقـــيرا بصفـــات تودها الأغنيـــاء
ياابن تيمية الـــذي حزن الدهـــر عليـــه وغاضت الأنـــواء
كنت انسان عين دهـــرك لاتعرف حقـــا الا لـــك الأشيـــاء

خضت بحــرا مافيه الا امــام	ذواجتهــا ولكن عـداك العـداء
كنت في ذروة السنــام من العــلم	ومـــا قلت للأنـــام ســـواء
ضاق ذرع الزمــان منــك فنــاء	ليت شعري هل ضاق منك الفضـاء
واذا حلــت المنيــة يومـــا	بنفيس فليس يغنى الأســـاء
نضر الله وجهك ياحسن المنــــ	ــظر يا من له السنى والسنــاء
وسقى الله روضــة أنت فيهـــا	ساريات تجري بهـــا النكبـــاء
وعــلا قبرك النجار فقيصــوم	ورند وفـــاح منــه الكبـــاء
رضي الله عنــك حيا وميتـــا	وسقى ربعـك المصـون الحيـــاء
قسما بالالـــه لو أنصف الـــد	هـــر لأضحى في كل بيت عــزاء

(ومنها للشيخ علاء الدين ابن غانم رحمه الله تعالى)

أي حبـــر مضى وأيّ امـــام	فجعت فيـــه ملة الاســـلام
ابن تيميــة التقــي امــام الـ	ـعصر من كان شامة في الشـــآم
بحر علم قـــد غاض من بعد مافـا	ض نداه وعم بالانعــــام
زاهـــد عابـــد تنـــزه في دنـ	ـيــاه عن كــل ما بها من حطــام
كان كنـــزا لكـــل طالب علـم	ولمن خـــاف أن يرى في حـــرام
ولعاف قد جاء يشكو من الفقــر	لديــــه ينـــال كــل مـــرام
حاز علما فما لــــه من مســـاو	فيـــه من عالـم ولا من مســـام
لم يكـن في الدنيـــا له من نظير	في جميـــع العـــلوم والأحكام
كم له في حنادس الخطب والنـــاس	نيـــام حتى الضحى من قيـــام
وجميـع الأنـــام من شدة الخوف	نيـــام من الـــردى في منـــام
وبنـــوا فارس قد افترسوا النـــاس	افتراس الأسود ســـرح الحوامي
ودمشق الشـــآم بعد انبســـاط	من ضواحي رستاقها في انضمـــام
اذ غزانـــا على العـــلوج غـــزاة	وغـــزانا مـــن فارس بالطغـــام
فاعاد العـــزيز منـــا ذليـــــلا	ذا صغـــار ينقـــاد كالأنعـــام
فنضاه الجبـــار جـــل ثنـــاه	في وجوه العدا كحـــد الحســـام
فحمـــانا باللـــه من كل طـــاغ	لا برمـــح وصـــارم وحســـام
يالـــه حـــين فر كـــل كمـــي	من حماة الاســـلام عنا يحـــامي
ياابن تيمية عليـــك خصوصـــا	وعمـــوما تحيتي وســـلامي

ياسليـل العلى عليك القـوافي　　قد بكت في الطروس والأقـلام
يافقيـد المثـال علما وحلمـا　　وقريب المـرمى بعيـد المـرام
يابطيء الاحجـام ان عـز خطب　　وكثـير القيـام جنح الظـلام
كف طـرفي ان لـذ مـن بعـد الا　　تـرك أجفـانه لذيـذ المنـام
وبودي لفقـد شخصـك لوحـا　　م علـى أيكـة حمـام حمامي
ولعمـري يامن لـه في فـؤادي　　لحـد ذكـر دوامه في دوامـي
ان حللت الثـرى فروحـك حلت　　ياابن عبد السـلام دار السـلام
فسقـى تربة حـواك ثراهـا　　كل مـزن بوابـل ورهـام
واذا سحت السواري بسـح　　والغوادي جـدناك بالدمـع دام

(ومنها لمحمود بن الأثير الحلبي عليه الرحمة)

يادموعي سحي كسـح الغمـام　　هاطـلات على الخدود سجـام
لفـراق الشيـخ الامام المفـدى　　ابن تيميـة ونجـل الكـرام
زاهـد عابـد تقـي نقـي　　فهمـه لايقـاس بالأفهـام
ابن تيميـة يتيمـة دهـر　　مالـه من مسـاوم ومسـامي
فجعـت فيـه أهـل كـل البرايا　　جمعهـا للعـلوم والأحكـام
أوحد في العلـوم والفضـل والز　　هدلا يرائي في ملـة الاسـلام
بحـر علـم يغـوص كـل لبيب　　في معانيـه حـار كـل الأنـام
فاق بالعـلم والفضائل للخـلق　　فأضـحى امـام كـل امـام
ان يكـن غاب شخصـه وتوارى　　ومضت روحـه لدار السـلام
فمناقبـه والفضـائـل تبقى　　في ممـر الدهـور والأعـوام
سيـد قد علا بعلـم وحلـم　　فعـداه لديـه كالأنعـام
كـم رماه الحسـاد بالكيد والبغي　　وهـو لاينثني عـن الاقـدام
طالب الحـق لايخـاف لحيف　　وهـو يحمي عن ذروة الاسـلام
لايخـاف الملوك أيضـا ولا الخلـ　　ـق ولا العـداة مـع اللـوام
صدره للعـلوم والقلب للـرب　　ويـداه للبـذل والأنعـام
لاتلمنـي على المديـح ودعني　　فهو شيـخي وبغيتـي ومرامي
كـل من مات في هواه بوجـد　　ماعليـه في حتفـه من مـلام

(ومنها للشيخ الامام زين الدين عمربن الحسام الشبلي رحمه الله تعالى)

لو كان يقنعني عليك بكائي ... لجرت سوابق عبرتي بدماء
أو كنت في يوم انتقالك للبلي ... صخرا لزدت على بكا الخنساء
لكن أصبر عنك نفسي كاتما ... للحزن خوف شماتة الأعداء
أترى علمت وأنت أفضل عالم ... ماعندنا من لوعة وبلاء
أسفي على تلك الديانة والتقى ... والجود آذن قربه بتناء
أسفي عليك وما التأسف نافع ... صبا عليك مقلقل الاحشاء
أسفي عليك نفى الكرى عن ناظري ... من فرط أحزاني وفرط عنائي
غاضت بحار العلم بعدك والو ... رى في غفلة ياسيد العلماء
بابي وحيدا مات منفردا عن ال ... أحباب كان بقية الصلحاء
بحر العلوم حوى الفضائل كلها ... وسما سمو كواكب الجوزاء
متفرد في كل علم دونه ... لعلو رتبته ذرى العلياء
بالفضل قد شهدت له أعداؤه ... وبه سما فضلا على النظراء
شيخ العلوم وتابع السلف الألى ... تبعوا الرسول بشدة ورخاء
وامام أهل الأرض والمبدي لهم ... سنن الهدى عن صحة الأنباء
ذو الصالحات وذو الشجاعة والتقى ... والجود والبركات والآلاء
من كان لايثني لطالب جوده ... حتى يبلغه لكل رجاء
يجفوا المضاجع راكعا أو ساجدا ... أو ذاكرا لله في الظلماء
كالصبر في حنك العدو مذاقه ... وألذ من شهد الى الجلساء
المانح البحر الهمام العالم ال ... حبر الامام وحجة الفقهاء
الواهب المال الجزيل وغامر الـ ... ضيف النزيل بوافر النعماء
المحسن الكافي السؤال وحاسم ال ... داء العضال وكاشف الغماء
صدر المدارس والمجالس أحمد ... المحمود في عود وفي ابداء
واذا المسائل في الفتاوى أفحمت ... أهل العلوم وحجبت بخفاء
وأتت تقي الدين أظهر مااختفى ... منها وابداه لعين الرائي
فيرى سهاها في الخفاء بكشفه ... كالشمس مشرقة بصحو سماء
ويرى البصير الحق فيما قاله ... والحق لايخفى على البصراء
سجنوه خشية أن يرى متبذلا ... صونا فنال منازل الشهداء

للمؤمنين له وعند عدوهم ذل الكثير وعزة الخلفاء
في المحدثين أتى بفضل باهر ومناقب أربت على القدماء
أي خاشع أي شاكر أي ذاكر لله في الاصباح والامساء
أي زاهد أي حامد أي باذل للمسلمين نصائح النصحاء
خير الصفات صفاته وثناؤه بالجود بين الناس خير ثناء
ويظل يسأل جوده عن سائل ذي فاقة ليبره بعطاء
وتراه يشرق وجهه متهللا للسائلين له شروق ذكاء
بادي التبسم عند بذل نواله لطفا الى الفقراء والضعفاء
أزرى على فضل البرامكة الألى وطوت مكارمه حديث الطائي
من جاء يسأله يشاهد عنده بذل الملوك وعيشة الفقراء
يربي على سح السحائب جوده وكذا تكون مواهب الكرماء
والجود يرفع أهله بين الورى ابدا ويهوى البخل بالبخلاء
وله اذا اصطدم القتال شجاعة قامت بنصر الدين في الهيجاء
سل عنه غازانا وسل أمراءه لما أتوا بطلائع الأسراء
والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها كم فك من عان بغير عناء
وكذا بشقحب التتار قد أقبلوا كالطم في أمم بغير مراء
والمسلمون على النزول قد أجمعوا والمغل عنهم نظرة للرائي
من حرض السلطان والأمرا على ترك النزول سواه عند مساء
قال آثبتوا فلكم دليل النصر قد وافى فكان النصر عند لقاء
وأتى جبال الكسروان فآذنت بدمارها من بعد طول بقاء
وله بكل مدينة ذكر أتى كالمسك فهو معطر الأرجاء
سير اذا نظمتها سارت بها الـ ركبان دون قصائد الشعراء
واذا امام المسلمين وشيخهم ولى وعز على عزاه عزائي
أدعو اله العرش يجمع بيننا في جنة الفردوس فهو رجائي
وعليه من رب السماء تحية تبقى له أبدا بغير فناء

(ومنها للشيخ جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادي الحنبلي المعروف بابن الحصري)

عش ماتشاء فان آخره الفنا الموت مالا بد منه ولا غنى

والدهـــران يوما أعان فطـــالما | بالسوء عان فعونه عــين العنـــا
لابـد من يـوم يسوءك حتفـــه | حتمـــا نأى الأجل المقـدر أودنا
للنفس سهـم من سهـــام نوائب | يرمي فيصمي من هنـــاك ومن هنـــا
من غـره الأمـــل المديـــد فانه | غـــر لأن طعـــامه لـــن يهتنـــا
شمس الحيـــاة تضيفت ومشيبــه | ضيف يجر من المنيـــة ضيفنـــا
من حين أوجـد كان نفس وجوده | في الكون بالعـدم المحقق مؤذنـا
يامن يعـد الدهر صاحب دهـــره | ويعـــد فيــه للاقامــة موطنـــا
أو مارأيت المـوت كيف سطـا بمن | في الخلق عن محض العلوم تكـونا
ندب مبـاح الصـدر حظـر بعده | فلـم استحــال وكان شيئـا ممكنا
بذ الأنـام مـع البذاذة فضــله | اذ لم يكن بسوى التقى متزينـــا
ترك الجميع على الجمــوع فلم يهب | تلـك الجموع ولا استراب ولا ونى
ولـكـم مقامـات له في الحـق لا | بيض الظبا يخشى ولا سمر القنـــا
بالعـــرف يأمر ناهيا عن منكــر | متقربا وهـــو البعيـد عن الخنـــا
ماحال عن نهج الصواب ولا اعتدى | وبغير تحصيـل الفضـائل ماعتنى
امـا تبـــارزه تجـده مبـــرزا | في أي علـم شئت حبرا متقنـــا
واذا تجـاريه فمـــاء السيـل ان | لمـــا جرى في بحثـه متفننـــا
متزهــدا متعبــــدا متهجـــدا | متخشعـــا متورعـــا متدينـــا
في كل عصـــر سيـد هو حجـة ا | لباري على كل الخـلائق في الدنـا
وترى أحـق من استحق محامـدا | مـن للامامـة لم يـزل متعينـــا
شيـــخ الأنـام وحجة الاسلام من | أغناه نشـر الذكر عن ذكـر الكنى
أعنـي أبـا العبـاس أحمـد بل | تقـي الدين حقـــا والعليم المعنا
في الله ليس يخـاف لومة لائـــم | ويرى النـــوى فيــه نهايـات المنى
لمـــا تحقـق ان كل مخـــلف | يفنـــى وان كان النفيس المثمنـا
لـــم يدخر قوتـا لأجـل غد ولا | أبقى له ارثـــا سوى حسن الثنـا
صدر حوى في صدره لكمـــاله | من كـل علــم معنـوي معـدنا
ظهـــرت أمارات الولاية بعـــده | واسأل لتصبح بالحقائق موقنـــا
واسمـــع مقـالة أحمـــد متوعدا | أعـــداءه يـوم الجنائـز بيننا
فاحـق مايبكـى عليـه فقـده | ماموت هذا الحبر رزءا هينـا

فيض النفوس يقل فيه تأسفا وأعن عيونا فضن فيه أعينا
يامن أعاد أولى التشدق علمه خرسا وأنطق بالثناء الألسنا
يادوحة الفضل التي في أصلها طيب وزاكى فرعها حلو الجنا
ياحبر بل يابحر كم حيرت من حبر تصير ذا الفصاحة ألكنا
ياخاتم الفضلاء علمك معجز بهر الورى فصدرت عنه مؤمنا
ان كان ذا حفظا فوقتك ضيق عنه ولو كان الزمان له انا
لكنه من فضل من هو قاذف بالحق من نور الولاية والسنا
أسست بنيانا على تقوى ورض وان فللأسمى قد ارتفع البنا
غبرت يا من لايشق غباره في أوجه الفضلاء قدما قبلنا
جاهدت في ذات المهيمن صابرا عند الأذى فاتت بشارات الهنا
ان الذين يجاهدون عدونا فينا لنهديهم الينا سبلنا
والله قد أثنى على العلماء في نص الكتاب وأنت أولى من عنى
لا غرو ان كنت ابتليت بحاسد فالحر ممتحن بأولاد الزنا
أشكو اليك وأنت أصل شكايتي من فرط ضرفي افتقادك مسننا
قد عبرت عبراتنا عن حزننا وبما نجن من الجوى نطق الضنا
سقيا لتلك الروح من سحب الرضا وتبوأت جنات عدن مسكنا
لو كان فيها الموت يقبل فدية كان الأنام فدى وأولهم أنا

ومنها للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الكريم بن أنو شروان التبريزي الحنفي عليه الرحمة :

صبرا جميلا فالمصاب كبير كادت جبال الأرض منه تمور
وجسيم خطب قد علا كل الورى فقد الضياء وأظلم الديجور
وانهد ركن فضائل وفواضل فعليهما ركن الأسى معمور
وعلى تقي الدين أحزان الورى لسحائب الدمع الغزير تثير
لولا ابتغاء الأجر لم يحمد على صبر على هذا المصاب صبور
أفلت شموس المكرمات وأظلم الـ شام المنير وزال عنه النور
نور الفتى التيمي والقطب الذي فلك العلوم عليه كان يدور
حبر به كان الزمان ومن به يزهو ويشرق في الدجى وينير
علم التعبد والتزهد والتقى في سائر الدنيا له منشور
ورسوخه في كل علم نافع فحديثه بين الورى مشهور

قد كان صدرا في الصدور فمذ نأى ... ضاقت على صدر الصدور صدور
لاغرو ان فاضت عليه مدامع ... حروان قصمت عليه ظهور
تبكي السماء عليه والارض التي ... بصفائها لفراقه تكدير
وبكى مصلاه ومنبره ومو ... ضع درسه والجامع المعمور
وبكى الغمام لفقده وتفطرت ... عن أعين تجرى عليه صخور
وكذاك ربات الخدور بكينه ... وتهتكت منها عليه ستور
نشرت له العذبات بانات اللوى ... عوض الشعور وما لهن شعور
وعليه حن على الاراك حمائم ... يندبنه أسفا وهن طيور
فالصب ان صب المدامع بعد من ... يهوى ومات فانه معذور
والناس في حزن عليه وانه ... عبد بلقيا ربه مسرور
غار الاله عليه من أغياره ... فزواه عنهم والمحب غيور
فخلا به يتلو عليه كلامه ... وله الحبيب مؤانس وسمير
حتى اذا اشتد التشوق زفه ... زف العروس وذيلها مجرور
وشعار كل مشيع لسريره ال ... تسبيح والتهليل والتكبير
ولقد سرى فوق الرقاب سريره ... فعجبت كيف الراسيات تسير
ماكنت أعلم قبل يوم وفاته ... ان البحار الزاخرات تغور
ولقد سرت لسريره لماسرى ... سير لها حتى النشور نشور
تفنى الليالي والزمان وذكره ... متجدد بين الورى مذكور
قد كان في الدنيا هلالا لائحا ... كل اليه بالبنان يشير
وكذا جنازته تعالى الله لم ... ينظر لها في العالمين نظير
ومن العجائب أنها نطقت على ... صمت بما هو كامن مستور
ان المشيع للجنازة لم يعد ... الا وسائر ذنبه مغفور
هذا هو الفضل المبين وهذه ... نعم عليها ربنا مشكور
لاأوحش الله الوجود من الذي ... أنست به في الموحشات قبور
والى جنان الله راحت روحه ... يلقاه منها بهجة وسرور
طوبى لميت جاور القبر الذي ... فيه فتى تيمية مقبور
بل فاز نزال ثووا بجنابه ... ان الكريم نزيله مغفور
فينال حتى الحشر من بركاته ... وعليه تنزل رحمة وحبور

يـارب فاجمـع بيننـا في جنة المـأوى فأنت لما تشـاء قديـر

(وله رحمه الله تعالى)

عم المصـاب فلا تبكوا بغـير دم على ابن تيمية ذي العلم والحكـم
حبر البـرية ولي وهـو في دعـة وكل جفـن فـلا يبكى عليـه عمى
لـو أن كـل تقي في الأنـام فدى نفس الامام تقي الدين لم يلـم
اذا تذكـره من كـان يألفـه يهـزه الشوق من فرق الى قـدم
ياثلمـة ثلمت في الـدين واتسعت فلست حتى اللقـا والحشر تلتئمي
هيهات هل تسمح الدنيا بمثل فتـى تيميـة أو يرى في عالم الحـلم
كانت به تفخـر الدنيـا وقد بقيت به تفاخـر أجـداث وذو رمـم
فالعلم والحلـم والتقوى بهن غـدا في الناس أشهر من نار على علـم
والزهد في زخـرف الدنيا وزينتهـا من وصفه كان مضموما الى الكـرم
مولى على حبه الأرواح قـد جبلت ولست في القول والدعوى بمتهـم
ماذاك الا لما قـد كان خصصـه به الالـه من الأخلاق والشيـم
من للمسائل قد أعيت فيوضحهـا وضوح برق لموع لاح في الظـلم
كالبحر يزخران بث العلوم وكالـ سيل الذي مـده صوب من الديـم
مان رأى النـاس أبهى من جنازته لما استقلت على الأعناق والقمـم
وحوله وهو يجـلى كالعروس على سـريره أمـم ناهيـك من أمـم
أظمى الأنـام اليـه حجبه فبـدا على السـرير فرواهم بدمعهـم
بكى عليـه مصـلاه ومنبـره وفي الخدور بكتـه أعين الحـرم
والأرض تبكي عليه والسماء كـذا قد جاء عن سيد الأعراب والعجـم
لأنه العـالم الحبر الـذي أبدا تتلـى مناقبـه جهـرا بكل فـم
هذا هو المجد حـق الافتخار بـه لا بالتكـاثر والأموال والحشـم
ياجنـة الخلد وافيه مزخـرفة وأنت يانار أشواق الورى اضطرمي
ويا شمـوس العلى غيبي لغيبتـه ويامباني المعالي بعـده انهـدمي
فاعظـم اللـه أجر الفاقدين لـه الواجـدين ذوي الاخلاص كلهـم
وأكرم الله مثـواه ومضجعـه بوابل من سحاب الجود والكـرم

وهي طويلة أربعة وثلاثون بيتا ،وله في الشيخ مراثي أخر •

وللفاضل برهان الدين ولد شهاب الدين التبريزي الحنفي المتقدم ذكره عليهما الرحمة :

جودي بانسجام الدمع يامقلة العاني ... الى أن تروي الأرض من فيض أجفاني
وذق يافؤادي كل يوم وليلة ... مرارة أشواق ولوعة أشجان
الى أن أرى وجه ابن تيمية الذي ... به الله من أهل الضلالة نجاني
ومن لي بأن ألقاه والموت قد أتى ... فغيبه في الترب عن كل انسان
فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه ... ويالهف اخوان عليه وجيران
يحق لعين لاترجي لقاءه ... الى الحشر أن ينهل مدمعها القاني
لقد عم أهل الأرض رزء مصابه ... ولم ينج فيهم منه قاص ولا دان
لقد كانت الدنيا به ذات بهجة ... ونور واشراق وروح وريحان
وما كان الا آية في زمانه ... وفي كل فضل حاز ليس له ثان
امام هدى يدعو الى سبل ربه ... دعاء نصوح مشفق غير خوان
فمذهبه ما جاء عن خير مرسل ... وأصحابه والتابعين باحسان
أتى بعلوم حيرت كل واصف ... على أنه يهدى بها كل حيران
فكم مبطل وافاه يبغي جدا له ... فانصفه في البحث من غير عدوان
ويكشف عنه شبهة بعد شبهة ... الى أن يبين الحق أحسن تبيان
فيصبح عن تلك المقالة معرضا ... ولو كان من أحبار سوء ورهبان
يغار على الاسلام من كل بدعة ... وما زال منها هادما كل بنيان
وفي الله لم تأخذه لومة لائم ... ولم يخش مخلوقا من الانس والجان
ولم ينتقم في الدهر يوما لنفسه ... ولكنه يؤذى فيعفو عن الجاني
وأما سماح الكف فالبحر دونه ... ولم يك في بذل العطاء بمنان
ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم ... به رجح الشجعان في كل ميزان
فمن جاهد الأعداء في الدين مثله ... ومن سل سيف العزم في وجه غازان
ومن قال للناس اثبتوا يوم شقحب ... فان الأعادي في انهزام وخذلان
فمن خشي الرحمن بالغيب واتقى ... اله البرايا خافه كل سلطان
وماضره ان طال في السجن مكثه ... اذا كان في نسك وطاعة رحمن
منيبا الى مولاه يقطع وقته ... بنقل حديث أو بتفسير قرآن
ولم يك مشغوفا بحب رياسة ... ولا شد بغلات ولا حسن غلمان
ولا كان مشغولا بجاه ومنصب ... ولا رفع بنيان ولا غرس بستان
ولكن بعلم نافع وعبادة ... وزهد واخلاص وصبر وايمان

وفي موتـه قد كان للنـاس عبرة — لما شاهدوا من غير زور وبهتـان
اذ انتشروا مثل الجـراد وكـاد أن — تزيغ عقـول من رجال ونسـوان
وسار على أعنـاقهم نحو قبـره — يجاور مولى ذا امتنان وغفـران
الى الـذهب الغـالي دعاه الهـه — وذاك له خير من الخـزف الفاني
دعـاه الى جنـات عدن وطيبهـا — ومتعه فيهـا بحـور وولـدان
فنسأل رب العرش يجمع شملنـا — به في جنان الخلد من قبل حرمـان
ويجبـرنا بعد انكسار قلوبنـا — ويروي برؤيا وجهه كل ظمـآن

(ومنها لبعض الفضلاء من جندمصر أرسلها بعد عرضها على الامـام أبي حيان النحوي)

خطب دهـى فبكى له الاسـلام — وبكـت لعظـم بكائه الأيـام
وبكت لعبرتهـا السماء فامطـرت — في غير فصل تسمـح الأعـوام
وبكت له الأرض الجليدة بعـدما — أضحى عليهـا وحشـة وقتـام
وتزلزلت كـل القلوب لفقـده — وتواتـرت من بعـده الآلام
وتفجـع الدين القـويم لفقـده — وبقـي غريبـا يبتلى ويضـام
مذمات ناصره الـذي أوصـافه — أبدا تكـون على سواه حـرام
لتقـي ديـن الله وصف باهـر — وخصـائص خضعت له الأفهـام
ومـواهب من ذي الجـلال تمـده — ليتـم فخـر شامـخ ومقام
وعزا تقـي الـدين أحمد مالـه — حـد فتحمـل فقـده الأجسام
العـالم الحبر الامـام ومن غـدا — في راحتيـه من العلوم زمـام
ذو المنصب الأعلى الدي نصبت لـه — في الأرض في أقطارها الأعـلام
بحر العـلوم وكنـز كل فضيلة — في الدهر فـرد في الزمان امـام
حبـر تخـيره الالـه لدينـه — ختـم لأعـلام الهدى وختـام
فوفى باحكام الكتـاب وكم لـه — في نصـر توحيـد الاله قيـام
والسنة البيضـاء أحيـا ميتهـا — فغـدا عليهـا حرمة وذمـام
وأمات من بـدع الضـلال عوائدا — لايستطيـع لدفعهـا الصمصـام
أس الفضـائل والمعـارف والـذي — لاتهتـدي لفنـونه الأوهـام
وأنالـه رب السمـوات العلى — في العـلم سبقـا ما اليـه مـرام
ونعـوته في العلـم قول محمـد — صلى عليـه الخـالق العـلام

ان المنـزه ربنـا سبحـانه يقضـى بمـا تأتي به الأحكـام
يبـدي لكـم في كـل قرن قادم للـدين من يهدى به الأقـوام
فلئـن تأخر في القـرون لثامن فلقـد تقـدم في العـلوم امام
فاق القرون سوى الثلاث فانهـا خـير القـرون يزينهن تمـام
وسوى ابن حنبل انه علـم الهـدى حبـر امـام صـابر قـوام
لكن أحمد مثـل أحمد قد حـوى علمـا وزهـدا في العلـوم تـؤام
حدث بلا حـرج وقـل عن زهـده ماشئـت لارد ولا آثـام
هجـر المطـاعم والملابس والدنا ولعزمـه في تركهـا احـزام
تـرك المآكل والمنـام ولا يرى لبني الدنا في قلبـه اعظـام
وتـراه يصمت لالعـي دائمـا الا لعلـم يقتنـى ويـرام
واذا تكلـم لايراجع هيبـة وسكينـة وكلامـه ابـرام
ألقـي عليـه مهابة من ربـه فخطابه الاجـلال والاكـرام
واذا رؤي فترى الرجـال ذليـلة فكـأنها في نفسهـا أحجـام
بشـر يعظـم بالقلوب وقدره أبدا يعظـم بعـد وهـو غـلام
منن يخص بهـا المهيمن من يشـا من خلقـه والجـاهلون نيـام
وجفـا العبـاد لشغـله بحبيبه فوداده للأقربين سـلام
ولـه مقـام في الوصول لربـه ومكـانة نطقت بهـا الأغنـام
ولـه فتـوح من غيوب الهـه وتحـزن وتمسكن وكـلام
وتصـوف وتقشـف وتعفف وقـراءة وعبـادة وصيـام
وعنـاية وحمـاية ووقـاية وصيـانة وأمانـة ومقـام
ولـه كرامات سمت وتعـددت ولهـا على مـر الدهـور دوام
مـن رد من أرض الشـآم بعـزمه من صـد وجه الكفـر وهو حسام
من رد غـازان الهمـام بحسـرة من خلص الأسرى وهـم أيتـام
من قـام بالفتح المبـين مؤيـدا في كسـروان وهـم طغـاة عظام
من جـد في بد ع الضـلالة حربه فاذا لهـم بعد الرضاع فطـام
من سار في سنن الرسول ونصرهـا حتى استقـر لأمرهن نظـام
من قام في خذل الصليب ودينـه لما تداعـوا لـلأنام وقامـوا
فوهـوا وردوا خائبـين بذلـة وعليهـم فوق الوجـوه ظـلام

فالأمر بالمعـــروف يفقد بعـــده والفاعلون النكـــر ليس يلامـــوا
فكـــأن اشـــراط القيـــامة قد دنت وانحل من ســـرج الزمـــان حزام
فالعـــلم فينـــا ليس يقبض دفعـــة كـــلا ولا يأتي حمـــاه حمـــام
لكـــن بقبـــض الراسخـــين ذهابه وزواله وبقـــي رعـــاع طغـــام
لله مالاقـــى تقـــي الـــدين من محـــن تتابعـــه وهـــن ضخـــام
ومكـــاره حفت بكـــل شـــديدة ومواقف زلت بهـــا الأقـــدام
ومكـــايد نصبت لـــه وحبائـــل قصـــدا اليـــه فردها الاقـــدام
فحكـــى ابن حنبل في فنـــون بلائه بجنـــان ثبت ليس فيـــه مـــذام
وبسجنـــه وبحصـــره ونكالـــه حتـــى رثى العـــذال واللـــوام
فأراد رب العـــرش جل جلالـــه للقائـــه مـــذ حانـــه الاعـــدام
وأتـــاه آتى المـــوت يخطب نفسه فأجابه طوعـــا له القمقـــام
فخـــلت منـــابره وأوحش ربعـــه وتهدمت عند الرحيـــل خيـــام
وتفجعت كل القلـــوب لفقـــده وعدا عليهـــا حسرة وسقـــام
ومضت جنازته الشريفة بعـــدما سد المسالك صـــارخ وزحـــام
وأتت روايـــات الشام بجمعهـــا خبـــرا صحيحا ليس فيـــه أثـــام
ان الألى شهدوا الصلاة وشيعـــوا والله لاتحصيهـــم الأقـــلام
فعليـــه أفضل رحمـــة تهدى لـــه ومن الاله تحيـــة وســـلام
مادامت الافـــلاك في دورانهـــا أو ناح من فوق الغصون حمـــام

(ومنها للشيخ تقي الدين محمود بن علي الدقوقي البغدادي المحدث ولم يرالشيخ)

مضى عالم الدنيا الذي جل فقـــده وأضـــرم نار في الجوانح بعـــده
فدمعي طليق فوق خدي مسلســـل أكفكفـــه حينـــا وجفنـــي يرده
ويرجو التلاقي والفراق يصـــده وما حيلة الراجي اذا خاب قصـــده
مضى الطاهر الأثواب ذو العلم والحـ ـجى ولـــم يتدنس قط بالاثم بـــرده
مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذي أقر لـــه بالعـــلم والفضل ضـــده
بكتـــه بلاد الشام طرا وأهلهـــا وجامعهـــا وانماع للحزن صلـــده
يحن اليـــه في النهـــار صيـــامه ويشتـــاقه في ظلمـــة الليـــل ورده
ويبكي له نوع الكـــلام وجنســـه ويندبـــه فصـــل الخطـــاب وجده
حمى نفسه الدنيـــا وعف تكرمـــا ولـمـــا يصعـــر للدنيات خـــده

ولم يجتمع زوجان من شهواتها ... لديه وبين الناس قد صح زهده
ويؤثر عن فقر وفيه قناعة ... ويعجبه من كل شيء أشده
عليم بمنسوخ الحديث وحكمه ... وناسخه فخر الزمان ومجده
قؤول فعول طيب الجسم طاهر ... امام له في كل حكم أشده
فما قال في دنياه هجرا ولا هوى ... ولازاغ عن حق تبين رشده
علوم كنشر المسك من كل سيرة ... يسدد دين المصطفى ويجده
فلله ماضم التراب وما حوى ... من الفضل فليفخر على الأرض لحده
فيا نعشه ماذا حملت من امريء ... جميع الورى فيه وفوقك فرده
وكان لنا بحرا من العلم زاخرا ... فما باله لم يصف مذ غاب ورده
وما مات من تبقى التصانيف بعده ... مخلدة والعلم والفضل ولده
وخلف آثارا حسانا حميدة ... اذا عددت زادت على ماتعده
ولست مطيقا شرح ذاك مفصلا ... ولكن على الأجمال يعكس طرده
لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا ... يراعي وداد الخل ان خان وده
قضى نحبه والله راض بفعله ... ولله فيما قد قضى فيه حمده
يدل تراب القبر من جاء زائرا ... اليه بطيب فيه يعبق نده
ولا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه ... ولكنه حسن الثناء ومجده
وكان لأهل العلم تاجا مكللا ... يحوطهم من مبطل خيف حقده
وما كان الا التبر عند امتحانه ... يبين لعين الحاذق النقد نقده
وكان يقول الحق والحق حلوه ... مرير لهذا كان يكره رده
وفي الحق لم تأخذه لومة لائم ... ولا خاف من غمر تشدد حرده
وما كان الا السيف غارت يد العلا ... عليه فردته كما غار غمده
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذي ... يروق لمن لم يونس الدهر رشده
لقد فقدت منه المحافل زينها ... ولما يفارق علمه الجم وجده
وخضبت الأقلام بعد مدادها ... عليه دما قد فاض في الطرس مده
فلله ماضم الثرى من محقق ... ويالك من عضب تدقق حده
وكان اماما يستضاء بنوره ... وبحرا من الأفضال قد غيض عده
وكنت أرجي أن أراه ونلتقي ... ولكن قضاء الله من ذا يرده
ترى الموت مألوف الطباع وربما ... يعلل بالمألوف من لايوده

فآه على تفريق شمل مجمع ... وحر فؤاد لايؤمل برده
ألا انها نفس وللنفس حسرة ... وقلب وقد يشجى ويضنيه وجده
ولست بناس عهد خل تغيبت ... محاسنه والخل يحفظ عهده
وماعذر جفن لايجيش بدمعه ... غداة نأى عنه الصديق ورفده
يروم الأماني والمنايا تصده ... وما حيلة الراجي اذا خاب قصده
عليك أبا العباس فاضت مدامعي ... وقلبي ببعدي عنك أجج وقده
على مثلك الآن المراثي مباحة ... وان غاض دمعي فالدماء تمده
شددت عرى الاسلام شدة عارف ... قوي على الأعداء لم يأل جهده
تركت لهم دنياهم ترك عالم ... علا قدره عند الاله ومجده
وكنت لمجموع الطوائف مقتدى ... وعقدا لهذا الدين أبرم عقده
وكنت ربيعا للمريد وعصمة ... فمذ صرت تحت الأرض صوح ورده
جمعت علوم الأولين مع التقى ... الى الورع الشافي الذي شاع جهده
وكنت تقي الدين معنى وصورة ... وقولا وخير القول عندك جده
رحلت وخلفت القلوب جريحة ... تذوب وجيش الصبر قد فل جنده
عليك سلام الله حيا وميتا ... مدى مابدى نجم وأشرق سعده

(وله أيضا رحمه الله تعالى)

قف بالربوع الهامدات وعدد ... واذر الدموع الجامدات وبدد
واحبس مطيك في المنازل ساعة ... واسأل ولاتك في سؤالك معتدى
واقطع علائقك التي هي فتنة ... واتبع سبيل أولى الهداية تهتدي
ودّع صباك ودع أباطيل المنى ... واهجر دنيات الأمور وسدد
واقنع من الدنيا القليل ولازم الـ ... ـفعل الجميل وسر بسير مجرد
وتوخ فعل الخير واصحب أهله ... متحببا متجنبا فعل الردى
لاتعتبن مفارقا يبكي على ... أحبابه وارحمه ان لم تسعد
ودع المروع بالبعاد وعذله ... فالعذل أمضى من فعال مهند
ماذا الوقوف عن السرى وصحابنا ... ساروا وصاروا بالعراء الغرقد
لاأخضر بعدهم العقيق ولا شدت ... ورق الحمام فويق برقة ثهمد
أما أنا فلأبكين فان وني ... دمعي سفكت حشاشةالقلب الصدى
أين المعين على الخطوب اذا عرت ... أين المساعد عند فقد المسعد ؟

أو مادرى من كنت تعرف اذ مضى | لسبيله في ضنك لحد موصد
أين المحامي عن شريعة أحمد | أين المحقق نهج مذهب أحمد ؟
مات الامام العالم الحبر الذي | بهداه عالم كل قوم يهتدي
من لليهود وللنصارى بعده | يرميهم بمقالة المتشدد
سل عنه ديان اليهود أما غدا | متلفعا بصغاره المتهود
نشأت على فعل التقى أطواره | فعنت له التقوى وأعطت عن يد
وورث الزهادة كابرا عن كابر | والعلم ارثا سيدا عن سيد
قف ان مررت بقاسيون على ثرى | فيه ضريح العالم المتفرد
واعجب لقبر ضم بحرا زاخرا | بالفضل يقذف بالعلا والسودد
بشر يبشر بالغنى من جاءه | يسر يسرّ فؤاد عان مزهد
كانت به أرض الشآم أمينة | من مبطل متهوك صل ردى
لو تستطيع بنات نعش أن ترى | يوما تسير بنعش ميت ملحد
كانت تسير بنعشه وتحطه | فوق السماك وفوق فرق الفرقد
مات الذي جمع العلوم الى التقى | والفضل والورع الصحيح الجيد
شيخ الأنام تقي دين محمد | وجمال مذهب ذي الفضائل أحمد
ودعت قلبي يوم جاء بنعيه | فتقاعدي ياعين بي أو أنجدي
سقت العهاد عراص قبر حله | جسد حوى خلقا وحسن تودد
من مبلغ العذال فرط صبابتي | وتعلقي يوم النوى وتسهدي
مابعد رزئك في الزمان رزية | تصمى المقاتل بالفراق ولا تدي
بددت شمل الملحدين جميعهم | وجمعت شمل ذوي التقى المتبدد
يامن ترى أقواله مبيضة | في كل ذي قول ووجه أسود
ياكاليء الاسلام من أعدائه | وسمام كل أخي نفاق ملحد
ياواحد الدنيا ويافرد الورى | أنت الذي جددت دين محمد

الى أن قال :

لله درك من امام كامل | تقفوا الأئمة اثره بل تقتدي
صنفت كتبا قد حوت كل الهدى | وبهديها قد ضل من لايهتدي
فيها رددت على الفلاسفة الألى | زاغوا عن الحق الصريح الأيدي
وكذا على أهل الكلام وحزبهم | من كل مبتدع خؤون معتدي
فعليك مني ألف ألف تحية | تغشى ضريحك ياقرين الفرقد

(وللحافظ الذهبي رحمه الله يرثي الشيخ)

يا موت خذ من أردت أو فدع ... محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الاسلام وانفصمت ... عرى التقى واشتفى أولوا البدع
غيبت بحرا مفسرا جبلا ... حبرا تقيا مجانب الشبع
فان يحدث فمسلم ثقة ... وان يناظر فصاحب اللمع
وان يخض نحو سيبويه يفه ... بكل معنى في الفن مخترع
وصار عالي الاسناد حافظه ... كشعبة أو سعيد الضبعي
والفقه فيه فكان مجتهدا ... وذا جهاد عار من الجزع
وجوده الحاتمي مشتهر ... وزهده القادري في الطبع
أسكنه الله في الجنان ولا ... زال عليا في أجمل الخلع
مع مالك والامام أحمد وال ... نعمان والشافعي والنخعي
مضى ابن تيمية وموعده ... مع خصمه يوم نفخة الفزع

(وقال أحد أدباء عصره)

أشكو الى الله الملمات ... وما أقاسيه من حزن ولوعات
خف الخليط ودار القاطنين خلت ... وأقفرت منهم أرضي وساحاتي
وأقبلت يوم جد البين في حلل ... سود سليمى على تلك الليلات
يا أيها الصب لاتجزع على وطن ... فان للدهر أطوارا وحالات
وجمل النفس بالصبر الجميل ولا ... تذر الدموع على تلك الأويقات
ماكنت أعلم قربى في محبتهم ... حتى رمتني الى الابعاد راياتي
فاندب على مامضى من عيشة وصفى ... وابك على ماجرى ياقلبي العاتي
واذكر مصارع قوم كيف قد شربوا ... بعد الزلال بكاسات المنيات
وأنت من بعدهم تسرى كسيرهم ... اما لدار هوان أو بجنات
أقول ماقاله العبد (1) المنيب وقد ... أودى به السجن في بر وطاعات

---

(1) يشير بذلك الى قصيدة الشيخ التي قالها فى السجن ومطلعها :

أنا الفقير الى رب السموات ... أنا المسكين فى مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير ان جاءنا من عنده يأتي
لاأستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس فى دفع المضرات
وليس لي دونه مولى يدبرني ... ولا شفيع الى رب البريات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

هذا التعليق موجود فى الاصل المطبوع عليه . اه

(أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن ... أنا الفقير الى رب السموات)
مازال يتبع آثار الرسول على الـ ... نهج القويم بأعلام الدلالات
يهدي لسنته يفتي بشرعته ... يرعى لحرمته في كل ساعات
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو ... روح المعاني حوى كل العبادات
حبر الوجود فريد في معارفه ... أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات
حوى من المصطفى علما ومعرفة ... وجاءه منه امداد النوالات
ماجاءه سائل الا ويمنحه ... اما بجود واما بالمداراة
ماذا أقول وقولي فيه منحصر ... في وصف أخلاقه كلت عباراتي
في علمه ماعلمنا من يناسبه ... الا أئمتنا أهل العنايات
في جوده ماوجدنا من يماثله ... غير البرامك كانوا في سعادات
في زهده ماسمعنا من يشاكله ... الا رجال مضوا أهل الكرامات
يجود وهو فقير ان ذا عجب ... هذا الذي ماسمعنا في الحكايات
تلوح شمس المعالي في شمائله ... وفي صفا وجهه نور الهدايات
بحر المعارف تاهوا في بدايته ... أهل المعاني وأرباب النهايات
قطب الحقائق حاروا في فضائله ... أهل التصوف أصحاب الرياضات
أعجوبة الدهر فرد في مظاهره ... علامة الوقت في الماضي وفي الآتي
والهف قلبي على من كان يجمعنا ... على فنون المعاني والاشارات
فارقت من كان يرويني برؤيته ... اذا تبدى بداسر العبارات
يروى الأحاديث عن سكان كاظمة ... فيطرب الكون من طيب الروايات
ويطنب الذكر في احسان حسنهم ... فيرقص القلب شوقا نحو ساداتي
أفضى الى الله والجنات مسكنه ... عليه من ربه أزكى تحيات
ثم السلام على المختار ماهمعت ... سحب الغمام وجادت بالزيادات
والحمد لله حمدا لاانقطاع له ... أرجو به من الهي محو زلاتي

(قال العلامة الشيخ مرعي الحنبلي) وهذا آخر ماأردنا جمعه من بعض مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية وبعض مراثيه على سبيل التلخيص والاختصار رضي الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به وأعاد علينا من بركته وبركات علومه آمين ، ثم قال :

(خاتمة نصيحة موعظــة)

قد علمت أيدك الله مما مر من سيرة الشيخ ومناقبه وغزارة علمه وقوة جهاده واتصافه بكل فعل جميل ، كشهادة الأئمة له وثنائهم عليه نثرا ونظما حيا وميتا أنــه من كبار الأئمة المحققين ، وعلماء الامة العاملين الراسخين ، وأكابر الأولياء العارفين، بشهادة الامامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي ، حيث قالا اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي ، لاسيما وقد شهد له غير واحد من الأئمة ، مع ماأعطاه الله من العلم والعمل ، والزهادة والعبادة ، ووقوفه مع الكتاب والسنة ، لايميله عنهما قول أحد كائنا من كان كما مر في مناقبه ، هذا وقد تكلم فيه وبغى عليه من لا يخــاف الله ، واستحل الوقوع في عرضه ونسبه لقبائح هو منها بريء ، وترى كثــيرا من الجهلة المتهوكين ينسبونه بغير علم لما لايحل لهم أن ينسبوا اليه أعظم الجاهــلين ، فكيف بمن هو من العلماء الراسخين وأئمة الدين ، والذاب عن شريعة سيد المرسلين، أترى هذا المفتري لم يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع : (ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركــم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت) رواه البخاري ومسلم ؟ وروى مسلم أيضــا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى اللــه عليه وسلم : (كــل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله) أو مادرى هذا المتهوك بلسانه قــول الحافظ ابن عساكر لحوم العلماء مسمومة ، وهتك أستار منتقصتهم معلومة ، وقوله أيضا : لحوم العلماء سم ، من شمها مرض ومن ذاقها مات ؟ أو مابلغ هذا المتجــري أنه قد جاء النهيعن ذكر مساويء الأمواتوالأمر بذكر محاسنهم ؟فعن ابنعمررضي الله عنهما قال : قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم : (اذكروا محاسن موتاكــم وكفوا عن مساويهم) رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا) رواه الامام أحمد والبخاري والنسائي ، وفي رواية أخرى : (لاتذكروا موتاكم الا بخير ، ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا ، وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ماهم فيه) فلا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يثلم عرض أحد من المسلمين بما لايليق ، فكيف بأئمة المسلمين وورثة النبيين ، فكيف بالأموات منهم .

قال الشيخ تاج الدين السبكي [1] ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع جميع الأئمة الماضين ، وأن لاتنظر الى كلام الناس فيهم الا ببرهان واضح، ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن بحسب قدرتك فافعل والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم ، فانك ياأخي لم تخلق لمثل هذا وانما خلقت للاشتغال بما يعنيك من أمر دينك ، قال : ولا يزال الطالب نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين الأمة فلتحقه الكآبة وظلمة الوجه ، انتهى ٠

فان طعن على الشيخ ابن تيمية رحمه الله من حيث العقيدة فعقيدته عقيدة السلف كما وقع الاتفاق على ذلك وقت المناظرة ، فليطعن على السلف من طعن فيه ٠

وان طعن عليه من حيث افتائه بمسألة الطلاق الثلاث ــ في كونه أوقع من ثلاث طلقات مجموعة أو متفرقة طلقة واحدة ــ فهو مجتهد ، ولا يجوز الطعن على المجتهد فيما ذهب اليه مما قام عليه الدليل عنده ، بل يجب عليه العمل به ، على أن مسألة الطلاق قال بها غيره من أكابر الصحابة والتابعين ، كما هو مروي عن عليّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ،وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وقال قوله ثلاث لامعنى له لأنه لم يطلق ثلاث مرات ، وقال به عطاء ، وطاووس ، وعمرو بن دينار ، وسعيد بن جبير ، وأبو الشعثاء ، ومحمد بن اسحق ، والحجاج بن أرطاة ، وقال به من شيوخ قرطبة جماعة منهم محمد بن عبد الحسين فقيه عصره، وأصبغ بن الحباب ، وغيرهم ٠

وان كان الطعن فيه من حيث تحريمه زيارة قبور الصالحين وغيرهم فهو كذب وافتراء عليه ، فانه لايمنع ذلك ، وانما حكى قولين فيمن شد الرحال لزيارتها ورجح النهي تبعا لطائفة من الأئمة المجتهدين ، والحجة في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (لاتشد الرحال الا لثلاثة مساجد) الحديث ، فكيف يسوغ الاعتراض عليه بذلك ؟ لاسيما وقد وافقه على ذلك علماء بغداد من رواة المذاهب كلها ٠

(وقال الشيخ) الامام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر البزار في مناقبه : أكثر في حقه الأقاويل ــ الزور والبهتان ــ من ظاهر حاله العدالة وباطنه مشحون

---

(١) عجبا للشيخ مرعي كيف يستدل على مطلبه هذا بكلام ابن السبكي وهو ووالده وأضرابهم سنوا القدح فى شيخ الاسلام وتبعهم ابن حجر المكي ، ومن سن سنة سيئة فى الاسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، ويقال لابن السبكي عامله الله بعدله :

ياأيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فانت حكيم

كذا فى الاصل المطبوع عنه أهـ

بالفسق والجهالة ، ولم يزل المبتدعون أهل الأهواء وآكلوا الدنيا بالدين متعاضدين متناصرين في عداوته ، باذلين وسعهم في السعي بالفتك به ، متخرصين عليه الكذب الصريح ، مختلقين عليه وناسبين اليه مالم يقله ، ولم ينقل عنه ولم يوجد بخطه ولا وجد له في تصنيف ولا فتوى ولا سمع منه في مجلس •

قال : وسبب عداوتهم له أن مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرياسة واقبال الخلق ، ورأوه قد رقاه الله الى ذروة السنام من ذلك بما أوقع الله له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها وهم عنها بمعزل ، فنصبوا أنفسهم لعداوته ، وحسدوه ، وسعوا به بما سعوا ، ولم يرقبوا الله واليوم الآخر فكان ما كان ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون •

هذا آخر ماوجدناه في كتاب الكواكب الدرية ، في مناقب الامام المجتهد ابن تيمية ، للعلامة شيخ الفضلاء المتقنين ، وعمدة الفقهاء والمحدثين ، الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وألف وقال على طرف كتابه مادحا شيخ الاسلام :

امام المعالي والمعاني يعيبه ... على فضله من كان في الرتبة الدنيا
ومن ذا يعيب البدر والبحر والهدى ... ومن كان فردا بالفضائل في الدنيا
وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا ... اليه عيون لم تزل دهرها عميا
وهل جاء في الدنيا كأحمد بعده ... وهل حل بدر في منازله العليا

وبما ذكر في هذه المناقب يتبين أن مصنف (جلاء العينين) قد سبقه كثير من أفاضل العلماء وأساطين الأمة في الذب عن الامام الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وتخطئة من نسب اليه الابتداع واعترض عليه بما ليس له أصل ، ومنه يعلم أيضا أن الزائغ النبهاني قد خاض طينة الخبال في الاعتراض عليه وعلى من أخذ بيده وذب عنه ، وفي دعواه أنه على الهدى وان مثل الشيخ تقي الدين ومن كان على منهجه وصراطه المستقيم من أهل البدعة والضلالة ، والنبهاني ومن هو على شاكلته من أهل الدنيا مغمورون بالجهل والاعراض عن الآخرة ، ومع ذلك تكلموا بما تكلموا ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ومثل هؤلاء ليسوا من فرسان هذا الميدان ، وكلامهم في هذا الباب فضول من القول لاينبغي أن يصغى اليه ، والله ولي التوفيق، ومنه العصمة من الزلل •

وربما اعترض معترض وعارض الكلام السابق بأن الشيخ تقي الدين رضي الله عنه وغيره من الأئمة اعترضوا على أقوال غيرهم من الأكابر وضللوا قائليها ،

وقد حوا فيهم بما هو معلوم لمن طالع كتب الخلاف والجدل ، فهلا يقال لهم مثل تلك الموعظة التي ذكرها الشيخ مرعي في آخر مناقبه والا فما الفرق ؟ .

فالجواب عن هذا الاعتراض : أن ماقاله خصماء الشيخ تقي الدين منبعث عن محض هوى لم تقتضه مناظرة ولم يبعث عليه دليل ،ولا سيما ماذكره السبكي وولده، وابن حجر المكي ، وأتباعهم ومقلدوهم ، فكل أحد يعلم أن مانسبوه اليه افتراء ، وما قد حوه به مجرد شتم للشيخ تقي الدين استوجبه ابطال الشيخ لما تهواه نفوس هؤلاء من البدع والأهواء ، والشيخ تقي الدين رضي الله تعالى عنه كان بحثه واعتراضه بما يقتضيه الدليل ، ومقصوده اظهار الحقائق الدينية — لم يكن من مقاصده المكابرة والمجازفة — كما هو شأن أئمة أهل العلم الربانيين مثل الأئمة الأربعة وأصحابهم وما جرى بينهم من المناظرات والمخالفات .

وقد رأيت نحو هذا الاعتراض والجواب في كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل) من مصنفات الشيخ قدس الله روحه ، حيث تكلم على ابطال الحيل بكلام مفصل ، ثم ذكر سؤالا وجوابا يتعلق بذلك ونصه :

(فان قيل) هذه الحيل مما اختلف فيها العلماء ، فاذا قلد الانسان من يفتي بها فله ذلك ، والانكار في مسائل الخلاف غيرسائغ ، لاسيما على من كان متقيدا بمذهب من يرخص فيها ، أو قد تفقه فيها ورأى الدليل يقتضي جوازها ، وقد شاع العمل بها عن جماعات من الفقهاء ، والقول بها معزو الى مذهب أبي حنيفة والشافعي وما قاله مثل هؤلاء الأئمة لاينبغي الانكار البليغ فيه ، لاسيما على من يعتقد أن الأئمة المجوزين لها أفضل من غيرهم ، وقد ترجح عنده متابعة مذهبهم اما على سبيل الالف والاعتياد أو على طريق النظر والاجتهاد ، وهب هذا الاعتقاد باطلا ألستم تعرفون فضل هؤلاء الأئمة ومكانهم من العلم والفقه والتقوى وكون بعضهم أرجح من غيره أو مساويا له أو قريبا منه ؟ فاذا قلد العامي أو المتفقه واحدا منهم — اما على القول بأن العامي لايجب عليه الاجتهاد في أعيان المفتين ، أو على القول بوجوبه اذا ترجح عنده أن من يقلده فيها هو الأفضل ، لاسيما ان كان فيها هو المذهب الذي التزمه — فلا وجه للانكار عليه ، الا أن يقال ان المسألة قطعية لايسوغ فيها الاجتهاد ، وهذا ان قيل كان فيه طعن على الأئمة بمخالفة القواطع ، وهذاقدح في امامتهم ، وحاش لله أن يقولوا مايتضمن مثل هذا ، ثم قد يفضي ذلك الى المقابلة بمثله أو بأكثر منه ، لاسيما ممن يحمله هوى دينه أو دنياه على ماهو أبلغ من ذلك ،

وفي ذلك خروج عن الاعتصام بحبل الله سبحانه ، وركوب التفـــرق المنهى عنه وافساد ذات البين ، وحينئذ فتصير مسائل الفقه من باب الاهواء وهذا غير سائغ ، وقد علمتم أن السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية مع بقاء الالفة والعصمـــة وصلاح ذات البين •

(فأجاب الشيخ رضي الله عنه عن ذلك) بقوله : قلنا نعوذ بالله سبحانه مما يفضي الى الوقيعة في أعراض الأئمة ، أو انتقاص أحــد منهــم ، أو عدم المعــرفة بمقاديرهم وفضلهم ، أو محادتهم وترك محبتهم وموالاتهم ، ونرجو من الله سبحانه أن نكون ممن يحبهم ويواليهم ويعرف من حقوقهم وفضلهم مالا يعرفه أكثر الاتباع وأن يكون نصيبنا من ذلك أوفر نصيب وأعظم حظ ، ولا حول ولا قوة الا بالله •

وقال : لكن دين الاسلام انما يتم بأمرين : (أحدهما) معرفة فضل الأئمـــة وحقوقهم ومقاديرهم وترك كل مايجر الى ثلبهم • (والثاني) النصيحة لله سبحانه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وابانة ماأنزل الله سبحانه من البينات والهدى ، ولا منافاة أن الله سبحانه بين القسمين لمن شرح الله صدره ، وانما يضيق عن ذلك أحد رجلين : رجل جاهل بمقاديرهم ومعاذيرهم ، أو رجل جاهل بالشريعة وأصول الأحكام •

قال : وهذا المقصود يتلخص بوجوه : (أحدها) أن الرجل الجليل الذي له في الاسلام قدم صالح وآثار حسنة ــ وهو من الاسلام وأهله بمكـــانة عليـــا ــ قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لايجوز أن يتبع فيها مع بقـــاء مكانته ومنزلته في قلوب المؤمنين ، واعتبر ذلك بمناظرة الامام عبد الله بن المبارك ، قال : كنا في الكوفة فناظروني في ذلك يعني النبيذ المختلف فيه ، فقلت لهم : تعالوا فليحتج المحتج منكم عمن شاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالرخصة ، فان لم يبين الرد عليه عن ذلك الرجل بشدة صحت عنه ، فاحتجوا ، فما جاءوا عن أحد برخصة الا جئناهم عنه بشدة ، فلما لم يبق في يد أحد منهم الا عبد الله بن مسعود وليس الاحتجاج عنه في شدة النبيذ بشيء يصح عنه ، انما يصح عنه أنه لم ينبذ لـــه في الجر الأخضر •

قال ابن المبارك : فقلت للمحتج عنه في الرخصة : ياأحمق عد أن ابن مسعود لو كان ههنا جالسا لقال هو لك حلال ، وما وصفنا عن النبي صلى اللـــه عليه وسلـــم وأصحابه في الشدة كان ينبغي لك أن تحذر أو تجبن أو تخشى •

(فقال قائلهم) ياأبا عبد الرحمن فالنخعي والشعبي ــ وسمى عدة معهمـــا ــ

كانوا يشربون الحرام •

(فقلت لهم) دعوا عند الاحتجاج تسمية الرجال فرب رجل في الاسلام مناقبه كذا وكذا ، وعسى أن يكون منه زلة أفلأحد أن يحتج بها ، فان أبيتم فما قولكم في عطاء وطاوس وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وعكرمة ؟ قالوا : كانوا خيارا ، قلت : فما قولكم في الدرهم بالدرهمين ؟ فقالوا حرام •

فقال ابن المبارك : ان هؤلاء رأوه حلالا فماتوا وهم يأكلون الحرام ، فبهتوا وانقطعت حجتهم • قال ابن المبارك : ولقد أخبرني المعتمر بن سليمان ، قال : رآني أبي وأنا أنشد الشعر ، فقال لي : يابني لاتنشد الشعر ، فقلت له : ياأبه كان الحسن ينشد ، وكان ابن سيرين ينشد ، فقال لي أبي : ان أخذت بشر مافي الحسن وبشر مافي ابن سيرين اجتمع فيك الشر كله ، وهذا الذي ذكره ابن المبارك متفق عليه بين العلماء ، فانه ما من أحد من أعيان الأمة من السابقين الأولين ومن بعدهم الا لهم أقوال وأفعال خفي عليهم فيها السنة ، وهذا باب واسع لايحصى مع أن ذلك لايغض من أقدارهم ، ولا يسوغ اتباعهم فيها ، كما قال الله سبحانه : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ الى اللهِ والرَّسُولِ)[1]

قال مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك وغيرهم : ليس أحد من خلق الله الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سليمان التيمي : ان أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله ، قال ابن عبد البر : هذا اجماع لاأعلم فيه خلافا •

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في هذا المعنى ماينبغي تأمله، فروى كثير بن عبد الله بن عمرو عن عوف المزني عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة ، قالوا : ماهي يارسول الله ؟ قال : أخاف عليهم من زلة العالم ، ومن حكم الجائر ، ومن هوى متبع) وقال ابن زياد بن حدير ، قال عمر : ثلاث تهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق ، وعلى القرآن منار كأعلام الطريق[2]

وكان معاذ بن جبل يقول في خطبته كل يوم ــ قلما يخطئه أن يقول ذلك ــ الله حكم قسط ، هلك المرتابون ، ان وراءكم فتنا يكثر فيها المال ، ويفتح فيها

---

(١) النساء : ٥٩ ــ (٢) كذا في الاصل لم يذكر الثالث .

القرآن ، حتى يقرأه المؤمن والمنافق ، والمرأة والصبي ، والأسود والأحمر ، فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن ، فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غيره ، فاياكم وما ابتدع ، فان كل بدعة ضلالة ، واياكم وزيغة الحكيم ، فان الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق عمن جاء به ، فان على الحق نورا • قالوا : كيف زيغة الحكيم ؟ قال : هي كلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ماهذه ، فاحذروا زيغته ، ولا يصدنكم عنه ، فانه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما الى يوم القيامة ، فمن ابتغاهما وجدهما •

وقال سلمان الفارسي : كيف أنتم عند ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم ، فاما زلة العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم ، تقولون نصنع مثل مايصنع فلان ، وننتهي عما ينتهي عنه فلان ، وان أخطأ فلا تقطعوا اياسكم منه فتعينوا عليه الشيطان ، وأما مجادلة منافق بالقرآن فان للقرآن منارا كمنار الطريق ، فما عرفتم منه فخذوا ، وما لم تعرفوه فكلوه الى الله سبحانه، وأما دنيا تقطع أعناقكم فانظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم •

وعن ابن عباس قال : ويل للأتباع من عثرات العالم ، قيل : كيف ذاك ؟ قال يقول العالم شيئا برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله منه فيترك قوله ذلك ثم يمضي الاتباع ، وهذه آثار مشهورة رواها ابن عبد البر وغيره •

فاذا كنا قد حذرنا زلة العالم ، وقيل لنا انها من أخوف مايخاف علينا ، وأمرنا مع ذلك أن لانرجع عنه : فالواجب على من شرح الله صدره اذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لايحكيها لمن يتقلدها بل يسكت عن ذكرها ان تيقن صحتها ، والا توقف في قبولها ، فما أكثر مايحكى عن الأئمة مما لا حقيقة له ؟ وكثير من المسائل خرجها بعض الاتباع على قاعدة متبوعة ، مع أن ذلك الامام لو رأى أنها تفضي الى ذلك لما التزمها ، والشاهد يرى مالا يرى الغائب ، ومن علم فقه الأئمة وورعهم علم أنهم لو رأوا هذه الحيل وما أفضت اليه من التلاعب بالدين لقطع بتحريمها من لم يقطع به أولا ، انتهى ، ثم ذكر رحمه الله تعالى جوابا ثانيا ، وثالثا ، ورابعا ، وخامسا ، عن ذلك السؤال وأطنب في كلامه •

والمقصود منه : أن يعلم من تكلم الشيخ فيه وكلامه ليس من جنس كلام الغلاة — عاملهم الله بعدله — فيه ، وهم انما تكلموا زورا وبهتانا واتباعا لهواهم ، وشأن

أتباع الرسل والعلماء العاملين أن يرضوا لله ويغضبوا لله ، وأن يتبعوا الكتاب والسنة ، وأن يقبلوا ماوافقهما ويتركوا ماخالفهما ، وبذلك تتحقق محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخلاف ماهنالك تكون العداوة .

وما أحسن ماقال شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير (سورة الكوثر) وهو تفسير جليل ــ سورة الكوثر ماأجلها من سورة ، وأغزر فوائدها على اختصارها وحقيقة معناها تعلمها من آخرها ، فانه سبحانه يبتر شانيء رسوله من كل خير ، فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ، ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحا لمعاده ، ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والايمان برسله ، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعته ، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصرا ولا عونا ، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعما ولا يجد لها حلاوة ، وان باشره بظاهره فقلبه شارد عنها ، وهذا جزاء من شنأ بعض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورده لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيرة ، كمن شنأ آيات الصفات وأحاديث الصفات وتأولها على غير ماأراد الله ورسوله سفها وظلما على مايوافق مذهبه ومذهب طائفته ، أو تمنى أن لاتكون آيات الصفات أنزلت ، ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أقوى علامات شنآنه لها وكراهته لها أنه اذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة على مادلت عليه من الحق اشمأز من ذلك وحاد عن ذلك ، لما في قلبه من البغض لها ، فأي شنآن للرسول أعظم من هذا ؟ وكذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد ، والدفوف والشبابات ، واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ عليهم في مجالسهم استطالوا ذلك واستثقلوه ، فأي شنآن أعظم من هذا ؟ وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب ، وكذا من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة ، فلولا أنه شانيء لما جاء به الرسول مافعل ذلك ، حتى ان بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه ، ويشتغل بقول فلان وفلان ، ولكن من أعظم شنآنه ورده من كفر به وجحده ، وجعله أساطير الأولين وسحرا يؤثر ، فهذا أعظم وأطم انبتارا ، وكل من شنأه له نصيب من الانبتار على قدر شنئه له ، فهؤلاء شنؤوه وعادوه جازاهم الله بأن جعل الخير كله معاديا لهم فبترهم منه ، وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك ، وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذي آتاه الله في الدنيا والآخرة ، وأعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد ، وقرة العين والنفس ، وانشراح الصدر ،

ونعم قلبه بذكره وحبه ، بحيث لايشبه نعيمه نعيم في الدنيا البتة ، وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود ، وجعله أول من يفتح له ولأمتــه باب الجنة ، وأعطــاه في الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة الى غير ذلك ، وجعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم ، وهذا ضد حال الابتر الذي يشنأه ويشنأ ماجــاء به ، وقوله : (ان شانئك) أي مبغضك (هو الأبتر) أي المقطوع النسل الذي لايولد له خير ولا عمل صالح ، فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح •

قيل لأبي بكر بن عياش : ان في المسجد قوما يجلسون ويجلس اليهم ، فقال : من جلس للناس جلس الناس اليه ، ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم ، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم ، لأن أهل السنة أحيوا بعض ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأهل البدعة أماتوا ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان لهم نصيب من قوله (ان شانئك هو الأبتر) فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئا مما جاء به الرسول ، أو ترده لأجل هواك ، أو انتصارا لمذهبك أو شيخك ، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا ، فان الله لم يوجب على أحد طاعة أحد الا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميــع الخلق واتبع الرسول ماسأله الله تعالى عن مخالفة أحد ، فان كل من أطيع أو يطاع انما يطاع تبعا للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أمر بخلاف ماأمر به الرســول ماأطيع ، فاعلم ذلك واسمع وأطع ، واتبع ولا تبتدع تكن أبتر مردودا عملك ، بل لاخير في عمل أبتر من الاتباع ، ولا خير في عامله انتهى •

فهذه أقوال أهل العلم فيمن انتقص أئمة الهدى وخيار الأمة كما فعل النبهاني وابن حجر المكي وسائر الغلاة ، وقد كشف الله تعالى عن سوأتهم ، وأراهم ســوء منقلبهم ، هذا بعض مايستحقونه من عذاب الله وبطشه ، ولعذاب الآخرة أشد •

والنبهاني الغافل ظن أن أهل الحق ليس لهم أعوان ولا أنصار سوى مصنف (جلاء العينين) فأخذ يشنع عليه بأقواله الكاسدة ، وما درى المسكين أن أنصــار الله لايحيط بهم نطاق الاحصاء ، وما يعلم جنود ربك الا هو ، نسأله تعالى الهداية الى صراطه المستقيم •

(قال النبهاني) وقد عقد فصلا في الفرق بين الامامين ابن حجر وابن تيمية : من المعلوم أن كل مذهب من المذاهب الأربعة أهله أعلــم وأدرى بأحوال علمــاء مذهبهم ، لكثرة تدقيقهم في أقوالهم ، وتنقيبهم عن أحوالهم ، وتتبعهم لمحاسنهــم

ومساويهم ، ويروي ذلك خلفهم عن سلفهم ، ليأخذوا بأقوالهم في المذهب أو يردوها، أو يعتمدوها أو يضعفوها ، وقد نظرنا الى هذين الامامين ابن حجر وابن تيمية ، فوجدنا ابن حجر اماما في مذهب الشافعي لايعادله فيه أحد من الأئمة المتأخرين سوى الشمس الرملي على خلاف بين العلماء في الترجيح بينهما ، أما اذا اتفقا على حكم وجب المصير اليه عند كافة علماء مذهب الشافعي على الاطلاق ، فهذه منزلة ابن حجر في مذهبه ، وهي معلومة لاينكرها أحد ، ولا يدعي خلافها جاهل فضلا عن عالم ، ومؤلفاته في الفقه هي عمدة مذهب الشافعي من عصره الى الآن ، وكلها محررة مقبولة باجماع أهل مذهبهم وغيرهم ، وهي كثيرة ، وأكثرها مطولات في عدة مجلدات : منها شرح العباب ، وتحفة المحتاج شرح المنهاج ، والامداد شرح الارشاد ثم اختصره في مجلدين ، وسماه (فتح الجواد) وألف عليه حاشيته ، والفتاوى الكبرى ، وشرح الحضرمية ، وحاشية مناسك النووي ، ومختصر المناسك المذكورة ومختصر الروض ، هذا مااستحضرته الآن من كتبه الفقهية ، وله مؤلفات كثيرة في الحديث وغيره ، وكلها نالت منتهى القبول ، والناس عليها في غاية الاقبال ،وأكثرها مطولات ، منها شرح مشكاة المصابيح ، والزواجر عن اقتراف الكبائر ، والصواعق المحرقة لأهل الرفض والزندقة ، وأسنى المطالب في صلة الأقارب ، وشرح الشمائل ، وشرح الهمزية ، وشرح الأربعين النووية ، والأعلام بقواطع الاسلام ، وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، والايضاح والبيان ، بما في ليلة الرغائب والنصف من شعبان ، وغير ذلك مما لم يحضرني الآن ذكره ، وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون ، ويعتمد عليها من جميع المذاهب العلماء المحققون ،ولايخلو منها في الغالب مكتبة من المكاتب ، فيالها من مؤلفات جليلة خدم بها الدين ، ونفع بها المسلمين ، وانتشرت في العالمين ، وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الاسلام ، للاتفاق على أنه أحد الأئمة الأعلام ، الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذهب الاسلام من عصره الى الآن ، ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة أو مخالفة سنة ، وقد كان يعتقد في ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ، ويثني عليهم أحسن الثناء ، ويجيب عنهم بأحسن الأجوبة، فشملته بركاتهموعمته نفحاتهم ، وبالجملة فقد كان من أكابر أئمة العلماء العاملين ، الهداة المهديين ، الذين جددوا وأيدوا بعلمهم هذا الدين المبين ، وعم نفعهم جميع المسلمين ، فوقع على قبوله والاقبال على كتبه الاتفاق في جميع الآفاق •

(قال وأما ابن تيمية) فهو أيضا امام من أئمة الاسلام وقد كان من المتازين

في عصره في العلم والعمل ، والتصلب في الدين ، بحيث لاتأخذه في الحق لومة لائم ، حتى أنه جرى عليه بسبب مخالفته لما عليه جمهور الأمة من بدعه المعلومة التي شذ بها اهانات كثيرة ، وحبس بها مرارا ، الى أن توفي في الحبس ، ولم يرجع عما ظهر له أنه الحق من تلك البدع ، وكان من أكابر حفاظ الحديث ، وله في علوم الدين مؤلفات كثيرة مطولات ومختصرات قل من وفقه الله لمثلها ، ولكن الله تعالى لم يقدر الانتفاع بعلمه وكتبه كالانتفاع بعلم الامام ابن حجر وكتبه ، فان كتبه رحمه الله على كثرتها ونفاستها بقيت في زوايا الاهمال ، ولم يقبل عليها جمهور العلماء وغيرهم ، ولا تلقوها بالقبول ، فذهب أكثرها ضياعا ، ولا يوجد منها الآن بين الناس الا القليل ، ومعلوم أن ذلك من الله وحده لاشريك له ، فهو الذي نشر علم ابن حجر وكتبه في الامة نشرا تاما ، بحيث انتفع بها الخاص والعام في سائر بلاد الاسلام ، وهو سبحانه الذي صرف القلوب عن كتب ابن تيمية حتى لم يبق منها الا القليل النادر ، وقلما يوجد منها شيء في مكتبة من المكاتب الموقوفة والمملوكة ، واذا وجد فالغالب أن يكون مخروما وناقصا ، أو أكلته الأرضة وبليت أوراقه ، وصار بحالة لا ينتفع بها ، مع أن كتبه كلها تدل على أنه من أكابر أئمة الاسلام ، الا أنه قلما يخلو كتاب منها من شذوذ يخالف به مذاهب المسلمين ، ويشنع على علماء الدين ، ولاسيما الأولياء العارفين ، الى أن قال : وأظن بل أتيقن أن السبب الوحيد لعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيمية وعلمه مع جلالة قدره شذوذه في تلك المسائل ، واعتراضه على هؤلاء الأكابر ، وماشبهت كتبه الا بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة ، ولكنها مرصودة من بدعه ومخالفته للأمة بحيات قاتلات ، فهي تمنع الناس من الاقبال عليها والانتفاع بها ، الى آخر ماهذى به .

هذه جملة من كلام النبهاني فيما قاله في المحاكمة بين ابن حجر وابن تيمية ، وكأنه تعلمها من قوانين الجزاء أو الحقوق ، فانها بعيدة عن العلم الذي أنزل الله به كتبه ، وسقت هذا المقدار منه ليعلم أهل العلم المنصفون درجته في الجهل والحسد ، وقد كتب هذا كله في مقابلة ماذكره مصنف جلاء العينين من الحق الظاهر ، وانحياد ابن حجر عنه وتقوّله على علماء الدين ، وقال هذا الزائغ ــ قبل شروعه في مقالته هذه ــ مانصه : ولما ظهر تحامل مصنف جلاء العينين في كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم ، ولاسيما الاما مالسبكي وابنه وابن حجر ، وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه ، وكل من كان على شاكلته ــ رأيت أن أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية

وابن حجر ، ليظهر لكل أحد أنه حكم لابن تيمية على ابن حجر بالباطل ، فأقول الى آخر مقالته التي نقلناها ، وكلامه هنا متناقض ، كما أنه كذلك في كل مقام ، فتارة يقول عن ابن تيمية انه امام من أئمة المسلمين ، وأخرى يبدعه ويجعله من المبتدعين ، وهكذا كل كلام يوحيه الشيطان الى أوليائه ، والنبهاني الزائغ ــ كما لايخفى على من وقف على جهله وضلاله ــ ليس من أهل الترجيح لأقوال أهل العلم بعضها على بعض ، بل لايحسن قراءة عبارتها ، ولا يصلح أن يكون حكما بين صبيين فضلا عن أن يكون حكما بين العلماء •

ماأنت بالحكم الترضى حكومته   ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

فان من شرط الحكم أن يكون عالما بالكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، ومذاهب المجتهدين ، فمن أين لهذا الزائغ من هذه العلوم •

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : من المعلوم أنا اذا تكلمنا في العلماء والمشائخ المختلفين في العلم والدين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل ، لابجهل وظلم ، فان العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقا لايباح قط بحال ، قال تعالى : (ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَومٍ على أَن لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هوَ أَقْرَبُ لِلتَّقوى)[1] وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار ، وهوبغض مأمور به، فاذا كان البغض الذي أمر الله به قد نهي صاحبه أن يظلم من يبغضه فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس ، فهو أحق أن لايظلم بل يعدل عليه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق من عدل عليهم في القول والعمل ، وهكذا اتباعهم ، والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته والثناء على أهله ومحبتهم، والظلم مما اتفق على ذمه وتقبيحه وذم أهله وبغضهم ، وليس المقصود الكلام في التحسين والتقبيح العقلي ، فقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع في مصنف مفرد ، ولكن المقصود أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض ، وهو محبوب في النفوس ، مركوز حبه في القلوب ، تحبه القلوب وتحمده ، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب ، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه ، والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط ، قال الله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبيِّنَات وأَنزَلْنَا معَهُمُ الكتَابَ والمِيْزَنَ لِيَقُومَ النَّاسُ بالقسْطِ)[2] وقال تعالى : (اللهُ

---

(١) المائدة : ٨ ـ (٢) الحديد : ٢٥

الذي أَنْزَل الكتَابَ بالحقِّ والميزانَ)[1] وقال تعالى : (إنَّ اللهَ يأْمُركم أَن تؤدُّوا الأَمَانات الى أَهلِها واذا حكَمتم بينَ النَّاس أَن تحكُموا بالعدْلِ)[2] وقال : (فإنْ جاؤُكَ فاحكُم بيْنهُم أَو أَعْرِض عنْهُم وإنْ تُعْرِضْ عنْهم فلَنْ يضُرِوكَ شَيْئاً وانْ حكَمتَ فاحْكُم بينَهم بالقسط إنَّ اللهَ يُحِبُّ المقسطِينَ)[3] وقال : (فاحكُم بينَهُم بِما أَنْزل اللهُ ولا تتَّبع اهْواءَهُم عمَّا جاءَكَ من الحقِّ)[4] فأمره أن يحكم بالقسط ، وأن يحكم بما أنزل الله ، فدل ذلك على أن القسط هو ماأنزل الله ، فما أنزل الله هو القسط ، والقسط هو ماأنزل الله ، ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل ، لقوله : (وإِذَا حَكَمتُم بينَ النَّاس أَنْ تَحكُموا بالعدْل) فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا .

والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله ، ليس في الشرع ظلم أصلا ، بل حكم الله أحسن الأحكام ، والشرع هو ماأنزل الله ، فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل ، لكن العدل قد يتنوع بتنوع الشرائع والمناهج ، فيكون العدل في كل شرعة بحسبها ، ولهذا قال تعالى : (وإن حَكَمْتَ فاحكُم بينَهم بالقسْط إنَّ اللهَ يُحِبُّ المقْسِطينَ . وكَيفَ يُحكِّمُونكَ وعنْدهُم التَّوراةُ فِيها حُكْم الله ثُم يتولَّونَ مِن بعْد ذَلك ومَا أُولئكَ بالمؤْمِنينَ . إنَّا أَنْزلنَا التوراةَ فيها هُدًى ونورٌ يَحْكم بها النَّبيُّونَ الَّذينَ أَسْلَموا للذِينَ هادُوا والرَّبانِيُّونَ والأَحْبارُ بِما استُحفِظُوا مِنْ كتَاب الله وكَانُوا عَليهِ شُهدَاءَ فَلا تَخشَوا النَّاس واخْشَون ولا تَشْتَروا بِآياتي ثَمناً قَليلاً ومنْ لَم يَحْكُم بِما أَنزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُم الكَافِرُونَ) الى قوله : (ولْيحْكُم أَهلُ الانْجيلِ بِما أَنْزلَ اللهُ فيه ومَن لم يَحكُم بِمـا أَنْزل اللهُ فأُولئكَ هُم الفَاسِقونَ . وأَنْزلنَا اليكَ

---

(1) الشورى : ١٧ - (٢) - النساء : ٥٨ - (٣) المائدة : ٤٢ - (٤) المائدة : ٤٨

الكتاب بالحقِّ مُصدِّقا لما بينَ يديه منَ الكتابِ ومُهيمناً عليهِ فاحكُم بينهُم بما أنزلَ اللهُ ولا تتبع أهواءَهم عمَّا جاءكَ مِن الحقِّ لكُلٍ جعلنا منكُم شِرعَةً ومنهاجاً ولو شاءَ اللهُ لجعلكم أُمَّةً واحدةً ولكن ليبلُوكُم فيما آتاكم فاستبقُوا الخيرات الى اللهِ مَرجِعُكُم جَميعاً فيُنبئُكُم بما كُنتُم فيهِ تختلفُونَ . وأن احكُم بينهم بما أنزلَ اللهُ ولا تتَّبعْ أهواءَهُم واحذرهُم انْ يفتنُوكَ عَن بعْض ما أنزلَ الله اليكَ فإنْ توَلَّوا فاعْلَمَ أنَّما يُريدُ اللهُ أَن يُصيبهُم ببعض ذُنوبهم وإنَّ كثيراً من النَّاس لفاسِقُونَ . أفحُكم الجاهِليَّةَ يبغُونَ ومنْ أحسَنُ من اللهِ حكْماً لقومٍ يُوقِنُونَ). [1]

ذكر سبحانه حكم التوراة والانجيل ، ثم ذكر أنه أنزل القرآن ، وأمر نبيه أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يتبع أهواءهم عما جاءه من الكتاب ، وأخبر أنه جعل لكل واحد من الأنبياء شرعة ومنهاجا ، فجعل لموسى وعيسى مافي التوراة والانجيل من الشرعة والمنهاج ، وجعل للنبيصلى اللهعليه وسلم مافي القرآن من الشرعة والمنهاج، وأمره أن يحكم بما أنزل الله ، وحذره أن يفتنوه عن بعض ماأنزل الله ، وأخبره أن ذلك هو حكم الله ، ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية ، وقال : (ومَنْ لَم يَحْكُم بِما أَنزلَ اللهُ فاولئكَ هُم الكافِرُونَ).

ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فانه ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها مارآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسوالف البادية ، وكأوامر المطاعين فيهم ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيرا من الناس أسلموا ، ولكن مع هذا لايحكمون الا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء اذا عرفوا أنه لايجوز الحكم الا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا

(١) المائدة : ٤٢ ـ ٥٠

أن يحكموا بخلاف ماأنزل الله فهم كفار ، والا كانوا جهالا كمن تقدم أمره •

وقد أمر الله المسلمين كلهم اذا تنازعوا في شيء أن يردوه الى الله والرسول ، فقال تعالى: (يَا أيُّها الَّذينَ آمَنُو أَطِيعُوا اللّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولى الأَمر مِنكُم فإن تَنازَعتم في شَيء فَرُدُّوهُ الى الله والرَّسُول ان كُنتم تؤمِنُونَ بالله واليوم الآخرِ ذَلكَ خيرٌ وأَحسنُ تأويلاً)[1] وقال تعالى : (فَلا ورَبكَ لا يُؤمنونَ حتّى يحكّموكَ فِيما شَجَر بينَهم ثم لا يَجدُوا في أَنفُسهم حَرجاً مِمَّا قضَيتَ ويُسلِّمُوا تسْليماً).[2]

فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لايؤمن ، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرالكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ، وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الأمر الذين لايحكمون بما أنزل الله ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله ، وقد تكلم الناس بما يطول ذكره ههنا ، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية •

والمقصود : أن الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل أحد ولكل أحد ، والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو عدل خاص ، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها ، والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه ، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ، وهذا واجب على الأمة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية ، قال تعالى : (كانَ النَّاس أُمَّةً واحِدةً فبعثَ اللهُ النَّبيينَ مُبشِّرين ومُنْذرِينَ وأَنزَلَ معهُم الكِتابَ بالحقّ ليحْكُم بينَ النَّاس فِيما اخْتلَفُوا فيهِ ومَا اخْتَلف فيه إلَّا الذينَ أُوتوهُ منْ بعْد ما جاءتهم البيّنات)[3] وقال تعالى: (وما اختلفْتُم فيه منْ شَيء فَحُكْمُهُ الى اللّه)[4] وقال : (فإِن تنَازعْتُم في شَيء فردُّوهُ الى اللهِ والرَّسُولِ)[5] فالأمور المشتركة بين الأمة لايحكم فيها الا الكتاب والسنة ليس لأحد أن

---

(١) النساء : ٥٩ ـ (٢) النساء : ٦٥ ـ (٣) البقرة : ٢١٣ ـ (٤) الشورى : ١٠ ـ (٥) النساء : ٥٩

يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك ، ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر ، وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة لايحكمون في الأمور الكلية ، واذا حكموا في المعينات فعليهم أن يحكموا بما في كتاب الله ، فان لم يكن فبما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم يجدوا اجتهد الحاكم برأيه .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (القضاة ثلاثة : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ، فمن علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ومن علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار ومن قضى للناس على جهل فهو في النار) واذا حكم بعلم وعدل فاذا اجتهد فأصاب فله أجران ، واذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين .

والمقصود هنا : أنه اذا وجب فيما شجر بين عموم المؤمنين أن لايتكلم الا بعلم وعدل ويرد ذلك الى الله والرسول فذاك في أمر الصحابة أظهر ، فلو طعن طاعن في بعض ولاة الأمور من ملك وحاكم وأمير وشيخ ونحو ذلك وجعله كافرا متعديا على غيره في ولاية وغيرها ، وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنب ، وجعل كل من أحب الأول وتولاه كافرا أو ظالما مستحقا للسب وأخذ يسبه ــ فانه يجب الكلام في ذلك بعلم وعدل ، والرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق ، فوالوا بعضهم وغلوا فيه ، وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته ، وقد يسلك كثير من الناس مايشبه هذا في أمرائهم وملوكهم ، وعلمائهم وشيوخهم ، فيحصل بينهم رفض في غير الصحابة ، تجد أحد الحزبين يتولى فلانا ومحبيه ويبغض فلانا ومحبيه ، وقد يسب ذلك بغير حق ، وهذا كله من التفرق والتشيع الذي نهى الله عنه ورسوله ، فقال تعالى : (إِنَّ الذينَ فرَّقوا دينَهُم وكانوا شِيعاً لسْتَ منهُم في شَيءٍ)[1]

وقال تعالى : (ياأيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقوا اللهَ حقَّ تقَاتِه ولا تَموتُنَّ إلّا وأَنتُم مُسْلِمونَ . واعْتصموا بحَبلِ اللهِ جَميعاً ولا تفرَّقوا واذْكُروا نعمةَ اللهِ عليكُم إذْ كُنتم أَعداءً فأَلَّف بينَ قلوبِكم فأَصبحْتُم بنعْمتِه إخواناً)[2] وقال تعالى : (ولا تكُونوا كالَّذينَ تفرَّقُوا واخْتلَفوا من بعدِ ما جَاءَهُم البيِّناتُ وأُولئكَ

(١) الانعام : ١٥٩ ــ (٢) آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣

لَهم عذَابٌ عَظيمٌ . يومَ تبيَضُّ وُجوهٌ وتسودُّ وُجوهٌ فأمَّا الَّذينَ اسْودَّتْ وُجوهُهم أَكَفرتُم بعدَ إيمانكُم فذُوقُوا العذَابَ بِما كُنتُم تكْفرُونَ . وامَّا الَّذينَ ابيضَّتْ وُجوهُهم فَفي رحْمَةِ اللهِ هُم فِيها خَالِدُونَ) [1]

قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة ، ولهـذا كان أبو أمامة الباهلي وغيره يتأولها في الخوارج ، فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جميعا ولا يتفرقوا ، وقد فسر حبله بكتابه ، وبدينه ، وبالاسلام وبالاخلاص ، وبأمره ، وبعهده ، وبطاعته ، وبالجماعة ، وهذه كلهـا منقـولة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وكلها صحيحة ، فان القرآن يأمر بدين الاسلام ، وذلك هو عهده وأمره وطاعته ، والاعتصام به جميعا انما يكون في الجماعة ، ودين الاسلام حقيقته الاخلاص لله .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه قال : (ان الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبـل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم) . واللهتعالىقدحرم ظلم المسلمين أحيائهم وأمواتهم ، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهـم ، وقـد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع : (ان دماءكـم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكـم هذا ألا هل بلغت ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع) انتهـى ، ماهو المقصود من كلامه رحمه الله ، وبه علم أن النبهاني قد حكم بغير ماأنزل الله ، فانه لم يستند في كتابه كله فضلا عن هذا المقام بكتاب ولا بسنة ، ولا بدع أن يصدر ذلك منه فانه قد تعود الحكم بغير ماأنزل الله كسائر أحكامه في محكمته ، فهو في هذا الحكم وغيره أحد القاضيين .

وأما مصنف جلاء العينين فانه أسند جميع ماجاء به الى الكتاب والسنة ، فهو متبع في أحكامه كلها ماأنزل الله ، وهذا هو الوجه الأول مما ورد على كلام النبهاني في هذا المقام .

(والوجه الثاني) ان التصدي لبيان الفرق بين ابن حجر وكتبه وبين الشيـخ تقي الدين ابن تيمية وكتبه كالتصدي لبيان الفـرق بين الحصى والدر ، والخـزف

---

(1) آل عمران : ١٠٥ ـ ١٠٧

والذهب ، والظل والحرور ، والماء العذب والمالح ، وأين السماء من الأرض ، وأين السمك من السماك ، وأين الليل من النهار ، وأين السواد من الظلام ، وأين الأموات من الأحياء ، وأين النائم من اليقظان ، وأين الفقير من الغني ، وأين الجاهل من العالم الى غير ذلك من النسب بين الأضداد ، والموازنة بين العاقل والجماد •

عدمتك قد بان التبـــاين في الورى وفيما برى الباري فسبحان من برى
ضللت الهدى اذ بالحصى قست جوهرا عداك الحجى أين الثريا من الثـرى
وأين حصى الحصباء من درر البحر

فمـا مادر فيهـم سـواء وحاتـم ولا كهجـــان الخيل خيل كرائـم
فهل يستـوي سيف كهام وصـارم وهل يستـوي لادر درك عالـم
وفهّ جهـول ناقص الدين والحجـر

قال تعالى : (هَل يسْتَوي الَّذين يعْلَمونَ والَّذينَ لا يعْلَمونَ) [1] فابن حجـر بالنسبة الى الشيخ طفل راقد في مهد طفوليته ، بل ان من رجح الشيخ على ابن حجر لم ينصف ولم يحكم بالحق :

ألم تـر أن السيـف ينقص قـدره اذا قيـل ان السيف خير من العصـا

ان ابن تيمية قد تسابق مع أكابر المجتهدين على ماسمعت ممن صنف في مناقبه، وما كان من ثناء أكابر أهل العلم عليه ، فلو أن النبهاني أجرى الموازنة بينه وبين امام ابن حجر الكبير : لكان ذلك أيضا محل اشكال ونظر •

ان آثارنـا تـدل علينـا فانظـروا بعدنـا الى الآثـار

(الوجه الثالث) ان النبهاني لم يعرف طريق الموازنة ووجهها ، وليته طالـع كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، ولو أنه طالعه لعرف طريقهـا ، وان كانت تلك في شعر وما نحن فيه فن آخر ، فان أصول الموازنة لاتختلف ، وحينئذ كـان اللازم عليه أن يوازن بين كتاب وكتاب اتفقا في الموضوع ، كأن يوازن بين الصواعق المحرقة لابن حجر وكتاب منهاج السنة للشيخ تقي الدين ابن تيمية ، فان كلا الكتابين في الرد على الروافض ، وبعد الموازنة بين هذين الكتابين يظهر للمنصف معنى قول القـائل :

وفي الحيوان يشترك اضطرارا أرسطاليس والكـلب العقـور

أو أن يوازن بين تحفة ابن حجر أو غيره من كتبه الفقهية وبين شرح العمدة في الفقه

---

(١) الزمر : ٩

لشيخ الاسلام ، وهكذا يأتي بكل كتاب وما يناسبه في موضوعه ، ويوازن بين ماشتملا عليه من المسائل والدلائل ، وسلاسة العبارة ووفائها بالمقصود ، فحينئذ ينجلي الغبار ، ويتميز الليل من النهار ، ولكن يبقى عليه نحو ثلاثمائة مصنف للشيخ بل أكثر ليس لابن حجره في مقابلتها شيء ، بل لم تخطر على بال ابن حجر ، فماذا يصنع حينئذ وبأي شيء يوازن تلك الكتب ؟ والجهل وعدم الحياء يوقعان من اتصف بهما بأعظم من ذلك ، نسأله تعالى العفو والعافية ، والمنصف يعلم يقينا أن الموازنة وبيان الفرق بين كتب ابن حجر أو غيره من غلاة الشافعية وبين كتب الشيخ كالموازنة بين قرآن مسيلمة الكذاب وبين كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فأين ماقاله ذلك الكذاب من الكتاب الذي أنزل بالحكمة وفصل الخطاب ، وعندي أن هذا التشبيه حق ، فان غالب كتب ابن حجر مشحونة بالكذب ، والافتراء ، وقول الزور ، والآراء التي لم تستند الى كتاب ولا سنة صحيحة ، والدعوة الى غير الله ، ونحو ذلك من البدع والضلالات •

وكتب الشيخ تقي الدين تملأ قلوب مطالعيها نورا وايمانا وحكمة ويقينا ، وهي كما قال الامام الحافظ الشيخ عبد الله العراقي في كتابه الذي أرسله الى بعض تلامذة شيخ الاسلام بعد وفاته وقد ذكرناه سابقا : فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع في كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر مالا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى ، الى آخر ماقال •

(الوجه الرابع) ان كتب ابن حجر كلها منتقدة في نظر أهل البصائر بأن البعض منها منتحل على ماسبق بيانه ، فان كتاب الزواجر انتحله من كتاب الكبائر لابن القيم أحد تلامذة شيخ الاسلام ، كما لايخفى على من طالع الكتابين ، ولايمكن أن يقال ان ذلك من باب توارد الخواطر ، فان التوافق لم يقع من الأول الى الآخر ، وابن القيم رحمه الله متقدم عليه بزمن طويل ، وكذلك الاعلام بقواطع الاسلام ، انتحله أيضا من كتاب شيخ الاسلام اما بواسطة أو بغير واسطة ، ولسان الكتابين يخالف لسان ابن حجر في كثير من كتبه ، لاسيما الجوهر المنظم ، والصواعق ، ونحوهما من كتبه ، التي يصون أهل العلم ألسنتهم عن التكلم بمثلها ، فقد اشتملت على أحاديث موضوعة مكذوبة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقاويل لايتكلم بها ابن يوم كما لايخفى على من وقف على ماصنف من الردود عليها •

وأما التحفة ، وسائر كتبه الفقهية فهي مما لايجوز لمسلم أن يطالعها لما اشتملت عليه من الغموض والخفاء ، والدقة في التعبير ، وأهل العلم نهوا عن أقل من ذلك ،

بل قد صرح بعضهم بمنع المفتين أن يفتوا بكتب ابن حجر ، لما أنهم لايأمنون من الخطأ لما اشتملت عليه من ضيق العبارة والألغاز والتعقيد المنافي كل ذلك للافادة والاستفادة ، على أن المسلمين في غنى عنها ، فان كتب السادة الشافعية وغيرهم قد ملأت العالم ، وكلها شافية كافية ، فما الحاجة الى كتب ابن حجر المنتحلة من كتب من سبقه ، ألا ترى أن الشافعية لما اشتغلوا بها قل العلم والعلماء فيهم ، بخلافهم لما كانوا يشتغلون بغيرها من الكتب الواضحة المبسوطة .

وأما كتب شيخ الاسلام فلا يقوم غيرها مقامها من الكتب السابقة واللاحقة على مالايخفى على المنصف .

(الوجه الخامس) أن مذهب الشافعي ليس مدار الأحكام في كثير من بلاد الاسلام ، انما مدارها في مشارق الأرض ومغاربها على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وفقهاء السادة الحنفية قد أغنوا العالم عن مثل ابن حجر ، هؤلاء مسلموا البلاد الهندية كلهم حنفيون ، وهكذا بلاد الصين ، والأتراك في آسيا الوسطى ، وهكذا بلاد الدولة العثمانية حرسها الله ، والحنفيون غالبهم حنفيون .

وأما مذهب الشافعي فيكاد ينقرض من الأرض ويرتفع من الدنيا ، فلا تكاد ترى حكما يدور على مذهبه ، كما انقرض مذهب أهل الظاهر وغيره ، نعم للشافعي اليوم مقلدون في العبادات فقط ، وغالبهم ممن لايفرق بين اليمين والشمال ، هذا حال أصل المذهب ، فأين بقيت كتب ابن حجر ؟ وبطل قول النبهاني : وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون ، ويعتمد عليها من جميع المذاهب المحققون . وليت شعري من اعتمد عليها من علماء السادة الحنفية ؟ وأين بقيت كتبهم التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها ، والذي أعلمه أن كتب ابن حجر وغيره من غلاة الشافعية لاتساوي عندهم قلامة ظفر ، وكذلك السادة المالكية والحنابلة .

فقول النبهاني : وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الاسلام . كذب ظاهر ، وكيف يتلقاها أحد من أهل البصائر بالقبول وهي آراء محضة لم يستند فيها الى كتاب ولا سنة ، نعم كان بعض جهلة الشافعية مغترين ببعضها قبل أن تنتشر كتب المتقدمين وتظهر كنوز العلم بواسطة الطبع .

(الوجه السادس) قوله في بيان سبب انتشار كتبه وتعليله للاتفاق على أنه أحد الأئمة الأعلام ، الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذاهب الاسلام ، من عصره الى الآن ، ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة الخ : كذب ظاهر ، بل قد طعنوا به

وبكتبه ، كما مر غير مرة ، على أنه لو سلم ذلك فليس فيه مايستوجب المدح ، بل مايستوجب خلافه ، قال تعالى : (ولنْ ترضَى عنْكَ اليهُودُ ولا النَّصارى حَتَّى تتَّبع مِلَّتهُم) [1] والسواد الأعظم لايرضون عن أحد حتى يوافقهم على أهوائهم وعقائدهم الزائغة ، أو أن أهل العلم لم يعبئوا بمثله ، ولا التفتوا اليه ، فان ابن حجر مما لاأهمية به •

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر

ألا ترى أنك لاتجد عالما مشهورا ، وفاضلا مذكورا : الا ووجه الناس اليه سهام الملام ، وعاداه جمع كثير من الأنام ، وذلك فخر لأهل العلم ودليل على علو شأنهم •

قال الامام الرافعي في كتابه (احياء القلوب) واعلم أن كثرة الانكار والأعداء مما يثبت لك أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لقوله تعالى : (وكَذٰلكَ جعلْنا لكُلِّ نبيٍّ عدواً مِنَ المجرِمِينَ) [2] فعلم أن عداوة المؤمنين للعبد من شقاوته ، لأن قلوب المؤمنين لاتمقت الا بحق ، لأنهم لايجتمعون على ضلالة ، وأعظم نصابهم أربع (٣)

(واعلم) أن الدنيا ليست موضع ظهور الجزاء للتكليف ، فكل انسان فيها مشغول بنفسه ، مطلوب بأداء ماكلف به من العمل ، فمن علم هذا لم يبال كيف أصبح ولا أمسى عند الخلق ، ولم يلتفت لمدحهم ولا ذمهم ، لأنهم في محل الحجاب، وانظر الى أحواله صلى الله عليه وسلم في الدنيا لم يظهر لنا منها الا ماأخبرنا الحق تعالى من علو مرتبته ، ولولا ذلك جهلنا قدره في الآخرة ، يظهر مقامه للخاص والعام فلا يظهر كماله الا في الآخرة ، وكذلك كمل الرجال لأنها دار ظهور النتائج ، وأما الدنيا فانما هي دار أعمال ، فمن طلب ظهور النتائج فيها فقد قلب الموضوع ، وباع آخرته بعرض من الدنيا فافهم •

قال : وقال أبو الحسن الشاذلي : لما علم الله سبحانه وتعالى أنه لابد أن يتكلم في أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاوة فنسبوه الى اتخاذ الصاحبة والولد ، حتى اذا ضاق الولي ذرعا من كلام قيل فيه : نادته هواتف الحق هذا وصفك لولا لطفي بك ، فافهم وطب نفسا وقر عينا بجميع مايقال فيك ، فان جميع المنكرين رحمة

---

(١) البقرة : ١٢٠ ـ (٢) الفرقان : ٣١ ـ (٣) كذا في الاصل وليحرر

من الله عليك ، والا لو عكس الأمر وجعلك منكرا عليه كالكافر أو العاصي ماذا كنت تفعل ، فاحمد الله سبحانه وتعالى ، واسلك سبيل الأصفياء ، وكثرة المدح من جميع الخلق لايغني عنك من الله شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك ، وكثرة الذم والأذى من الخلق لايضرك شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك ، بل جميع المنكرين يفارقونك بالموت ، فهل ينزلون معك في القبر فيتعصبون عليك ويتولون سؤالك أو حسابك في الآخرة ؟ واحذر حين مدح الخلق لك أن تظهر التواضع فتحقر نفسك لما يعظمونك ، فان ذلك يزيدك تعظيما عندهم ، بل اسكت إيهاما لهم بأنك تحب المدح بما ليس فيك، هذا هو الأصلح لك دائما فافهم •

فان قال لك الشيطان : هذا مما ينفر القلوب منك وأنت تنفع الناس وتعلمهم الخير وانما يليق هذا الحال بالسواح الذين خربوا حالهم ، فقل له ، انما أنظر الى المحرك لهم وهو الله تعالى ، فان أقام في باطنهم تعظيما لي عظموني ولا يمكنهم أن يحقروني ، وأشهد ذلك فضلا منه ، وان أقام في باطنهم تحقيرا لي لايمكنهم التعظيم لي ولو أظهرت لهم كل كرامة فافهم •

وبالجملة : فمن كان قصده التعظيم عند الخلق لم يزل في تكدير ، لأنه لابد في الوجود من منكر عليه ، وطلبه من جميع الخلق أن يقبلوا عليه بالثناء والحمد والاعتقاد جهل منه ، فلا بد له من ذام ومادح ولو كان في فضل نحو الصحابة رضي الله عنهم ، وقد كان شخص يذم الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينكر عليه فاجتمع به المنكر فأثنى عليه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم على خلاف عادته ،فقال الامام علي رضي الله عنه ، أنا دون ماتقول، وفوق مافي نفسك،فافهم فهمنا الله واياك، فان من رضي بعلم الله فيه لايتغير ، ولو توجه اليه الثقلان بالذم والتنقيص،ولايغيره على الله شيء ، بل شأن العبد الغفلة عما الناس فيه مطلقا شغلا بسيده ، وقد رأيت هاتفا يقول على لسان الحق تعالى من شهد الأمور كلها مني لم يتغير لوجدان ولا فقد ، ومن خرج من مضرتي سلطت عليه أعدائي ، فلا يلومن الا نفسه ، والسلام فافهم فهمنا الله واياك ، انتهى •

ثم نقل الامام الرافعي عن ابن عطاء الله الاسكندري أنه قال في حكمه : انما أجرى عليك الأذى على يديهم ، كيلا تكون ساكنا اليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لايشغلك عنه شيء ، قال شارحها ابن عباد وجود أذية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه ، لاسيما ممن اعتاد منه الملاطفة والاكرام ، والمبرة والاحترام ، لأن ذلك يفيده عدم السكون اليهم ، وترك الاعتماد عليهم ، وفقد الأنس بهم ، فيتحقق بذلك

عبوديته لربه عز وجل •

قال الاستاذ أبو الحسن الشاذلي : آذاني انسان مرة ، فضقت به ذرعا ، فنمت فرأيت قائلايقول لي من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لايبالي بهم •

وقال بعض العارفين : الصحبة مع العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ، لولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه ، وهو حجاب عن الله عظيم •

وقال الاستاذ عبد السلام أستاذ أبي الحسن الشاذلي في دعائه : اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم واني أسألك اعوجاج الخلق عليّ حتى لايكون ملجئي الا اليك •

وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري : الأنس بالخلق وحشة ، والطمأنينة اليهم حمق ، والسكون اليهم عجز ، والاعتماد عليهم وهن ، والثقة بهم ضياع ، واذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره ، وتوكله عليه ، وصان سره عن النظر اليهم ، وظاهره عن الاعتماد عليهم ، وقد كان الزهاد يخرجون المال من الكيس،تقربا الى الله تعالى ، وأهل الصفا والوفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب ، تحققا بالله عز وجل •

قال الامام الشعراني في لطائف المنن : اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم ان يسلط عليهم الخلق ليطهروا من البقايا ، وتتكمل فيهم المزايا ، وكيلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد ، أو يميلوا اليهم باستناد ، ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ، ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه . ولذلكقال صلى الله عليه وسلم : (من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له) كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق ، وليتعلق بالواحد الحق •

قال : وقال الشيخ أبو الحسن : اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم ، فان خيرهم يصيبك في قلبك ، وشرهم يصيبك في بدنك ، الى آخر ماقال •

والحاصل : أن تسليط الخلق على أولياء الله تعالى في مبدأ ظهورهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه ، وللصوفية من هذا البلاء الحظ الأوفر ، فان العارف بالله ابن أبي جمرة لما اختصر البخاري وشرحه وعرض فيه بأنه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة : قاموا عليه وعقدوا له مجلسا ، وألزم بالجلوس في بيته ، فلزمه ، فلم يخرج الا للجمعة حتى مات ، ولما ألف الحكيم الترمذي نوادر الأصول ، وختم

الأولياء ، وعلل الشريعة : ثاروا عليه ورموه بالعظائم ، وبطشوا به ، فجمع كتبه كلها وألقاها في البحر ، قيل فاستمرت فيه ثم لفظها على حالها فانتفع النـاس بها ، وثاروا على البوشنجي ونفوه من بلده فسكن نيسابور الى أن مات ، وأفتوا بتكفير أبي الحسن الخراز بمواضع التقطوها من كتبه ، ونفوه من بلده ، وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع كمال علمه ، وكثرة مجاهداته وزهده واتبـاعه للسنة ، وشهد عليه آخرون بالجنون ، وأدخل (البيمارستان) ثم نفوه الى أن مات .

وقام أهل المغرب على الامام أبي بكر النابلسي ـ مع علمه وزهده وورعه وتمسكه بالسنة وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ـ فأخرجوه من بلاد المغرب بالقيد والزند الى مصر ، وشهدوا عليه عند السلطان بكلمات من كلمات القوم ، فأقر بها وأصر عليها ، فأمر بسلخه حيا منكوسا ، ففعل به ذلك ، فصار ـ وهو كذلك ـ يقرأ القرآن ، وأنكروا على أبي القاسم النصرآباذي مع علمه وصلاحه ، وزهده واستقامة طريقه ، واتباعه للسنة ، ونفوه الى مكة ، فلم يزل فيها حتى مات ، وقاموا على أبي عبد الله السجزي صاحب الفوائد الحديثية وأخرجوه ونفوه ، وقاموا على ابن سمعون الواعظ وآذوه وضربوه ومنعوه من الجلوس للوعظ في الجامع ، فانقطع في بيته حتى مات ، فمنعوا الناس من حضور جنازته مع كماله وجلالته ، وطعنوا على أبي القاسم ابن جميل ورموه بالعظائم ، فلم يتزلزل عما هو فيه من الاشتغال بالفقه والحديث وصيام الدهر والتزهد والتعبد حتى مات ، وآذوا الامام أباالحسن الشاذلي وأخرجوه من بلاد المغرب باتباعه ، ثم كاتبوا نائب الاسكندرية بأنه زنديق فاحذروا منه على أنفسكم وأهل بلدتكم ، ووشوا به الى السلطان ، فحج في جماعته وكان الحج قد انقطع لكثرة قطاع الطريق ، فما رأوا الا خيرا ، فاعتقده النـاس وعظموه وأجمعوا عليه حينئذ ، وقتلوا الحلاج ، والامام أبا القاسم ابن قسي صاحب كتاب خلع النعلين ، وابن برجان صاحب التفسير المشهور ، والجرجاني ، مع كونهم أئمة يقتدى بهم ، ولما قام عليهم الحاسدون عجزوا عن أن يثبتوا عليهم مايوجب القتل ، فحملوا عليهم الحيلة ، وقالوا للسلطان انه خطب لابن برجان من نحو مائة وثلاثين بلدا فأمر بقتلهم ، وقاموا على العفيف التلمساني صاحب التآليف المشهورة وقالوا هو لحم خنزير في صحن صيني وضربوه ونفوه ، وعقدوا للشيخ عز الدين ابن عبد السلام عدة مجالس بسبب كلمة قالها في العقائد ولطف الله به وظفره ، وغيروا السلطان بيبرس على قاضي القضاة ابن بنت الأعز بعدما كان بينهما من كمال المودة

حتى أمر بشنقه ثم أمده الله بلطفه في حكاية طويلة ، وكان الشيخ عمارة اليمني متضلعا من الفقه والحديث وغيرهما فأغروا به السلطان صلاح الدين وقالوا انه هجاك بقصيدة ، فلم يتغير السلطان لما كان عليه من مزيد الحلم ، حتى قالوا انه ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم في شعره ، ولم يثبت عليه ذلك ، بل أنكر أن تلك القصيدة التي ذكر ذلك فيها من نظمه ،فحسن له القاضي الفاضل قتله فقتله،وحسدوا شيخ الاسلام ابن أبي شريف ، وانتهزوا الفرصة باغراء السلطان عليه حتى تشوش منه بسبب افتائه بعدم جواز قتل امرأة ورجل أجنبيين وجدا في خلوة فهم بالبطش به ، ثم شنق المرأة والرجل على باب داره ، وأمره بالخروج من البلد الى بلده بيت المقدس ، فوافق ذلك قدوم الخبر بأن السلطان سليم قدم الى حلب يريد غزوه فاشتغل بنفسه ، الى غير ذلك من الوقائع التي لايمكن حصرها ، ولا يضيع الله حقا لأحد ، والله عند قول كل قائل ، فليتق الله عبد ولينظر مايقول ، هذا كله من كتاب (احياء القلوب) للرافعي ، وبه يعلم مافي كلام النبهاني من الخلل ،حيث جعل سكوت العامة عن ابن حجر دليلا على علو قدره وجلالة شأنه ، ويفهم منه أن عدم رضاهم دليل الجهل وعدم العدالة .

ومقصوده من ذلك كله الحط على ابن تيمية بسبب ما كان من الجهلة في شأنه، ومعاداة الغلاة له . (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُا نورَ اللهِ بأَفواهِهِم ويأْبي اللهُ إِلَّا أَنْ يتمَّ نورَهُ ولو كَرِهَ الكافِرونَ)[1]

(الوجه السابع) أن قول النبهاني : وقد كان رحمه الله مع كونه اماما فقيها يعتقد في ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ، ويثني عليهم أحسن الثناء ، ويجيب عنهم بأحسن الأجوبة ، فشملته بركاتهم وعمته نفحاتهم : لايستوجب ترجيح صاحبه على مجتهدي الأمة وأكابر العلماء ، والمسلمون كلهم يعتقدون الخير في الصوفية المتبعين لما جاء الرسول به ، لا المتبعين لاهوائهم المبتدعين ، ولا سيما شيخ الاسلام فقد كان رضي الله عنه من أكابر الصوفية والزهاد ، وقد بين في كتابه (الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن) ماينشرح به صدر كل موحد ، وليس كل من ادعى أنه صوفي يسلم له الزهد والورع ، لاسيما صوفية هذا العصر فانهم ذئاب ، عليهم من جلود الشياه ثياب ، كما نسمع عن شيخ مبتدعة الرفاعية في دار السلطنة ، فانه قد

---

(1) التوبة : ٣٨

فاق على ابليس في مكره وحيله ، وخبثه وزندقته ، وكما نسمع عن شيخ القادرية في بغداد ممن ينتسب الى الكيلاني ، ويرشدون الناس ، وعندهم خاتم كبير يختمون به مايعطونه لمن يسلك عليهم ، مكتوب فيه لا اله الا الله (عبد القادر شي لله) وقد كفروا بذلك كما ذكره فقهاء السادة الحنفية ، ففي منظومة ابن وهبان :

بدرويش درويشان كفر بعضهم　　　كذا قول شي لله بعض يكفر

والنقيب وأولاده وسائر أفراد عائلتهم هم أعظم الناس بلاء على الأمة ، ليست معصية في الدنيا الا وقد استباحوها ، وكبيرهم النقيب بل الذيب ، هو بريد الشر على العراق ، وهم ارفاض زنادقة ، يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علنا ، ويشربون الخمور ، ويتعاطون كل منكر ، وعسى الله يعين على افراد كتاب نبسط فيه أحوال هؤلاء الزنادقة وتحذير المسلمين منهم ، هؤلاء شيوخ صوفية عصرنا والأمر لله .

وابن حجر ان عظم أمثال هؤلاء الفجرة فهو لاشك من أعداء الله ، وان أحسن الاعتقاد فيمن تبع منهم الشريعة الغراء فكل المسلمين والعلماء العاملين كذلك ، فلا مزية له على غيره ، وقد ذكر في كتابه (التعرف في الأصلين والتصوف) مايوافق ماذكرناه ، حيث قال : وطريق أبي القاسم الجنيد سيد الطائفة طريق مقوم ، لأنه خال من البدع ، ، دائر على التسليم والتفويض ، والتبري من النفس والتوحيد بالحق ، وما وقع في كتب جمع من متأخري الصوفية ــ كابن عربي وأتباعه بحق وهم الأقلون ــ يجب تجنب ظواهره الموهمة لما لايحل اعتقاده ، بل لما هو كفر في كثير منها ، كما وقع ذلك في فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرهما ، لكنهم جارون على اصطلاحهم سترا له عن دعاة الباطل ، والا فهم على الحق المبرأ عن وصمة الحلول والاتحاد وغيرهما من الوصمات التي نسبها اليهم من لم يحط بحقيقة أحوالهم ، أو التي يعتقدها عن حقيقة طريقهم فنسبها اليهم زعما أنه متأس بهم ، حاشاهم الله من ذلك .

ثم قال : وما أحسن ماحققه بعض المحققين نصرة للأولين حيث قال ما حاصله ــ مع مافيه من عبارات غير مراد بها ظاهرها ــ من انتهى في سلوكه الى الله تعالى وفيه استغرق في بحر التوحيد والعرفان ، فحينئذ تضمحل ذاته في ذاته ، وصفاته في صفاته ويغيب عنه كل ماسواه ، فلا يرى في الوجود الا الله تعالى ، وهذا هو الذي يسمونه الفناء في التوحيد ، واليه يشير الحديث الالهي : (لايزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى

أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فلئن سألني لأجيبنه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) وفي الحديث القدسي أيضا عتابا يوم القيامة لبعضهم : (مرضت فلم تعدني ، جعت فلم تطعمني ، عطشت فلم تسقني ، فيقول : كيف ذلك وأنت رب العالمين ؟ فيقول تعالى : مرض عبدي فلان فلم تعده ، جاع عبدي فلان فلم تطعمه ، عطش عبدي فلان فلم تسقه) الحديث ، وحينئذ فربما يصدر عن الولي عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال ، وتعذر الكشف عنها بالمثال ، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان ، انتهى .

فقد صرح أن مافي كتب ابن عربي كفر يجب تجنب ظواهره ، فالفقيه اذا سمع من أحد كلمة كفر لاشك فيها يجب عليه الافتاء على مقتضى مايعلمه من الشريعة الغراء ، وقد أطنب العلامة محمد أمين السويدي رحمه الله الكلام في شرحه على التعرف ، الذي سماه (قلائد الدرر في شرح رسالة ابن حجر) وأتى في هذا المقام بما يشفي السقام ، وكذا العلامة صاحب التعطف على التعرف فعليك بهما .

(والمقصود) أن من اتبع الشريعة الغراء ولم يبتدع في أقواله ولا أعماله يجب على كل مسلم حبه والذب عنه والترحم عليه ، ومن خالف الشريعة وتكلم بالكفر المصادم للشريعة والمخالف لنصوصها وبدل وحرف وغير وابتدع وترك ماكلف به ـ كغالب المدعين أنهم شيوخ العصر ـ فهجرهم وتضليلهم وتفسيقهم وتبديعهم واجب على كل مسلم ، ولا يمدح من يكون ظهيرا لمثل هؤلاء (رَبِّ بما أنعمتَ عليَّ فلنْ أكونَ ظَهيراً للمُجرمينَ)[1]

(الوجه الثامن) أن النبهاني شدد النكير أيضا في هذا المقام على شيخ الاسلام من غير جرم جناه ، سوى اخلاصه في التوحيد ، وذم كتبه ، وقال : انها عديمة البركة ومن جملة قدحه فيه : أنه حبس مرارا الى أن توفي في الحبس ولم يرجع عما ظهر له أنه الحق من تلك البدع .

(فنقول) انا قد تكلمنا على مثل هذا الكلام مرارا ، وبينا زيغ النبهاني فيه ، وأن هذا رفض منه بسبب غلوه في محبة أصحابه ومشائخه ، حتى أصمه عن سماع

(١) القصص : ١٧

الحق وأعماه عن رؤية الحق ، على مقتضى المثل السائر : (حبك الشيء يعمي ويصم)، وسبق منا قريبا مانقلناه عن احياء القلوب في بيان ماأصاب الأولياء والأصفياء من أذى الناس ، وأن ذلك كان دليلا على علو شأن من ابتلاه الله بمثل ذلك .

وللشيخ تقي الدين ابن تيمية رسالة كتبها وهو في السجن الى بعض اخوانه لما أرسلوا اليه يشيرون عليه بالرفق مع خصومه ليتخلص من السجن .

ولنذكر شيئا منها توضيحا للمقام ، فأقول : قال رحمه الله بعد البسملة :

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا ، صلى الله عليه وسلم تسليما .

أما بعد : فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتين ، أيدهما الله تعالى وسائر الاخوان بروح منه ، وكتب في قلوبهم الايمان ، وأدخلهم مدخل صدق ، وأخرجهم مخرج صدق ، وجعل لهم من لدنه مايتم به السلطان ، سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان ، وسلطان القدرة والنصرة بالسنان والأعوان ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه الغالبين لمن ناواهم من الأقران ، ومن الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والايقان ، والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والاعلان ، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن ، لكن اقتضت حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان ، الذي يميز الله به بين أهل الصدق والايمان ، من أهل النفاق والبهتان ، اذ قد دل كتابه على أن لابد من الفتنة لكل من ادعى الايمان ، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان ، فقال تعالى : (آلم أَحسبَ النَّاسُ أَن يُتركُوا أن يقولوا آمنَّا وهُم لا يُفتَنُونَ . ولقَد فتنا الَّذينَ مِن قَبلهم فَليعلمنَّ اللهُ الَّذينَ صدَقوا وليعْلَمن الكَاذبينَ . امْ حسبَ الذين يعمَلُون السَّيئاتِ أَنْ يَسْبقُونَا سَاء ما يحكُمُونَ) [1] فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، وأن مدعي الايمان يترك بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب ، وأخبر في كتابه أن الصدق بالايمان لايكون الا بالجهاد في سبيله

---

(١) العنكبوت : ١ ـ ٤

فقال تعالى : (قالت الأعرابُ آمنَّا قُلْ لم تؤمِنُوا ولـكن قولُوا أسْلَمنا)[1] الى قوله : (إنَّما المؤمنُونَ الَّذين آمنُوا باللهِ ورَسُوله ثمَّ لم يرْتابوا وجَاهدُوا بأمـــوالهِم وأنفُسِهم في سَبيلِ الله أُولئكَ هُم الصَّادقُونَ)[2] وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة ، الذي يعبـد الله فيها على حرف ، وهو الجانب والطرف الذي لايستقر ماهو عليه ، بل لايثبت على الايمان الا عند وجود مايهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى : (ومنَ النَّاس منْ يعبُد اللهَ على حَرفٍ فإن أَصابهُ خيرٌ اطْمَأَنَّ به وإن أَصابتْهُ فتنةٌ انقَلَبَ على وجهِهِ خَسِرَ الدّنيا والآخِرةَ)[3] وقال تعالى : (أَمْ حسبتُم أَن تدخُلو الجنَّة و لَمَّا يعلَم اللهُ الَّذينَ جاهَدوا منْكُم ويَعلَمَ الصَّابرِينَ)[4] وقال تعالى : (ولنَبلُونَّكُم حَتَّى نعلَمَ المجاهِدينَ مِنكُم والصَّابرِينَ ونبلُوَ أَخبارَكُم)[5] وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى : (ياأَيُّها الَّذين آمنُوا من يرْتَدَّ منكُم عن دِينهِ فَسوفَ يأْتي اللهُ بقَومٍ يُحبُّهم ويُحبُّونه)[6] (وهؤلاء) الشاكرون لنعمة الايمان الصابرون على الامتحان ، كما قال تعـالى : (ومَا مُحمدٌ إلّا رَسُولٌ قدْ خلتْ مِن قبلِهِ الرُّسُلُ أفإنْ ماتَ أَو قُتلَ انقلَبتُم على أَعقَابكُم)[7]

فاذا أنعم الله على انسان بالصبر والشكر كان جميع مايقضي الله له من القضاء خيرا له ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لايقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له : ان أصابته سراء فشكر كان خيرا له ، وان أصابته ضراء فصبر كان خـيرا لـه) .

والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال ، وكل واحد من السراء والضـراء في

(١) الحجرات : ١٤ ـ (٢) الحجرات : ١٥ ـ (٣) الحج : ١١ ـ (٤) آل عمران : ١٤٢ ـ (٥) محمد : ٣١
(٦) المائدة : ٥٤ ـ (٧) آل عمران : ١٤٤

حقه تفضي به الى قبح المآل ، فكيف اذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين ، وفيها تثبيت أصول الدين ، وحفظه الايمان والقرآن من كيد أهل النفاق والالحاد والبهتان ، فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز سلطانه وجلاله ، والله المسؤول أن يثبتكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة ، وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين ، الذين أمرنا بجهادهم والأغلاظ عليهم في كتابه المبين ، انتهى كلامه .

وبه يعلم أن ماصادفه الشيخ من الأذى والمصائب في ذات الله مما يستوجب رفعة شأنه لا القدح فيه كما زعمه الزائغ .

(الوجه التاسع) مما يرد على ماقاله النبهاني في هذا المقام أن قوله أن الله لم يقدر الانتفاع بعلم ابن تيمية وكتبه كالانتفاع بعلم ابن حجر وكتبه ، وان كتب ابن تيمية بقيت في زوايا الاهمال الخ ــ ممنوع ، بل هو يشبه كلام الصبيان والأطفال ، وقد تكرر منه مثل هذا الكلام مرارا وأجبنا عنه بما يشفي صدور المؤمنين ، ونقول هنا أيضا : بلى ان الله تعالى قدر ــ وله الحمد ــ الانتفاع بعلمه وبكتبه في كل عصر ، وأودع فيها البركة ، حيث أنها تشرح صدور مطالعيها وتنور قلوبهم ، بسبب مااشتملت عليه من العلوم النبوية والوحي المنزل ، وهي شفاء لصدور المؤمنين ، وهي لأعين المبتدعين عمى ، ولا زال أهل مذهبه يستفيدون منها ، وكذلك المصنفون من سائر المذاهب ، والشيخ ــ قدس الله روحه ــ لم يضمن في مصنفاته أن يفقه كلامه ميت القلب ، جامد الذهن ، فاسد القريحة ، ولسان حاله يقول :

عليّ نحت القوافي من معادنها ... وما علي اذا لم تفهم البقر

بل ولا ضمن الله تعالى لهذا النوع أن يفقهوا عنه وعن رسله ماجاؤا به من الهدى ، وينتفعوا بما جاؤا به من البينات ودين الحق والحجة والشفاء ، قال تعالى : (إنا جَعلنَا عَلى قلُوبهِم أَكِنَّة أنْ يفقَهوهُ وفي آذانِهم وقْراً) [1] وقال تعالى : إنا جَعَلنا في أعنَاقهم أغْلالاً فهِي الى الأذقَان فهُم مُقْمَحُونَ . وَجعلْنَا مِنْ بينِ أَيديهِم سَدّاً ومِن خَلفِهم سَدّاً فأغْشَيْناهُم فَهم لا يُبصِرُونَ) [2]

(١) الكهف : ٥٧ ــ (٢) يس : ٨ ، ٩

وما أحسن ماقيل :

فيالك من آيات حق لو اهتــدى بهن مريد الحـق كن هواديـا
ولكن على تلك القلـوب أكنة فليست وان أصغت تجيب المناديا

وقال تعالى : (ولَو عَلِمَ اللهُ فِيْهِم خَيراً لأَسْمَعَهُم ولَو أَسْمَعَهُم لتَولَّوا وهُم مُعْرِضُونَ).[1]

وأما كتب ابن حجر التي فرح بها هذا الزائغ فانها لاتصلح عند من له بصيرة ونظر لغير العطار والاسكاف ، فهي اما مزاود للعقاقير ، واما بطائن للخفاف ، حيث أنها قشور لا لب فيها ، وهكذا كتب السبكي وابنه ، وفي المثل : رمتني بدائها وانسلت •

ونقول ثانيا انا لو سلمنا مازعمه الزائغ أنها بقيت في زوايا الاهمال الى آخر ماقال فأي ضرر وعيب يلحقها ؟ ولا يخل مثل ذلك بشأنها :

ليس الخمـول بعـار على امريء ذي كمـال
فليـلة القـدر تخفـى وتلـك خـير الليـالي

وفضل العلم أشهر من أن ينبه عليه ، وأظهر من أن يشار اليه ، ولا ينقص من أمره فقدان العارفين بقدره ، فلا يسلب الدرة النفيسة ثوب النفاسة جهل الفحام بها والقاؤه اياها على الكناسة ، وقد كان الله تعالى وهو القديم جل علاه كنزا مخفيا أي لاعارف به سواه ، فهل نقص ذلك من جلاله شيئا ؟ لا والله ، فالله قبل العالم والعالم وبعدهما لم يتفاوت جلاله وعلاه ، وهذا مجمل ما قال بعض ذوي العرفان ، وهو سبحانه الآن على ما عليه كان •

ثم ان هذا الزائغ لو سئل عن كتب امامه أين بقيت فماذا يجيب وهو يعلم علما يقينا أن كتاب (هز القحوف شرح قصيدة أبي شادوف) قد انتشرت نسخه في البلاد والأقطار انتشارا لم يتفق مثله لكتب امامه ، ولو استقريت خزائن الكتب ماوجدت من كتاب (الأم) الا نسختين أو ثلاث نسخ ، ربما لم تكن سالمة من الخروم ، وأكل الأرضة ، ولو لم تسمح المطابع المصرية بطبعها لم يرها هذا الزائغ حتى يلج الجمل في سم الخياط ، أفيقال ان الله لم يقدر الانتفاع بها وقدر الانتفاع بكتاب هز القحوف ونحوه •

---

(١) الانفال : ٢٣

ونسأله أين بقيت كتب الشافعي وأصحابه المتقدمين ؟ وأين كتب المجتهدين كالمذاهب الأربعة وغيرهم ، وكتب أصحابهم ؟ وأين كتب الأندلسيين وقد كان منها في خزانة كتب الناصر لدين الله مابلغ أسماؤها أربعين مجلدا ؟ وأين الكتب التي كانت في خزائن العباسيين وخزائن مدارس بغداد ؟ وأين كتب المدرسة النظامية ؟ وأين كتب المدرسة المستنصرية ؟ وأين الكتب المذكورة في تراجم مصنفيها مما لايستوعبها البيان ولا يستقصيها اللسان ؟

أفيقال ان مصنفي هذه الكتب كانوا أهل بدعة فلم يقدر الله الانتفاع بها بل بقيت في زوايا الاهمال أو أنها تلفت ، وان كتب ابن حجر هي كنوز السعادة فلذلك ترى الناس يتداولونها ؟ لا أرى من يقول بذلك الا من أصيب بعقله ، وتاه في بيداء جهله ، بل لاأرى حرمان المسلمين من كتب المتقدمين الا من جملة مصائبهم ونوائبهم، ولذلك كثر الجهل في بلاد المسلمين لسوء عملهم ، ونقصان تربيتهم وتعلمهم ،وقصور كتبهم المتداولة ، وأن غالبها كتب الاعاجم .

ونقول ثالثا : ان كتب الشيخ بحمد الله محفوظة عند أهلها من أهل الحديث وناصري السنة ، واتباع الامام أحمد نضر الله وجهه في الهند وبلاد نجد ومصر والشام والعراق ، وهذه هي الكتب التي لانظير لها ، وانها مما يتنافس بها المتنافسون فليت شعري أي كتاب فقد منها ولم يوجد منه نسخ كثيرة ، وليت هذا الزائغ راجع دفاتر خزائن دار السلطنة المحروسة ، ودفاتر خزائن كتب مصر الخديوية وغيرها ، وخزائن كتب الشام والعراق والهند وغير ذلك ، حتى لايهذي ذلك الهذيان ، وأظنه رأى بياضا في مواضع من كتاب (المنهاج) وكتاب (العقل والنقل) فقال ماقال ، مع أن عددا كثيرا من كتاب (المنهاج) في خزائن كتب دار السعادة وكلها بأحسن خط وأتقن ضبط ، وفي الهند ونجد مثل ذلك ، وكتاب (العقل والنقل) أيضا كذلك، وفي خزانة راغب باشا في قسطنطينية المحروسة نسخة منه ، يظن أنها بخط مؤلفها ، وهي نسخة تامة كاملة لانقص فيها .

والذي طبع كتاب (المنهاج) ومافي الحاشية لم يتيسر له سوى ماطبع عليها ، واني أبشر جناب الشيخ النبهاني أن كتب الشيخ تقي الدين وأصحابه ستستوعبها المطابع المصرية والهندية ولا يبقى منها شيء في زوايا الاهمال كما زعم ، وحينئذ يرغم أنفه .

ونقول رابعا : ان انتشار الكتب وتداولها بين الأيدي لاتعلق له ببدعة ولا سنة فكم

قد رأينا كتابا مشحونا بالبدع ومصنفه من شيوخ المبتدعة ومع ذلك قد انتشر أكثر من انتشار كثير من كتب السنة ، هذا (الكشاف) الذي صنفه الزمخشري وحاله معلوم في الاعتزال وتفسيره مشحون ببدع المعتزلة وآرائهم ومع ذلك قد انتشر انتشارا لم يعهد مثله لتفسير آخر ، والناس يستفيدون منه وينقلون عنه من عصر مصنفه الى يومنا هذا ، والمفسرون الذين بعده كلهم عيال عليه ، فأي تأثير للبدعة في انتشار الكتب وعدم انتشارها ، وهذا كتاب (المفتاح)للسكاكي المعتزلي لم يزل أهل العلم يستفيدون من فوائده ويقرؤونه من عصر مصنفه الى الآن ، وقد عمت بركته القاصي والداني ، وفيه من نزغات المعتزلة وبدعهم مافيه ولم يصادم ذلك انتشاره ، وهذه كتب الماوردي ، وهو امام من أئمة الشافعية ، وكان على طريقة أهل الاعتزال ، وكتبه عم النفع بها وكثرت بركتها ، فهلا اقتضت بدعة مصنفها بقاءها في زوايا الخمول ، وهكذا كتب الروافض ، والزيدية ، والقدرية ، والظاهرية ، وكتب الجاحظ المعتزلي الشهير ، وغيرها مما ليس هذا المقام مقام استقصائه •

(والمقصود) أن كلام النبهاني في حق كتب الشيخ تقي الدين لا وجه له ، بل هو دليل على جهله ، وتعصبه للباطل ، واتباعه لهواه ، وان قوله هذا لايصدر عن طفل مبتديء في العلم ، ولكن الله تعالى سبحانه فضحه بسبب تطاوله على خير عالم في الزمان الأخير ، ولم يلتفت الى ماهو فيه من المسلك والحال الذي ينبغي أن يرثي له من يشفق عليه ، وباقي كلامه من هذا القبيل ، فلا تتعب البنان بالتطويل ، وأعقب كلامه هذا بكلام ذكر فيه التحذير من موافقة ابن تيمية ، ثم اعقبه بكلام ذكر فيه أنه ينبغي حمل أقوال هؤلاء من الجانبين على حسن النية ، وبقي يخبط خبط عشواء فهو (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) ، وكل ذلك باد عواره لأقل من له بصيرة ونظر ، على أنه قد تكرر منا ابطاله ، والله ولي الهداية والتوفيق •

(قال النبهاني عامله الله بعدله) الباب السادس : في نقل حكايات وآثاروردت عن العلماء والصالحين في الفوائد التي حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذت ذلك مما نقله الثقات ، وذكره الأئمة الثلاثة الاثبات ، أبو عبد الله ابن النعمان الفاسي في كتابه مصباح الظلام ، والقسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ونور الدين الحلبي في كتابه بغية الاحلام ، وغيرهم ، وذكر في الفصل الأول من هذا الباب من استغاث به صلى الله عليه وسلم للمغفرة وغيرها ،

وذكر فيه قصة الاعرابي الذي قال :

ياخير من دفنت في القاع أعظمـــه	فطاب من طيبهـن القاع والأكـم
نفسى الفـــداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكـــرم

وذكر قصصا أخرى م نهذا القبيل ، وذكر في الفصل الثاني من استغـاث به صلى الله عليه وسلم من الأسرى ونحوهم ممن انقطع في البراري والبحار ، أو وقع في غير ذلك من الشدائد والاسقام ، وما أشبه ذلك منخوارق عاداته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وذكر في هذا الفصل حكايات كثيرة عن أناس استغاثوا بالنبيصلى الله عليه وسلم في حاجات كثيرة ، فقضيت لهم ، وكذلك استغاثوا ببعض الصالحين فحصل مقصودهم ، ونقل عن الشيخ أحمد الرفـاعي أنه قـال من كان له حاجـة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي فان حاجته تقضى ، الى غير ذلك من الخرافات التي يستقل لديها ما كان المشركون يفعلونه مع أصنامهم .

(والجواب عن ذلك كله) ماذكره شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم) بعد أن ذكر نحو تلك الشبه والحكايات عمن استدل بها من الغلاة ، قال رحمه الله : انما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، وأما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لايعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لاينطـق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت ، فكيف بالمنقول عن غيره ، ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطيء أو يصيب ، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لامحذور فيه فحرف النقل عنه ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلـم لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها ، من حجهـا للصلاة عندها والاستغاثة بها ، ثمسائر هذهالحجج دائرة بيننقل لايجوز اثباتالشرع به أو قياس لايجوز استحباب العبادات بمثله ، مع العلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرعها ، وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله ، وانما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس ــ من غير نقل عن الأنبياء ــ النصارىوأمثالهم،وانما المتبع في اثبات أحكام الله عز وجل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلـم وسبيل السابقين الأولين ، لايجوز اثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثـلاثة نصا أو استنباطا بحال .

قال :والجواب عنها من وجهين مجمل ومفصل :

(أما المجمل) فالنقض ، فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير ، بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحيانا كما يستجاب لهؤلاء أحيانا ، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة ، فان كان هذا وحده دليلا على أن الله تعالى يرضى ذلك ويحبه فليطرد الدليل ، وذلك كفر متناقض ، ثم انك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن وأساء الظن بآخر ، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره ، فمن المحال اصابتهم جميعا ، وموافقة بعضهم دون بعض تحكم وترجيح بلا مرجح ، والتدين بدينهم جميعا جمع بين الأضداد ، فان أكثر هؤلاء انما يكون تأثرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره ، وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه دون ماينفونه يضعف التأثير على زعمهم ، فان الواحد اذا أحسن الظن بالاجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثيره مثل تأثير الحسن الظن بواحد دون آخر ، وهذه كلها من خصائص الأوثان .

(ثم ذكر رحمه الله الجواب المفصل) وأطنب فيه كما هي عادته ، ومما قال فيه : وأما التحريم من جهة الطلب فيكون تارة لأنه دعاء لغير الله ، مثل مايفعله السحرة في مخاطبة الكواكب وعبادتها ونحو ذلك ، فانه قد يقضي عقب ذلك أنواع من القضاء اذا لم يعارضه معارض من دعاء أهل الايمان وعبادتهم أو غير ذلك ، ولهذا تنفذ هذه الأمور في زمان فترة الرسل وفي بلاد الكفر مالا تنفذ في دار الايمان وزمانه ، ومن هذا أني أعرف رجالا يستغيثون ببعض الأحياء في شدائد تنزل بهم فتنفرج عنهم ، وربما يعاينون أمورا وذلك المستغاث به لم يشعر بذلك ولا علم به البتة ، وفيهم من يدعو على أقوام ويتوجه في ايذائهم فيرى بعض الأحياء أو بعض الأموات يحول بينه وبين ايذاء أولئك ، وربما رآه ضاربا له بالسيف ، وان كان الحائل لاشعور له بذلك ، وانما ذلك من فعل الله بسبب يكون بين المقصود وبين الرجل الدافع من اتباع له وطاعة فيما يأمره من طاعة الله ونحو ذلك ، فهذا قريب ، وقد يجري لعباد الأصنام أحيانا من هذا الجنس المحرم مايظنونه محبة من الله بما تفعله الشياطين لاعوانهم ؛ فاذا كان الأثر قد يحصل عقب دعاء من قد تيقنا أنه لم يسمع الدعاء فكيف يتوهم أنه هو الذي تسبب في ذلك أو أن له فيه فعلا ؟ واذا قيل ان الله يفعله بذلك السبب فاذا كان السبب محرما لم يجز كالأمراض التي يحدثها الله عقب أكل السموم ،

وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه دعاء لغير الله أن يدعو الله ، كما قال النصارى ياوالدة الاله اشفعي لنا الى الاله ، وقد يكون دعاء لله لكنه توسل اليه بما لايحب أن يتوسل به ، كالمشركين الذين يتوسلون الى الله بأوثانهم ، وقد يكون دعاء لله بكلمات لايصلح أن يناجي بها الله ويدعي بها لما في ذلك من الاعتداء ، فهذه الأدعية ونحوها وان كان قد يحصل لصاحبها أحيانا غرضه ولكنها محرمة لما فيها من الفساد الذي يربي على منفعتها ، ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده الله وينور قلبه ، ويفرق بين أمر التكوين وأمر التشريع ، ويفرق بين القدر والشرع ، ويعلم أن الأقسام ثلاثة :

أمور قدرها الله وهو لايحبها ويرضاها ، فان الأسباب المحصلة لهذه تكون محرمة موجبة لعقابه •

وأمور شرعها ، فهو يحبها من العبد ويرضاها ، لكن لم يعنه على حصولها ، فهذه محمودة عنده مرضية وان لم توجد •

والقسم الثالث : أن يعين الله العبد على مايحبه منه •

فالأول اعانة الله ، والثاني عبادة الله ، والثالث جمع له بين العبادة والاعانة كما قال : (إِيَّاكَ نَعبدُ وإيَّاكَ نستَعين) فما كان من الدعاء عين المباح اذا أثر فهو من باب الاعانة لا العبادة ، كسائر الكفار والمنافقين والفساق ، ولهذا قال تعالى في مريم : (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وكُتُبِهِ) [1] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر •

ومن رحمة الله تعالى أن الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره أن يفعل ودعائه أن يدعو أو نحو ذلك لايحصل غرض صاحبه ، ولا يورث حصول الغرض من شبهة الا في الأمور الحقيرة ، فأما الأمور العظيمة : كانزال الغيث عند القحوط ، أو كشف العذاب النازل ، فلا ينفع فيه هذا الشرك ، كما قال تعالى : (قُل أَرأَيتَكُم إِنْ أَتَاكُم عَذَابُ اللهِ أَو أَتتكُمُ السَّاعَةُ أَغيرَ اللهِ تدْعُونَ إِنْ كُنتُم صَادِقِين. بَل إِيَّاهُ تَدعُونَ فيكْشِفُ مَا تدْعُونَ إِليهِ إِنْ شاءَ وتنْسُونَ ما تُشرِكُون) [2]

---

(١) التحريم : ١٢ ـ (٢) الانعام : ٤٠ ، ٤١

وقال تعالى : (وإذا مَسَّكُم الضُّرُ في البحرِ ضَلَّ مَن تدعُونَ إلا إيَّاهُ فلمَّا نَجاكُم إلى البرِّ أعرضتُم وكانَ الإنسانُ كَفوراً)[1] وقال تعالى : (أَمَّنْ يُجيبُ المضطَرَّ إذا دعاهُ ويَكشِفُ السُّوءَ ويَجعلُكُم خُلفَاءَ الأَرضِ)[2] وقال تعالى : (قُل ادعو الَّذينَ زَعمتُم مِن دُونهِ فلا يَملكُونَ كَشْفَ الضُّرِ عَنكُم ولا تَحويلاً . أُولئكَ الَّذين يدعُونَ يبتَغُونَ إلى رَبِّهم الوسِيلَةَ أيُّهُم أَقربُ ويَرجُونَ رحمَتَهُ ويخافُونَ عذَابه إنَّ عذَابَ ربِّكَ كانَ مَحْذُوراً)[3] وقال تعالى : (أَم اتَّخذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفعاءَ قُل أَولَو كانُوا لا يَملكونَ شَيئاً ولا يَعقلُونَ قُل للهِ الشَّفاعةُ جَميعاً)[4].

فكون هذه المطالب العظيمة لايستجيب فيها الا الله سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به ، وعلم بذلك أن مادون هذا من الاجابات أيضا انما فعله هو وحده لاشريك له وان كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة ، كما أن خلقه السموات والأرض والرياح والسحاب وغير ذلك من الأجسام العظيمة دل على وحدانيته وأنه خالق لكل شيء ، وأن مادون هذا بأن يكون خالقا له أولى ، اذ هو منفعل عن مخلوقاته العظيمة ، فخالق السبب التام خالق للمسبب لامحالة .

وجماع الأمر : أن الشرك نوعان : شرك في ربوبيته بأن يجعل معه لغيره تدبير ما ، كما قال تعالى : (قُل ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دُونِ اللهِ لا يَملكُونَ مِثْقَال ذَرَّةٍ في السَّموات ولا في الأَرضِ ومَا لَهم فيهِما مِن شِركٍ ومَا لَه مِنهُم مَن ظَهيرٍ)[5] فبين أنهم لايملكون مثقال ذرة استقلالا ، ولايشركونه في شيء من ذلك ، ولايعينونه على ملكه ، ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت علاقته .

وشرك في الألوهية ، بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، كما قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعبُدُ وإِيَّاكَ نستَعينُ) فكما أن اثبات المخلوقات أسبابا لايقدح في توحيد

---

(١) الاسراء : ٦٧ ـ (٢) النمل : ٦٢ ـ (٣) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧ ـ (٤) الزمر : ٤٣ ، ٤٤ ـ (٥) سبا : ٢٢

الربوبية ، ولا يمنع أن الله خالق كل شيء ، ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة ، كذلك اثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لايقدح في توحيد الالهية ، ولايمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ، وهو يوجب أن لاتستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك اذا كان الله يسخط من ذلك ويعاقب العبد عليه ، وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته ، اذ قد جعل الخير كله في أنا لانعبد الا اياه ، ولا نستعين الا اياه ، وعامة آيات القرآن لتثبيت هذا الأصل ، حتى انه تعالى قطع أثر الشفاعة بدون اذنه ، كقوله تعالى :

(منْ ذَا الَّذي يشْفَعُ عندَهُ إلا بإذنِه)(١) وكقوله : (وأَنذر بهِ الَّذينَ يَخافُونَ أَن يُحشَرُوا الى ربِّهم ليسَ لَهم مِن دُونهِ وليّ ولا شَفيعٌ)(٢) وقوله : (وذَكِّر بهِ أَن تُبسَلَ نفسٌ بِما كَسبتْ ليسَ لَها منْ دون اللهِ وليٌّ ولا شَفيعٌ)(٣) وقوله :(قُل أَندعُوا من دُونِ اللهِ مالا ينفَعُنا ولا يضُرُّنا)(٤) الآية . وقولهُ : (ولقدْ جئْتُمونا فُرادى كما خَلقناكُم أَوّلَ مرة وتَرَكْتُم مَا خَوَّلناكُم وراءَ ظُهورِكُم وما نرى معكُم شفَعاءَكُم الَّذينَ زعمتُم أَنَّهم فيكُم شُركاءُ لقد تقَطَّع بينكُم وضلَّ عنكُم ما كُنتُم تزعُمونَ)(٥) وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الايمان ، وكذلك قوله : (ثُمَّ استَوى عَلى العَرشِ ما لكُم من دُونهِ من وليٍّ ولا شَفِيع)(٦) وقوله تعالى : (والَّذينَ اتَّخذُوا من دونهِ اولياءَ ما نعبدُهُم إلا ليقرِّبُونَا إلى اللهِ زُلفى)(٧) وقوله : (أَم اتَّخذُوا مِن دونِ اللهِ شُفعاءَ قُل أَولَو كانوا لايَملكُونَ شَيئاً ولا يَعقلُونَ. قُل للهِ الشَّفاعَةُ جَميعاً)(٨) وسورة الزمر أصل عظيم في هذا ، ومن هذا قوله تعالى : (ومن النَّاس مَن يعبُد اللهَ على حرفٍ فإن اصَابهُ خَيرٌ اطْمأَنَّ بهِ وإنْ أَصابتْهُ فتنَةٌ انْقَلبَ على وجهِهِ خسرَ الدُّنيا والآخِرةَ ذَلكَ هُو الخسرانُ

(١) البقرة : ٢٥٥ – (٢) الانعام : ٥١ (٣) الانعام : ٧٠ – (٤) الانعام : ٧١ – (٥) الانعام : ٩٤
(٦) السجدة : ٤ – (٧) الزمر : ٣ – (٨) الزمر : ٤٣ ، ٤٤

المبينُ . يدعُو من دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُ ومَالاينفَعهُ ذَلكَ هُوالضَّلالُ البعيدِ. يَدعُو لمنْ ضَرُّهُ أَقرَبُ مِن نفعهِ لبئسَ المولى ولبئسَ العشِيرُ) [1]

وكذلك قوله : (مَثَلَ الَّذين اتَّخذوا من دُونِ اللهِ أَولياءَ كَمثَلِ العنكَبُوتِ اتَّخذَتْ بيتاً وإنَّ أوهَنَ البيُوتِ لَبيتُ العَنكَبُوتِ) [2] والقرآن عامته انما هو في تقرير هذا الاصل العظيم الذي هو أصل الأصول ،انتهى ماهو المقصود .

وقال أيضا في أثناء جوابه المفصل بعد أن تكلم بكلام يتعلق بحكم الدعاء عند القبر مانصه : ولم يذكر عن أحد من الأئمة أنه استحب أن يسأل النبي صلىالله عليه وسلم بعد الموت ، لا استغفارا ولا غيره ، وكلامه المنصوص عنه أي الامام مالكوعن غيره ينافي هذا ، وانما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن أعرابي أنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية ، وهي قوله تعالى : (ولوأَنَّهم إذْ ظَلمُوا انفُسهم جَاؤُكَ فاسْتَغفَروا اللَّهَ واسْتَغفَرَ لَهم الرَّسُولُ لَوجَدوا اللَّهَ تواباً رَحِياً) [3] وأنشد بيتين :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك ، واحتجوا بهذه الحكاية التي لايثبت بها حكم شرعي ، لاسيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم ، بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعرابي وأمثاله لها أسباب قد بسطت في غير هذا الموضع ، وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعا مأمورا به ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل في حياته المسألة فيعطيها لايرد سائلا ، وتكون المسألة محرمة في حق السائل ، حتى قال : (اني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا ، قالوا : يارسول الله فلم تعطيهم ؟ قال : يأبون الا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل) وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما أنه منهى عنه فيثاب على قصده ويعفى عنه لعدم علمه ، وهذا باب واسع وعامة العبادات المبتدعة المنهى عنها قد يفعلها بعض الناس ، ويحصل له بها نوع من

---

(١) الحج : ١١ ـ ١٣ ـ (٢) العنكبوت : ٤١ ـ (٣) النساء : ٦٤

الفائدة ، وذلك لايدل على أنها مشروعة ، بل لو لم تكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهى عنها ، انتهى ماقصدنا نقله .

(والحاصل) أن ماذكره النبهاني في هذا الباب من استغاثة بعض الناس بالموتى وان مقاصد المستغيثين حصلت وأورد حكايات كثيرة شاهدة له بذلك كلام ساقط ، فان تلك الحكايات لو سلمت من الكذب والافتراء فلا تدل على المقصود من جواز الاستعانة والاستغاثة بغير الله تعالى ، فان الاستغاثة كما ذكرنا سابقا دعاء والدعاء مخ العبادة ، وهي لاتصلح الا لله ، ومن عبد غيره فقد أشرك .

ثم ان أصحاب تلك الحكايات ليسوا ممن يحتج بقولهم ، فهم ليسوا بأنبياء ولا صحابة ولا من الأئمة المجتهدين المشهورين ، والدين لايثبت بفعل أمثال من ذكرهم من العوام والجهلة وبعض المتصوفة الغلاة ، وقدذكرنا سابقا أن الدليل ينبغي أن يكون من الكتاب والسنة واجماع المجتهدين والفقهاء .

وأما أن المستغيثين قد نالوا مقصدهم ممن استغاثوا به من الأموات ــ كالأنبياء والأصفياء والاولياء ــ فمثل ذلك لايدل أيضا على مشروعية الاستغاثة كما ذكره الشيخ ، فان الأسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الأرض والسماء لايحصيها على الحقيقة الا هو ، أما أعيانها فبلا ريب ، وكذلك أنواعها أيضالايضبطها المخلوق لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى ، ولهذا كانت طريقة الأنبياء عليهم السلام أنهم يأمرون الخلق بمافيه صلاحهم ،وينهون عما فيه فسادهم ، ولايشغلونهم في الكلام بأسباب الكائنات كما يفعل المتفلسفة ، فان ذلك كثير التعب قليل الفائدة أو موجب للضرر .

ومثال النبي مثال طبيب دخل على مريض فرأى مرضه فعلمه ، فقال له اشرب كذا واجتنب كذافعل ذلكفحصل غرضه من الشفاء ، والمتفلسف قديطول معه الكلام في سبب ذلك المرض وصفته وذمه وذم ماأوجبه ، ولو قال له المريض فما الذي يشفيني منه لم يكن له بذلك علم تام ، والكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه ، بحيث يختطف عقله فيتألهه اذا لم يرزق من العلم والايمان مايوجب له الهدى واليقين ، ويكفي العاقل أن يعلم أن ماسوى المشروع لايؤثر بحال فلا منفعة فيه ، أو أنه وان أثر فضرره أكثر من نفعه .

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة أن الرجل منهم قد يكون مضطرا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب ، لصدق توجهه

الى الله تعالى ، وان كان تحرى الدعاء عند الوثن شركا ، ولو كان قد استجيب له على يد المتوسل به صاحب القبر أو غيره لاستغاثته فانه يعاقب على ذلك ويهوى به في النار اذا لم يعف الله عنه ، كما لو طلب من الله عز وجل مايكون فتنة له ، كما أن ثعلبة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة المال ونهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له كان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة ، فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء ، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة ، تارة بأن يسأله مالا يصلح له مسألته كما فعل بلعام بن باعورا وثعلبة وخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم وكان فيها هلاكهم ، وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لايحبه الله كما قال سبحانه وتعالى : (ادْعُوا رَبَّكُم تضرعاً وخُفيةً إنهُ لا يُحبُّ المعتدِينَ) [1] فهو سبحانه وتعالى لايحب المعتدين في صفة الدعاءولا في السؤال ، ولكن حاجتهم قد تقضى ، كأقوام ناجوا الله تعالى في دعواتهم بمناجاة بها جراءة على الله واعتداء لحدوده ، وأعطوا طلبتهم فتنة ، ولما يشاء الله سبحانه وتعالى بل أشد من ذلك ، ألست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذاكمن المؤثرات في العالم باذن الله قد يقضى بها كثير من أغراض النفوس ، ومع هذا فقد قال سبحانه وتعالى : (ولَقدعَلموا لمن اشْتَراهُ مَالهُ في الآخِرة من خلاقٍ ولبئسَ ما شَروا بهِ انفُسُهم لو كانوا يعلمونَ ولو أَنَّهم آمَنُوا واتَّقوا لمثُوبةٌ من عندِ اللهِ خيرٌ لو كانوا يعلَمونَ) [2] فانهم معترفون بانه لاينفع في الآخرة ، وأن صاحبه خاسر في الآخرة ، وانما يتشبثون بمنفعته في الدنيا لاغير ، وقد قال تبارك وتعالى : (ويتعلَّمونَ ما يضُرُّهُم ولا ينفَعهم) .

وكذلك أنواع من الداعين السائلين قد يدعون دعاء محرما يحصل معه ذلك الغرض ويورثهم ضررا أعظم منه ، وقد يكون الدعاء مكروها ويستجاب له أيضا .

ثم هذ التحريم والكراهة قد يعلمه الداعي وقد لايعلمه على وجه يعذر فيه ، بأن يكون فيه مجتهدا أو مقلدا ، كالمجتهد والمقلد اللذين يعذران في سائر الأعمال

(1) الاعراف : ٥٥ ـ (2) البقرة : ١٠٣

المعذور فيها ، وغيره قد يتجاوز عنه في ذلك الدعاء لكثرة حسناته وصدق قصده ، أو لمحض رحمة الله عز وجل به أو نحو ذلك من الأسباب ، لكن الذي يستغيث بغير الله تعالى ويدعوه فهو مشرك ، وان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وان كان جاهلا بهذا الحكم فيرجى له من الله العفو .

(وما نقله النبهاني عن شيخه الرفاعي) فان صح نقله وان أحمد الرفاعي قال من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي فان حاجته تقضى ـ فليس فيه دليل ، لأن الرفاعي لم يكن نبيا ولا رسولا يوحى اليه ، بل كان فردا من أفراد الأمة وواحدا منهم ، وكان من ضعفاء المقلدين للامام الشافعي رحمه الله ، ولو قال صاحب مذهبه قولا ليس عليه دليل لرد عليه فكيف بهذا المسكين ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وهذا الكلام الذي أسنده النبهاني لأحمد الرفاعي : ان كان قاله جهلا فالمرجو من الله أن يغفر له خطيئته ويعفو عن زلله ، وان كان قاله بعد قيام الحجة عليه وظهور البرهان على فساده وبطلانه فقد ذكرنا حكمه فيما سبق ، وحسن الظن بأحمد الرفاعي أن ينزه عن قول الهذيان ، ومثل هذا البهتان ، كيف يدعي الربوبية وقد كان رضي الله عنه أعور العين وكل أحد يعلم أن الله ليس بأعور ، وكل هذه الدعاوي الباطلة من النبهاني الشيطاني تقربا الى شيخه دجال العصر ، فانه أحد مردته ، على أنه ان صح نسبة كتاب البرهان المؤيد للرفاعي فهو يبطل مانسبه اليه النبهاني ، فان فيه ماهو خلاف هذا وهو حصر أنواع العبادة كلها لله ، ولكن الذي نسب هذا الكتاب اليه دجال العصر شيخ الضلال منبع الكذب والافتراء ، وكم له من مثل هذه المكايد والدسائس ، وماأحسن ما قال الموصلي في مثله :

وفظ غليظ القلب أيقنت أنه ... على النفس ماشيء أشد من الفض
تعرفني في حاله الناس كلها ... واني لأدرى الناس في لؤمة المحض
وقالوا لقد دس الخبيث بلفظه ... غداة عرضت الشعر من عرض العرض
دسائس لاتدري اليهود بعشرها ... دعته طباع السوء للنهش والعض
يهون لدغ العقربان بلدغه ... ولا شك بعض الشر أهون من بعض
اذا مارأته العين أيقنت أنه ... تخلق من حقد وصور من بغض

وكم قد انتحل له كتابا وافترى له دعاوى باطلة ، وتسمية ذلك بالبرهان المؤيد لصاحب مداليد أوضح دليل على الانتحال ، فان أحمد الرفاعي لم يدع مداليد تلك

الدعوى الكاذبة حتى يجعلها جزءا من علم كتابه ، ودجال العصر نسب اليه والى أصحابه كثيرا من الكتب المشحونة بالكذب وقول الزور ، ولم نر أحدا ممن ترجمه ذكر أن له كتابا سماه البرهان المؤيد لصاحب مداليد ، ولا ذكروا له غيره من الكتب التي انتحلها له ذلك الزائغ ، وما أحسن ما قال القائل :

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق مايقول فحيلتي فيه قليله

وهذا الخبيث له من المكائد والحيل مايعجز الشيطان عن مثلها ؛ كما فصل بعض ذلك في كتاب المسامير الذي ألف في بيان فضائحه ومساويه وخبائثه ، وقد سرى شره الى جميع مردته والمنتسبين اليه ، ومنهم النبهاني الزائغ :

لقد جربتهم فرأيت منهم خبائث بالمهيمن نستجير

وهذا اللعين يدعى النسبة لابن الصياد ولعله اليهودي الشهير وأفعاله تصدقه في ذلك .

ان فاتكم أصل امريء ففعاله تنبيكم عن أصله المتناهي

وهو اليوم أعظم بلاء على المسلمين ، قد أضر الدولة والملة ، وبواسطته توسد الأمور غير أهلها ،وأضر بيت مال المسلمين .

ولو كان هذا موضع القول لأشتفي به القلب لكن للمقال مواضع

ادعى الشرف وهو ليس بشريف ، وادعى أنه شيخ الطريقة وذكره تصفيق ورقص وضرب دف واباحة المحرمات والمنكرات ، وما أحسن مايقول الموصلي :

ألا بلغ جناب الشيخ عني رسالة متقن بالأمر خبرا
وسل منه غداة يهز رأسا بحلقة ذكره ويدير دبرا
أقال الله صفق لي وغن وقل كفرا وسم الكفر ذكرا
وأي ولاية حصلت بجهل ومن ذا نال بالكفران أجرا
فان قلت اجتهدت بكل علم فأعرب لي اذا لاقيت عمرا
وما يكفيك هذا الفعل حتى كذبت على النبي وجئت نكرا
متى كانت هيازع من قريش فعددها لنا بطنا وظهرا
فلو تكن السيادة باخضرار لكان السلق أشرف منك قدرا
وأنت شققت للباري شريكا فيملك دونه نفعا وضرا
فويلك قد كفرت ولست تدري ولم تبرح على هذا مصرا

وويحك ما العبادة ضرب دف ... ولا في طول هذا الذقن فخرا
برؤيتك الأنام تظن خيرا ... ولو عقلت لظنت فيك شرا

(والمقصود) أن ماذكره النبهاني الشيخ الشيطاني مما يتعلق بباب الاستغاثة كله لا دليل له فيه ، بل الدليل قام على خلاف قوله ، وأن أقوال الرفاعي وأمثاله لاتصلح للاستدلال ، فان هؤلاء ليسوا ممن يقتدى بأقوالهم وأفعالهم ، وأن أتباعهم كذبوا لهم وعليهم كذبا كثيرا لم يبق معه الوثوق بما ينقل عنهم فضلا عن أن يجعل برهانا لمثل هذه المطالب العالية .

وخير أمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع

(قال النبهاني) الباب السابع في جملة من الأدعية الواردة عن بعض أكابر الأولياء في أحزابهم وكتبهم قد استغاثوا فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى لقضاء حاجاتهم ، ومنها ماهو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الباب هو حزب عظيم ، وذكر كلاما طويلا وأقوالا كثيرة ، منها صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ولا كلام لنا فيها وليست من مجال النزاع ، ومنها توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وطلب من الله والكلام ليس فيه أيضا ، ومنها ماهو استغاثة بمخلوق وطلب منه ودعاء من غير الله وهو المقصود بالبحث ، نقله عن مثل الشيخ ناصر الدين ابن سويدان ، وأبي الحسن البكري ، والشعراني . وأضرابهم ممن لايحتج بمثله .

(فالجواب عن ذلك كله) انا لم ندع أن جميع العالم موحدون ، وهيهات ذلك ، قال تعالى : (وإن تُطعْ أَكْثَرَ من في الأَرضِ يُضلوكَ عَن سَبيلِ اللهِ)(١) وقال : (وما يُؤمِنُ أَكثَرُهم باللهِ إلَّا وهُم مُشْرِكُونَ) (٢)

وماذكره النبهاني انما يصلح في الرد على من يدعي أن الناس كلهم موحدون ، وليس فيهم من يلتجيء الى غير الله أو يستغيث بمن سواه ، وحينئذ فكلامه الذي أورده يصلح جوابا عن تلك الدعوى ، ثم ان المانعين من الاستغاثة بغير الله ونحوها لهم تفصيل يجب معرفته والوقوف عليه ، ليكون الواقف على بصيرة من أمره ، حتى لايخبط في كلامه خبط عشواء كما خبط النبهاني ، وقد ورد لشيخ الاسلام تقي الدين سؤال في هذا الباب ، فأجاب بأحسن جواب ، وهذا نص السؤال وجوابه :

---

(١) الانعام : ١١٦ – (٢) يوسف : ١٠٦

سئل شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه : ماتقول السادةالعلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لايستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول ؟ وهل هو كفر أم لا ؟ وان استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا ؟ واذا قام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك ؟ أفتونا مأجورين •

الجواب : الحمد لله ، قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة أن نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم الى ربهم ، وأنه يشفع لهم •

ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر وأنه لايخلد في النار من أهل التوحيد أحد •

وأما الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر ، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال ، وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل ، وأما من أنكر ماثبت بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة ، وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أو لم يسمه ، وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس (أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، وقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون) ، وفي سنن أبي داود وغيره (أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : جهدت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلك المال ، فادع الله لنا ، فانا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، وقال : ويحك ان الله لايستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك) وذكر تمام الحديث ، فأنكر قوله نستشفع بالله عليك ، ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره عليه ، فعلم جوازه ، فمن أنكر هذا فهو ضال مخطيء مبتدع ، وفي تكفيره نزاع وتفصيل •

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال لايدعى الا الله وأن الأمور التي لايقدر عليها الا الله لاتطلب الا منه ـ مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك ـ فهذا مصيب في ذلك ، بل هذا مما لانزاع فيه بين المسلمين أيضا ، كما قال تعالى :

(ومَن يَغفِرُ الذُّنوبَ إلّا اللهُ)[1] وقال: (إنَّكَ لا تَهدِي من أحببتَ ولكنَّ اللهَ يَهدي مَن يشاءُ)[2] وكما قال تعالى: (يا أيُّها النَّاسُ اذكُروا نِعمَةَ اللهِ عَليكُم هَل مِن خالقٍ غيرُ اللهِ يرزُقكُم من السَّماءِ والأَرضِ)[3] وكما قال تعالى: (وما جَعَله اللهُ إلّا بشرَى لَكُم ولتَطْمئنَّ قُلوبكُم به وما النَّصرُ إلّا مِن عِندِ الله)[4] وقال: (إلَّا تنصُروهُ فقَد نصَرهُ اللهُ إذْ أخرَجهُ الَّذينَ كَفروا ثَاني اثْنينِ إذ هُما في الغَارِ إذْ يقُولُ لصَاحِبه لا تَحزَنْ إنَّ اللهَ مَعنَا).[5]

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها ، والمعاني المنفية بالكتاب والسنة يجب نفيها ، والعبارة الدالة على المعاني نفيا واثباتا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها ، وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجع فيه اليه ، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح ، لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله ، فهذا يرد عليه فهمه ، كما روى الطبراني في معجمه الكبير (انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال أبو بكر الصديق : قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انه لايستغاث بي وانما يستغاث بالله) فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني ، وهو أن يطلب منه مالا يقدر عليه الا الله ، والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به ، كما في صحيح البخاري عن ابن عمر ، قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو قول أبي طالب ، ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف ان يعلم أن لاغياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله ، وأن كل غوث فمن عنده ، وان كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ، ولغيره مجاز ، قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث ، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي

(١) آل عمران : ١٣٥ ـ (٢) القصص : ٥٦ ـ (٣) فاطر : ٣ ـ (٤) آل عمران : ١٢٦ ـ (٥) التوبة : ٤٠

هريرة ، قالوا واجتمعت الأمة على ذلك .

وقال أبو عبد الله الحليمي : الغياث هو المغيث ، وأكثر مايقال غياث المستغيثين ومعناه : المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم .

وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين (أللهم أغثنا أللهم أغثنا) يقال أغاثه اغاثة وغياثا وغوثا ، وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب ، قال تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)[1] الا أن الاغاثة أحق بالأفعال ، والاستجابة أحق بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر .

قالوا : الفرق بين المستغيث والداعي أن المستغيث ينادي بالغوث ، والداعي ينادي بالمدعو والمغيث ، وهذا فيه نظر ، فان من صيغة الاستغاثة يالله للمسلمين ، وقد روى عن معروف الكرخي أنه كان يكثر أن يقول واغوثاه ، ويقول : اني سمعت الله يقول : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) وفي الدعاء المأثور : ياحي ياقيوم ، لا اله الا أنت ، برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، و لاتكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا الى أحد من خلقك ، والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة ، كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة ، وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي الحديث : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق) وفيه (أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك لاأحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك) ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله: (أعوذ بكلمات الله التامات) قالوا والاستعاذة لاتصلح بالمخلوق .

وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وفي لفظ (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي وصححه ، ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من الحلف بغير الله الذي نهي عنه ، والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر مايكفر به ، واما مخطيء ضال ، وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضا مما يجب نفيه ، ومن أثبت لغير الله

---

(١) الانفال : ٩

مالا يكون الا لله فهو أيضا كافر ، اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ، ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق ، وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية · استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون •

وفي دعاءموسى عليه السلام : اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بك ، ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصا بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ، ولهذا لايعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله •

وكذلك الاستعانة أيضا فيها مالا يصلح الا لله ، وهي المشار اليها بقوله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ) فانه لايعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله ، وقديستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وكذلك الاستنصار ، قال الله تعالى : (وإِنْ استَنصرُوكُم في الدِّينِ فعليكُم النَّصرُ)[1] والنصر المطلق هو خلق مابه يغلب العدو، ولا يقدر عليه الا الله ، ومن خالف ماثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافرا واما فاسقا واما عاصيا، الا أن يكون مؤمنا مجتهدا مخطئا فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه ، وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة ، فان الله تعالى يقول : (ومَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نبعَثَ رَسُولاً)[2] وأما اذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل واما بدونه ، والله أعلم •

(سؤال آخر وجواب الشيخ أيضا عنه متعلق بهذا الباب)

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه عمن قال يجوز الاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل مايستغاث الله فيه على معنى أنه وسيلة من وسائل الله في طلب الغوث ، وكذلك يستغاث بسائر الأنبياء والصالحين في كل مايستغاث بالله فيه ، وأن من نفى الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم يكفر ، لأنه نقص من قدره وما يستحقه ، الى آخر ماقال •

---

(١) الانفال : ٧٢ - (٢) الاسراء : ١٥

فأجاب شيخ الاسلام رحمه الله بقوله : الحمد لله رب العالمين ، لم يقل أحد من المسلمين انه يستغاث بشيء من المخلوقات في كل مايستغاث فيه بالله تعالى لابنبي ولا بملك ولا صالح ولا غير ذلك ، بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لايجوز اطلاقه ، ولم يقل أحد ان التوسل بشيء هو الاستغاثة به ، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور ، كقول أحدهم تتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمته ، أو أتوسل اليك باللوح والقلم أو بالكعبة أو غير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم يعلمون أنهم لايستغيثون بهذه الأمور ، فان المستغيث بالشيء طالب منه سائل له ، والمتوسل به لايدعى ولا يطلب منه ولا يسأل ، وانما يطلب به ، وكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو ،والاستغاثة طلب الغوث وهوازالة الشدة ، والاستنصار طلب النصرة ، والاستعانة طلب العون ، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور مايقدر عليه ، كما قال تعالى : (وإِن استَنصَرُوكُم في الدِّينِ فعَلَيْكُم النَّصْرُ)[1] وقال : (فاسْتَغَاثَهُ الَّذي من شِيعته علىٰ الَّذِي من عَدُوِّهِ)[2] وكما قال تعالى : (وتَعَاونوا عَلى البرِّ والتّقوى).[3] وأما مالايقدر عليه الا الله فلا يطلب الا من الله .

ولهذا كان المسلمون يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبستسقون به ويتوسلون به ، كما في صحيح البخاري (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس ، وقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا تتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا ، فيسقون) ، وفي سنن أبي داود (أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله ، فقال : شأن الله أعظم من ذلك ، انه لايستشفع به على أحد من خلقه) فأقره على قوله ونستشفع بك على الله ، وأنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ، وقد اتفق المسلمون على أن نبينا صلى الله عليه وسلم شفيع يوم القيامة ، وان الخلق يطلبون منه الشفاعة ، لكن عند أهل السنة أنه يشفع في أهل الكبائر ، وعند الوعيدية انما يشفع في زيادة الثواب .

وقول القائل : أن من قال أتوسل اليك برسولك فقد استغاث برسوله حقيقة في لغة العرب وجميع الأمم قد كذب عليهم ، فما يعرف هذا في لغة أحد من بني آدم ، بل الجميع يعلمون أن المستغاث به مسؤل مدعو ، ويفرقون بين المسؤل والمسؤل به ، سواء استغيث بالخالق أو بالمخلوق ، فانه يجوز أن يستغاث

---

(١) الانفال : ٧٢ ـ (٢) القصص : ١٥ ـ (٣) المائدة : ٢

بالمخلوق فيما يقدر على التصرف به ، والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل مخلوق يستغاث به في مثل ذلك ، ولو قال قائل لمن يستغيث به أسألك بفلان أو بحق فلان لم يقل أحد أنه استغاث بمن توسل به ، بل انما استغاث بمن دعاه وسأله .

ولهذا قال المصنفون في شرح أسماء الله الحسنى : ان المغيث بمعنى المجيب ، لكن الاغاثة أخص بالأفعال ، والاجابة أخص بالأقوال ، والتوسل الى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم سواء سمي استغاثة أو لم يسم لايعلم أحد من السلف فعله ، ولا يروي فيه أثر ، ولا يعلم فيه الا ماأفتى به الشيخ عز الدين من المنع .

وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن رواه النسائي والترمذي وغيرهما (أن اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اني أصبت في بصري فادع الله لي ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين وقل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي لفظ : أتوسل اليك بنبيك ، يامحمد اني أتشفع اليك في رد بصري اللهم شفعه فيّ) فعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع له فسأل الله أن يشفعه فيه ، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ان كان لك حاجة فمثل ذلك ، فرد الله بصره ، فلأجل هذا الحديث استثنى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام التوسل به .

وللناس في معنى ذلك قولان (أحدهما) أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما قال كنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فأسقنا فيسقون ، فقد ذكر أنهم كانوا يتوسلون به في حياته في الاستسقاء، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته ، وتوسلهم به هو استسقاؤهم به بحيث يدعو ويدعون معه ويكون وسيلتهم الى الله ، وهذا لم يفعله الصحابة به بعد موته ولا في مغيبه ، والنبي كان في مثل ذلك شافعا داعيا .

(القول الثاني) أن التوسل به يكون في حياته وبعد موته ومغيبه وحضرته ، ولم يقل أحد ان من قال بالقول الأول فقد كفر ، ولا وجه لتكفيره ، فان هذه مسألة خفية وليست أدلتها جلية ، والكفر انما يكون بانكار ماعلم من الدين بالضرورة ، أو بانكار الأحكام المجمع عليها ، واختلاف الناس فيما يشرع من الدعاء ومالا يشرع كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح ، وليس ذلك من مسائل السبب .

وأما من قال ان من نفى التوسل الذي سماه استغاثة بغيره كفر وتكفير من قال

بقول الشيخ عز الدين وأمثاله ــ فاظهر من أن يحتاج الى جواب ، بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحق من غليظ العقوبة والتعزير مايستحقه أمثاله من المفترين على الدين ، لاسيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما) وأما من قال مالا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به فقد قال الحق ، بل لو قال كما قال أبو يزيد استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق ، وكما قال الشيخ أبو عبد الله القرشي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون ــ لكان قد أحسن ، فان مطلق هذا الكلام يفهم الاستغاثة المطلقة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس : (اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله) •

واذا نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه أمرا كان هو الصادق المصدوق في ذلك كما هو الصادق المصدوق في كل مايخبر به من نفي واثبات ، ومن رد خبره تعظيما له أشبه النصارى الذين كذبوا المسيح باخباره عن نفسه بالعبودية تعظيما له ، ويجوز لنا أن ننفي مانفاه ، وليس لأحد أن يقابل نفيه بنقيض ذلك البتة ، والله أعلم •

(ففي كلام الشيخ مايرد على النبهاني) من وجوه كثيرة ، فان النبهاني لم يفرق في شبهه التي أوردها بين التوسل والاستغاثة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث جعل كلا من التوسل والصلاة التي ذكرها العلماء في أحزابهم استغاثة ، وقال ان العلماء استغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق أيضا بين قسمي الاستغاثة اللذين ذكرهما الشيخ •

والحاصل : أن في كلام الشيخ مايرد على القبوريين من وجوه :

(الوجه الأول) أن قول الشيخ : وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن يريد بالتوسل ماذكره هو في كلامه ، لايريد التوسل في عرف النبهاني وعباد القبور ، وهو دعاء المخلوق والاستغاثة به ، وانما يريد به سؤال الله تعالى أن يشفع عبده فيه باجابة دعائه لهذا السائل ، وأرشده في هذا التوسل الى الله بالصلاة التي هي أفضل العبادات البدنية ، وأن يوحده بالدعاء والمسألة في أن يقبل شفاعة نبيه أي دعاءه له ، وهذا ليس الكلام فيه ، وليس من توسل عبادالقبور ، وتقدم قول الشيخ أن هذا لايسمى استغاثة ، وفرق بين التوسل والاستغاثة •

(الوجه الثاني) أن الذي رجح الشيخ ومن وافقه من المحققين أن هذا خاص في حياته ، لأن المقصود به شفاعته بالدعاء ، كما كان يستغفر لأصحابه ويدعو لهم ،

وهذا هو الذي فهمه الفاروق ، وناهيك به ، فانه قال : كنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا ، وهو صلى الله عليه وسلم كان يدعو لهم فتجاب دعوته ، وبعد موته لا يشرع طلب الدعاء منه ، لأن عمر عدل الى العباس ولم ينكره منكر ، ولم يذهب الى القبر الشريف أحد من أفاضل الأمة وأكابرها ، مع أن قبره صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وهذا اتفاق على تصويب عمر ومتابعته ، وهذا من باب التنزل ، والا فعدم مشروعية هذا في سائر الكتب السماوية معلومة من الدين بالضرورة •

(الوجه الثالث) أن الحديث ان صح فهو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم عند من قال بالجواز كابن عبد السلام ، فسؤال الله بغيره لم يقل به أحد ممن حكى الشيخ قولهم بالجواز ، قال الشيخ : ولا يعلم أحد من السلف فعله ، ولا روي فيه أثر ، ولا يعلم فيه الا ماأفتى به الشيخ عز الدين من المنع ، وعباد القبور يسألون الله بجاه من اعتقدوا فيه ، بل آل الأمر الى أن يسأل الله تعالى بجاه كل من رفع قبره وجعلت عليه قبة ، بل وبالبله والمجانين الذين يعتقدهم عباد القبور •

(مايعارض به ماأورده النبهاني مما فيه استغاثة والتجاء بغير الله تعالى)

(اعلم) أن ماذكره النبهاني من الأحزاب ليس في جميعها مايدل على مازعمه ، فقد ذكرنا أن بعضها مشتمل على توسل والتوسل غير الاستغاثة على ماحققه الشيخ ، ومنها مافيه صلوات وهي أيضا من هذا القبيل ، والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لها فوائد عظيمة ذكرها الحافظ ابن القيم في كتابه (جلاء الافهام في الصلاة على خير الأنام) ومنها مافيه مقصده ولكن لايحتج بقول أصحابها ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا المعصوم ، وقد فصلنا الكلام في ذلك بعض التفصيل بحمد الله •

ونحن نورد في هذا المقام مانعارض به كلام هؤلاء الذي أورده النبهاني بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام المتبعين له : —

(أما القرآن الكريم) وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأعظم مقاصده افراد الاله سبحانه وتوحيده بخصائصه ، فلا تجد سورة من السور الا وهي منادية على وجوب توحيده وافراده بالعبادة ، وترى الأدعية والاذكار التي اشتمل عليها القرآن كلها خالصة لله كقوله : (رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نسِينا أو أخطأْنا رَبَّنَا ولَا تحملْ عَلَيْنا إصراً كَما حَمَلته عَلى الّذينَ من قَبلِنا ، رَبَّنا

ولا تُحمِّلنا مالا طَاقَة لنا بهِ واعْفُ عنا واغْفِر لنا وارْحَمنَا أنتَ مَولانـــا فانصُرنا على القومِ الكَافرينَ)[1] وكقوله : (رَبّنا إنّنا سَمعنا مُنادياً يُنادي للايمانِ أن آمنُوا بِرَبكُم فآمنّا رَبّنا فَاغْفر لنَا ذُنوبنَا وكَفِّر عَنَّا سَيئاتِنَا وتوفَّنا معَ الأَبرارِ . رَبنا وآتِنا ما وعَدتنا على رُسِلكَ ولا تُخزنا يومَ القيَامَةِ إنَّكَ لا تُخلفُ الميعَاد).[2]

وهكذا أدعية نوح ، وابراهيم ، واسمعيل ، واسحق ، ويعقوب ، والاسباط ، وموسى وعيسى ، وغيرهم من الأنبياء والرسل كلهم ، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم ، وليس فيها التجاء الى غيره ، لا ملـك مقرب ولا نبي مرسل ، بل كلهـم أخلصوا الدعاء له ، وخصوه بالالتجاء والاستغاثة والاستعانة دون من سواه ، فلو استوعبنا ذكر ذلك كله طال الكلام وضاق عنه المقام •

ونحن نذكر بعض السور والآيات الناطقة بوجوب الالتجـاء الى الله وعـدم الميل الى ماسواه مع بيان ماقاله المفسرون وأهل العلم في تفاسيرهم ، والقرآن كله يدل على وجوب عبادة الله والبراءة من عبادة ماسواه ، واسـلام الوجـوه له على اختلاف أنواع الدلالات مطابقة وتضمنا والتزاما وقياسا صحيحا •

ومن أمثلة ذلك ماقاله أهل العلم في معنى البسملة وتفسيرها ، قالوا في الباء من (بسم الله) ان معناها الاستعانة ، ورجحوا هذا القول لوجوه مقررة في محلهـا ، وقالوا قد جاءت السنة بأن كل أمر ذي بال لايبدأ فيه (ببسم الله الرحمن الرحيم) فهو أبتر أو أجذم أو أقطع ، وذكروا فيه روايات ، والمعنى أنه لايكمل أمر ولايحصل تمامه الا بذكر الله ، ولا يكون أصله ولا يوجد منه شيء الا بمعونته •

قالوا : وقد قالت طائفة من أهل العلم ان البسملة من الفاتحة ، وقالت طائفة أخرى هي آية من القرآن فاصلة بين السور •

وعلى القول الأول : فالاتيان بها من العبادات الواجبـة ، والاستعـانة هي مضمونها ، فتكون واجبة به تعالى •

وعلى القول الآخر : يكـون الاتيان بها مستحبا والاستعـانة بالله واجبة لابخصوص هذا اللفظ .

---

(١) البقرة : ٢٨٦ ـ (٢) آل عمران : ١٩٣ ، ١٩٤

ثم قالوا : ان المتعلق يتعين أن يقدر مؤخرا لافادة الحصر والاختصاص ، وهذا يدل على القول بوجوب الاستعانة ، لأن مااختص به تعالى واستحقه دون ماسواه لايصرف لغيره ، والقاعدة العربية تفيد أن تقديم المتأخر وتأخير المتقدم يقتضي الحصر ، فهذان موضعان يدلان على وجوب الاستعانة به وحده في أول حرف من كتاب الله مع متعلقه .

(الموضع الثالث) من الأبحاث في الباء وتأخير متعلقها قولهم أن الحصر هنا حصر افراد وقصره لاقصر قلب ، ورجحه أساطينهم بأن المشركين انما اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال ، فالحصر باعتبار معتقدهم حصر افراد ، قالوا وأكثر الكفار اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال ، فمعنى التسمية عند الموحد افراده بالاستعانة عما عبد معه من الآلهة ، وعلى القول بأن الاختصاص والحصر للقلب انما يتجه باعتبار معتقد من يدعي الاستقلال لمعبوده كمعطلة الصانع .

(البحث الرابع) في اسم الله قولهم انه من أله الهة وألوهية ، فهو اله فعال بمعنى مفعول بمعنى عبد يعبد عبادة ، والمستعين بغير الله متأله عابد ، لاسيما فيما لايقدر عليه الا الله ، ، واذا ثبت أن الاستعانة تأله وأن التأله عبادة فالبرهان قائم على أن العبادة لايستحقها غير الله تعالى .

(الخامس) قول ابن عباس وتفسيره للاسم الشريف الأقدس بأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، وقد أخذه المفسرون وقرروه واستحسنوه ، فاذا كان تعالى هو صاحب ذلك ومستحقه فصرفه الى غيره شرك ، وصرف للحق في غير موضعه وهذا يدخل فيه جميع العبادات التي يصدق عليها التأله والألوهية والعبادةوالعبودية لاسيما الدعاء فانه من أجل أنواعه .

قال الامام البخاري في (كتاب الايمان) من صحيحه : باب دعاؤكم ايمانكم ، وساق حديث ابن عمر ، وكثيرا مايترجم بما صح عنده ولم يكن على شرطه .

(السادس) قولهم في اسمه الرحمن انه الموصوف بغاية الرحمة ومنتهاها ، وانه وصف ذات لاينفك عنه كسائر أوصافه المقدسة الذاتية ، ودعاء غير الموصوف بهذا الوصف وقصده من دونه والتعرض للوسائط والشفعاء سوء ظن بصفات كماله ونعوت جلاله ، وانما دعا الى عبادته ودعائه والاستعانة به بما اتصف به من الصفات المقدسة ، والنعوت الكاملة الجميلة ، واستدلوا على ذلك بقول الخليل عليه السلام

لقومه (فَمَا ظَنُّكُم بِربِّ العالَمِين)[1] قالوا أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره ، وما الذي ظننتم به حتى جعلتم له شركاء ، أظننتم أنه محتاج الى الشركاء والأعوان ؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه أحوال عباده حتى يحتاج الى شركاء يعرفونه بها كالملوك ؟ أم لايقدر وحده على الاستقلال بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاس فيحتاج الى شفعاء يستعطفونه على عباده ؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكثر به من القلة ويتعزز به من الذلة ؟ أم محتاج الى ولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منه ومنها ؟ تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا ، ولو قدره المشركون حق قدره لما أشركوا به •

وكذلك اسمه تعالى الرحيم ، فانه يدل على أنه بالغ في الرحمة غايتها ، وان رحمته عمت عباده ووسعت خلقه ، فما بهم من النعم والاحسان والعطايا الباطنة والظاهرة فآثار رأفته ورحمته ، ومن هذا فعله وهذا وصفه كيف يعدل المضطر الى غيره في ضروراته وحاجاته وملماته ؟ وفي الحديث القدسي : (كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم ،ياعبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، ياعبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم) الحديث بطوله •

ومن رحمته وتودده الى عباده أنه ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا فينادي : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ الحديث معروف مشهور ، وفي بعض الاسرائيليات أن الله تعالى يقول : ابن آدم اطلبني تجدني ، فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء ، وهذا قرروه بهذا المعنى في التفسير وفي الكلام على شرح الأسماء الحسنى ، وفي الكلام على أحوال القلوب وسيرها وتوجهاتها الى الملك العلي الأعلى •

وعبارة البيضاوي في الكلام على أول فاتحة الكتاب : وانما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها ، عاجلها وآجلها ، جليلها وحقيرها ، فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ، ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره •

قال البيضاوي : واجراء هذه الأوصاف على الله تعالى ــ من كونه موجدا للعالمين ربالهم منعما عليهم بالنعم كلها باطنها وظاهرها ، عاجلها وآجلها ، مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب ــ للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لاأحد أحق به منه،

---

(١) الصافات : ٨٧

بل لايستحقه على الحقيقة سواه ، فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يتأهل لأن يحمد فضلا عن أن يعبد ليكون دليلا على مابعده .

فالوصف الأول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية ، والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه الايجاب بالذات أو وجوب عليه قضيت لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد ، والرابع لتحقيق الاختصاص ، فانه لايقبل الشركة فيه ، وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين انتهى .

وان شئت المزيد على هذا ولم تكتف بما ذكرناه من التمثيل بالبسملة وما فيها من الأبحاث فنتكلم على فاتحة الكتاب بما قاله أهل العلم والتأويل لينتفع بذلك من وقف على كتابنا هذا .

فاعلم أن (الحمد) على مأأفاده بعض المحققين ذكر محاسن المحمود على وجه الثناء عليه بها مع محبته والرضا عنه والخضوع له ، فلا يحمده من أعرض عن محبته والخضوع له ، أو جعل له شريكا في ذلك ، ولا يرضى عنه من أعد غيره لحاجته وفاقته ، واستغاث به في شدته وضرورته ، وهذا الحد أتم وأكمل من تعريف بعضهم له بأنه اصطلاحا فعل ينبيء عن تعظيم المنعم لوجوه لاتخفى على الذكي ، فلا نطيل بذكرها ، واذا كانت ال فيه للاستغراق وعموم الأفراد كما هو الراجح ، فجميع أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال التي يحمد من قامت به ثابت لله أكملها لكمال صفاته وكثرتها ، ولهذا لايحصي أحد من خلقه ثناء عليه ، وبها يستدل على الهيته ، وانه الاله الحق ، ولذلك يستدل تعالى على بطلان الهية ماسواه بفقد صفات الكمال التي يستحق بها ان يعبد ويعظم ويقصد ، كما قال عن خليله في مخاطبته لأبيه (يا أَبتِ لم تَعبُد ما لايَسمعُ ولا يُبصِرُ ولا يُغنى عَنكَ شَيئاً)[1]

وقال في عباد العجل : (أَلم يَروا أَنَّه لا يُكَلِّمُهم ولا يَهدِيهم سَبيلاً)[2]

فجعل نفي صفات الكمال موجبا لبطلان الهيته وعبادته ، وهذا يعرف بالفطر والعقول فهذه ثلاثة مواضع في أول كلمة من كتاب الله دلت على بطلان دعاء غيره وعبادته والاستعانة بسواه ، والعبد وان علت درجته وارتفعت رتبته فهو فقير الى باريه وفاطره ، لانسبة لقدرته وعلمه وحكمته وفضله وكرمه وحياته الى ماااتصف به خالقه

---

(١) مريم : ٤٢ ـ (٢) الاعراف : ١٤٨

واله الحق من صفات الكمال ، ونعوت الجلال .

قال شيخ الاسلام :

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

(وأما اسمه الله) فهو دال على الالهية المتضمنة لسائر صفات الالهية والكمال، مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى ، دال بالوضع والمطابقة على كونه مألوها معبودا ، تأله الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا ومفزعا اليه في الحوائج والنوائب ، بخلاف من اله سواه ممن لايستحق الالهية ولم يخرج عن رتبة العبودية ، وصار مفزعه في الحوائج والنوائب اليه ، واعتماده في المهمات والملمات عليه .

فمن كان هكذا كعباد الملائكة والأنبياء والصالحين : لم يعط هذا الاسم الشريف حقه من العبودية وافراد الله بالالهية .

(وأما الرب) فهو دال على ربوبيته لجميع مخلوقاته ، وكمال الربوبية هو بما اتصف به من صفات كمال كقدرته وعلمه ورحمته وقيوميته ، وهو يرب عباده بالخلق والتدبير والملك ، وهو من أكبر الأدلة وأوضحها وأجلاها على وجوب عبادته تعالى ، وأن الهية ماسواه وعبادة غيره من أبطل الباطل وأضل الضلال ، ولهذا يستدل على الهيته تعالى ووجوب توحيده بأفعاله الصادرة عن ربوبيته كخلقه وقيوميته ، قال تعالى :(أَفمنْ يَخلقُ كَمَن لا يَخلق أَفلا تذَكَّرونَ)[1] وقال تعالى : (أَفمنْ هُو قَائمٌ عَلى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسبتْ)[2] وقال (قلْ أَرَأَيتُم ما تدْعُونَ منْ دُونِ اللهِ أَروني مـاذَا خَلقُوا منَ الأَرضِ)[3]

وهذا كثير في القرآن ، ولكن يحول بين عباد القبور والصالحين وفهمه ماعلى قلوبهم من رين الشرك وطابعه .

(وأما اسمه الرحمن) فهو كما تقدم دال على أن الرحمة وصفه وصف ذات لاينفك عنه ، ولهذا لايطلق على غيره .

(والرحيم) هو الراحم لعباده البالغ في ايصال الرحمة ، لأن فعيل من صيغ المبالغة ، لكن فعلان أبلغ ، فسعة الرحمة وكثرتها واحاطتها من أدلة عظمة الموصوف وكمال صفاته ووجوب عبادته والهيته وانابة القلوب اليه ، فالمستغيث بغيره الراغب الى سواه فيما لايقدر عليه غيره من الأمور المهمة العظام ، وما ليس من جنس

(١) النحل : ١٧ ـ (٢) الرعد : ٣٣ ـ (٣) الاحقاف : ٤

الأسباب العادية ـ كمن يستغيث بالانبياء والصالحين والملائكة ويرجع اليهم في حاجاته وملماته ـ ماأعطى هذا الاسم حقه ، ولا آمن به حق الايمان الواجب ، ولو استشعر شيئا من كمال مدلوله وسعته واحاطته لما عدل بربه سواه ، ولا التفت الى غير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ،ومشهد الأسماءالحسنى والصفات العليا مشهد عظيم لايعرفه ولا يسير به الا الصديقون العارفون بالله وما يجب له وما يستحيل عليه ، وأما من تعلق على غيره والتفت الى سواه وصار مبلغ علمه وغاية حذقه وفهمه تعلقه على الأولياء والصالحين ورجاء رحمتهم واحسانهم وعطفهم فهو محجوب عن هذا غير عارف بربه جاهل بصفات كماله ونعوت جلاله ، قال تعالى : (قُلْ أَفغير اللهِ تأْمُرُونِّي أَعْبدُ أَيُّها الجاهِلونَ)[1] فسجل على من أمر بدعاء الصالحين والاستغاثة بهم بالجهالة ، سواء سمى ذلك توسلا وتشفعا واستنصارا وكرامة أو لم يسمه .

(وأما مالك يوم الدين) فهو وصف كمال ومجد يقتضي وجوب معاملته وحده لاشريك له ، واسلام الوجه له ، لأن الاختصاص والانفراد بالملك يوجب خوفه ورجاءه وطاعته ، والتعلق على المملوك المقهور الذي لاشركة له ولا ملك بوجه من الوجوه ، وقصده في طلب الاعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والنجاة من النار ، والفوز بدار الأبرار سفه وضلال مبين . قال تعالى : (ومَنْ يرغَبُ عنْ ملَّةِ إبراهِيم إلَّا مَنْ سفِهَ نفْسه)[2] وقد تمدح سبحانه باختصاصه بملك هذا اليوم في مواضع من كتابه مع أنه الملك المالك في الدنيا والآخرة لسر اقتضى ذلك وحكمة أوجبته ، وهي انقطاع العلق والأسباب والمؤاخاة والوصل التي يتعامل بها أهل الدنيا في دنياهم ، قال تعالى : (واتَّقُوا يوماً لا تَجزِي نفْسٌ عنْ نفسٍ شَيئاً ولَا يُقبلُ مِنها عَدلٌ ولا تَنفعُها شَفاعةٌ ولا هُم ينْصَرونَ)[3] فاعرف مافي هذا الخطاب من العموم ، وما دل عليه التنكير من الشمول المتناول لكل معبود مع الله ولو نبيا أو ملكا ، وما يجري على يد الشفعاء ذلك اليوم لايرد على الآية ، ولا ينفي العموم ، لأنه لايقع الا باذنه فيمن يرضى قوله وعمله ، فعاد الأمر له جل ذكره بدءا وعودا ، أولا وآخرا .

---

(١) الزمر : ٦٤ ـ (٢) البقرة : ١٣٠ ـ (٣) البقرة : ١٢٣

(والدين) هو الجزاء والمكافأة على الأعمال حسنها وقبيحها ، وما لم ينزل به سلطان ولم ترد به حجة من الأعمال والديانات يجازى فاعله ويعاقب ان لم يمنع مانع كتوحيد الله والايمان به وبرسله ، وأي توحيد يبقى وينفع مع عبادة الأولياء والصالحين ، والاستغاثة بهم وصرف الوجوه اليهم ، قال تعالى : (فَوربِّكَ لَنسألَنَّهم أَجْمعينَ عَمَّا كانوا يَعملونَ) [1] قال جمع : عن شهادة أن لا اله الا الله •

وأما قوله (إِيَّاكَ نعبُدُ وإِيَّاكَ نسْتَعينُ)ففيها اختصاصه وانفراده بالعبادة والاستعانة ، وأن ذلك حق له لايشركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، والعبادة هي الغاية المقصودة من العباد المكلفين ، والمؤمنون بالرسل أخلصوا له العبادة وأفردوه بالاستعانة ، فهو معبودهم ومستعانهم ، وجميع الأعمال داخلة في هاتين الكلمتين الشريفتين ، وقد دلت صيغة الحصر والاختصاص فيهما على التوحيد ، والعبد همام حارث لابد له من ذلك ، وهمه وحرثه غاية ووسيلة ، فيجب أن يكون غاية قصده ومراده وجه الله والتماس طاعته ومرضاته ، ويجب أن تكون الوسيلة الى ذلك استعانة الله وحده والاستغاثة به ، وهذا حال أهل الكمال ، جمعوا بين عبادة الله واستعانته ، بخلاف من عبد غيره واستعان بسواه ، أو من عبده لكن قصر وأضاع مايحصل به مقصوده من الاستعانة ، أو من استعان به ولكن على مالا يحبه وما لم يشرعه من الأعمال الصالحة أو وسائلها ، ويدخل في النوع الثاني من تعلق على الأنبياء والصالحين عبادة واستغاثة واستعانة ، كعباد القبور ، فانهم لم يعرفوا مادلت عليه هاتان الكلمتان من وجوب العبادة والاستعانة •

وفي حديث ابن عباس (ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله) الحديث • وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز: اياك أن تستعين بغير الله فيكلك الله اليه • وقال أبو عبد الله القرشي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون •

والكلام هنا يطول وغرضنا التنبيه على أن القرآن كله دال على التوحيد ، آمر به ، مشير اليه ، مستلزم له ، مقرر لوصف أهله وما لهم من الكرامة في المعاد ، ومبين لأحوال من تركه ولم يرفع به رأسا وأشرك في عبادته ، وما لهذا الصنف من الجزاء والعقاب والاهانة في الدار الآخرة •

---

(١) الحجر : ٩٢ ، ٩٣

وأما قوله : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) فهذا فيه توحيد الطريق ، وان من سلك سواه وأراد الوصول من غيره فالسبل والطرق عليه مسدودة قاطعة غير موصلة ، وفي حديث ابن مسعود (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ قوله تعالى : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) •

اذا عرف هذا فالصراط المستقيم ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان من أئمة الهدى ، ودعاء الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم والتوجه اليهم كل هذا ليس مما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، بل وليس عليه أحد من رسل الله وأوليائه وقد توافرت النصوص وتظاهرت على المنع منه ، وقد مر منه جملة صالحة ، فاذا كان خارجا عن الصراط المستقيم ناهيا عنه سالكيه ومؤتميه فهو سبيل يفضي بسالكه الى النيران والدخول في طاعة الشيطان ، وأهل هذا الصراط المستقيم دأبهم وشأنهم افراد الله بالعبادة والاستعانة والاستغاثة والانابة والخوف والرجاء والتوكل والاعتماد ، ومباينتهم في الأوصاف خروج عن صراطهم وطريقهم ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كافيته الشافية :

فلواحد كن واحدا في واحد   أعني سبيل الحق والايمان

فسبيل الله واحد لامتعدد ، ولا يمكن أن يأتي أحد بحجة ولا سلطان على أن دعاء الأولياء والصالحين من أهل القبور أو غيرهم مشروع مسنون أو مباح ، ولايمكن أن تأتي شريعة بهذا ، وما يقوله الجاهلون من الشبه الواهية لايعتد به ولا يلتفت اليه ، بل هي قاطعة في الطريق حائلة بين أربابها وبين الصراط المستقيم ، وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله ، وان زعموا أنها أدلة وبينات فهي جهالات وخيالات وضلالات ، كما تقدم الكلام على ماأورده النبهاني الزائغ منها ناقلا لها عن أشياخه وأئمته الغلاة •

وقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فغير صفة ونعت لما قبلها من الاسم الموصول على ماوجهه بعض المفسرين ، والمعنى أن الذين أنعم الله عليهم خالفوا وباينوا المغضوب عليهم والضالين في صفاتهم الشنيعة وأفعالهم القبيحة ،

فالأولون عرفوا الحق ولم يتبعوه ولـم يريدوه ، بل آثروا أغراضهم الفاسـدة ، وشهواتهم القاطعة ، واستمتعوا بخلاقهم ، ولم يعبؤا بما عداه مما فيه صلاح العبد وهداه ، والآخرون غلبت عليهم الشبهات وتاهوا في أودية الجهالات والضـلالات ، ولم يهتدوا الى مانصبه تعالى من الآيات الواضحات ، والأدلـة الظاهرات : على وجوب توحيده والهيته وصمديته ، وتنزهه عن الصاحبة والولد ، وأحـق النـاس بالوصف الأول اليهود وبالوصف الثاني النصـارى ، لغلبـة الوصف الأول على اليهود وغلبة الثاني على النصارى ، ولذلك جاء في حديث عدي بن حاتم (اليهـود مغضوب عليهم والنصارى ضالون) لكن هذا الوصف لايختص بهـم ، بـل كل منحرف عن الصراط المستقيم ايثارا لهواه ورأيه فله نصيب من الوصف الأول ،ومن انحرف لجهله وعدم فقهه فله نصيب من الوصف الثاني ، وهذا الانحراف ان بقي معه أصل الدين الذي لايقوم الايمان والتوحيد الا به فهو من أهل الذنـوب من المسلمين وأمره الى الله ، وان كان الانحراف يخل بأصل الدين والايمان ويمنـع التوحيد ــ كحال من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين مع الله في مهماته وملماته ويعتمد عليهم ويستغيث بهم في شدائده ــ فهذا له حظ وافـر ونصيب كامـل من الضلال ، قال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ المضْطرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجعلُكم خُلَفاءَ الأَرض أَإِلهٌ معَ اللهِ).[1]

انظر هذا الاستفهام وحسن موقعه بعدما تقدم من الاستفهامات التي هي حجج وآيات على مابعدها تعرف به فحش ماجاء به عباد القبور من دعاء آلهتهم والاستغاثة بهم في الملمات والشدائد المذهلات ، وأن أهل الجاهلية كانوا يخلصون في الشدائد ويعترفون بأنه المختص باجابة المضطر وكشف السوء ، وهؤلاء يشتد شركهم عند الضر ونزول الشدائد .

ثم من المعلوم أن أخص أوصاف النصارى الضالين عبادة الأنبياء والصالحـين وجعلهم شركاء لله فيما يختص به ويستحقه ، وطاعة علمائهم وأحبارهم في التحليل والتحريم المخالف لما عهد اليهم في الكتب السماوية على ألسنة أنبيـائهم ، وعبـاد القبور ضربوا في هذا بسهم وافر ، وحصلوا على نصيب من عبادة الأنبياء والصالحين ودعائهم مع الله استحقوا به اطلاق وصف الضلال عليهم فيما أتوا به وابتدعوه من

---

(١) النمل : ٦٢

طاعة الدعاة الى عبادة القبور من المنتسبين الى العبادة أو العلم •

قال صاحب منهاج التأسيس عليه الرحمة ـ بعد أن ساق ماذكرناه ـ وهذه اشارة تطلعك على ماوراءها •

وفي فاتحة الكتاب والسبع المثاني من العلوم والتوحيد والرد على أصناف الضالين وشيع المبطلين مالا يمكن حصره واستقصاؤه انتهى •

قلت : من أراد الوقوف على تفاصيل مااشتملت عليه هذه السورة الكريمة فعليه بكتاب شرح منازل السائرين للشيخ الحافظ ابن القيم ، ففيه من اظهار كنوز أسرارها ماينشرح به الخاطر •

(ذكر بعض آيات تدل على المقصود ومافسرت به)

قد ذكرنا سابقا أن القرآن الكريم من أوله الى آخره ينادي باخلاص التوحيد لله تعالى وافراده سبحانه بخصائصه ، وقد ذكرنا مثالا لذلك وشاهدا عليه ، وحبا لزيادة الايضاح نذكر ماهو أصرح دلالة على مقصودنا من آيات الكتاب الكريم ، فلعل النبهاني وأضرابه من عبدة القبور يهتدي ببعضها ، ويكشف عن قلبه حجاب الضلال •

من ذلك قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ. ولَمْ يَكُن لهُ كُفُواً أحدٌ) وهذه السورة العظيمة قد اشتملت على كنوز العلم ، وهي تعدل ثلث القرآن ، وقد بسط الكلام عليها الامام تقي الدين ابن تيمية وأفرد لتفسيرها سفرا كبيرا ، وهو بحمد الله متداول (١) ومما قال : (الصمد) فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك ، بل كلها صواب ، والمشهور منها قولان : (أحدهما) أن الصمد هو الذي لاجوف له (والثاني) أنه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج ، والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة ، والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين ، والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدها في كتب التفسير المسندة وفي كتب السنة وغير ذلك ، قال : وقد كتبنا من الآثار في ذلك شيئا كثيرا باسناده فيما تقدم ، ثم سرد أقوالا كثيرة في معنى الصمد الى أن ذكر فصلا في سبب تنكير أحد وتعريف الصمد في السورة ، وحاصله : أن لفظ أحد لم يوصف به شيء من الأعيان الا الله وحده ،

(١) قد طبع هذا التفسير ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام وهو فى المجلد السابع عشر : أه

وانما يستعمل في غير الله في النفي ، قال أهل اللغة : تقول لا أحد في الدار ولا تقل فيها أحد ، ولهذا لم يجيء في القرآن الا في غير الموجب ، كقوله تعالى : (فَمَا مِنكُم مِن أحدٍ عَنهُ حَاجِزِينَ) (١) وكقوله : (لسْتُنَّ كأَحدٍ مِنَ النِّساءِ) (٢) وقوله : (وإنْ أَحدٌ مِن المشرِكينَ اسْتجَارَكَ فأَجِرهُ) (٣) وفي الاضافة كقوله : (فابْعثُوا أَحدَكُم بورِقِكُم) (٤) (وجَعلنَا لأَحدِهِما جَنّتينِ) (٤)

وأما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين كما تقدم ، فلم يقل الله صمد بل قال : الله الصمد ، فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ماسواه ، فانه المستوجب لغايته على الكمال ، والمخلوق وان كان صمدا من بعض الوجوه فان حقيقة الصمدية منتفية عنه ، فانه يقبل التفرق والتجزية ، وهو أيضا محتاج الى غيره ، فان كل ماسوى الله محتاج اليه من كل وجه ، فليس أحد يصمد اليه كل شيء ولايصمد هو الى شيء الا الله ، وليس في المخلوقات الا مايقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض ، والله سبحانه هو الصمد الذي لايجوز عليه شيء من ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لايمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه ، كما لايمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه ، فهو أحد لايماثله شيء من الأشياء ، كما قال في آخر السورة :(ولَم يكُن لَهُ كُفُواً أحدٌ)استعملها هنا في النفي ، أي ليس شيء من الأشياء كفوا له في شيء من الأشياء ، لأنه أحد • وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم (أنت سيدنا ، فقال السيد الله) ودل قوله الأحد الصمد على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فان الصمد هو الذي لاجوف له ولا أحشاء ، فلا يدخل فيه شيء ، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى ، كما قال : (قُلْ أَغيرَ اللهِ أَتَّخذُ ولياً فاطِرِ السَّموات والارضِ وهُو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ) (٥) وقال تعالى:(ومَا خَلقتُ الجِنَّ والإنسَ إلَّا ليعبدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنهم مِن رِزقٍ ومَا أُريد أنْ يُطْعِمُونِ إنَّ اللهَ هُو الرَّزاقُ ذُوا القُوَّة المتِين) (٦) ثم تكلم في مسائل مختلفة

---

(١) الحاقة : ٤٧ ـ (٢) الاحزاب : ٣٢ ـ (٣) التوبة : ٦ ـ (٤) الكهف : ٩ ، ٣٨ ـ (٥) الانعام : ١٤
(٦) الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨

انتقل من بعضها الى بعض وأتى بما يبهر العقول •

(والحاصل) أن كل كلمة من كلمات هذه السورة تقتضي أن يعبد الله وحده وأن لايشرك به أحد ولا يلتجأ الى ماسواه ، فاذا كان معنى أحد أنـه ليس كمثله شيء فينبغي أن يستغاث به وحده ، لأنه الكامل في صفات الكمـال والمنـزه عن صفات النقص ، وغيره ليس كذلك فكيف يسوغ الالتجاء الى الناقص والاعراض عن الكامل ، واذا كان الله أحد كان هو الصمد بأي معنى فسر ، فالأحدية دليل على الصمدية ، فهو الملجأ لاغير ، والصمدية تستلزم اتصاف الله تعالى بأنه لم يلد ولـم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وكل جملة فهي دليل لما بعدها ، فمن يلد ليس بأحد ولا صمد فلا يلجأ اليه ولا يطلب منه مايطلب من الله الأحد الصمد الذي لم يلد ، ومن يولد كذلك ، ومن كان له كفو أو نظير في ذاته وصفاته فهو لايصلح أن يسند اليـه خصائص الالهية ، فهذه السورة على اختصارها جمعت من دلائل الوحدانية مالـم تشتمل سورة أخرى عليه ، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن ، ومن أراد تفصيـل ماتضمنته من العلوم فعليه بتفسيرها لشيخ الاسلام •

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ) الى آخر السورة ،

تكلم أيضا على هذه السورة شيخ الاسلام وتلميذه أحسن كلام ، قال ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد : المقصود الكلام على هاتين السورتين — يعني المعوذتـين — وبيان عظم منفعتهما وشدة الحاجة بل الضرورة اليهما ، وأنه لايستغني عنهما أحـد قط ، وان لهما تأثيرا خاصا في رفع السحر والعين وسائر الشرور ، وأن حاجة العبد الى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته الى التنفس والطعام والشـراب واللباس ، فنقول والله المستعان : قد اشتملت السورتان على ثلاثة أصـول وهي أصول الاستعاذة : أحدها نفس الاستعاذة ، والثاني : المستعـاذ به ، والثـالث : المستعاذ منه ، فبمعرفة ذلك يعرف شدة الحاجة والضرورة الى هاتين السـورتين ، وقد عقد لكل أصل من هذه الأصول الثلاثة فصلا وأطنب الكلام فيه ، فمما قال في الفصل الأول : اعلم أن لفظ عاذ وما تصـرف منه يدل على التحـرز والتحصن والالتجاء ، وحقيقة معنى هذه الكلمة : الهروب من شيء تخافه الى من يعصمـك منه •

ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا كما يسمى ملجأ ووزرا ، وفي الحديث : (أن

ابنة الجون لما أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : لقد عذت بمعاذ ، الحقي بأهلك) فمعنى أعوذ ألتجيء وأعتصم وأتحرز ، ثم ذكر في أصله قولين ، وقال ــ بعد أن ذكرهما ــ والقولان حق ، والاستعاذة تنتظمهما معا ، فان المستعيذ مستتر بمعاذ مستمسك به معتصم به ، قد استمسك قلبه به ولزمه كما يلزم الولد أباه اذا شهر عدوه سيفا وقصده به فهرب منه فعرض له أبوه في طريق هربه فانه يلقي نفسه عليه ويستمسك به أعظم استمساك فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه الى ربه ومالكه وفر اليه وألقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجأ اليه ، وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات ، وانما هي تمثيل واشارة وتفهيم ، والا فما يقوم بالقلب حينئذ من اللجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار اليه والتذلل بين يديه أمر لاتحيط به العبارة .

ونظير هذا : التعبير عن محبته وخشيته واجلاله ومهابته ، فان العبارة تقصر عن وصف ذلك ، فلا يدرك الا بالاتصاف بذلك لابمجرد الصفة والخبر ، كما أنك اذا وصفت لذة الوقاع لعنين لم تخلق له شهوته أصلا فلو قربتها وشبهتها بما عساك أن تشبهها به لم تحصل حقيقة معرفتها في قلبه ، فاذا وصفتها لمن خلقت فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق ، ثم ذكر كلاما طويلا في الفرق بين الاعاذة والاستعاذة في غاية الدقة واللطف ، وذكر سبب الاتيان (بقل) في السورتين وهو من أبدع الوجوه ، ولا غرض لنا يتعلق به فان أردته فارجع اليه .

(ثم قال في الفصل الثاني) والمستعاذ به الله وحده رب الفلق ورب الناس ملك الناس اله الناس ، الذي لاتنبغي الاستعاذة الا به ، ولا يستعاذ بأحد من خلقه ، بل هو الذي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شر مااستعاذوا من شره ، وقد أخبر تعالى في كتابه عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا ، فقال حكاية عن مؤمني الجن : (وأنهُ كانَ رِجَالٌ مِن الإنسِ يَعُوذُونَ برجالٍ من الجنِّ فزَادُوهُم رَهَقاً). [1]

جاء في التفسير أنه كان الرجل من العرب في الجاهلية اذا سافر فأمسى في أرض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى

---

(١) الجن : ٦

يصبح ، أي فزاد الأنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقا أي طغيانا وغيا واثما وشرا ، يقولون سدنا الأنس والجن ، والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ، فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانا لما كان محظورا من الكبر والتعاظم وظنوا أنهم سادوا الانس والجن .

واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلمات الله غير مخلوقة بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بها بقوله : (أعوذ بكلمات الله التامات) وهو صلى الله عليه وسلم لايستعيذ بمخلوق ، ونظير ذلك قوله : (أعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك) فدل على أن رضاه وعفوه من صفاته ، وأنه غير مخلوق ، فكذلك قوله (أعوذ بعزة الله وقدرته) وقوله : (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات) وما استعاذ به النبي صلى الله عليه وسلم فانه غير مخلوق ، لايستعيذ الا بالله أو بصفة من صفاته .

وجاءت الاستعاذة في هاتين السورتين باسم الرب والملك والاله ، وجاءت الربوبية فيها مضافة الى الفلق والى الناس ، ولا بد من أن يكون بين ماوصف به نفسه في هاتين السورتين مناسبة ، وقد قررنا في مواضع متعددة أن الله سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى ، فنسأل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في هاتين السورتين انه ماتعوذ المتعوذون بمثلهما ، ولا بد أن يكون الاسم المستعاذ به مقتضيا للمطلوب ، وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه، وانما يتقرر هذا بالكلام في الفصل الثالث ، وهو الشر المستعاذ منه ، فبه تتبين المناسبة المذكورة .

وذكر في الفصل الثالث أنواع الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين ، وأطنب في بيان ذلك ، وأتى بالعجب العجاب .

(والمقصود) أن كلتا السورتين تدلان على أن الملجأ والمعاذ هو الله تعالى ، فمن استغاث بمخلوق ملكا كان أو نبيا أو وليا فقد التجأ اليه ، ومن التجأ اليه في طلب مالا يقدر عليه أحد الا الله فقد عبده ، لأن الدعاء مخ العبادة ، ومن عبد غير الله فقد أشرك ، والآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة ، وقد ذكرنا فيما سبق بعضا منها ، ومن قرأ القرآن وتدبر معناه تحقق ذلك .

(وأما ماورد من السنة النبوية فهو البحر الذي لاساحل له) فقد كان صلى الله عليه وسلم خصما للمشركين ، وعدوا للكافرين ، وقد بعثه الله تعالى لمحق ماكان

عليه أهل الجاهلية وابطال ضلالاتهم الشركية ، وقد كان خلقه القرآن ، وما أنزله الله عليه من البيان ، وقد نظرنا الى الكتب المؤلفة في اذكاره وأدعيته فلم نر فيها دعاء التجأ فيه الى غير الله ، هذا كتاب (الأذكار) للنووي فيه من الأدعية السنية ماهو معلوم الصحة ، وهذا كتاب (نزل الأبرار ، في الأدعية والاذكار) وهذا كتاب (الكلم الطيب والعمل الصالح) لشيخ الاسلام ، وهذا كتاب (الحصن الحصين) للشيخ محمد الجزري ، جميع مافي هذه الكتب من الأدعية كلها من الله تعالى ، ليس فيها كلمة دالة على الطلب من غيره تعالى ، والله تعالى يقول (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[1] فينبغي أن يتأسى كل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقتدي به في أقواله وأفعاله ، ويسلك في ذلك مسلك الصحابة والتابعين لهم باحسان من الأئمة والمجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين .

ماكان يقوله صلى الله عليه وسلم في طلب النصر : (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) وكان اذا غزا قال : (اللهم أنت عضدي ونصيري ، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل) وعن أنس قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فلقي العدو ، فسمعته يقول : يامالك يوم الدين، اياك نعبد واياك نستعين ، فلقد رأيت الرجال تصرعها تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها) وكان يقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم ، ماشاء الله ، لاقوة الا بالله ، اعتصمنا بالله ، استعنا بالله ، توكلنا على الله)ويقول : (حصنتنا كلنا أجمعين بالحي القيوم الذي لايموت أبدا ، ودفعت عنا السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) ويقول : (ياقديم الاحسان ، يامن احسانه فوق كل احسان ، يامالك الدنيا والآخرة ، ياحي ياقيوم ، ياذا الجلال والاكرام ، يامن لايعجزه شيء ولا يتعاظمه ، انصرنا على أعدائنا هؤلاء وغيرهم ، وأظهرنا عليهم في عافية وسلامة عامة عاجلا)

وفي كتاب (الحصن الحصين) من ذلك شيء كثير ، وهو للامام الكبير محمد الجزري رحمه الله تعالى ، وقد قال في خطبة الكتاب المذكور : هذا الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، وسلاح المؤمنين ، من خزانة النبي الأمين ، والهيكل العظيم من قول الرسول الكريم ، والحرز المكنون ، من لفظ المعصوم المأمون ، بذلت فيه

---

(١) الاحزاب : ٢١

النصيحة ، وأخرجته من الأحاديث الصحيحة ، أبرزته عدة عند كل شـدة ، وجردته جنة تقي من شر الناس والجنة ، تحصنت به فيما دهم من المصيبة ، واعتصمت من كل ظالم بما حوى من السهام المصيبة ، وقلت :

ألا قولـوا لشخص قد تقـوى على ضعفـي ولا يخشى رقيبـه
خبـأت له سهـاما في الليـالي وأرجـو أن تكون له مصيبـة

قال : ولما أكملت ترتيبه وتهذيبه طلبني عدو لايمكن أن يدفعـه الا الله تعالى فهربت منه مختفيا وتحصنت بهذا الحصن ، فرأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وأنا جالس على يساره ، وكأنه يقول ماتريد ؟ فقلت يارسول الله ادع الله لي وللمسلمين ، فرفع يديه الكريمتين وأنا أنظر اليهما فدعا ثم مسح بهما وجهه الكريم ، وكان ذلك ليلة الخميس ، فهرب العدو ليلة الأحد ، وفرج الله عني وعن المسلمين ببركة هذا الكتاب عنه صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وما كان يقوله في دعاء الوتر وهو : (اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك) الى آخره ، وفي رواية (اللهـم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شـر ماقضيت) الى آخره .

وما كان يقوله اذا أتى فراشه ، وما يقوله اذا استيقظ من منامه ، وما يقوله في الليل ، وما يقوله حال خروجه من بيته واذا دخله ، وما كان يقوله في غير ذلـك من الأحوال ، كالاستسقاء ونحوه مما هو خارج الصلاة أو داخلها : فشيء لايسعه هذا المقـام .

(والمقصود) أن جميع أدعيته ليس فيها استغاثة بمخلوق ، ولا اقسام به ، ولا توسط أحد ولا توسل به ، ومن شرط كل مؤمن الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (قُلْ إنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبعُوني يُحببكُم اللهُ)[1]

وفي الأحاديث الصحيحة التي رواها الامام البخاري والامام مسلم وغيرهمـا ممن جمع الصحيح شيء كثير مما يتعلق بهذا الباب ، كحديث ابن عبـاس ، وفيـه (اذا استعنت فاستعن بالله) وقد سبق ذكره ، والرسول صلى الله عليه وسلم أبطل دين المشركين ، ومداره على الاستغاثة والالتجاء الى غـيره ، وهي كانت عبـادة

---

(١) آل‌عمران : ٣١

الوثنيين ، وكالذبح والنذر ، غير أنهم كانوا عند النوائب يستغيثون بالله سبحانه ، بخلاف عباد القبور في عصرنا •

(وأما ماورد عن عباد الله الصالحين) مما أخلصوا فيه الدعاء الى الله والتجؤا اليه سبحانه ولم يستعينوا فيه الى مخلوق فهو كثير ، وقد صنف الامام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة كتابه الذي سماه (المستغيثين بالله عند الحاجات والمهمات ، والمتضرعين الى الله سبحانه وتعالى بالرغبات) وهو كتاب جليل يسوء النبهاني اذا رآه ، ومنه يعلم أن الصالحين والأولياء الكاملين كلهم كانوا في جميع حالاتهم مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى ابن بشكوال في كتابه هذا عن عبد الله بن المبارك أنه قال : كنت في غزوة فوقع فرسي ميتا فرأيت رجلا حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : أتحب أن تركب فرسك ؟ قلت : نعم ، فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره ، وقال : أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله ، وبعظمة عظمة الله ، وبجلال جلال الله ، وبقدرة قدرة الله ، وبسلطان سلطان الله ، وبلا اله الا الله ، وبما جرى به القلم من عند الله ، وبلا حول ولا قوة الا بالله ، ألا انصرفت : فوثب الفرس قائما باذن الله تعالى ، وأخذ الرجل بركابي ، وقال : اركب ، فركبت ، ولحقت بأصحابي الى آخر القصة •

(ومن أدعية الامام زين العابدين السجاد رضي الله تعالى عنه) اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك ، وان تشأ تعذبنا فبعدلك ، فسهل لنا عفوك بمنك ، وأجرنا من عذابك بتجاوزك ، فانه لاطاقة لنا بعدلك ، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك ، ياغني الأغنياء ، هانحن عبادك بين يديك ، وأنا أفقر الفقراء بين يديك ، فاجبر فاقتنابوسعك ولا تقطع رجاءنا بمنعك ، فتكون قد اشقيت من استسعد بك ، وحرمت من استرفد فضلك ، فالى من حينئذ منقلبنا عنك ، والى أين مذهبنا عن بابك ، سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت اجابتهم ، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم ، وأشبه الأشياء بمشيئتك وأولي الأمور في عظمتك رحمة من استرحمك، وغوث من استغاث بك ، فارحم تضرعنا اليك ، وأغثنا اذ طرحنا أنفسنا بين يديك ، اللهم ان الشيطان قد شمت بنا اذ شايعناه على معصيتك ، فصل على محمد وآله ولا تشمته بنا بعد تركنا اياه لك ، ورغبتنا عنه اليك •

وكم له من مثل هذا الدعاء والالتجاء ماتنير منه أنوار التوحيد ، وتشرق منه

شموس الايمان والتجريد ، وأين هو من أدعية غلاة القبوريين ، طهر الله تعالى الأرض منهم أجمعين •

(ومن وصايا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه) ماقال لولده حين استوصاه وهو في مرض الموت : عليك بتقوى الله وطاعته ، ولا تخف أحدا ولا ترجه ، وكل الحوائج كلها الى الله عز وجل ، واطلبها منه ، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل ، ولا تعتمد الا عليه سبحانه ، التوحيد ، التوحيد ، التوحيد ، وجماع الكل التوحيد •

(وقال في مرض موته) اذا صح القول مع الله عز وجل لايخلو منه شيء ولا يخرج منه شيء ، ثم قال : وقال لأولاده ابعدوا من حولي فأنا معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن •

(ثم قال) قد حضر عندي غيركم فوسعوا لهم وتأدبوا معهم ، ههنا زحمة عظيمة ولا تضيقوا عليهم المكان ، وأخبر بعض ولده أنه كان يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، غفر الله لي ولكم ، وتاب الله علي وعليكم ، باسم الله غير مودعين •

وله أحزاب كثيرة ، ووصايا كلها على ما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصاياه على التوحيد وافراد الله تعالى بخصائصه ، كل ذلك مشهور متداول بين الناس ، وأحزابه التي يقرأ كل حزب منها في يوم من أيام الأسبوع يقرأها الناس ويعرفونها ، ومقامه في باب التوحيد واتباع السنن ليس يخفى على أحد، ولكنه خلف من بعده خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا •

(وقال رضي الله عنه في كتابه فتوح الغيب والغنية) ينبغي لكل مسلم موحد أن لايتكل الا على الله ، ولا يستغيث الا بالله ، ولا يعتقد التصرف الا لله ، وأن يجعل مرآة عمله حديث ابن عباس ، قال : (كنت راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) • ويكفيك أيها المسترشد قوله تعالى في الفاتحة التي تقرأها في صلاتك (اياك نعبد واياك نستعين) فلا تعبد غيره ، ولا تستعن الا به ، ولا تطلب الا منه ، فهذا هو التوحيد اﻫ

(ومن كلام الشيخ محي الدين ابن عربي شيخ الصوفية) عند الكلام على قوله تعالى (الَّذينَ يوفُونَ بعهدِ اللهِ ولا يَنقُضونَ الميثاقَ)[1] قال : ومن أعظم المواثيق أن لايسأل العبد سوى مولاه جل شأنه ، وفي قصة أبي حمزة الخراساني مايشهد بعظم شأنه ، فقد عاهد ربه أن لايسأل أحدا سواه ، فاتفق أن وقع في بئر فلم يسأل أحدا من الناس المارين عليه اخراجه منها حتى جاء من أخرجه بغير سؤال ، ولم ير من أخرجه ، فهتف به هاتف كيف رأيت ثمرة التوكل ، فينبغي الاقتداء به في الوفاء بالعهد على ماقال أيضا ، وقد أنكر ابن الجوزي فعل هذا الرجل وبين خطأه وان التوكل لاينافي الاستغاثة في تلك الحال ، وذكر أن سفيان الثوري وغيره قالوا لو أن انسانا جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار ، ولا ينكر أن يكون الله تعالى قد لطف بأبي حمزة الجاهل ، نعم لاينبغي الاستغاثة بغير الله تعالى على النحو الذي يفعله الناس اليوم مع أهل القبور الذين يتخيلون فيهم مايتخيلون ، فآه ثم آه مما يفعلون .

(وقال الشيخ محي الدين أيضا) في الفتوحات المكية : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لاتجعل غيري موضع حاجتك وسلني حتى الملح تلقيه في عجينتك ، هذا تعليم من الله تعالى لنبيه عليه السلام ، وقد رأيته سبحانه في النوم ، فقال : وكلني في أمورك فوكلته فما رأيت الا عصمة محضة ولله الحمد على ذلك ، ويكفي في التعليم قوله سبحانه (اياك نعبد واياك نستعين) أي لانعبد سواك ولا نستعين بمخلوق ، وحديث ابن عباس : (واذا استعنت فاستعن بالله) ، وقوله تعالى: (وإذا ذُكر اللهُ وحدَه اشمأزَّتْ قُلوبُ الَّذينَ لا يؤمنونَ بالآخِرة)[2] وقوله تعالى : (قُلْ ادعُوا اللهَ أو ادْعُوا الرَّحْمن أيّاما تدْعُوا فلَه الأسماءُ الحسْنى) اه[3]

وقال الامام زين العابدين السجاد : كيف يسأل محتاج محتاجا ، وقال الامام الغزالي : المؤمن لايجعل بينه وبين الله تعالى وسائط في الطلب ، قال تعالى : (ونَحنُ أقرَبُ اليه من حَبلِ الورِيدِ) .[4]

(وفي تفسير روح المعاني) عند الكلام على قوله تعالى : (والَّذينَ يدعُونَ

---

(١) الرعد : ٢٠ ـ (٢) الزمر : ٤٥ ـ (٣) الاسراء : ١١٠ ـ (٤) ق :

اللهِ لَا يَخلقُونَ شَيئاً وهُم يُخلَقُونَ . أَمواتٌ غيرُ أَحياءٍ ومايشعُرُونَ أَيَّانَ يُبعثُونَ)[(١)] مانصه : ماأعظمها آية في النعي على من يستغيث بغير الله تعالى من الجمـــادات والأموات ، ويطلب منه مالا يستطيع خلقه لنفسه أو دفعه عنها •

وقال بعض أكابر السادة الصوفية : ان الاستغاثة بالأولياء محظـورة الا من عارف يميز بين الحدوث والقدم ، يستغيث بالولي لا من حيث نفســه بل من حيث ظهور الحق فيه ، فان ذلك غير محظور ، لأنه استغاثة بالحق حينئذ •

وأنا أقول : اذا كان الأمر كذلك فما الداعي للعدول عن الاستغاثة بالحق من أول الأمر ؟ وأيضا اذا ساغت الاستغاثة بالولي من هذه الحيثية فلتسـغ الصـلاة والصوم وسائر أنواع العبادة له من تلك الحيثية أيضا ، ولعل القائل بذلـك قائل بهذا ، بل قد رأيت لبعضهم مايكون هذا القول بالنسبة اليه تسبيحا ، ولا يكـاد يجري قلمي أو يفتح فمي بذكره ، فالطريق المأمون عند كل رشيد ، قصر الاستغاثة والاستعانة على الله عز وجل ، فهو سبحانه الحي القادر العالم بمصالح عباده ، فاياك والانتظام في سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالى •

وفي هذا التفسير أيضا : (إنَّ الَّذينَ تدْعُونَ منْ دُون اللهِ لنْ يَخلُقُوا ذُبَاباً)[(٢)] اشارة الى ذم الغالين في أولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالى ، وينذرون لهم النذور ، والعقلاء منهم يقولون انهم وسائلنا الى الله تعالى ، وانما ينذر له عز وجل ، ويجعل ثوابه للولي ، ولا يخفى أنهم في دعواهـم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام ، القائلين : (مَا نعبُدُهم إلَّا ليقرِّبونا إلى اللهِ زُلفَى)[(٣)] ودعواهم الثانية لابأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك، والظاهر من حالهم الطلب ، ويرشد الى ذلك أنه لو قيل انذروا لله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم فانهم أحوج من أولئك الأولياء لم يفعلوا ، ورأيت كثيرا منهم يسجد على أعتاب حجر القبور للأولياء ، ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعا في قبورهم ، لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوت مراتبهم ، والعلمـاء منهم يحصـرون التصرف في القبور في أربعة ، أو خمسة ، واذا طولبوا بالـدليل قالـوا ثبت ذلك

---

(١) النحل : ٢٠ ، ٢١ — (٢) الحج : ٧٣ — (٣) الزمر : ٣

بالكشف ، قاتلهم الله تعالى ماأجهلهم وأكثر افتراءهم ، ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة ، وعلماؤهم يقولون انما تظهر أرواحهم متشكلة وتطوف حيث شاءت ، وربما تشكلت بصورة أسد أو غزال أو نحوه ، وكل ذلك باطل لاأصل له في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم ، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى ، وكذا لأهل النحل والدهرية ، فنسأل الله تعالى العفو والعافية •

وفيه أيضا عند الكلام على قوله تعالى : (وإذا تُتلى علَيهم آياتُنا بيِّناتٍ تعرِفُ في وُجوهِ الَّذينَ كَفروا المنكَرَ) [1] الآية فيه اشارة الى ذم المتصوفة الذين اذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور وهم في زماننا كثيرون ، فانا لله وانااليه راجعون •

وقال لما تكلم على قوله تعالى : (فَالمدبِّرات أَمراً) من سورة والنازعات : انه اقسام من الله تعالى بطوائف من ملائكة الموت ، وقيل غير ذلك ، الى أن قال : وفي حمل المدبرات على النجوم ايهام صحة مايزعمه أهل الأحكام وجهلة المنجمين ، وهو باطل عقلا ونقلا ، كما أوضحنا ذلك فيما تقدم ، وكذا في حملها على النفوس الفاضلة المفارقة ايهام صحة مايزعمه كثير من سخفة العقول من أن الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الأعداء ، وغير ذلك مما يكون في عالم الكون والفساد ، على معنى أن الله تعالى فوض اليهم ذلك ، ومنهم من خص ذلك بخمسة من الأولياء ، والكل جهل وان كان الثاني أشد جهلا ، الى آخر ماقال •

وفيه أيضا على قوله تعالى : (يا أَيُّها الَّذينَ آمنُوا لَا تَدخُلو بيوتاً غَيرَ بيوتكُم حَتَّى تسْتَأْنسُوا وتُسلِّموا على أَهْلها) • [2]

ذكر بعض الغلاة أنه اشارة الى أنه لاينبغي لمن يريد الدخول على الأولياء أن يدخل حتى يجد روح القبول والاذن بافاضة المدد الروحاني على قلبه المشار اليه بالاستئناس ، فانه قد يكون للولي حال لايليق للداخل أن يحضره فيه وربما يضره ذلك ، وطرد بعض الصوفية ذلك فيمن يريد الدخول لزيارة قبور الأولياء ، فقال :

---

(١) الحج : ٧٢ ـ (٢) النور : ٢٧

ينبغي لمن أراد ذلك أن يقف بالباب على أكمل مايكون من الأدب ويجمع حواسه ويعتمد بقلبه طالبا الاذن ، ويجعل شيخه واسطة بينه وبين الولي المزور في ذلك ، فان حصل له انشراح صدر ومدد روحاني وفيض باطني فليدخل والا فليرجع ، وهذا هو المعنى بأدب الزيارة عندهم .

قال المفسر رحمه الله في رده : ولم نجد ذلك عن أحد من السلف الصالح ، والشيعة عند الزيارة للأئمة ينادي أحدهم أأدخل ياأمير المؤمنين ؟ أو ياابن بنت رسول الله ؟ أو نحو ذلك ، ويزعمون أن علامة الاذن حصول رقة القلب ودمع العين ، وهو أيضا مما لم نعرفه عن أحد من السلف ، ولا ذكره فقهاؤنا ، وما هو الا بدعة ، ولا يعد فاعلها الا ضحكة للعقلاء ، وكون المزور حيا في قبره لايستدعي الاستئذان في الدخول لزيارته ، وكذا ماذكره بعض الفقهاء من أنه ينبغي للزائر التأدب مع المزور كما يتأدب معه حيا كما لايخفى .

قال : وقد رأيت بعد كتابتي هذا في (الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم) صلى الله تعالى على صاحبه وسلم لابن حجر المكي مانصه : قال بعضهم : وينبغي أن يقف يعني الزائر بالباب وقفة لطيفة كالمستأذن في الدخول على العظماء ، انتهى .

وفيه : أنه لاأصل لذلك ، ولا حال ولا أدب يقتضيه ، انتهى .

ومنه يعلم أنه اذا لم يشرع ذلك في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فعدم مشروعيته في زيارة غيره من باب أولي ، فاحفظ ذاك ، والله تعالى يعصمنا من البدع وإياك .

وفيه ايضاً على قوله تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ).[1]

وقد رأينا كثيرا من الناس على نحو هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها المشركين ، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم ، ويطلبون منهم ، ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيه ، ويعظمون من يحكى لهم ذلك وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ، ونسبة الاستقلال بالتصرف اليه عز وجل ، وسرد مايدل على مزيد عظمته وجلاله ، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه الى مايكره .

وقلت يوما لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات وينادي يافلان أغثني —

---

(١) الزمر : ٤٥

فقلت له : قل ياألله ، فقد قال سبحانه : (وإذَا سَألَكَ عِبادي عَنِّي فإنِّي قَريب أُجيبُ دَعوة الدَّاعِي اذَا دَعان)[1] فغضب وبلغني أنه قال : ان فلانا منكر على الأولياء ، وسمعت عن بعضهم أنه قال الولي أسرع اجابة من الله عز وجل ، وهذا من الكفر بمكان ، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان •

وفيه أيضا عند الكلام على قوله تعالى : (حَتَّى اذَا كُنتُم في الفُلك وجَرينَ بهم بريح طَيِّبة وفَرِحُوا بها جَاءتْها رِيحٌ عاصفٌ وجَاءهُم الموجُ من كُلِّ مكانٍ وظنُّوا أنَّهم أُحِيطَ بهم دَعَوُا اللهَ مُخلصِينَ لهُ الدِّينَ لَئِنْ أنْجيتَنَا من هــذِهِ لنَكُونَنَّ منَ الشَّاكِرين فلمَّا أنْجاهُم اذا هُم يبغُون في الأَرض بغَيرِ الحَقِّ)•[2]

لما كان يوم الفتح فرّ عكرمة ابن أبي جهل فركب البحر فأصابتهـم عاصف ، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لاتغني عنكم شيئا ، فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ماينجني في البر غيره ، أللهم ان لـك عهدا ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما ، قال : فجاء فأسلم •

وظاهر الآية أنه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط به سبحـــانه بل تخصيص العبادة به تعالى أيضا لأنهم بمجرد ذلك لايكونون مخلصين له الدين ، وأياما كـان فالآية دالة على أن المشركين لايدعون غيره تعالى في تلك الحال •

وأنت خبير بأن الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطـير وخطب جسيـم في بر أو بحر دعوا من لايضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع ، فمنهم من يدعو الخضر والياس ، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ، ومنهم من يضرع الى شيخ من مشائخ الأمة ، ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه بتضرعه ودعاه ، ولا يكاد يمر له ببال انه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال ، فباللـه تعالى عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا ، وأيّ الداعيين أقوم قيلا ، والى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة ، وتلاطمت أمواج الضلالة ، وخرقت سفينة الشريعة ، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة

---

(١) البقرة : ١٨٦ ــ (٢) يونس : ٢٢ ، ٢٣

وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف ، ومالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف .

وفيه أيضا في تفسير قوله تعالى : (والَّذين عَملوا السَّيئات ثمَّ تابوا منْ بعدهَا وآمنُوا انَّ رَبَّكَ من بعدهَا لغفورٌ رَحيمٌ)[1] وقد أورد كلاما حاصله أن يلتجيء الانسان في المهمات اليه تعالى ، ثم قال : وفي الآية اعلام بأن الذنوب وان جلت وعظمت فان عفو الله تعالى وكرمه أعظم وأجل ، وما ألطف قول أبي نواس غفر الله تعالى له :

يارب ان عظمت ذنوبي كثيرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لايرجوك الا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم

ومما ينسب للامام الشافعي رضي الله تعالى عنه :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا ربي لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكم في هذا التفسير الجليل الشان من مسائل تتعلق بوجوب تحقيق توحيد الملك الديان ، وافراده سبحانه بأن يستغاث ويستعان .

وفي كتاب ابن أبي الدنيا ــ الذي ألفه في كلام المحتضرين ــ شيء كثير من كلام الصالحين ، والأولياء والعارفين ، الذي تكلموا في آخر عمرهم ، وقد حصروا الاستعانة والالتجاء به تعالى ، وانه لاينبغي أن يستغاث بغيره ، نظما ونثرا ، وقد أفرد له الغزالي بابا في الاحياء ، وأتى الزبيدي في شرحه بملخص كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا ، تركنا ذكره لطوله ولكونه متداولا هذا الكتاب بين الناس .

ومن المنظوم في هذا الباب ما قاله الشاعر الشهير الشيخ صالح تجاوز الله عنه :

ياسائلا غير الله انسما بشراك بالخيبة والرد
ان الذي سواك من نطفة يغنيك عن مسألة العبد

ولآخر

لاتسألن من ابن آدم حاجة وسل الذي أبوابه لاتحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله وبنيّ آدم حين يسأل يغضب

وللعلامة الجليل ، والفاضل النبيل ، محدث عصره ، وحافظ مصره ، الشيخ علي السويدي ، صاحب كتاب العقد الثمين عليه الرحمة :

يانفس كم لاتعبئين بحالي هل اتعظت بفرقة الأمثال

(١) الاعراف : ١٥٣

ذهب الزمان بأهله وتخلفت ... أخلاف سوء عادموا أفضال
بئس الخلائق هم ولا ذكرى لهم ... أشباح أهواء ومحض خيال
أخلاقهم نقض العهود ودأبهم ... خلف الوعود وزخرف الأقوال
لايعرفون وداد من صافاهم ... ويرون ذلك شعبة لضلال
لايسألون عن الصديق كأنهم ... جلوا عن الاشباه والأمثال
ألفوا الجفاء فمن أتى منهم بما ... فيه الوفاء فقد أتى بمحال
أديانهم دنيا بدت تبدي لنا ... مافيهم من أسوء الأفعال
يتفاخرون بجمع أموال غدت ... نسبا شريفا وابتهاج جمال
أفلا يرون بني اليهود وعابدي الـ ... أنداد أجمع منهم للمال
اني بلوتهم فلم أر فيهم ... الا البلاء وأعظم البلبال
لاخير فيهم غير أن وفاقهم ... نكد وهم مؤذن بوبال
يانفس عدي عنهم وتصبري ... فهم الغثاء ودمنة الأطلال
وتخيلي لمثالهم من طينة ... غبراء وانظر مقتضى التمثال
وثقي بمن خلق السموات العلى ... الواحد المتكبر المتعالي
والله ماأسفي غدا الا على ... ما ضاع مني سابق الأحوال
مع أنني من فضل ربي ليس لي ... طمع بجاه عندهم وبمال
ياصاحب النفس الملومة انني ... أنهاك دهشتها بيوم كلال
صاح استمع نصحا أتاك مفصلا ... كتفصل العقيان فوق لئال
بادر بقايا عمرك الفاني فلا ... تصرفه الا في الرضى المتوالي
واشغل فؤادك دائبا متفكرا ... فيما يليق بمنصب الاجلال
واخلص عبادتك التي باشرتها ... في القول والأحوال والأفعال
واشغل بذكر الله قلبك لاهجا ... بصفاته العليا بلا امـلال
واجعل مماتك نصب عينك انه ... أولى الأمور وأنصح الأحوال
واعلم بأنك بعد ذاك محاسب ... فاضبطه لاتك فيه ذا اهمال
واعلم بأنك بعد ذلك صائر ... اما الى بؤس أو الأفضال
وادأب على حفظ الشريعة سالكا ... سبل الهدى لا قاليا أو غالي
وابدأ بحفظ القلب عن شبهاته ... واعرف مساويها على الاجمال
وكذاك فاحفظه عن الشهوات اذ ... بالحفظ من هذين كل كمال

ثـم اسقـه ماء الحيـاة بواعظ ... من محكـم التنزيـل في اجـلال
واحرس فراغـك بالتـذكر انـه ... عمر اذا مـا ضـاع منـك لغالي
واحفظ جوارحك التي أوتيتهـا ... عن كل مايقضى بكـل نكـال
واعلـم بأنـك ماخلقت سبهـلا ... فاعبـد الـه العرش بالاقبـال
واجعـل سلاحـك دعـوة بانابة ... والجـأ الى مولاك غـير مبـال
واسألـه لاتسأم فانـك عبـده ... فهـو الكريـم ورب كل نـوال
يارب فاقطـع عن فؤادي كل مـا ... أرجـوه الا منـك من آمـال
واغسـله من درن الظنـون فانه ... مرض القلوب وموجب الاعـلال
وأرحـه من نظـر العبـاد فانه ... أصـل الفسـاد وافسد الأشغـال
وارزقه خشيتـك التي تستوجب الـ ... حسنى لدى المقبول من أعمـال
يارب وفقنـي لمـا فيـه الرضى ... فلقـد وعدت اجابة التسـآل
واختم لنـا بالخـير عاجلـه الذي ... تبـدو حـلاوة ذوقـه بمـآل
يارب انـي عبـدك الجاني على ... نفسي تجـاوز عن قبيـح فعـالي
واجعـل صلاتك دائمـا تترى على ... كنـز المعالي السيـد المفضـال
وكـذا علـى آل له وصحـابة ... أهـل العلى والعز والاجـلال

فانظر الى قوله واسأله لاتسأم الخ ، وفي نسخة :

واسأله لاتسـأل سـواه فانه المـ ... ولى الكـريم ورب كل نـوال

وقوله : يارب فاقطع الخ ، والى قوله : وأرحه من نظر العباد الخ ، والى سائر أقواله تجد أنوار التوحيد تشرق منها ، وهكذا المؤمن المتبع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لايستمد ولا يستغيث ولا يلتجيء ولا يستعين الا باللـه ، ومن كان على قلبه حجاب الغفلة وصدأ الضلال وداء الزيغ أعرض عن الله ، ونادى غيره ، وأقبل على ماسواه وشرع يتشبث بالشبهات الواهيـة ، والدلائـل الفاسـدة ، والحكايات الكاذبة ، ولم يلتفت الى نصوص الشريعة الغراء ، وما ورد من الأحاديث الصحيحة الصريحة ، وعليك بما ألفه هذا الناظم الفاضل في العقائد السلفية ، وهو كتاب (العقد الثمين) وقد بلغني أن بعض أفاضل الحنفية كتب في وصيته لبنيه أن يقرؤا هذا الكتاب ، ويعقدوا خناصر قلوبهم على حفظه ، فان النجاة فيه وفي أمثاله من كتب حفاظ الحديث وعلماء السنة النبوية ، وهذا الكتاب جمع جميع مايجب على

المكلف معرفته ، ولذلك قال فيه العالم العلامة الشيخ محمد خليل الدمشقي الشهير بابن الخشنة مقرظا ومادحا لهذا الكتاب وذاكرا فيه بدع الغلاة وهو قوله :

لله در امام ساد كل علي — فحق بالحق أن يدعى بملا علي
اهدى الينا كتابا من براعته — هو الشفاء لمرضى الغي والخطل
ابدى به من رقيق الفكر فانفجرت — منه عيون الهدى أحلى من العسل
لاغرو فهو امام العصر جهبذه — بل قد غلا وعلا فيه على الأول
لاضير ان أشرقت فينا طوالعه — فالشمس رادالضحى كالشمس في الطفل
عقائد هي عين الحق هادية — الى صراط سوي جل عن دغل
من سنة المصطفى والآي قد نسجت — تلك البرود فكانت أشرف الحلل
وطرزت بدراري العقل ساطعة — منها البراهين تمحو غيهب الزلل
قد أظهرت بدعا صارت ترى سننا — لدى الالي سكروا عن شرعة الرسل
قوم هم نهجوا سبل الغواية اذ — زاغوا فعندهم ابليس خير ولي
والقطب والغوث والابدال من تركوا — شرائع الدين أو سبوه بالجمل
قلنا لهم لم يصلوا قيل عندكم — وبعضهم قال هم عنها لفي شغل
جهال قلنا فقالوا اللب عندهم — والقشر عندكم للرد والجدل
فساق قلنا فقالوا يسترون على — أحوالهم كي تظنوهم من السفل
قلنا زناة فقالوا ذاك عن حكم — أقلها سد ثقب الفلك عن خلل
قلنا لهم يأكلون السحت قيل هم — بحر ولا تقذر الأمواج بالبصل
برهانهم من حكايات مزخرفة — هي الغرور من الشيطان للختل
عمي عن الحق صم حيث عالمهم — لايدرك الفرق بين الجذب والخبل
تبا وتبا لسياراتهم فلقد — غشت على عين شرع الله بالقذل
تكونت من مناكير منغصة — ومن جنون ومن حمق ومن ثمل
ولو ترى لرأيت النكر غشولهم — وثور أعلامهم من أسمج الحيل
وطالما مر من للدين منتسب — مخشوشع ضارع يبكي بكا العيل
وهزهم للتوابيت التي ارتفعت — ونكس أرؤسهم باللثم والقبل
وقولهم يابني يحيى عليك به — فخذه واقتله وانصرني على عجل
وغائبي يوم تأتيني به عجلا — نذري اليك كذا يأتي بلا مهل
كم غصة قتلت كم رجفة قصمت — ظهر الأريب وكم نبل من الأسل

حتى أقامت به الأعداء حجتهم ... من كل منتقص للدين أولولي
واضيعة الدين اذ أهل الكتاب غدت ... تظن ذا دين خير الرسل واخجلي
وياخسارتهم ياقبح مافعلوا ... كأنهم لم يميزوا الرب من هبل
وياشقاوة قوم بين أظهرهم ... لو نافقوا وتلوا متنا من الخبل
ادواء لايرتجى برء لعلتها ... الا بشرب حبوب الموت بالعلل
ألم يروا نقم الله التي اشتعلت ... ترمى جمالات صفر من لظى الجلل
سكرى ثملت بدن من معتقة ... ماشيب فيها سوى الدردي بالأصل
ماست رويدا وكان النشر يقعدها ... حتى ارتوت بغبوق النهل والعلل
واستحكم السكر منها فانثنت طربا ... تهتز في خبب رقصا وفي رمل
هاجت بها ريح نجد بالصبا سحرا ... وناح صدح رخيم الناي بالزجل
غنت عراقا وغنت بالحجاز على ... برج النوى بافانين من الغزل
وقودها الناس بل من غيضها شهقت ... بالطفل والحمل والأنعام للنزل
فتكا وذبحا وبقرا للبطون على ... عقر البهائم بعد القطع للسبل
ولات حين مناص حيث داهية ... دهماء قد سطرت في سابق الأزل
كأنما صيحة الله التي عقلت ... أودت بعقل أولي الألباب ذي الدول
وهكذا يصنع الله متى انتهكت ... شرائع الدين صونا منه عن بدل
هلا رجعنا لمحو الذنب حين ربا ... مستمطرين الدما من صيب المقل
مستمسكين بعروى دين أحمدنا ... مستوثقين بمولى خير متكل
تذب عن بيضة الاسلام من كثب ... بصارم الشرع نرجو منة النفل
ياسيد الدهر ماهذا الأنين على ... آثار سعدى وسعد الدين في زحل
ويابديع المعاني راح يلمزها ... قوما غدوا يعدلون الذر بالجمل
ناديت صما ولكن لاحياة لهم ... هيهات هيهات عن ذا الكل في شغل
رشيت نبلا ولكن لاحراك لها ... هل يخرق السهم صم الصخر والجبل
وهل منار السهى وازى الحضيض علا ... وهل يطابق معوج بمعتدل
حركت مني هوى قد لج في كبدي ... نضيحة خلط الاخلاط بالعضل
وأنت كشاف غم المعضلات اذا ... غبطا يقولون جار الله معتزلي
خفرت ذمة أهل الله فأتمنوا ... وجزت فيهم صراط الناسك النكل
شكرا لسعيك قد وفيت عهدك لا ... تخشى السوى حبذا من عالم بطل

قفــوت آثار آل كلهــم منن | على البــرية اذ جلوا عن المثــل
غر فضائلهم عز فواضلهــم | نور شمائلهــم بالعلم والعمــل
أدنى الخطا لمعالي نيل سوددهــم | لو رامها البدر في عامين لم يصل
لو لم يكونوا أسودا ماجرى مثـلا | مافي السويــدا رجال يوم مرتحـل
باتوا فكانت سويدا القلب مسكنهم | على الحقيقة خوفا من عنا المقـل
كفى كفى الناس عزا منكم وبكـم | كما كفـى الشعــر عزا أنه بعلي

وكان هذا الفاضل رحمه الله تعالى من أعيان علماء دمشق الشام ، وكان سلفي العقيدة ، وكم له من قصائد غراء منع فيها الاستغاثة والالتجاء بغير الله تعالى ، وكان سيفا في أعناق الغلاة المبتدعة عبدة القبور ، ولا بدع ففي دمشق أنصــار الدين ، وأئمة الحديث ، وحفظة السنة ، لاهتك الله لهم حريما ، ولا مزق لهم أديمـا ، ولا أخلى الله تعالى الزمان من مثلهم •

ومن ذلك الأبيات المشهورة ، وقد قالوا انها استغاثة مباركة مادعا بها أحد في حاجة الا قضيت ولا توسل بها مريض الا شفي باذن الله تعالى ـ وهي :

يامن يرى مافي الضمير ويسمــع | أنــت المعد لكــل مايتوقــع
يامن يرجى للشدائد كلهــا | يامن اليــه المشتكى والمفــزع
يامن خــزائن ملكــه في قــول كن | أمنن فان الخير عنــدك أجمــع
مالي سوى فقري اليك وسيــلة | فبالافتقــار اليــك فقري أدفــع
مالي سوى قرعي لبابك حيــلة | ولئــن طردت فــأي باب أقــرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمــه | ان كان فضلك عن فقيرك يمنـع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيــا | الفضــل أجزل والمواهب أوســع
بالــذل قد وافيت بابك عالمــا | ان التــذلل عنــد بابك ينفــع
وجعلت معتمــدي عليك توكــلا | وبسطت كفي سائــلا أتضــرع
فاجعل لنا من كل ضيق مخرجــا | والطف بنا يامــن اليه المرجــع
ثم الصــلاة على النبــي وآله | خير الخلائق شافع ومشفــع

ومن ذلك قول بعض العارفين ـ وهي استغاثة مباركة أيضا لم يزل الصالحون يناجون مولاهم بها ويستمطرون سحائب لطفه تعالى :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا | وبت أشكو الى مولاي ماأجــد

وقلت ياأملي في كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها ... مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذل مبتهلا ... اليك ياخير من مدت اليه يد
فلا تردنها يارب خائبة ... فبحر جودك يروي كل من يرد

ومن ذلك ماقاله البستي في قصيدته الشهيرة :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران
من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله في طلب ... فان ناصره عجز وخذلان

ولبعض الصالحين ، وهي قصيدة مشهورة ـ وقد خمسها بعض أهل الزهد وهذا الأصل والتخميس :

رفعت مقامي منة وتفضلا ... وكملتني بالعلم والحلم والولا
ومنك ملأت الكف لي لا من الملا ... لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلا
تباركت تعطي من تشاء وتمنع

عروس التجلي في فؤادي تنجلي ... وان وعائي بالمعارف ممتلي
وأرجوك يامولاي ياذا التفضل ... الهي وخلاقي وسؤلي وموئلي
اليك لدى الأعسار واليسر أفزع

اذا كنت لي في جملة الأمر معتني ... وقد نلت هذا الحظ من فضلك السنى
فلست أبالي مع عيوبي [1] ... الهي لئن خيبتني وطردتني
فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع

أنا العبد عبد الرق في كل حالة ... ولست بعبد في الرخا أو بشدة
لك الأمر في الحرمان أو في العطية ... الهي لئن جلت وجمت خطيئتي
فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع

اذا سلكت دنياي بالحال سبلها ... وأظهرت الأيام في العبد جهلها
فلست يئوسا بل أقول لعلها ... الهي لئن أعطيت نفسي سؤلها
فها أنا في روض الندامة أرتع

اليك رجائي ينتمي واضافتي ... ومنك أرى سكري بدا وافاقتي

(١) هذا الشطر ناقص فليحرر

وهب أنني أخرت عن سـير ناقتي الهي ترى حالـي وفقـري وفاقتي

وأنت مناجـاتي الخفية تسمـع

بحبـك ثوبي في البرية منصبـغ ولا زال بالأشـواق جلـدي يندبغ

وقلبي على الحـالين من أمره لدغ الهي فلا تقطـع رجـائي ولا تزغ

فؤادي فلي في سيب جودك مطمـع

جداري على تأسيس جدواك قد بنى ولا زال قلبـي بالتـذكر يعتني

واني أنـادي كلمـا الوجد حثني الهي أجـرني من عذابـك انني

أسير ذليـل خائف لك أخضـع

رفعـت الى عليـاء جاهـك قصتي عسى تكشف الآن بقـربك غصتي

اذا أنت بالتـوحيـد طبق محجتي الهـي فأنسني بتلقـين حجتي

اذا كان لي في القبر مثوى ومضجع

أنا العبد ملق بالرجا وسط لجـة ورجت غراما أرض نفسي بسـرجة

ولست أرى عذرا ولا بعض حجـة الهي لئن عذبتنـي ألف حجـة

فحبـل رجائي منك لاينقطـع

سألتك تعفو عن ذنوبي تفضـلا فاني لقـد أكثرت فيك التوكـلا

بأسمائك الحسنى دعوت توسـلا الهي أذقني طعـم عفـوك يوم لا

بنـون ولا مال هنالك ينفـع

حديث غرامي فيك لازال شايعـا وأنت اشتريت النفس مذ كنت بايعا

فجـد لي بأمن منك لاألك رايعـا الهـي لئن لم ترعني كنت ضايعـا

وان كنت ترعاني فلست أضيـع

عليـك ثنائي من جميعـي بألسن على كل فعل من فعـالك بي سنى

أتيـت بذنب لي عن الغـير مرسن الهـي اذا لم تعف عن غـير محسن

فمـن لمسـيء بالهوى يتمتـع

هو العبـد من مولاه بالمنـة ارتقى غداة له كأس المحبـة قد سقى

عليـك اتكالي قد عدمت لك البقـا الهي لئن قصـرت في طلب التقى

فلست سوى أبواب فضـلك أقرع

دفعت عـذول الحب عنـي بالتي وفيك فتى أصبحت نحـوك مافتى

فان عثـرت رجلي وجلـت خطيئتي الهي أقلنـي عثرتي وامـح زلتي

فانـي مقـر خائف متضـرع

محبــك لما أنت جــدت له فنــي فهيهــات ان تلقــاه بالخــير معتنى
وها أنا راجي الفضل ماعنــك أنثني الهــي لئن خيبتنــي وطردتني
فما حيلتي يارب أم كيف أصنــع

جمالــك باه في الملاحة باهــر ومنــك يواقيت بدت وجواهــر
أأبقى ومنــه قد تجلت مظاهــر الهي حليــف الحب بالليــل ساهر
يناجي ويبكي والقفول يهجــع

مقامك أضحى بانتسابي عاليــا فأخرجت من أصداف علمي لئاليــا
وحزني أولوا التحقيق راموا مراميا وكلهم يرجــو نوالك راجيــا
والا فبــالذنب المدمر أصــرع

لوجهــك قــوم أولعــوا بجمــاله وكــل تفــانى طامعــا بوصاله
فبدل لنــا نقص الهوى بكمــاله الهــي بعلــم الهاشمي وآلــه
وتوحيــد أبرارهــم لك أخشــع

ظهورك بي عنــدي أراه علامــة على أنــك المســدي الي كرامــة
وان رامــت الأغيــار مني انتقــامة الهي أنلنــي من رجائي ســلامة
وقبــح خطيئــاتي علي يشنــع

مقام الترجي للنــوال هو الــذي أقــام فؤادي بالتردد يغتــذي
وان لســاني في ثنا مدحــه بذي الهي لئن تعفــو فعفوك منقــذي
واني يــارب الورى لــك أخضــع

امام الهدى اني ورائك مقتــدي ولي فيــك قلب من تشوقه صــدى
وقد بت أستجدي باحشاء مكمــد الهي فانشــرني على دين أحمــد
منيبــا تقيــا قانتا لك أضــرع

سمــاء العطايا قد رفعت لها يــدي وأصبحت أرجو زهر روضتها الندي
وأشهدت هذا الباب في كل مشهــد فلا تحــرمني ياالهــي وسيــدي
شفاعته الكبرى فذاك المشفــع

هو المصطفــى المختار طه محمــد نبي الهدى رؤيــاه للعين أثمــد
ســلامك من عبد الغني له يــد وصــل عليــه مادعــاك موحــد
وناجاك احيــاء ببــابك ركــع

وللزمخشري المفسر الشهير ــ مع أنه كان يرمى بالاعتزال ــ مناجيا مــولاه

ومستغيثا بالله ـ وهكذا فليكن من يدعي التوحيد ، ويعتقد أنه على الرأي السديد ـ :

يامن يرى مد البعوض جناحها	في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها	والمخ في تلك العظام النحل
ويرى مكان المشي من أقدامها	وخطيطها في مشيها المستعجل
ويرى مكان الدم من أعضائها	متنقلا من مفصل في مفصل
ويرى ويسمع حس ماهو صوتها	في قعر بحر غامض متجدول
أصواتها مرفوعة عند الندا	أرزاقها مقسومة للسؤل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته	مافات منه في الزمان الأول

وقد استشهد ببعض هذه الأبيات في تفسير سورة البقرة من الكشاف ، وهذه الأبيات تشرق بأنوار التوحيد .

وكان الشيخ شهاب الدين السهروردي يواظب على قراءة هذه الاستغاثة ، وذكروا لها خواص كثيرة وفوائد عظيمة لمن يداوم على قراءتها ، وهي :

سبحانك لا اله الا أنت ، يارب كل شيء ووارثه ، ياإله الآلهة الرفيع جلاله ، ياالله المحمود في كل حال فعاله ، كل يوم هو في شأن ، ياحي حين لاحي في ديمومية ملكه وبقائه ، ياقيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده ، ياواحد الباقي أول كل شيء وآخره ، ياصمد من غير شبهة ولا شيء كمثله ، يابادىء النفوس فلا شيء كفؤه يدانيه ولا امكان لوصفه ، يا كبير أنت الذي لاتهتدي العقول لوصف عظمته ، ياباريء النفوس بلا مثال خلا من غيره ، يازاكي الطاهر من كل آفة بقدس جلاله ، ياكافي الموسع لما خلق من عطايا فضله ، يانقيا من كل جور لم يرضه ولم يخالطه فعاله ، ياحنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما ، يامنان ذو الاحسان قد عم كل الخلائق منه ، ياديان للعباد كل يقوم خاضعا لرهبته ورغبته ، ياخالق من في السموات والأرض كل اليه معاده ، ياتام فلا تصف الألسن كنه جلالة ملكه وعزه ، يارحيم كل صريخ ومكروب وعياذه وغياثه وملاذه ، يامبدع البدائع لم يبغ في انشائها عونا ، ياعلام الغيوب فلا يؤوده شيء من حفظه ، ياحليم ذا الانابة فلا يعادله شيء من خلقه ، يامعيد لما أفناه اذا برز الخلائق لدعوته ، ياحميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه ، ياعزيز المنع الغالب على أمره فلا يعادله ، ياقاهر ذا البطش الشديد

أنت الذي لايطاق انتقامه ، ياقريب ، يامتعالي فوق كل شيء علو ارتفاعه ، يامذل كل جبار بقهر عزيز سلطانه ، يانور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات بنوره ، ياعلي الشامخ فوق كل شيء علو ارتفاعه ، ياقدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعادله ، يامبديء البرايا ومعيدها بعد فناء خلقه ، ياجليل المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده ، يامحمود فلا تبلغ الأوهام كل كنه ثنائه وعزه ومجده ، ياكريم ذو العفو والعدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله ، ياعظيم ذو الثناء الفاخر والعز والمجد والكبرياء ، فلا يذل عزه ، يامجيب ، ياعزيز فلا تنطق الألسن بكل آلائه وثنائه ومجده وعزه ، ياغياثي عند كل كربة ، ومجيبي عند كل شدة ـ أسألك أمانا من عقوبات الدين والدنيا والآخرة ، وأن تصرف عني كل سوء ومحذور ، برحمتك ياأرحم الراحمين اهـ •

وله حزب مشهور وهو استغاثة والتجاء بالله سبحانه ، أوله : الهي واله جميع الموجودات • فيه من المناجاة والتضرع الى الله وطلب الغوث منه والاستعانةبهمايليق بحال العارفين والصفوة والمتبعين •

وللشيخ الدمياطي قصيدة طويلة دعا الله تعالى بأسمائه الحسنى فيها واستغاثه بها ، ومنها قوله في آخرها :

بأسمائك الحسنى دعوتك سيدي	وجئت بها ياخالقي متوسلا
ومبتهلا ربي اليك بفضلها	وأرجو بها كل الأمور مسهلا
فقابل الهي بالرضا منك واكفني	صروف زماني مكثرا ومقللا
وجد واعف وارحم وانصر على العدى	وتب واهد واصلح كل حال تخلخلا

وفي كتاب شفاء العليل : كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح ، فمنها أن يعيذ وينصر ويغيث ، فكما يحب أن يلوذ بهاللائذون يحب أن يعوذ به العائذون ، وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم ، كما قال أحمد بن حسين الكندي في ممدوحه :

يامن ألوذ به فيما أؤمله	ومن أعوذ به مما أحاذره
لايجبر الناس عظما أنت كاسره	ولايهيضون عظما أنت جابره

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله •

والمقصود : أن ملك الملوك يحبأن يلوذ به مماليكه وان يعوذوا به كما أمر

رسوله أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه أه •

وقد رأيت أحزابا كثيرة لجماعة من الصالحين ، وليس فيها طلب شيء من مخلوق ، بل كلها مناجاة لله واستغاثة به سبحانه ، نعم رأيت في بعضها توسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم نحو قول قائلهم أسألك الهي بجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم أو حقه أو نحو ذلك ، وهذا ليس استغاثة به ، فان السؤال من الله تعالى ومسألة التوسل مسألة أخرى وليس كلامنا فيها •

والنبهاني لجهله لم يفرق بين المسألتين حتى جعل التوسل استغاثة ، بل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم استغاثة ، فاستشهد بكل كلام رأى فيه توسلا وصلاة ونحو ذلك يظن أنه استغاثة وذلك من الجهل بمكان •

وقد أبطلنا بحمد الله كلامه وأظهرنا من جهله ماأصبح به بين الأنام مثلة وفضيحة •

فقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع

وقد أورد أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في كتاب (المستغيثين بالله عند الحاجات والمهمات ، والمتضرعين الى اللهسبحانه وتعالى بالرغبات) مايضيق هذا المقام عن ذكره فعلى طالب الحق أن يراجعه ويجعله مرآة عمله وبه يعلم أن النبهاني كذب على عباد الله الصالحين •

(قال النبهاني) الباب الثامن فيما ورد من النظم في استغاثة العلماء والفضلاء به صلى الله عليه وسلم ، ومن قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجى له حصول المقصود ببركة الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، قال : ومعظم هذه الاستغاثات أخذتها من بعض قصائد المجموعة النبهانية ، وما لم يكن منها نبهت عليه ، ثم أورد الشعر مرتبا على حروف الهجاء وأورد في كلحرف كثيرا من الأبيات لشعراءمتفرقين، ولا حاجة بنا الى نقله في هذا المقام لكون كتابه منتشرا •

(والجواب) عن جميع ماأورده في هذا الباب من وجوه كثيرة يستوجب ذكرها طولا ، بل نقتصر على بعضها طلبا للاختصار ، على أنه قد سبق غير مرة مايعلم منه الجواب أيضا فنقول : —

(الوجه الأول) أن مايستدل به على مثل هذه المطالب انما هو الكتاب والسنة واجماع الأمة ، وقد سبق أن كل ذلك يدل دلالة صريحة أن مالا يقدر عليه الا الله تعالى لايطلب من سواه سبحانه ، بل ان من طلب ذلك من غيره فقد ابتغى غير سبيل

المؤمنين ، وذكرنا حكم من كان كذلك ، وأن كل أحد ماسوى الرسول يؤخذ منه مايوافق الكتاب والسنة ، وغير الموافق ينبذ به بوجه قائله كائنا من كان ، خصوصا اذا كان جاهلا ككثير ممن أورد شعره النبهاني ، فانهم لايعدون من العير ولا من النفير ، ومنهم هو ، فان النبهاني أورد في كثير من الأحرف أبياتا من شعره الركيك ، وجعله حجة على أهل الحق ودليلا على مقصده ، وهكذا أورد كثيرا من شعر أمثاله من الجهلة الغلاة ، فذلك بحمد الله لايدفع الحق ولا يعارضه .

(الوجه الثاني) انه قد ذكرنا سابقا كثيرا من كلام العارفين من النظم والنثر مايقتضي أن يوحد الله بالسؤال ، وأن يفرد سبحانه بالاستعانة والالتجاء اليه ، وهو الموافق لما ورد من ذلك في الكتاب والسنة ، وما كان عليه الصحابة والأئمة الهداة ، وذكرنا أن في كتاب المستغيثين بالله عند الملمات والمهمات البحر الذي ليس له ساحل ، فمن يلتفت بعد هذا لمثل ماذكره هذا الزائغ ؟ (وان جندنا لهم الغالبون) ، والحق يعلو على الباطل ، وليس بعد الحق الا الضلال البعيد .

(الوجه الثالث) أن قول النبهاني في شأن مااستشهد به من الشعر والأبيات من قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجى له حصول المقصود ببركة الاستغاثة الخ دعوى كاذبة ، ليس عليها دليل سوى حكايات يرويها الغلاة وهم بيت الكذب ، وان سلم صحتها فليس فيها دليل على مادعاه النبهاني ، فان اجابة الدعاء عند القبور للسائلين لادليل فيه على أنه دين الله ، وأنه يحبه ويرضاه ، وأكثر مايدعو هؤلاء الغلاة الى دعاء القبور والصالحين مايحكونه من أن فلانا دعا فاستجيب له واستغاث فأغيث ، وفلان رد عليه بصره ، وعند السدنة وعباد القبور من هذا شيء كثير ، قد أورد منه النبهاني شيئا كثيرا جعله من قواعد مذهبه ، وأدلة شركه ، وقد ذكرنا سابقا أن أسباب المقاصد قد تكون محرمة كالسحر ونحوه ، وانما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها دينا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه السابقون الأولون ، وماسوى هذه من الأمور المحدثة فلا يستحب وان اشتملت أحيانا على فوائد ، لأنا نعلم أن مفاسدها راجحة على فوائدها .

(الوجه الرابع) أن الشرك وقع كثيرا من دعاء غير الله كالشرك بأهل القبور ، من دعائهم والتضرع اليهم والرغبة اليهم ونحو ذلك ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصا عند القبور لئلا يفضي ذلك الى نوع من الشرك بربهم ، فكيف اذا وجد ماهو نوع الشرك من الرغبة اليهم ،

سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله ، بل لو أقسم على الله ببعض خلقه من الأنبياء والملائكة وغيرهم لنهي عن ذلك وان لم يكن عند القبر ، كما لايقسم بمخلوق مطلقا ، وهذا القسم منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة ، وهل هو نهي تحريم أو تنزيه ؟ على قولين ، أصحهما أنه نهي تحريم ، ولم يتنازع العلماء الا في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، فان فيه قولين في مذهب الامام أحمد، وبعض أصحابه - كابن عقيل - طرد الخلاف في الحلف بسائر الأنبياء ، لكن القول الذي عليه جمهور الأئمة كمالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم أنه لاتنعقد اليمين بمخلوق البتة ، ولا يقسم بمخلوق البتة ، وهذا هو الصواب ، والاقسام على الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي اشتمل عليه كثير من الشعر الذي أورده النبهاني في هذا الباب ينبني على هذا الأصل ، ففيه هذا النزاع ، وقد نقل عن أحمد في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في منسك المروذي مايناسب قوله بانعقاد اليمين به ، لكن الصحيح أنه لاتنعقد اليمين به فكذلك هذا ، وأما غيره فما علمت بين الأمة فيه نزاعا ، بل قد صرح العلماء بالنهي عن ذلك، واتفقوا على أن الله يسأل ويقسم عليه بأسمائه وصفاته كما يقسم على غيره بذلك ، كالأدعية المعروفة في السنن : (اللهم اني أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام) وفي الحديث الآخر : (اللهم اني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) فهذه الأدعية ونحوها مشروعة باتفاق العلماء ، وأما اذا قال أسألك بمعاقد العز من عرشك فهذا فيه نزاع ، رخص فيه غير واحد لمجيء الأثر به ، ونقل عن أبي حنيفة كراهته ، قال أبو الحسين القدوري في شرح الكرخي : قال بشر ابن الوليد : سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة : لاينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك ، وهو قول لأبي يوسف .

قال أبو يوسف : بمعقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت والمشعر الحرام ، بهذا الحق يكره ، قالوا جميعا فالمسألة بخلقه لاتجوز ، لأنه لاحق للخلق على الخالق ، فلا يجوز أن يسأل بما ليس مستحقا ، ولكن معقد العز من عرشك هل هو سؤال بمخلوق أو بالخالق ؟ فيه نزاع بينهم ، فلذلك تنازعوا فيه ، وأبو يوسف بلغه الأثر فيه (أسألك

بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم ، وجدك الأعلى ، وكلماتك التامة) فجوزه لذلك .

وقد نازع في هذا بعض الناس ، وقالوا : في حديث أبي سعيد الذي رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء الذي يقوله الخارج الى الصلاة : (اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ، فاني لم أخرج أشرا ، ولا بطرا ولا رياء ،ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ،وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي) [1] وقد قال الله تعالى : (واتَّقُوا اللّٰهَ الَّذي تسَاءلونَ بهِ والأَرْحام) [2] على قراءة الجر كما يقال سألتك بالله وبالرحم .

ومن زعم من النحاة أنه لايجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فانما قاله لما رأى غالب الكلام باعادة الجار ، والا فقد سمع من الكلام العربي نثره ونظمه العطف بدون ذلك ، كما حكى سيبويه : مافيها غيره وفرسه ، ولا ضرورة هنا كما يدعى مثل ذلك في الشعر ، ولأنه قد ثبت في الصحيح أن عمر رضي الله عنه قال : (اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فيسقون) وفي النسائي والترمذي وغيرهما حديث الأعمى الذي صححه الترمذي (أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يدعو الله أن يرد بصره عليه ، فأمره أن يتوضأ فيصلي ركعتين ، ويقول : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يامحمد يانبي الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه فيّ ودعا الله فرد الله تعالى عليه بصره).

(والجواب) عن هذا أن يقال أولا : لاريب أن الله جعل على نفسه حقا لعباده المؤمنين ، كما قال تعالى : (وكانَ حَقاً علينا نصْرُ المؤمِنين) [3] وكما قال تعالى : (كَتَبَ ربُّكُم على نفسه الرَّحمَةَ أَنَّهُ من عَمِل منكُم سُوءاً بِجهالةٍ ثم تابَ). [4] الآية

وفي الصحيحين (أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل ــ وهو رديفه ــ يامعاذ أتدري ماحق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدري ماحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حقهم عليه أن لايعذبهم) فهذا حق وجب بكلماته التامة

(١) أورد استدلال بعض الناس بهذه الاحاديث وبالاية على جواز السؤال بحق المخلوق ثم أجاب عنها .
(٢) النساء : ١ ـ (٣) ـ الروم : ٤٧ ـ (٤) ـ الانعام : ٥٤

ووعده الصادق .

وقد اتفق العلماء على وجوب مايجب بوعده الصادق ، وتنازعوا هل يوجب الله بنفسه على نفسه على قولين ، ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه :(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) وبقوله في الحديث الصحيح : (اني حرمت الظلم على نفسي) الخ .. والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر .

وأما الايجاب عليه تعالى والتحريم بالقياس على خلقه : فهذا قول مبتدع ، مخالف لصحيح المنقول ، وصريح المعقول ، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء وربه ومليكه ، وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وان العباد لايوجبون عليه شيئا ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال انه كتب على نفسه الرحمة ، وحرم الظلم على نفسه ، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا ، كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فان الله هو المنعم على العباد بكل خير ، فهو الخالق لهم ، وهو المرسل اليهم الرسل ، وهو الميسر لهم الايمان والعمل الصالح ، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس مايستحق الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك ، واذا كان كذلك لم تكن الوسيلة اليه الا بما من به من فضله واحسانه ، والحق الذي لعباده هو من فضله واحسانه ليس من باب المعاوضة ولا من باب ماأوجبه غيره عليه ، فانه سبحانه يتعالى عن ذلك .

واذا سئل بما جعله هو سببا للمطلوب من الأعمال الصالحة التي وعد أصحابها بكرامته وأنه يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لايحتسبون فيستجيب دعاءهم ،ومن أدعية عباده الصالحين ومن شفاعة ذوي الوجاهة عنده ــ فهذا سؤال وتسبب بما جعله هو سببا .

وأما اذا سئل بشيء ليس هو سببا للمطلوب : فاما أن يكون اقساما عليه به فلا يقسم على الله بمخلوق ، واما أن يكون سؤالا بما لا يقتضي المطلوب فيكون عديم الفائدة .

فالأنبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم وبكلماته التامة ورحمته لهم أن ينعمهم ولا يعذبهم ، وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعائهم مالا يقبله من دعاء غيرهم ، فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع ربه ، وهو لم

يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته بل بنفس ذاتــه وما جعــله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب .

وحينئذ فيقال : أما التوسل والتوجه الى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين آووا الى الغار بأعمالهم الصالحــة وبدعاء الأنبيــــاء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لانزاع فيه ، بل هو من الوسيلة التي أمر الله بهــا في قوله تعالى : (يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا اتَّقوا اللّهَ وابتغُوا اليهِ الْوسِيلَة)[1]

وقوله سبحانه : (أُولئكَ الَّذينَ يدعُونَ يبتَغُونَ الى ربهم الوسِيلة أَيُّهم أَقربُ ويرْجُونَ رحْمَتَهُ ويَخافُونَ عذابه إِنَّ عذابَ ربِّكَ كانَ مَحْذُوراً)[2]

فان ابتغاء الوسيلة اليه هو طلب مايتوسل أي يتوصل ويتقرب به اليه سبحانه وتعالى سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر أو كان علــى وجه الســؤال له والاستعاذة به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار ، ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا ، الدعاء بمعنى العبادة ، والدعاء بمعنى المسألة ، وان كان كل منهمـــا يستلزم الآخر ، لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتفريج كرباته ، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع ، وان كان ذلك من العبادة والطاعة ، ثم يكون من أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والعافية مطلقا ، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الايمان بالله عز وجل ومعرفته ومحبته والتنعم بذكره ودعائه مايكون هو أحب اليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي أهمته ، وهذا من رحمة الله بعباده يسوقهم بالحاجات الدنيوية الى المقاصد العلية الدينية ، وقد يفعل العبد ابتداء مأمر به لأجل العبادة لله والطــاعة له ولما عنــده من محبته والانابة اليه وخشيته وامتثال أمره ، وان كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصــر والعافية ، وقد قال تعالى : (وقالَ ربُّكم ادْعُونِي أَسْتَجِب لَكم)[3] وقـــال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهــل السنن أبو داود وغــيره : (الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ قوله تعالى : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين ، قيل ادعوني أي اعبدوني وأطيعواأمري أستجب دعاءكم ، وقيل سلوني أعطكم ، وكلا النوعين حق ، وفي الصحيحين في قول

---

(١)المائدة : ٣٥ ـ (٢) الاسراء : ٥٧ ـ (٣) ـ غافر : ٦٠

النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النزول : (ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له ، حتى يطلع الفجر) فذكر أولا اجابة الدعاء ، ثم ذكر اعطاء السائل ، ثم ذكر اعطاء المغفرة للمستغفر ، فهذا جلب المنفعة ، وهذا دفع المضـرة ، وكلاهما مقصود الداعي المجاب ، وقال تعالى : (وإِذا سَأَلكَ عِبادي عَنّي فإِنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعوةَ الدَّاعي إِذَا دَعانِ فليستَجيبُوا لِي وليُؤْمنُوا بِي لعلَّهُم يَرْشُدونَ).[1]

وقد روي أن بعض الصحابة قال : يارسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه قريب يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، ثم أمرهم بالاستجابة له والايمان به ، كما قال بعضهم فليستجيبوا لي اذا دعوتهم ، وليؤمنوا بي أني أجيب دعوتهم ، قالوا : وبهذين الشيئين تحصـل اجابة الدعوة بكمال الطاعة لألوهيته ، وبصحة الايمان بربوبيته ، فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعاؤه ، كما قال تعالى :
(ويَسْتَجيبُ الَّذين آمَنُـــوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ ويَزيدُهُم مِنْ فَضْله)[2]
أي يستجيب لهم ، يقال استجابه واستجاب له ، فمن دعاه موقنـا أنه يجيب دعوة الداعي اذا دعاه أجابه ، وقد يكون مشركا وفاسقا ، فانه سبحانه هو القائل :
(وإذا مسَّ الإِنسانَ الضُرُّ دعَانا لجَنْبه أَو قاعِداً أَو قائِمًا فلما كَشفنَا عَنهُ ضُرَّهُ مَرَّ كأَن لَم يدْعُنا الى ضُرٍّ مسَّه)[3] وهو سبحانه القائل : (وإِذا مَسَّكُم الضُّر في البَحْر) الى قوله: (وكانَ الإِنسانُ كَفُوراً)[4] وهو سبحانه القائل : (قُل أَرأَيتَكُم إن اتاكُم عذَابُ الله أَو أَتتكُم السَّاعَةُ أَغيرَ اللهِ تدعُونَ إِنْ كُنتُم صَادقين . بلْ إِيَّاهُ تدعُونَ فيكشفُ ما تدْعُـونَ اليهِ إِنْ شَاءَ وتنْسَونَ ما تُشْرِكُـونَ)[5]
لكن هؤلاء الذين يستجاب لهم ــ لاقرارهم بربوبيته وأنه يجيب دعاء المضطر ــ اذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسله : كان مايعطيهم بدعائهم

(١) البقرة : ١٨٦ ــ (٢) الشورى : ٢٦ ــ (٣) يونس : ١٢ ــ (٤) الاسراء : ٦٧ ــ (٥) الانعام : ٤٠ ، ٤١

متاعا في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ، قال تعالى : (مَنْ كانَ يُريدُ العاجِلَه عَجَّلْنا لَه فيها ما نشَاءُ لمن نُريدُ) الى قوله : (وما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحظُوراً) (١) وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الايمان ، فقال : (وارْزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمرات من آمنَ منهُم باللهِ واليوم الآخِرِ) فقال تعالى : (ومن كَفَرَ فأمتِّعهُ قليلا ثُم أَضطَرُّهُ إلى عَذاب النَّارِ وبئسَ المصيرُ) (٢) فليس كل من متعه الله برزق ونصر ـ اما اجابة لدعائه واما بدون ذلك ـ يكون ممن يحبه الله ويواليه ، بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤالهم في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق ، وقد ذكر أن بعض الكفار من النصارى حاصروا مدينة للمسلمين فنفد ماؤهم العذب فطلبوا من المسلمين أن يزودوهم بماء عذب ليرجعوا عنهم ، فاشتور ولاة أمر المسلمين وقالوا بل ندعهم حتى يضعفهم العطش فنأخذهم ، فقام أولئك فاستسقوا ودعوا الله فسقاهم ، فاضطرب بعض العامة ، فقال الملك لبعض العارفين : أدرك الناس ، فأمر بنصب منبر له ، وقال : اللهم انا نعلم أن هؤلاء من الذين تكفلت بأرزاقهم كما قلت في كتابك : (وما منْ دَابَّةٍ في الارْض الَّا عَلى الله رِزقهَا) (٣) وقد دعوك مضطرين وأنت تجيب المضطر اذا دعاك فأسقيتهم لما تكفلت به من رزقهم ، ولما دعوك مضطرين ، لا لأنك تحبهم ولا تحب دينهم ، والآن فنريد أن ترينا فيهم آية تثبت بها الايمان في قلوب عبادك المؤمنين ، فأرسل الله عليهم ريحا أهلكتهم ، أو نحو هذا .

ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء اعتدى فيه : اما بطلب مالا يصلح ، أو بالدعاء الذي فيه معصية لله بشرك أو غيره ، فاذا حصل بعض غرضه ظن أن ذلك دليل على أن عمله صالح بمنزلة من أملي له وأمد بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات ، قال تعالى : (أيَحسَبُونَ أَنَّ ما نُمدُّهُم بهِ منْ مالٍ وبنينَ نُسارعُ لَهم في الخَيرات بلْ لا يَشعُرُونَ) (٤) وقال تعالى : (فَلمّا نَسُوا ما ذُكِّروا به فَتَحنا عَليهم أَبوابَ كُل شَيءٍ حتَّى إذا فرحُوا بما أُوتُوا أَخذناهُم بغتَةً فإذاهُم

(١) الاسراء : ١٨ ـ ٢٠ ـ (٢) البقرة : ١٢٦ ـ (٣) هود : ٦ ـ (٤) المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦

مُبلِسُونَ)[1] وقال تعالى : (ولَا يَحْسَبنَّ الَّذين كَفَروا أَنَّما نملي لهم خيرٌ لأَنفُسهِمْ انما نُملي لَهم ليزدادُوا إثْماً ولَهم عَذَابٌ مهينٌ)[2] والاملاء اطالة العمر وما في ضمنه من رزق ونصر ، وقال تعالى : (فَذرني ومَنْ يُكذِّبُ بهذا الحديث) الى قوله : (إنَّ كَيدي متينٌ)[3] وهذا باب واسع مبسوط في غير هذا الموضع ، وقال تعالى : (ادعُو ربَّكم تضرعاً وخُفيةً انَّهُ لا يُحبُّ المعتدينَ).[4]

والمقصود هنا : أن دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله يثاب العبد عليه في الآخرة مع مايحصل له في الدنيا ، وقد يكون دعاء مسألة تقضى به حاجته ، ثم قد يثاب عليه اذا كان مما يحبه الله ، وقد لايحصل له الا تلك الحاجة ، وقد يكون سببا لضرر دينه فيعاقب على ماضيعه من حقوق الله تعالى وتعداه من حدوده ، فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته ، فالتوسل اليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الاقسام عليه بمخلوقاته .

ومن هذا الباب : استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فانهم يطلبون منه أن يشفع لهم الى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره ، وقول عمر رضي الله عنه : (انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا) معناه نتوسل بدعائه وشفاعته وسؤاله ، ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد به انا نقسم عليك به أو مايجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه ، كما يقول بعض الناس أسألك بجاه فلان عندك ، ويقولون : نتوسل الى الله بأنبيائه وأوليائه ، ويروون حديثا موضوعا (اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عريض) فانه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم بأن السؤال به والاقسام به أعظم من العباس ، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات ، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لايطلب منه شيء لادعاء ولا غيره .

---

(١) الانعام : ٤٤ ـ (٢) آل عمران : ١٧٨ ـ (٣) القلم : ٤٤ ، ٤٥ ـ (٤) الاعراف : ٥٥

وكذلك حديث الأعمى ، فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره ، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه ، فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته ، وأن قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته ، كما قال عمر : (كنا نتوسل اليك بنبينا)فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : (يامحمد يارسول الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه فيّ) فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه ، وقوله : يامحمد يانبي الله . هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب ، كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا ، أو لكون الداعي محبا له مطيعا لأمره مقتديا به ، فيكون التسبب اما بمحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لابشيء منه ولا بشيء من السائل بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه . وكذلك لفظ السؤال بشيء قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام ، ومن الأول حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما ، فان الصخرة انطبقت عليهم ، فقالوا : (ليدع كل رجل منكم بأفضل عمله ، فقال أحدهم : أللهم انه كانت لي بنت عم فأحببتها كأشد مايحب الرجال النساء وانها طلبت مني مائة دينار ، فلما أتيتها بها قالت ياعبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتركت الذهب وانصرفت فان كنت انما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ، فانفرجت لهم فرجة رأوا منها السماء ، وقال الآخر : أللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لاأغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنآ بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقا فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما ، أللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لايستطيعون الخروج

منها وقال الثالث : أللهم اني استأجرت اجرآء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحـد ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجرته حتى كثرت منه أموال ، فجاءني بعد حين فقال ياعبد الله أد الي أجري ، فقلت له : كل ماترى من أجرك من الابل والبقر والغنم ، والرقيق ، فقال ياعبد الله : لاتستهزيء بي ، فقلت : اني لاأستهزيء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، أللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهـك فافرج عنـا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) فهؤلاء دعوا الله سبحانه بصـالح الأعمال ، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم مايتوسل به العبد الى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به ، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال تعالى : (وَيَستجيبُ الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالحات ويَزيدُهم من فضله)[1]

وقال تعالى : (وقال ربُّكم ادعُوني أَستجبْ لكُم)[2] وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ماأمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضـرع اليه ، ومن هذا مايذكر عن الفضيل بن عياض أنه أصابه عسـر البول فقـال بحبي ايـاك الا فرجت عني ففرج عنه .

وكذلك دعاء المرأة المهاجرة التي أحيا الله ولدها لما قالت أللهم اني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك ، وسألت الله أن يحيي ولدها ، وأمثال ذلك ، وهذا كما قال المؤمنون : (ربَّنا انَّنا سَمِعنا مُنادياً يُنَادي للإيمانِ أَنْ آمِنوا بربِّكم فآمَنَّا) الى قوله : (انَّكَ لا تُخلفُ المِيْعَاد) .[3]

فسؤال الله والتوسل اليه بامتثال أمره واجتنـاب نهيه وفعل مايحبـه من العبودية والطاعة هو من جنس فعل ذلك رجاء لرحمة الله وخوفا من عذابه ، وسـؤال الله بأسمائه وصفاته ـ كقوله : أسألك بأن لك الحمد ، أنت الله المنان بديع السموات والأرض ، وبأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـوا أحد ، ونحو ذلك ـ يكون من باب التسبب ، فان كونه المحمود المنان يقتضي منته على عباده واحسانه الذي يحمد عليه ، وكونه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد يقتضي توحده في صمديته ، فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد الناس اليه في حوائجهم المستغني عما سواه ، وكل ماسواه مفتقرون اليه لاغنى بهم عنه ، وهـذا

(١) الشورى : ٢٦ ـ (٢) غافر : ٦٠ ـ (٣) آل عمران : ١٩٣ ، ١٩٤

سبب لقضاء الحاجات والمطلوبات ، وقد يتضمن معنى ذلك الاقسام عليه بأسمائه وصفاته .

وأما قوله في حديث أبي سعيد : (أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا) فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب ، فان حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم ، وحق المطيعين له أن يثيبهم ، فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته ، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ، ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته ، فان اجابته واثابته من أفعاله وأقواله ، فصار هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) والاستعاذة لاتصح بمخلوق كما نص عليه الامام أحمد وغيره من الأئمة ، وذلك مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق ، ولأنه قد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق) قالوا : والاستعاذة لاتكون بمخلوق فأورد بعض الناس لفظ المعافاة ، فقال جمهور أهل السنة المعافاة من الأفعال .

وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم يقولون : ان أفعال الله قائمة به ، وان الخلق ليس هو المخلوق ، وهذا قول جمهور أصحاب الشافعي وأحمد ومالك ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة ، وقول عامة أهل الحديث والصوفية وطوائف من أهل الكلام والفلسفة ، وبهذا يحصل الجواب عما أوردته المعتزلة ونحوهم من الجهمية نقضا ، فان أهل الاثبات من أهل الحديث وعامة المتكلمة الصفاتية من الكلابية والأشعرية والكرامية وغيرهم استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره ، واتصف به ذلك المحل لاغيره ، فاذا خلق الله لمحل علما أو قدرة أو حركة أو نحو ذلك كان هو العالم به القادر به المتحرك به ، ولم يجز ان يقال أن الرب المتحرك بتلك الحركة ، ولا هو العالم القادر بالعلم والقدرة المخلوقين بل بما قام به من العلم والقدرة ، قالوا فلو كان قد خلق كلاما في غيره كالشجرة التي نادى منها موسى لكانت الشجرة هي المتصفة بذلك الكلام ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى (انني أنا الله) ولكان مايخلقه الله من انطاق الجلود والأيدي وتسبيح الحصى وتأويب الجبال وغير ذلك كلاما له كالقرآن والتوراة والانجيل ، بل كان كل كلام في الوجود كلامه لأنه خالق كل شيء ، وهذا

قد التزمه مثل صاحب الفصوص وأمثاله من هؤلاء الجهمية الحلولية والاتحادية ، فأوردت المعتزلة صفات الأفعال كالعدل والاحسان ، كأنه يقال أنه عادل محسن بعدل خلقه في غيره واحسان خلقه في غيره ، فأشكل ذلك على من يقول ليس لله فعل قائم به ، بل فعله هو المفعول المنفصل عنه وليس خلقه الا مخلوقه •

وأما من طرد القاعدة وقال أيضا أن الأفعال قائمة به ولكن المفعولات المخلوقة هي المنفصلة عنه وفرق بين الخلق والمخلوق فاطرد دليله واستقام •

والمقصود هنا : أن استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بعفوه ومعافاته من عقوبته ـ مع أنه لايستعاذ بمخلوق ـ كسؤال الله باجابته واثابته وان كان لايسأل بمخلوق ، ومن قال من العلماء لايسأل الا به لاينافي السؤال بصفاته ، كما أن الحلف لايشرع الا به ، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وفي لفظ للترمذي : (من حلف بغير الله فقد أشرك) قال الترمذي حديث حسن ، ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله ، لأن لفظ الغير قد يراد به المباين المنفصل ، ولهذا لم يطلق السلف وسائر الأئمة على القرآن وسائر صفات الله أنها غيره ولا أنها ليست غيره ، لأن لفظ الغير فيه اجمال قد يراد به المباين المنفصل فلا يكون صفة الموصوف أو بعضه داخلا في لفظ الغير ، وقد يراد به مايمكن تصوره دون تصور ماهو غير له فيكون غيرا بهذا الاصطلاح ، ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى الغير ، والنزاع في ذلك لفظي ، ولكن بسبب ذلك حصل في مسائل الصفات من الشبهات مالا ينجلي الا بمعرفة ماوقع في الألفاظ من الاشتراك والابهامات ، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، ولهذا يفرق بين قول القائل (الصفات غير الذات) وبين قوله (صفات الله غير الله) فان الثاني باطل ، لأن مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات فانه لايدخل فيه الصفات ، ولهذا لايقال صفات الله زائدة عليه وان قيل الصفات زائدة على الذات ، لأن المراد هي زائدة على ماأثبته المثبتون من الذات ، والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة ، فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا ، ولا يمكن وجود ذلك ، ولهذا قال أحمد في مناظرته للجهمية : لانقول الله وعلمه ، والله وقدرته ، والله ونوره ، ولكن نقول الله بعلمه وقدرته ونوره هو اله واحد ، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع •

وأما قول الناس : أسألك بالله وبالرحم ، وقراءة من قرأ :(تَسَاءلونَ بهِ والأرحَامِ) فهو من باب التسبب بها ، فان الرحم توجب الصلة ، وتقتضي أن يصل الانسان قرابته ، فسؤال السائل بالرحم لغيره توسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ، ليس هو من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما لايقتضي المطلوب ، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب ، كالتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم •

ومن هذا الباب مايروى عن عبد الله بن جعفر أنه قال : كنت اذا سألت عليا شيئا فلم يعطنيه قلت له بحق جعفر الا ماأعطيتنيه فيعطينيه أو كما قال ، فان بعض الناس ظن أن هذا من باب الاقسام عليه بجعفر ، أو من قولهم أسألك بحق أنبيائك ونحو ذلك ، وليس كذلك ، بل جعفر هو أخو علي ، وعبد الله هو ابنه ، وله عليه حق الصلة ، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر ، كما في الحديث (ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودأبيه بعد أن يولي) وقوله : (ان من برهما بعد موتهما الدعاء لهما ، والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة رحمك التي لارحم لك الا من قبلهما) •

ولو كان هذا من الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي وابراهيم الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ، ولكان علي الى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته واجابة السائل به أسرع منه الى اجابة السائل بغيره ، لكن بين المعنيين فرق ، فان السائل بالنبي طالب به متسبب به ، فان لم يكن في ذلك السبب مايقتضي حصول مطلوبه أو كان مما لايقسم به كان باطلا ، واقسام الانسان على غيره بشيء يكون من باب تعظيم المقسم للمقسم به ، وهذا هو الذي جاء به الحديث من الأمر بابرار المقسم ، وفي مثل هذا قيل (ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) ، وقد يكون من باب تعظيم المسؤل به •

فالأول يشبه ماذكره الفقهاء في الحلف الذي يقصد به الحظر والمنع •

والثاني سؤال للمسؤل بما عنده من محبة المسؤل به وتعظيمه ودعائه وحقه ، فان كان ذلك مما يقتضي حصول مقصود السائل حسن السؤال كسؤال الانسان بالرحم •

ومن هذا سؤال الله بالأعمال الصالحة وبدعاء أنبيائه وشفاعتهم •

وأما بمجرد الأنبياء والصالحين ومحبة الله لهم وتعظيمه لهم ورعايته لحقوقهم التي أنعم بها عليهم فليس فيها مايوجب حصول مقصود السائل الا بسبب بين السائل وبينهم ، أما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك ، واما دعاؤهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه •

والتوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين : اما بطاعتهم واتباعهم ، واما بدعائهم وشفاعتهم ، فمجرد دعائه بهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له لا ينفعه وان عظم جاه أحدهم عند الله تعالى ، وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضع •

والمقصود هنا : أنه اذا كان السلف والأئمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ماذكر فكيف بسؤال المخلوق الميت ، سواء سئل أن يسأل الله أو سئل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس اما عند قبر الميت ، واما مع غيبته •

وصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم حسم المادة ، وسد الذريعة ، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وأن لايصلي عندها لله ، ولا يسأل الا الله ، وحذر أمته ذلك ، فكيف اذا وقع نفس المحذور من الشرك وأسباب الشرك •

كل هذا نقلناه من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومنه علم ماشتمل عليه الشعر الذي أورده النبهاني ، فان جميعه قد اشتمل على القسم الذي فيه محذور ، بل بما فيه شرك ظاهر ، كقول عبد الرحيم البرعي مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم :

مولاي مولاي فرج كل معضلة ... عني فقد أثقلت ظهري الخطيئات
وعد عليّ بما عودتني كرما ... فكم جرت لي بخير منك عادات
وامنع حماي وهب لي منك تكرمة ... يامن مواهبه خلد وخيرات
واعطف عليّ وخذ ياسيدي بيدي ... اذا دهتني الملمات المهمات

وكقول الشاب الظريف

فياخاتم الرسل الكرام ومن به ... لنا من مهولات الذنوب تخلص
أغثنا أجرنا من ذنوب تعاظمت ... فأنت شفيع للورى ومخلص

وقول القلقشندي

أنت الذي لم يخف في الناس قاصده ... وليس عندك تسويف وتسويل
قصدت جاهك لاأرجو سواك ولي ... في باب عزك ترديد وتطفيل

وقال محمد البكري الكبير من أبيات

يا أكرم الخلق على ربه | وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة | فرجت كربا بعضه يذهل

وقال الشيخ عبد الرحمن الدمشقي من أبيات

أقلني مما فيه أمسيت واهنا | ونفسي بقيد الكرب أمست مكبله
وعجل بكشف الضر عمن لك التجا | لأن الضنا قد هاض ظهري وأثقله

انظر الى قوله : وعجل بكشف الضر الخ •• والله سبحانه وتعالى يقول : (وانْ يَمسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فلا كاشِفَ لهُ الَّا هُوَ) [1] وهكذا كثير من الأبيات التي أوردها النبهاني كما لايخفى على من راجع كتابه ، ولا بدع فهو المبتدع الذي ختم الله على قلبه •

(الوجه الخامس) ان أجل من تمسك بشعره النبهاني : الصرصري ، والبوصيري ، وأما غيرهما – كالبرعي ، والوتري ، والشهاب ، وأمثالهم – فليسوا من المعروفين بعلم ولا دين ، ولا زهد ولا فضيلة ، ولا شيء يذكر •

والصرصري والبوصيري اعترض أهل العلم ومن له بصيرة في الدين على ما كان في شعرهما من الغلو الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كقول الصرصري في قصيدته اللامية التي استشهد بأبيات منها النبهاني :

يارسول الله يامن مدحه | في القوافي أقوم الألفاظ قيلا
مسني ضر عناه ثابت | من ذنوب غادرت قلبي كليلا
أنا منها تائب مستغفر | فاسأل الرحمن لي صبرا جميلا

وقوله :

لأنت الى الرحمن أقوى وسيلة | اليه بها في الحادثات تنصل

وقوله :

وتسأل رب العالمين بميتة | على السنة البيضاء غير مبدل

الى غير ذلك مما قاله في قصائده المشهورة كقوله : وأنت على كل الحوادث لي ولي ، وقوله : على تربها خديك عفر ، وقد استشهد بكثيرمن شعره النبهاني في كتابه•

وكذلك البوصيري حيث يقول في همزيته :

ياأبا القاسم الذي ضمن اقسا | مي عليه مدح له وثناء

---

(1) يونس : ١٠٧

الأمـــان الأمـــان ان فـؤادي   مـن ذنـــوب أتيتهــن هـــواء

الى آخر ماأورده النبهاني منها ، وقال أيضا :

ياأكرم الخـــلق مالي من ألــوذ به   سواك عند حلول الحادث العمـــم

وقد ذكر الشيخ تقي الدين أن شعر يحيى الصرصري وقع فيه من الغلووالاطراء مالا ينبغي أن يصدر مثله في حق مخلوق ، وأنكر على من استغاث بغير الله أو دعاه .

قال رحمه الله في رده على ابن البكري في مسألة الاستغاثة : وانه حرف الكلم عن مواضعه ، وتمسك بمتشابهه وترك المحكم ، كما يفعله النصارى ، وكما فعــل هذا الضال ــ يعني ابن البكري ــ أخذ لفظ الاستغاثة ، وهي تنقسم الى الاستغاثة بالحي والميت ، والاستغاثة بالحي تكون فيما يقــدر عليه ، فجعل حكم ذلــك كله واحدا ، ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة ، ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه انما طلب من الله لامنه فالمستغيث به مستغيث بالله ، ثم جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة ،فدخل عليه الخطأ من وجوه .

منها : أنه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغاثا به ، وهذا لايعرف في لغة أحد من الأمم لا حقيقة ولا مجازا معدعواه الاجماع على ذلك . فانالمستغاث هو المسؤل المطلوب منه لا المسؤل به .

الثاني : ظنه أن توسل الصحابة في حيــاته كان توســلا بذاته صلى الله عليه وسلم لابدعائه وشفاعته ، فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط .

الثالث : أنه أدرج السؤال أيضا في الاستغاثة به ، وهذا صحيح جائز في حياته، وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته ، وهذا أصاب في لفظ الاستغاثة لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ماعلمته ينقل عن أحد من العلماء ، لكنه موجود في كلام بعض الناس ، مثل الشيخ يحيى الصرصري ، ففي شعره قطعة منه ، والشيخ محمد بن النعمان له كتاب المستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام ، وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الأحكام ، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ، ومعرفة الحلال والحرام ، وليس لهــم دليل شرعي ، ولا نقــل عن عالم مرضيّ ، بل عادة جروا عليها .

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ــ ولهم فضل وعلم وزهد ــ اذا نزل بــه أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من الناس ، ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا ، وعلموا أن ماكانوا عليه ليس من

دين الاسلام بل مشابهة لعباد الأصنام ، انتهى .

وقال رحمه الله في أثناء كلام له : ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات ، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم ، لابلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ماجاء به الرسول ، ولهذا مابينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الا تفطن بها ، وقال هذا أصل دين الاسلام، وان بعض أكابر الشيوخ من أصحابنا يقول هذا أعظم مابينت لنا ، لعلمه أن هذا أصل دين الاسلام ، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم ، وربما كان مايفعلونه أعظم ، لأنهم انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر ، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره ، بخلاف عباداتهم لله فانهم يفعلونها في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف ، حتى أن العدو الخارج عن شريعة الاسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف الضر ، وقال بعض الشعراء :

	ياخائفين من التتر	لوذوا بقبر أبي عمر
أو قال :	عوذوا بقبر أبي عمر	ينجيكم من الضرر

فقلت لهم : ان هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد ، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله .

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس باخلاص الدين والاستغاثة بالله ، وأنهم لايستغيثون الا اياه ، لايستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل ، فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا لم يتقدم نظيره ، ولم تهزم التتارمثل هذه الهزيمة قبل ذلك ، لما صح من تحقيق التوحيد لله وطاعة رسوله مالم يكن قبل ذلك ، فان الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، انتهى ماهو المقصود من كلامه رحمه الله .

ولم يقتصر فيه على مجرد الانكار بل جعله شركا وكفرا بعد قيام الحجة والعلم

بكفر فاعله ، وجعله من ضروررات الدين ، بل جعله أصل الدين ، وجعل وجود هذا الشرك مانعا من القتال الشرعي وسببا للهزيمة وعدم النصر ، فأي انكار أبلغ من هذا •

وقد أنكر الشيخ شعر الصرصري ، ونص على أنه يقع منه مالا يسوغ ولا يجوز ، على أن بعضهم أول بعض أقواله فقال : لانت الى الرحمن أقوى وسيلة • ليس فيه استغاثة كما زعم من استشهد به على ذلك ، بل المقصود أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بين العباد وبين الله تعالى في ابلاغ شرعه ودينه ، وبيان مايحب ويرضى ، وما يكرهه وعنه ينهى ، فهو وسيلة لمن سار على سبيله وتمسك بهديه وقبله ، وقوله :

سل الله رب العالمين يميتني على السنة البيضاء غير مبدل

ليس صريحا في أن السائل لله هو النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ يحتمل أنه أراد سل أيها المذنب وأيها العبد ولكنه التفت عن التكلم الى الخطاب واحسان الظن بمثله أولى ، وأما قوله : وأنت على كل الحوادث لي ولي • فالمراد أنه يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولاه على كل الحوادث في اليسر والعسر ، والرخاء والشدة ، والضيق والسعة ، لايوالي غير أولياء الله ، قال تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُو فَاِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ)[1] فليس المراد بالولي المستغاث المعبود ، فان هذا فهم جاهلي شركي ، وأهل الاسلام يفهمون من موالاة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبته ، وتعزيره ، وتوقيره ، وطاعته ، والتسليم لأمره ، والوقوف عند نهيه ، وتقديم قوله على قول كل أحد ، هذه موالاة أهل الاسلام ، لكن يبقى باقي الأبيات التي استشهد بها النبهاني من شعر الصرصري فان تأويلها مشكل •

وصنف الشيخ رحمه الله أيضا مجلدا في حكم الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين ، وقرر أدلة المنع من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار ، وأكثر الكلام في المنع من هذا •

قال رحمه الله تعالى : ومما يبين حكمة الشريعة وأنها كسفينة نوح ان الذين

---

(١) المائدة : ٥٥ ، ٥٦

خرجوا عن المشروع خرجوا الى الشرك ، وطائفة منهم يصلون ويدعو أحدهم الميت فيقول اغفر لي وارحمني ، ومنهم من يستقبل القبر ويصلي اليه مستدبر الكعبة ، ويقول : القبر قبلة الخاصة ، والكعبة قبلة العامة ، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا ، وهو شيخ متبوع ، فلعله أمثل أصحاب شيخه يقوله عن شيخه ، وأخرج من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد ، وأمر المريد أول مايتوب أن يذهب الى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها ، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه في المساجد ، وآخرون يحجون الى القبور ، وطائفة صنفوا كتبا وسموها مناسك حج المشاهد ، وآخرون يسافرون الى قبور المشايخ وان لم يسموها منسكا وحجا ، فالمعنى واحد .

وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام ، وذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ، ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة وجعل هذا من مناقبه .

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ — ممن يقصده بعض العلماء والقضاة قيل عنه انه كان — يقول : البيوت المحجوجة ثلاثة : مكة ، وبيت المقدس ، والبله الذي بالهند ، الذي للمشركين ، لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق .

قال : وجاء بعض اخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته فقال : أريد أن أسلك على يديك ، فقال له : على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين ؟ فقال له : واليهود والنصارى ليسوا كفارا ، قال لاتشدد عليهم ولكن الاسلام أفضل .

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات ، يسافرون اليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يفعل بالمغرب والمشرق .

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله ، فليسوا على ملة ابراهيم ، والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته موجودة في كلام بعض الناس ، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح ولكن ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه ، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم — وله فضل وعلم وزهد — اذا نزل به أمر خطا الى جهة الشيخ عبد القادر خطوات واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من الناس ، وهؤلاء

مستندهم مع العادة قول طائفة : قبر معروف أو غيره ترياق مجرب ، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء ، أو الكواكب ، أو الأوثان ، فان الشياطين تتمثل لهم ، ولو ذكرت ماأعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطال المقــام .

ثم قال حاكيا عن البكري الذي صنف في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم : وقد طاف هذا بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه ، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه ، مع أن قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما ، واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم ، انتهى.

فتأمل هذا الكلام فانه يستبين منه ضلال النبهاني وأضرابه من الغلاة ، وقــد صرح شيخ الاسلام أن السنة كسفينة نوح ، ومعلوم أن دعاء الأنبياء ليس من السنة، بل هو من البدع الشركية .

ومنها [1] أن بعضهم أفضى به ذلك الى أن يصلي للميت ويقول اغفر لي وارحمني وهذا جائز عند النبهاني واخوانه من عباد القبور سائغ لاينكر .

ومنها : أن بعض المستغيثين يعكف على القبر عكوف أهل التماثيل وهذا واقع منهم أيضا وهذا من لوازم قولهم بجواز الاستغاثة .

ومنها : أن جمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجــدون عند عبــادتها من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه في المساجد :

ومنها : أن بعضهم يحج الى القبور ، وهذا عند النبهاني ومن على شاكلته من الفضائل التي لاتنكر .

ومنها : انكار الشيخ على من صنف كتاب الاستغــاثة بالنبي صلى الله عليــه وسلم في اليقظة والمنام ، وأن هذا المصنف حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة ، وفاعل ذلك عند الغلاة أفضل من الحــاج .

ومنها : ان ذلك أفضى ببعضهم الى أن قال : البيوت المحجوجة ثلاثة : مكة ، وبيت المقدس ، والصنم الذي في الهند ، وبعضهم لايرى ذلك للصنم الذي في الهند

---

(1) قوله : ومنها الخ .. هذه استنباطات من كلام شيخ الاسلام السابق معطوفة على قوله : وقد صرح الخ

ويراه لمن يعتقده ومايتأله به من المشايخ •

ومنها : أن بعضهم يعرّف عند مقابر الشيوخ كما يفعل بعرفة ، وان هذا وقع في المغرب والمشرق •

ومنها : أن الشيخ نفى العلم عمن يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كالصرصري وابن النعمان ، وأنهم جروا على عادة العامة الذين يستغيثون بالمشايخ في الشدائد ويدعونهم •

ومنها : أن من له فضل وعلم وزهد قد يقع منه الشرك والاستغاثة بغير الله ، وان مستندهم مع العادة قول طائفة قبر معروف أو غيره ترياق مجرب •

ومن المعلوم أن هذا القول صدر عن غير معصوم ، وجمهور أهل العلم والايمان قد ردوه وأنكروا على فاعله ، وقد مضى فيما مر من عبارات شيخ الاسلام أن هذا لايعرف في عهد القرون المفضلة ، وكفى بهذا ذما •

ومنها : قوله ان طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة ، أو الأنبياء ، أو الكواكب ، أو الأوثان ، فجزم بأن قضاء الحوائج قد يحصل لعباد الملائكة ، أو الأنبياء ، أو الكواكب ، أو الأوثان ، ولو حكى الوقائع الموجودة في زمانه لطال المقام •

ومنها : قول الشيخ وهو ثقة فيما يحكيه بالاجماع أن علماء مصر لم يوافقوا من صنف في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما لايقدر عليه الا الله ، وأبوا أن يخالفوا ماكتبه شيخ الاسلام من المنع ، فالحمد لله لانحصي ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وفوق مايثنى عليه عباده الصالحون •

وأما ماانتقده أهل العلم والدين على كلام البوصيري فكثير جدا ، من ذلك قوله :

ياأكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

(قال العلامة) الشيخ عبد اللطيف في كتابه (منهاج التأسيس) أن قول البوصيري هذا أشنع وأبشع من قول الصرصري ، لما تضمنه من الحصر ، ولما فيه من اللياذ بغير الله في الخطب الجلل ، والحادث العمم ، وهو قيام الساعة ، وقد قال تعالى (قُل أَرأَيتكم إِنْ أَتاكُم عذَابُ اللهِ أَو أَتتكُم السَّاعَة أَغير الله تدعُونَ

إنْ كنتم صَادقينَ)[1]

فدعاء غير الله في الأمور العامة الكلية أبشع من دعاء غيره في الأمور الجزئية ، ولذلك أخبر أن عباد الأصنام لايدعون غيره عند اتيان العذاب أو اتيان الساعة التي هي الحادث العمم ، وأما من قال من الغلاة في الاعتذار عنه أن مقصوده الشفاعة والجاه فهذا لايفيده شيئا ، لأن عامة المشركين انما يقصدون هذا ولم يقصد الاستقلال الا معطلة الصانع ، وعامة المشركين انما قصدوا الجاه والشفاعة كما حكاه القرآن في غير موضع ، وأما قول الغلاة وتلبيسهم بأنه صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة يوم القيامة ، وأنزل عليه (عَسى أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مقَاماً مَحْموداً)[2] فهذا تلبيس منهم وتشبيه على من لايدري الحقائق ولم يتفطن لمسألة النزاع ، فان الخصومة والنزاع في طلب الشفاعة أو غيرها من الشفعاء في حال مماتهم وقصدهم لذلك ونحوه من المطالب المهمة •

وأما حصول الشفاعة وسؤاله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فهذا لاينكر ، وهو من جنس ما كان يطلب منه في حياته صلى الله عليه وسلم ، وأما بعد موته فلم يعرف عن أحد من أصحابه ولا عن أئمة الاسلام بعدهم أنه دعاه وطلب منه شفاعة أو غيرها ، وانما فعله بعض الخلوف الذين لايرجع اليهم في مسائل الأحكام ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم •

ومن ذلك قول البوصيري أيضا في قصيدته البردة في شأن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم :

لو ناسبت قدره آياته عظما   أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

يقول : لو ناسبت آياته ومعجزاته عظم قدره عند الله تعالى وكمال قربه وزلفاه عنده لكان من جملة تلك الآيات أن يحيي الله العظام الرفات ببركة اسمه وحرمة ذكره ، حيث يتيمن به في الدعوات ، ويتوصل به في المهمات ، وذلك لأن الملوك المجازية اذا توسل عندهم باسم من له قرب ومكانة لديهم وتوصل بذكره لقضاء المآرب وانهاء المطالب يقضون الأوطار الرفيعة تنويها بذكره وتنبيها على قدره ، فمالك الملوك وان كان أحق بذلك وأولى لكن حكمته مااقتضته صونا للضعفة عن المداحض ، وعونا على العوام في مزالق الأقدام ، وخص احياء الموتى لكونه أرفع المطالب وأنفعها ، ولأنه كما أحيى ببركة المسمى موتى القلوب والأرواح ، فالمناسب

(١) الانعام : ٤٠ ـ (٢) الاسراء : ٧٩

أن يحيي ببركة الاسم تلك العظام والأشباح ، انتهى ما قاله بعض شراح هذه القصيدة .

ولا يخفى مافي هذا الكلام من الغلو ، فان من جملة آياته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الشأن ، وهو الكتاب الذي (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وهو الكتاب الذي أنزله نورا وجعله مهيمنا على كل كتاب، وهو الكتاب الذي أنزله وفضله على كل حديث قصه ، وجعله فرقانا فرق به بين الحلال والحرام ، وقرآنا أعرب به عن شرائع الأحكام ، وكتابا فصله لعباده تفصيلا ، ووحيا أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تنزيلا ، وجعله نورا يهتدى به من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق الى استماعه ، وميزان قسط لايحيف عن الحق لسانه ، ونور هدى لايطفأ عن الشاهدين برهانه ، وعلم نجاة لايضل من أم قصد سنته ، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته ، وكيف يحل لمسلم أن يقول : ان القرآن لايناسب قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو منحط عن قدره ، وهو كلام الله وكلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه يعود، ثم ان اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنى اذا ذكرها الذاكر لم تحي دارس الرمم فههنا أمران عظيمان : انحطاط قدر القرآن الذي هوصفة من صفات الله عن قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المناسب لقدره أن يحيي اسمه حين يدعى دارس الرمم ، وليس هذا بجائز عند أحد من فرق المسلمين فضلا عن أهل السنة ، فانه ليس وراء هذا الغلو غلو أعظم منه ، ولهذا ذهب المتعصبون للناظم في كل واد من أودية التأويل .

ففي كتاب غرائب الاغتراب : ان مما جرى البحث عنه بيت البوصيري هذا وهو مشكل ، وأمر معضل ، فان مقتضى لو وكون القرآن داخلا في آياته صلى الله عليه وسلم أن لايكون القرآن العظيم مناسبا قدره عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، وذلك مما لايكاد يقال ، لما أن القرآن كلام الملك المتعال ، ثم أجاب بأجوبة غير مرضية ، الى أن قال : الجواب يتوقف على تحقيق المراد بالقرآن الذي لايسوغ أن يفضل عليه النبي أو أي انسان أهو الكلام النفسي الذي هو من صفاته تعالى الذاتية ؟ أم الكلام اللفظي الذي ذهب الى أنه مخلوق ـ كالمعتزلة ـ معظم الأشاعرة والماتريدية ، فان كان الأول فالقول به غير مناسب قطعا ، بل هو باطل بلا شبهة عقلا وسمعا ، وان كان الثاني فالقول بعدم مناسبة عدم المناسبة مما تتردد فيه الأذهان ،

لقول معظم أهل السنة أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات مايكون أو كان ، وحيث أن البوصيري عبر بالآيات أي المعجزات أراد بالقرآن المعنى الثاني من المعنيين ، اذ الكلام النفسي ليس بمعجزة ، ولم يتحد به سيد الكونين ، والظاهر أنه أشعري يقول : ان الكلام اللفظي مخلوق ، ضرورة اشتماله على بداية ونهايه وسابق ومسبوق ، وانه ممن يفضل النبي عليه الصلاة والسلام على جميع المخلوقات ، ممن مضى منهم ومن هو آت ، فقد قال وأحسن في المقال :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وانه خير خلق الله كلهم

الى أن قال : وأنا أقول الآن مستعينا بالملك المنان ، قد ظفرت بنحو ماذكرته في مختصر شرح المرزوقي للقصيدة ، ونصه ــ بعد كلام في هذا البيت ــ قال الشارح : لم يزل الناس يعترضون هذا البيت لاقتضائه ان ليس فيما أعطيه صلى الله عليه وسلم من الآيات ما يناسب قدره ، لأن لو حرف امتناع لامتناع ، أي امتنعت الخاصة المذكورة لامتناع أن يناسب قدره العظيم شيء من آياته صلى الله عليه وسلم ، وهذا باطل فان من آياته القرآن العظيم ، وهو كلام الله تعالى ، والكلام صفة ، وشرف الصفة بشرف الموصوف ، ثم قال : وعنه أجوبة ، وأقول : السؤال مغالطة ، فان القرآن يراد به كلام الله الذي هو صفة الذات وهو المعنى القائم به ، وهذا لم يعطه صلى الله عليه وسلم ، لأن الذي أعطيه معجزة والمعجزة فعل لله تعالى خارق للعادة وهو غير صفة الذات ، ويراد به أيضا الحروف الملفوظة والأصوات المسموعة، وهذا هو الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم ، وهو المعجزة ، واطلاق القرآن عليه بمعنى القراءة ، ومدلولها المعنى القائم بالذات ، واطلاق القرآن على الحروف والأصوات شائع ، وحينئذ لانسلم أن تكون الحروف والأصوات مناسبة لقدره عليه الصلاة والسلام ، انتهى .

فانظر الى هذا الجواب الركيك ، والقول بالكلام النفسي قد بين بطلانه في غير هذا الموضع .

(والمقصود) أن من أشهر من استشهد النبهاني الزائغ بشعره الصرصري والبوصيري وقد سمعت ماقال أهل العلم فيهما ، فالباقون على هذا القياس فلا حاجة الى أن تتعب القلم .

أحسن مافي خالد وجهه ووجهه الغاية في القبح

(الوجه السادس) أن من الغلاة من اعتذر عن هؤلاء الشعراء وغيرهم ممن

دعا غير الله وطلب منه حوائجه ومقاصده ، قال : ان أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية لايقولون بتأثير الأسباب ولا بالتعليل ، فلا مؤثر في الوجود الا الله ، والتأثير انما هو عند الأسباب لابها ، فاذا طلب أحدهم شيئا من نبي أو ولي فالله هو المعطي لمن سأل عند الطلب ، ومن أسند التأثير لغير الله فقد أشرك ، فمن استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم كالبوصيري والصرصري وسائر من استشهد بشعره النبهاني لا لوم عليهم ، فان ماذكر مقصودهم •

وسمعت من بعض أغبياء الغلاة وجهلتهم من أهل الثياب المعلمة والأقفاء المورمة والألقاب المفخمة قال : مررت أثناء سفري الى الحجاز على جبل حائل وأهله من عرب نجد على مذهب الامام أحمد بن حنبل وأميرهم يومئذ محمد آل رشيد ، قال فاجتمعت بأميرهم وجرى في البين كلام طويل ، ومنه مايتعلق بدعاء غير الله ، فقال الأمير : ان أهل بلادكم يغالون في الصالحين بما لايرضى الله به ، ويبنون على قبورهم المساجد والمشاهد ، ويوقدون السرج ، الى غير ذلك من البدع ، ثم أنهم يندبونهم في المهمات ويستغيثون بهم عند طلب الحاجات ، وكل ذلك وأمثاله مما لايرضى به الله ولا رسوله ولا أهل العلم والدين ، فانه من أفعال مشركي العرب في الجاهلية ، بل هو أدهى وأمر ، قال فقلت للأمير — والله يعلم أنه من الكاذبين — ان أهل بلادنا يقولون عنكم وعمن يسلك مسلككم من عرب نجد وغيرهم انكم مشركون ، قال فبهت الأمير من هذا الكلام واستعظمه ، ثم قال : ولم يقولون عنا انا مشركون ونحن من أخلص الناس توحيدا له سبحانه ،قال فقلت له : انأهل بلادنا لايثبتون للأسباب تأثيرا ، وأنتم تثبتون التأثير والعلل والحكم والمصالح ، فاذا كان الأمر كذلك فقد أشركتم مع الله مؤثرا في الوجود ، وهذا هو الشرك الأكبر ، قال وأما أصحابنا فعندهم أن السكين عند امرارها على شيء لاتقطع بل يخلق الله القطع عند ذلك ، وليس في الماء قوة الري مودعة فيه بل الري يخلق عند شربه لابه ، والنار ليست بمحرقة بل الاحراق عندها لابها ، والعين ليست بمبصرة والأذن ليست بسامعة بل الابصار والسماع عندهما لابهما ، وهكذا في جميع مايعتقد أنه سبب في الظاهر ، فاذا قال القائل مستغيثا بأحد من الأموات يافلان افعل كذا وكذا فالمقصود الطلب من الله أن يقضي حاجته ، وبعد أن فرغ من هذا الهذيان وسكت ، قلت له : فما أجابك الأمير ؟ قال لم يجبني بشيء ، فقلت كان ينبغي أن يجيبك ويسألك من قال هذا الكلام الذي ذكرته ؟ وعمن نقلته ؟ وأي دليل لك عليه من الكتاب والسنة وسلف

الأمة ، وينبغي على قولك هذا أن يطلب من المخلوق كل شيء يطلب من الخالق ، وينبغي أن لايعترض على عبدة الأصنام وطلبهم من أصنامهم مايطلب من الله ، فانهم أيضا كانوا يعتقدون أن أصنامهم وسائط ووسائل وشفعاء ، وكانوا (يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، ونحو ذلك من الكلام ، واذا سئلوا من يرزقكم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله •

وقد سبق في هذا الكتاب في عدة مواضع بيان ذلك ، وأن كلام الغلاة هذا وكلام عبدة الأصنام من واد واحد ، وقد تشابهت قلوبهم ، وأوردت له عدة آيات ونصوص في اثبات الحكمة والتعليل ، وأن الله هو خالق السبب والمسبب ، وأن هذا هو مااقتضاه الكتاب والسنة وكلام السلف ، فلم يزده ذلك الا نفورا واستكبارا عن قبول الحق ، فانه كان من قوم ظروفهم من الظرف خالية ، وغرفهم من العقل خاوية ، وصحنهم من العلوم بيضاء صافية ، وجيفهم فوق الماء طافية ، في الأنعام ، لافي الأنام ، ومثله بلاء على الاسلام •

وقد بسط الكلام على مسألة الأسباب العلامة الحافظ الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية في كتابه (شفاء العليل ، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) قال في أثناء كلامه : انه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعا وقدرا ، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي ، وأمره الكوني القدري ، ومحل ملكه وتصرفه ، فانكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات ، وقدح في العقول والفطر ، ومكابرة للحس ، وجحد للشرع والجزاء ، فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة كل ذلك مرتبطا بالأسباب قائما بها ، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه ، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات ، والشرع كله أسباب ومسببات ، والمقادير أسباب ومسببات ، والقدر جار عليها متصرف فيها ، فالأسباب محل الشرع والقدر ، والقرآن مملوء من اثبات الأسباب ، كقوله : (بِما كُنتُم تعْمَلُونَ)[1] (بِما كُنتُم تكْسِبونَ)[2] (ذلكَ بِما قدَّمت يداكَ)[3] (بما كَسبتْ أيديكُم)[4] وسرد آيات كثيرة الى أن قال : وهذا أكثر من أن يستوعب •

---

(١) السجدة : ١٤ — (٢) يونس : ٥٢ — (٣) الحج : ١٠ — (٤) الشورى : ٣٠

وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء ، وهو أكثر من أن يستوعب كقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾[1] وقوله : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾[2]

وكل موضع رتب فيه الحكم على ماقبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم ، وكل موضع ذكرت فيه الباء تعليلا لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب ، وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا ، أفاد التسبب ، فان العلة الغائية علة للعلة الفاعلية ، ولو تتبعناما يفيد اثبات الأسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع ،ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ، ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر ، ولهذا قال من قال من أهل العلم تكلم قوم في انكار الأسباب فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم ، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فشابهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونعوت كماله ، وعلوه على خلقه ، واستواءه على عرشه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه لملائكته وعباده ، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد ، فما أفادهم الا تكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ، ووصفه بصفات المعدوم والمستحيل ، ونظير من نزه الله في أفعاله وأن يقوم به فعل البتة ، وظن أنه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقا بعد ان لم يكن ، وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة ، ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد ايهام الناس أن التوحيد لايتم الا بانكار الأسباب ، فاذا رأى العقلاء أنه لايمكن اثبات توحيد الرب سبحانه الا بابطال الأسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به ، وأنت لاتجد كتابا من الكتب أعظم اثباتا للأسباب من القرآن .

ويالله العجب اذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذي جعل هذا سببا لهذا والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته منقادة لحكمه ان شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها كما أبطل احراق النار على خليله ابراهيم واغراق الماء على كليمه وقومه ، وان شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها ، وان شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها ، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا ، فأي قدح يوجب ذلك في التوحيد ؟ وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه ؟ ولكن ضعفاء العقول اذا سمعوا أن النار لاتحرق والماء لايغرق والخبز لايشبع والسيف لايقطع ولا تأثير لشيء من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الأثر وليس فيه قوة وانما

---

(1) الانفال : ٢٩ ـ (2) ابراهيم : ٧

الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا ــ قالوا هذا هو التوحيد ، وافراد الرب بالخلق والتأثير ، ولم يدر هذا القائل أن هذا اساءة ظن بالتوحيد ، وتسليط لأعداء الرسل على ماجاؤا به ، كما تراه عيانا في كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان ، ولا ريب أن الصديق الجاهل قد يضر مالا يضره العدو العاقل ، قال تعالى عن ذي القرنين (وآتيناهُ من كُلِّ شَيءٍ سبباً)[1] ثم ذكر تفسير الآية وذكر آيات أخر ، وشفى بذلك صدور المؤمنين ، ومن أراد الوقوف على تفصيل ذلك فليراجع هذا الكتاب .

والمقصود : أن قول ذلك الزائغ الذي أجراه مع أمير الجبل هو كذب لاأصل له ، واني أعلم أنه من أكذب الناس وأكثرهم رياء ، وأنه لو كان صادقا فيما نقله فالكلام مع العوام لايترتب عليه شيء ، وان مسألة الأسباب سواء قلنا فيها بقول السلف أم لا لاتعلق لها مع الدعاء والعبادة ، فان ذلك من خصائص الله تعالى باتفاق العقلاء وأهل المعرفة ، وان الأشاعرة القائلين بعدم تأثير الأسباب لايقولون بجواز عبادة غير الله ، فلا يسجد لغير الله ، ولا يذبح لغير الله ، ولا ينذر لغير الله ، ولا يحلف بغير الله ، ولا يستغاث ولا يستعان بغير الله .

وكل هذا يفعله قوم ذلك الزائغ فما حجتهم في هذا العمل الباطل ؟ فليجب عن هذا ثم ليفتخر بما كان منه مع أمير حائل العامي ، وانه يتبجح بالزامه وافحامه ، ألا لعنة الله على الكاذبين .

(الوجه السابع) ان الشعراء الذين أورد النبهاني من شعرهم في الاستدلال على جواز الاستغاثة بغير الله والاحتجاج على مشروعية دعاء سواه سبحانه ــ بل كل من كان على هذا المنهج من الغلاة ــ فهو اما من القائلين بالحلول والاتحاد وهو الذي سوغ له ذلك الدعاء والالتجاء اذ الكل واحد ، وعلى ذلك قول قائلهم :

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي ... لأني في التحقيق لست سواه

وقال آخر:

الرب عبد والعبد رب ... ياليت شعري من المكلف

وعندهم الوجود واحد ، ولذلك قال من قال سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها ، فاذا كان الله عين كل شيء فله أن يعبد كل شيء اذ هي عين الحق ، وفي كتاب

(١) الكهف : ٨٤

فصوص الحكم ماتقشعر منه جلود المؤمنين .

قال شرف الدين اسمعيل المعروف بابن المقرى من قصيدة :

فقـــال بأن الرب والعبـد واحد	فربي مربـــوب بغـير تغـــاير
وأنكر تكليفـا اذ العبـد عنـده	الـه وعبـد فهــو انكـار حاير
وخطأ الامن يرى الخلـــق صورة	وهـــوية لله عنـــد التنـــاظر
وقال يحل الحـــق في كل صـــورة	تجلى عليهـا وهو احدى المظـاهر
وأنكـــر أن الله يغني عن الـــورى	ويغنون عنــه لاستـــواء المقـادر

الى آخر ماقال ، والقصيدة طويلة في ديوانه ، وهو الذي قال ماقال الشيـــخ محي الدين الذي يقول :

وكل كـــلام في الوجود كـــلامه	سواء علينا نثره ونظامه

(والمقصود) أن من يذهب مذهب الغلاة في أهل القبور فريقان :

(الفريق الأول) من يقول بالاتحاد والحلول ، اذ لافرق حينئذ بين الخالـــق والمخلوق ، ولا بين التراب ورب الأرباب ، ومنهم النبهاني الزائغ على ماأشعر كلامه واعتقاده في النبي صلى الله عليه وسلم مع ماهو عليه من المسلك ، وقد ذكرنا ذلــك أول الكتاب ، ومثله كثير ممن أورد شعره .

(الفريق الثاني) الجهال بحقائق الدين ودقائقه ، وهم أكثر من نقل النبهـــاني شعره ، فهم لايعلمون مافي كلامهم من المحاذير ، ولو نبهوا عليها لانتبهوا ، وهـــم في شعرهم وما قالوه في النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو يحسبون أنهم يحسنـــون صنعا ، وقد رأينا من يعمل في قبور الأصفياء مايعمل من المنكرات والأعمال التي لم تشرع كلهم من العوام وان كان في زي العلماء الأعلام ، فبطل جميع مااستشهد به من الشعر والحمد لله .

(قال النبهاني) ان الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور قد أجازني بثبته ، وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ، ومن كل معقول ومنقـــول شيخي الامام العلامة الشيخ ابراهيم السقا المصري ، عن الشيخ محمد الأمير الصغـــير ، عن والده الأمير الكبير المذكور ، ثم ذكر سنده بالطريقة الشاذلية الى أن أوصلهـــا الى جبريل ، عن اسرافيل ، عن عزرائيل ، عن اللوح ، عن القلم ، عن الجليل جل جلاله ، ثم ذكر له اجازة أخرى من هذا القبيل .

ثم أردفها بتنبيه نزه فيه شيخه عما قيل فيه ، ثم ذكر سنده في الطريقة البكـــرية

الخلوتية ، وأعقبها بهذيان وترهات تود الأذن المحمدية لو كانت عنها صماء .

(الجواب عن جميع ماهذى به في هذا المقام) أن يقال : ان ماعليه النبهاني من الجهل والضلال يكذب جميع مادعاه ، أين علمه بالمعقول والمنقول الذي أجازه به شيوخه ؟ بل أين آثار علم من العلوم فضلا عن جميعها من العلوم العقلية والنقلية ؟

ودعوة المرء تطفي نور بهجته هذا بحق فكيف المدعي زللا

ثم أين زهده وورعه وتقواه وقد صرف عمره في الأحكام القانونية في المحاكم الجزائية والبداية والحكم بغير ماأنزل الله ؟ أما يستحي من هذا حاله أن يدخل نفسه في عداد المسلمين فضلا عن عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ؟ وهو صفر اليدين من كل فضيلة ، عار عن أردية المناقب الجميلة ، ولكن شأن من لم يستح من الله ومن عباده أن يصنع مايشاء ، وليته ذكر أيضا سنده بالطريقة الرفاعية ، التي تلقاها عن شيخه وشيطانه ، شيخ السوء ومقتدى الدجالين ، خبيث النفس والأفعال ، أبي البدع وعنوان الضلال ، وهكذا غالب متصوفة زماننا ، فمن باب الاشارة في تفسير قوله تعالى : (وَبَلَوناهُم بالحسنَات والسَّيئاتِ لعَلَّهُم يرجِعُونَ فخَلَفَ منْ بعدِهِم خَلفٌ ورِثُوا الكِتَابَ يأْخُذُونَ عَرضَ هَذا الأَدنى)[1] وهي الشهوات الدانية واللذات الفانية ، ويجعلون ماورثوه ذريعة الى أخذ ذلك : (ويقُولُونَ سيُغْفَرُ لَنَا)[1] ولابد ، لأنا واصلون كاملون ، وهذا حال كثير من متصوفة زماننا ، فانهم يتهافتون على الشهوات تهافت الفراش على النار ، ويقولون ان ذلك لايضرنا لأنا واصلون ، وحكي عن بعضهم أنه يأكل الحرام الصرف ، ويقول : ان النفي والاثبات يدفع ضرره ، وهو خطأ فاحش وضلال بين ، أعاذنا الله تعالى واياكم من ذلك ، وأعظم منه اعتقاد حل أكل مثل الميتة من غير عذر شرعي لأحدهم ، ويقول كل منا بحر والبحر لاينجس ، ولا يدري هذا الضال أن من يعتقد ذلك أنجس من الكلب والخنزير ، ومنهم من يحكي عن بعض الكاملين المكملين من أهل الله تعالى مايؤيد به دعواه ، وهو كذب لاأصل له ، وحاشا ذلك الكامل مما نسب اليه ، انتهى .

وقال الزمخشري عند الكلام على قوله تعالى : (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُم عنْ دِينه فَسَوفَ يأْتي اللهُ بقَوم يُحِبُّهم ويُحبُّونهُ)[2]

---

(1) الاعراف : ١٦٨ ، ١٦٩ — (2) المائدة : ٥٤

مانصه : محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته ، وأن لايفعلوا مايوجب سخطه وعقابه ، ومحبة الله تعالى لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ، ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم ، وأما مايعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوؤهم طريقة ، وان كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المنفعلة من الصوف ، وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله تعالى ، وفي مراقصهم عطلها الله تعالى بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء ، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عليه السلام ، ثم دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ، ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم ، كذلك يحبون ذاته ، فان الهاء راجعة الى الذات ، دون النعوت والصفات ، ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة ، ولو لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة ، انتهى كلامه .

وهؤلاء الطائفة الذين تسموا بالصوفية غاصبين له عن أهله ، قد ارتكبوا مانقل الامام عنهم ، بل وزيادة أضعاف أضعافه مما نعلمه من هذه الطائفة في زماننا ، وذلك لاينافي حال المتسمين به حقيقة ، ولايؤاخذ الصالح بالطالح ،ولا يضرب رأس البعض بالبعض ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

ثم انه من المعلوم أن مايقرأه الناس اليوم من العلوم العقلية أخذت من كتب اليونان بعد أن ترجمت بأمر المأمون الخليفة العباسي ، فمن أين ساغ لمن أسندها في الاجازات الكاذبة الى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم كما ذكره النبهاني الكاذب في اسناده ؟ وعلوم اليونان كلها خطأ وضلال وبهتان كما ظهر ذلك للعيان عند من مارس فنون الفلاسفة المتأخرين ، فكيف تسند الى من لاينطق عن الهوى ؟ وهكذا حكم الطرائق المبتدعة، فهي من وسوسة الشيطان لا من وحي الرحمن .

وأما علم الكلام الذي هو من جملة علم المعقول المختلط مع المنقول ان كان المراد به المخالف للكتاب والسنة فهو باطل ، وقد نزه الله تعالى عنه من ذكره النبهاني في سند اجازته التي أجازه فيها شيوخه بالعلوم والطريقة ، ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام ، ويثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض والحركة والسكون ، والأجسام مستلزمة لذلك لاتنفك عنه ، ومالا يسبق الحوادث فهو حادث ، ويبني ذلك على حوادث لا أول لها ، بل

أول ماظهر هذا الكلام في الاسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد بن درهم والجهم ابن صفوان ، ثم صار الى أصحاب عمرو بن عبيد ، كأبي الهذيل العلاف وأمثاله •
وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام في انفاذ الوعيد ، وأن النار لايخرج منها من دخلها ، وفي التكذيب بالقدر ، وهذا كله مما نزه الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والتابعين لهم باحسان ، وتمام الكلام في كتاب المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله ، فان فيه ما يشفي صدور المؤمنين •

ثم ان ماذكره النبهاني من أن سند الطرايق المبتدعة يتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل الى آخر ماذكره فهو كذب لا أصل له •

وتحقيق ذلك : أن أهل المعرفة وحقائق الايمان المشهورين في الأمة بلسان الصدق انما وصلوا الى ماوصلوا اليه بالعمل بما في الكتاب والسنة لا بلباس الخرقة ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) فأين حقائق القلوب من لباس الأبدان •

(ويقال ثانيا) الخرق متعددة أشهرها خرقتان : خرقة الى عمر ، وخرقة الى علي ، كما حققه شيخ الاسلام ، فخرقة عمر لها اسنادان : اسناد الى أويس القرني ، واسناد الى أبي مسلم الخولاني •

وأما الخرقة المنسوبة الى علي فاسنادها الى الحسن البصري ، والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي ، فان الجنيد صحب السري والسري صحب معروفا الكرخي بلا ريب ، وأما الاسناد من جهة معروف فينقطع ، فتارة يقولون : انمعروفا صحب عليا وهو ابن موسى الرضا ، وهذا باطل قطعا ، لم يذكره المصنفون لاخبار معروف بالاسناد الثابت المتصل ، كأبي نعيم وأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي صنفه في فضائل معروف ، ومعروف كان منقطعا في الكرخ ، وعلي بن موسى كان المأمون قد جعله ولي العهد بعده ، وجعل شعاره لباس الخضرة ، ثم رجع عن ذلك وأعاد شعار السواد ، ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلي بن موسى ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به أو أخذ عنه شيئا ، بل ولا يعرف أنه رآه ، ولا كان معروف بوابه ، ولا أسلم على يديه ، وهذا كله كذب •

وأما الاسناد الآخر فيقولون : ان معروفا صحب داود الطائي ، وهذا أيضا

لاأصل له ، وليس في أخباره المعلومة مايذكر فيها ، وفي اسناد الخرقة أيضا أن داود الطائي صحب حبيبا العجمي ، وهذا أيضا لم يعرف له حقيقة ، وفيها أن حبيبا العجمي صحب الحسن البصري ، وهذا صحيح ، فان الحسن كان له أصحاب كثيرون ، مثل أيوب السختياني ، ويونس بن عبيد ، وعبد الله بن عوف ، ومثل محمد بن واسع ، ومالك بن دينار ، وحبيب العجمي ، وفرقد السبخي وغيرهم من عباد البصرة ، وفيها أن الحسن صحب عليا ، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة ، فانهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي ، وانما أخذ عن أصحاب علي ، أخذ عن الأحنف بن قيس ، وقيس بن عباد وغيرهما عن علي ، وهكذا رواه أهل الصحيح ، والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقتل عثمان وهو بالمدينة ، كانت أمه أمة لأم سلمة ، فلما قتل عثمان حمل الى البصرة ، وكان علي بالكوفة ، والحسن في وقته صبي من الصبيان لايعرف ولا له ذكر ، والأثر الذي يروى عن علي أنه دخل الى جامع البصرة وأخرج القصاص الا الحسن كذب باتفاق أهل المعرفة ، ولكن المعروف أن عليا دخل المسجد فوجد قاصا يقص ، فقال : ماسمك ؟ قال أبو يحيى ، قال تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال لا ، قال : هلكت وأهلكت ، انما أنت أبو اعرفوني ، ثم أخذ باذنه فأخرجه من المسجد ، فروى أبو حاتم في كتاب الناسخ والمنسوخ : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال انتهى علي الى قاص وهو يقص ، فقال أعلمت الناسخ والمنسوخ ؟ قال لا ، قال : هلكت وأهلكت ، قال وحدثنا زهير بن عباد الرواسي ، حدثنا أسد بن حمران عن جويبر عن الضحاك ، أن علي بن أبي طالب دخل مسجد الكوفة فاذا قاص يقص فقام على رأسه فقال ياهذا تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا ، قال أفتعرف مدني القرآن من مكيه ؟ قال لا ، قال هلكت وأهلكت ، قال أتدرون من هذا ؟ هذا يقول اعرفوني اعرفوني .

وقد صنف ابن الجوزي مجلدا في مناقب الحسن البصري ، وصنف أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي جزءا فيمن لقيه من أصحابه ، واخبار الحسن مشهورة في مثل تاريخ البخاري .

قال شيخ الاسلام : وقد كتبت أسانيد الخرقة ، لأنه كان فيها أسانيد فبينتها ليعرف الحق من الباطل ، ولهم أسانيد أخر بالخرقة المنسوبة الى جابر ، وهو منقطع جدا ، وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة ، ولا يقصون شعورهم ، ولا التابعون ، ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين

وأخبار الحسن مذكورة بالأسانيد الثابتة في كتب كثيرة يعلم منها ماذكرنا •

وقد أفرد أبو الفرج ابن الجوزي له كتابا في مناقبه وأخباره •

وأضعف من هذا نسبة الفتوة الى علي ، وفي اسنادها من الرجال المجهولين الذين لايعرف لهم ذكر مايبين كذبها ، وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ، ولا يسقى ملحا ، ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة ، لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم ، وتأدبوا بهم ، واستفادوا منهم ، وتخرجوا على أيديهم ، وصحبوا من صحبوه منهم ، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة ، وأصحاب ابن مسعود كانوا يأخذون عن عمر وعلي وأبي الدرداء وغيرهم ، وكذلك أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه كانوا يأخذون عن ابن مسعود وغيره ، وكذلك أصحاب ابن عباس يأخذون عن ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما ، وكذلك أصحاب زيد بن ثابت يأخذون عن أبي هريرة وغيره ، وقد انتفع بكل منهم من نفعه الله ، وكل منهم متفقون على دين واحد وطريق واحدة وسبيل واحدة ، يعبدون الله تعالى ويطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قبلوه ،ومن فهم من السنة والقرآن مادل عليه القرآن والسنة استفادوه ، ومن دعاهم الى الخير الذي يحبه الله ورسوله أجابوه ، ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه ربا يستغيث به كالاله الذي يسأله ويرغب اليه ، ويعبده ويتوكل عليه ، ويستغيث به حيا وميتا ، ولا كالنبي الذي تجب طاعته في كل ماأمر ، فالحلال ماحلله ، والحرام ماحرمه ، فان هذا ونحوه دين النصارى ، الذين قال الله فيهم : (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُم ورُهْبانَهُم أَرْباباً من دُونِ الله والمسيحَ ابْنَ مَريَم ومَا أُمِرُوا إلَّا ليعْبُدوا إلهاً واحِداً لا إله إلَّا هُو سُبحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).[1]

وكانوا متعاونين على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، متواصين بالحق متواصين بالصبر ، والامام والشيخ ونحوهما عندهم بمنزلة الامام في الصلاة وبمنزلة دليل الحاج ، فالامام يقتدي به المأمون فيصلون بصلاته لايصلي عنهم ،وهو يصلي بهم الصلاة التي أمر الله ورسوله بها ، فان عدل عن ذلك سهوا أو عمدا لم يتبعوه ، ودليل الحاج يدل الوفد على طريق البيت ليسلكوه

(١) التوبة : ٣١

ويحجوه بأنفسهم ، فالدليل لايحج عنهم ، وان أخطأ الدلالة لم يتبعوه ، واذا اختلف دليلان واامامان نظر أيهما كان الحق معه فاتبع ، فالفاصل بينهم الكتاب والسنة ، قال تعالى : (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَطِيعُو الله وأطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمرِ مِنْكُم فإنْ تَنَازَعتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُول إنْ كُنتُم تؤْمِنُونَ باللهِ واليوم الآخِرِ ، ذَلك خَيرٌ وأَحسنُ تأويلاً) .[1]

وكل من الصحابة الذين سكنوا الأمصار أخذ عنه النـاس الايمـان والدين ، وأكثر المسلمين بالمشرق والمغرب لم يأخذوا عن علي شيئا ، فانه رضي الله عنه كان ساكنا بالمدينة ، وأهل المدينة لم يكونوا يحتاجون اليه الا كما يحتاجون الى نظرائه كعثمان في مثل قضية يشاورهم فيها عمر ونحو ذلك ، ولما ذهب الى الكوفة كان أهل الكوفة قبل أن يأتيهم قد أخذوا الدين عن سعد ابن أبي وقاص وابن مسعود وحذيفة وعمار وأبي موسى وغيرهم ممن أرسله عمر الى الكوفة ، وأهل البصرة أخذوا الدين عن عمران بن حصين وأبي بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وأنس وغيرهم من الصحابة وأهل الشام أخذوا الدين عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وبلال وغيرهم من الصحابة ، والعباد والزهاد من أهل هذه البلاد أخذوا الدين عمن شاهدوه من الصحابة ، فكيف يجوز أن يقال : ان طريق أهل الزهد والتصوف متصل به دون غيره ، وهذه كتب الزهد ــ مثل الزهد للامام أحمد ، والزهد لابن المبارك ، ولوكيع ابن الجراح ، ولهناد بن السري ، ومثل كتب أخبار الزهاد ، كحلية الأولياء ، وصفوة الصفوة ، وغير ذلك ــ فيها من أخبار الصحابة والتابعين أمور كثيرة ، وليس الذي فيها لعلي أكثر مما فيها لأبي بكر وعمر ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وأبي ذر وأبي الدرداء وأبي امامة وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهـم أجمعـين ، انتهى كـلامه .

(والمقصود من نقله) أن يعلم أن ماذكره النبهاني من الثبت باطل من وجوه :

(أما أولا) فلأن مايعرفه من العلم الشيطاني ليس مأخوذا بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان العلم الذي جاء به الرسول لايعرفه ولا يوفـق له ، فانه نور ونور الله لايوفق له العصاة الطغاة .

(وأما ثانيا) فلأن الطرايق التي انتحلها لاأصل لها ، وكلها بدع وضـلالات ،

(١) النساء : ٥٩

ولذلك لم تؤثر في قلبه شيئا ان صدق أنه سلكها ، بل هو من أضل الناس وأجهل الناس .

(وأما ثالثا) فلأن سنده مختل باطل ، كما يعلمه من يطبقه على ماسبق من كلام شيخ الاسلام .

(وبالجملة) فكلامه في كتابه هذا من أوله الى آخره ظلمات بعضها فوق بعض، فسبحان من طبع على قلبه وعلى سمعه وبصره ، ومع ماهو عليه من الحال الذي ينبغي أن يرثى له بسببه يتطاول على علماء المسلمين الربانيين ويفحش القول فيهم ، قبحه الله تعالى ولعنه كما لعن أصحاب السبت ، وما أحقه بقول أبي العلاء المعري :

اذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس أنت خفية وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة ويانفس جدي ان دهرك هازل

والكلام على بدع الطرائق وأهلها مفصل في غير هذا الموضع ، وفي كتاب (كشف أحوال المشايخ الأحمدية ، وبيان أحوالهم الشيطانية) مايشفي صدور المؤمنين ، وتقربه عين الموحدين ، والنبهاني لم يزل يكرر قوله في التبجح والافتخار بالاجازات الكاذبة التي لاأصل لها ، ويقول : وعندي بحمد الله اجازات بكثير من الطرق العلية غير الخلوتية والشاذلية ، كالقادرية والرفاعية والنقشبندية ، ولكن كل ذلك لأجل البركة باتصال سندي بالنبي صلى الله عليه وسلم كما اتصل من طرق الفقهاء والمحدثين وسائر علماء الدين الى آخر هذيانه ، ولا بدع اذا ما كان مجمع البدع والضلالات ، وليت شعري ماذا نفعته تلك الاجازات ، وأي بركة حصلت له من هاتيك الخزعبلات ، وهل هي الا أن قضى شطرا من عمره في محاكم القوانين والنظامات ، وصرف أيامه بالجهالات والضلالات : (وَسَيَعلَمِ الَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ ينقلبُونَ)[1] (قُل هَل نُنَبِّئُكُم بالأَخسَرينَ أَعمالاً . الَّذينَ ضَلَّ سَعيُهم في الحياةِ الدّنيا وهُم يَحسبُونَ أَنَّهم يُحسِنُونَ صُنعاً).[2]

(الكلام على سوء خاتمته)

قال النبهاني : الخاتمة في الجواب عما اعترض به ابن تيمية وأمثاله على بعض

---

(١) الشعراء : ٢٢٨ ـ (٢) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

أولياء الله تعالى من الألفاظ الموهمة ، ونقل عن كتاب البحر المورود للامام الشعراني أنه قال أخذ علينا العهود أن نجيب عن أئمة الاسلام ـ من العلماء والصوفية ـ جهدنا ، ولا نصغي قط لقول من طعن فيهم ، لعلمنا أنه ماطعن فيهم الا وهو قاصر عن معرفة مداركهم ، ونقل كلامه في تبرئة الجنيد والغزالي ، والشيخ محي الدين ابن عربي ، ونقل أيضا كلامه على ماعترض عليه من كلمات القوم ، كقول الشيخ أبي يزيد طاعتك لي يارب أعظم من طاعتي لك ، وقول الجنيد العارفون لايموتون ، وانما ينقلون من دار الى دار ، وقول الشبلي : ان ذلي عطل ذل اليهود ، وقول الغزالي : ليس في الامكان أبدع مما كان ، وقول الشيخ محيي الدين ابن عربي : حدثني قلبي عن ربي ، أو حدثني ربي عن قلبي ، أو حدثني ربي عن نفسه ، ثم ان الشعراني وجه هذه الأقوال بتوجيهات رآها ، ثم نقل عن القوم أقوالا ثبتت عنهم ـ ولم يعين قائلا ـ كقولهم اللوح المحفوظ هو قلب العارف ، وقولهم دخلنا حضرة الله ، وخرجنا من حضرة الله ، وأبدى لمثل هذه الأقوال معاني صحيحة ، ثم ان بعض أقوال نسبت الى بعض أولئك القوم ، قال لم تصح نسبتها اليهم وكذبها ، ونقل النبهاني أيضا عن الفتاوى الحديثية بعض المسائل المتعلقة بمثل تلك الأقوال سئل عنها فأجاب بما أجاب وختم به كتابه .

(والجواب عن ذلك كله أن يقال) : انه لم يسلم أحد من الاعتراض عليه، والقاء التهمة بين يديه ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين ذكر من أقوالهم ماذكر ان لم يكن لها وجه ، فهي لاتزري بعلو شأنهم، ومزيد عرفانهم ، فهم لم يكونوا معصومين ، ولا أنبياء ولا مرسلين ، وقد قيل ان الصارم قد ينبو ، والجواد قد يكبو ، والسعيد من عدت سقطاته ، وقلت غلطاته ، وما أحسن ماقيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

هذا اذا لم يكن لما قالوه وجه وجيه ، فكيف وغالب أقوالهم قد صححها بعض أهل العلم ، والنبهاني قد افترى على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في قوله : ان ابن تيمية اعترض على تلك الأقوال التي ذكرها ، فعلى أي قول منها اعترض؟ وفي أي كتاب ذكر ذلك ؟ والبهتان قد صار ديدنا ودينا للنبهاني ، كما قد قررنا ذلك مرارا ، وابن تيمية لم يزل يذب عن العلماء الربانيين ، والعلماء العاملين ، وألف كتابا سماه (رفع الملام ، عن الأئمة الأعلام) وآخر في الذب عن الأئمة الاربعة ، وآخر في

الانتصار للامام أحمد ، وآخر وآخر ، مما سبق بيانه ، وقد كان رحمه الله على جانب من الانصاف عظيم ، يعرف قدر أهل العلم ، ويعطي كل ذي حق حقه ، نعم اعترض على بعض مسائل لأبي حامد مخالفة للكتاب والسنة ذكرها في الاحياء وغيره من كتبه ، كما هو شأن أئمة الأمة المحمدية ، فانهم كما وصفهم نبيهم لايجتمعون على ضلالة ، وقال فيه : انه مات والبخاري على صدره ، نعم انه تكلم في الشيخ محي الدين وأضرابه ممن قال بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ، كما سبق بيانه ، وله فيهم رد كبير ، وذكر منه في كتابه (الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن) مانقلنا بعضه فيما سبق ، وهو ليس أول من قرع هذا الباب من أولي الألباب ، فكم وكم له من سلف ، وذلك من الواجب على مثله أن يقوم على ساق المناضلة والذب عن الشريعة الغراء ، ومن أعطاه الله علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، قال تعالى : (. إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) [1] والشيخ محي الدين قد ألف فيه كتب كثيرة ، وردوا على أقواله التي في الفصوص والفتوحات وغيرهما •

ومن ألف في الرد عليه العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني ، والحافظ العسقلاني ، والشيخ أبو عبد الله البخاري ، والملا علي القاري ، والعلامة العضد ، وغيرهم ممن لايحصون كثرة ، وأنهم أصابوا في الرد عليه ، ولولا أن يطول الكلام لذكرنا كلامهم فيه ، ولعلنا ان شاء الله نفرد له كتابا يكون قسيما لهذا الكتاب •

ثم ان مانقله النبهاني عن الشعراني في توجيه قول الشيخ محي الدين فهو غير مقبول ، لأنه لايدل اللفظ عليه لاحقيقة ولا مجازا ، ولقد تجرأ على القول به بعض من لاخلاق له ممن ينتسب الى العلم والصلاح من الغلاة ، فحصل منه من المفاسد ماحصل •

قال العلامة الشيخ عبد اللطيف في كتابه (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس) عند الكلام على بدع القبوريين مانصه :

ومن المحن أن مشايخ المذاهب الأربعة وفقهاءهم جزموا بوجوب هدم القباب ، ونهوا عن الطواف بالقبور ودعاء أربابها ، بل ودعاء الله عندها ، ومنعوا من الذبح لها والغلو فيها ، بل وعن عبادة الله بالصلاة عندها ، فاذا عمل بمقتضى أقوالهم عامل وألزم بها الناس نسبه هؤلاء الجهال الى الاستخفاف بالأنبياء والصالحين والى

---

(١) آل عمران : ١٨٧

مخالفة العلماء ، لأن العلم في عرفهم ماهم عليه من أقوال أسـلافهم ومشايخهم من المتأخرين ، قال وقد حدثني من يقبل حديثه أنه سمع هذا العراقي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم قدوم الحاج يقول في مجمع من الناس :انماالرجل من يقول حدثني سري عن ربي ، لا من يقول : حدثنا فلان وفلان •

فانظر هذا الاستخفاف العظيم برسل الله ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن من يأخذ عن الأنبياء المعصومين وعن رسل الله المبلغين أفضل وأكمل ممن يأخذ عن سره ووارده ، بل هذه الواردات كلها موقوفة ومردودة الا بشاهد عدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد لها بالصحة وأنها حق يؤخذ به •

وقد قال شيخ الطريق الجنيد بن محمد رحمه الله : أنه لتقع في قلبي النكتةمن نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة •

وغالب هذه الواردات التي تخالف الشرعيات ، ويشير اليها أهل التصـوف والتعبدات ــ انما هي من وحي الشيطان لا عن الله رب العالمين ، وبهذا تعلم أن هذا العراقي وأمثاله هم أهل التنقص للرسل التاركون لما جاؤا به ، وحاصل أمرهم عزل الكتاب والسنة في باب الاعتقادات والعمليات ، واتباع ماتهوى الأنفس من الغلـو والاطراء والجهل والضلالات ، وهذا الاعتراض محشو من ذلـك لاتكاد تعد فيـه كلمة واحدة سيقت على القانون الشرعي والمنهاج المرضي ، وما أحسن ماقال شيـخ الاسلام فيما كتب على المحصل للرازي :

محصـل في أصول الدين حاصـله	من بعـد تحصيله جهـل بلادين
بحـر الضلالات والافك المبين وما	فيـه فأكثـره وحي الشياطـين

انتهى كلام صاحب المنهاج ، ومنه يعلم أن قول محي الدين ان صح عنه فهـو قول باطل لايفيد فيه ماذكره الشعراني من التأويل العليل •

(والامام أبو حامد الغزالي) اعترض على كتبه كثير من العلماء الربانيـين ، منهم الامام أبو عبد الله المازري ، قال تاج الدين ابن السبكي في طبقاته عند ذكـره كلام الطاعنين علىهذا الامام ورده :قال الامامأبو عبدالله المازري المالكي ــمجيبالمن سأله عن حال كتاب احياء العلوم ومصنفه ــ هذا الرجل ــ يعني الغزالي ــ وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه ، فكل منهم يحكي لي نوعا من حاله وطريقته ، فأتلوح بها من مذهبه وسيرته ماقام لي مقام العيان ، فأنا أقتصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه ، وذكر جمل من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفـة

وأصحاب الاشارات ، فان كتابه متردد بين هذه الطرائق لايعدوها ، ثم أتبع ذلك بذكر حيل أهل مذهب على أهل مذهب آخر ، ثم أبين عن طرق الغرور ، واكشف عما دفن من حبال الباطل ليحذر من الوقوع في حباله صائده ، ثم انه أثنى على الغزالي في الكشف وقال هو أعرف بالفقه منه بأصوله ، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فانه صنف فيه أيضا وليس بالمستبحر فيها ، ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره وذلك أنه قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن أصول الدين ، فأكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني ، وتسهيلا للهجوم على الحقائق ، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها ، وليس لها حكم شرعي ترعاه ، ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها ، وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ، وهي احدى وخمسون رسالة ، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والعقل ، فمزج مابين العلمين ، وذكر الفلسفة وحسنها في قلوب أهل الشرع بأبيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها ، ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تآليف في علم الفلسفة ، وهو فيها امام كبير ، وقد أدته قوته في الفلسفة الى أن حاول رد أصول العقائد الى علم الفلسفة ، وتلطف جهده حتى تم له مالم يتم لغيره ، وقد رأيت جملا من دواوينه ورأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر مايشير اليه من الفلسفة

ثم قال : وأما مذاهب الصوفية فلست أدري على من عول فيها ، ثم أشار الى أنه عول على أبي حيان التوحيدي ، ثم ذكر توهية أكثر مافي الأحياء من الأحاديث وقال : عادة المتورعين أن لايقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم ، ثم أشار الى أنه يستحسن أشياء مبناها على مالا حقيقة له ، مثل قوله في قص الأظفار أن تبدأ بالسبابة لأن لها الفضل على بقية الأصابع لكونها المسبحة الى آخر ماذكر من الكيفية ، وذكر فيه أثرا ، وقال : من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قديم مات مسلما اجماعا ، قال : ومن تساهل في حكاية هذا الاجماع الذي الأقرب أن يكون فيه الاجماع بعكس ماقال فحقيق أن لايوثق بما نقل •

وقد رأيت له أنه ذكر أن في علومه هذه مالا يسوغ أن يودع في كتاب ، فليت شعري أحق هو أو باطل ، فان كان باطلا فصدق ، وان كان حقا وهو مراده بلا شك فلم لايودع في الكتب ؟ ألغموضة ودقته ؟ قال : فان كان هو فما المانع ؟ (هذا ملخص كلام المازري على ماقاله ابن السبكي) •

(ومنهم أبو الوليد الطرطوشي) قال تاج الدين : وسبق المازري الى قريب منه من المالكية أبو الوليد الطرطوشي ، فذكر في رسالته الى ابن مظفر : فأما ماذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فرأيته رجلا من أهل العلم قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول زمانه ، ثم بداله الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كاد ينسلخ من الدين ، فلما عمل الأحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات .

(ومنهم الشيخ تقي الدين ابن الصلاح) فقد تكلم أيضا في الغزالي بكلام قادح فيه ، وطعن على كتبه بأنها مشتملة على خرافات وأكاذيب وموضوعات ، قال ابن السبكي : وللشيخ تقي الدين في حق الغزالي كلام لانرتضيه . ذكره علماء المنطق ، تكلمنا عليه في أوائل شرحنا للمختصر لابن الحاجب ، ونقل عن عفيف الدين ماكتبه اليه من جملة رسالة : وأما ماذكره الشيخ تقي الدين ابن الصلاح من عند نفسه ومن كلام يوسف الدمشقي والمازري فما أشبه هؤلاء الجماعة رحمهم الله تعالى الا بقوم متعبدين سليمة قلوبهم ، قد ركنوا الى الهوينا ، فرأوا فارسا عظيما من المسلمين قد رأى عددا عظيما لأهل الاسلام ، فحمل عليهم وانغمس في صفوفهم ، ومازال في غمرتهم حتى فل شوكتهم وكسرهم ، وفرق جموعهم شذر مذر ، وفلق هام كثير منهم ، فأصابه يسير من دمائهم وعاد سالما ، فرأوه وهو يغسل الدم عنه ، ثم دخل معهم في صلاتهم وعبادتهم ، فتوهموا أيضا اثر الدم عليه فأنكروا عليه ، هذا حال الغزالي وحالهم ، انتهى ماهو المقصود .

ثم ان ابن السبكي أجاب عن بعض ما اعترض به المازري والطرطوشي بأجوبة ارتكب التعسف فيها كما هي عادته من التعصب لأهل مذهبه ، ومع ذلك لم يمكنه انكار جهل الغزالي بالحديث ، فانه قال : وأما ماعاب به الأحياء من توهية بعض الأحاديث فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة ، وعامة مافي الاحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ، ولم يسند الرجل لحديث واحد ، وقد اعتنى بتخريج أحاديث الأحياء بعض أصحابنا ، فلم يشذ عنه الا اليسير ، قال وساذكر جملة من أحاديثه الشاذة استفادة ، ثم أنه بعد كلام استشهد بقوله :

لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

ثم قال بعد كلام طويل : ولقد وقعت في بلاد المغرب بسبب الأحياء فتن كثيرة وتعصب أدى الى أنهم كادوا يحرقونه ، وربما وقع احراق يسير ، قال والشيخ أبو الحسن لما وقف على الأحياء وتأمله قال هذا بدعة مخالفة للسنة ، وكان شيخا مطاعا في بلاد المغرب ، فأمر باحضار كل مافيها من نسخ الأحياء وطلب من السلطان أن يلزم الناس بذلك ، فكتب الى النواحي وشدد في ذلك وتوعدمن أخفى شيئا منه ، فأحضر الناس ماعندهم واجتمع الفقهاء ونظروا فيه ، ثم أجمعوا على احراقه يوم الجمعة ، وكان ذلك يوم الخميس ، ثم ذكر ابن السبكي قصة رؤيا أبي الحسن المكذوبةوزعم أنه ترك احراقه لتلك الرؤيا ، وأنه بعد ذلك رغب فيه ، انتهى كلامه ملخصا .

(ومنهم العلامة الشيخ عبد اللطيف الحنبلي) قال رحمه الله تعالى في رسالة له كتبها لبعض أصحابه يحذره عن كتب أبي حامد الغزالي ويذكر له أنها مخالفةللكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وهي هذه بنص عبارته ولفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الأخ في الله عبد الله بن معيذر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بلغني عنك مايشغل كل من له حمية اسلامية وغيرة دينية على الملة الحنيفية ، وذلك انك اشتغلت بالقراءة في كتاب الأحياء للغزالي ، وجمعت عليه من لديك من الضعفاء والعامة الذين لاتمييز لهم بين مسائل الهداية والسعادة ووسائل الكفر والشقاوة ، وأسمعتهم مافي الأحياء من التحريفات الجائرة ، والتأويلات الضالة الخاسرة ،والشقاشق التي اشتملت على الداء الدفين ، والفلسفة في أصل الدين ، وقد أمر الله تعالى وأوجب على عباده أن يتبعوا رسله ، وأن يلتزموا سبيل المؤمنين ، وهذا الأصل المحكم لاقوام للاسلام الا به ، وقد سلك في الأحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من مباحث الالهيات وأصول الدين ، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة حتى ظنها الاغمار والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، ودخل به الناس في الاسلام وهي في الحقيقة محض فلسفة منتنة يعرفها أولوا الأبصار ، ويمجها من سلك سبيل أهل العلم كافة في القرى والأمصار ، قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها ، ومطالعة خافيها وباديها ، بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة ، وسماها كثير منهم اماتة علوم الدين ، وقام ابن عقيل أعظم قيام في الذم والتشنيع وزيفمافيه من التمويه والترقيع ، وجزم بأن كثيرا من مباحثه زندقة خالصة لايقبل لصاحبها

صرف ولا عدل •

قال شيخ الاسلام : ولكن أبو حامد دخل في أشياء من الفلسفة ، وهي عنده ابن عقيل زندقة ، وقد رد عليه بعض مادخل فيه من تأويلات الفلاسفة ، ورد عليه شيخ الاسلام في السبعينية وذكر قوله في العقول والنفوس ، وأنه مذهب الفلاسفة ، فافاد وأجاد ، ورد عليه غيره من علماء الدين ، وقال فيه تلميذه ابن العربي المالكي :شيخنا أبو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم أراد الخروج فلم يحسن ، وكلام أهل العلم معروف في هذا لايشكل الا على من هو مزجي البضاعة ، أجنبي عن تلك الصناعة ، الى أن قال : اذا سمعت بعض عباراته المزخرفة قلت كيف ينهانا عن هذا فلان ؟ أو يأمر بالاعراض عن هذا الشان ؟ كأنك سقطت على الدرة المفقودة ، والضالة المنشودة وقد يكون ماأطربك وهز أعطافك وحركك فلسفة منتنة ، وزندقة مبهمة ، أخرجت في قالب الأحاديث النبوية ، والعبارات السلفية ، (الى أن قال) ثم جمعت بعض أقوال أهل العلم وماأفتوا به في هذا الكتاب ، وتحذيرهم للطالب والمسترشد •

ثم ذكر كلاما طويلا للذهبي في ترجمته للغزالي ، قال : ومن معجم أبي علي الصدفي في تأليف القاضي عياض له ، قال : الشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف الفظيعة ، غلا في طريقة التصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم ، وصار داهية في ذلك ، وألف فيه تآليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون الأمة والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب ، وفتوى الفقهاء باحراقها والبعد عنها فامتثل ذلك •

وقال الذهبي أيضا : قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب التهافت وكشف عوارهم ، ووافقهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق أو موافق للملة ، ولم يكن له علم بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل ، وحبب اليه ادمان النظر في كتاب رسائل اخوان الصفا ، وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قاتل ، ولولا أن أبا حامد من الأذكياء وخيار المخلصين لتلف •

فالحذر الحذر من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل والا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية ،وليكثر الاستغاثة بالله ، وليبتهل الى مولاه في الثبات على الاسلام ، وأن يتوفى على ايمان الصحابة وسادات التابعين، والله الموفق ، فبحسن قصد العالم يغفر له ، وينجو ان شاء الله انتهى •

والكلام على أبي حامد وبيان مااعترض به عليه لايسع المقام تفصيله ، وما

ذكرناه كاف في المقصود ، ومن العجب أن بعض الجهلة ممن يدعي العلم والصلاح وهو عار عنهما وقد تزيا بزي أهلهما ، وقد كور عمامته وسرح لحيته :

يحسبه الجاهل مالم يعلما   شيخا على كرسيه معمما

قد راج سوقه على العوام ، بما يقصه عليهم في الوعظ من الأكاذيب والأوهام، ورأى أنه لامعارض له من أولئك الأنعام ، كما يتكلم المتكلم بين المقابر بما شاء من الكلام ، حتى تخيل لذلك أنه من العلماء الأعلام ، وما درى أنه أجهل من ابن ثلاثة أيام ، قد ذكر احياء العلوم وشرع يمدحه بأعظم المدائح ويقرظه بكل ماخطر له من الثناء ، فقلت له : انه اشتمل على أحاديث موضوعة ومسائل فلسفية خارجة عن الشريعة ، وآراء محضة مخالفة للسنة النبوية ، وبناء على ذلك أن أهل العلم الموثوق بعلمهم لايقيمون لهذا الكتاب وزنا ، حتى أن بعضهم ألف كتابا في بيان حال مافيه من الأحاديث ، فنظر الي شزرا ، وكادت تزهق روحه الخبيثة ، فقال كيف تقول هذا الكلام وقد شرحه العلامة الزبيدي ؟ وخرج أحاديثه ، وبين أسراره ، فقلت له : ان الزبيدي ليس من أهل هذا الفن ، ولا هو من رجال هذا الميدان ، انما هو رجل له بعض الاطلاع على اللغة وبعض العلوم العربية ، وكلام مثله في باب الجرح والتعديل غير ملتفت اليه ، وكان من غلاة القبوريين والدعاة لمبتدعاتهم ، فلما سمع ماسمع أعرض ونأى بجانبه ، ولم يلتفت الى ماقلته ولا أصغى الى ماذكرته ، فقلت :

علي نحت القوافي من معادنها   وما علي اذا لم تفهم البقر

والكلام الحق اليوم ثقيل على الأسماع ، لاسيما على أهل الزيغ والابتداع ، وعلى المنصف موافقة الحق والاتباع .

(والمقصود) من هذا الكلام كله أن الشيخ تقي الدين قدس الله روحه لم يتكلم في شأن أبي حامد كما تكلم غيره فيه ، والنبهاني افترى عليه وكذب ، بل انه شهد له بحسن العاقبة والخاتمة ، وقال في غير موضع من كتبه انه في آخر عمره استقر أمره على الحيرة والوقوف بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظار أهل الكلام والفلسفة ، وسلك ماتبين له من طرق العبادة والرياضة والزهادة ، وفي آخر عمره اشتغل بالحديث كصحيحي البخاري ومسلم ، انتهى .

فانظر الى هذه التزكية الحسنة ، فان الأعمال بخواتيمها ، ولم يتكلم بمثل هذا الكلام في شأنه حتى من ينتصر له كتاج الدين وأضرابه ، وقد سلكوا كل مسلك في تعديله والحث على كتبه ، وارتكبوا التعسفات في تأويل مازل به قلمه .

وأما قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن حمد القرطبي فقد قال : ان بعض من يعظ ــ ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفا بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية ــ قد أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد امام بدعتهم، فأين هو من تشنيع مناكيره وتضليل أساطيره المباينة للدين ، وشريعة سيد المرسلين ، وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي الى علم المكاشفة الواقع بهم على سر الربوبية ، الذي لايسفر عن قناعة ولا يفوز باطلاعه الا من تمطى الى شيخ ضلالته ، التي رفع لهم أعلامها وشرع أحكامها ، قال أبو حامد : وأدنى من هذا العلم التصديق به ،وأقل عقوبته أن لايرزق المنكر منه شيئا ، فاعرض من قوله على قوله ، ولا تشتغل بقراءة قرآن ، ولا بكتب حديث ، فان ذلك يقطعه عن الوصول الى ادخال رأسه في كم جيبه والتدثر بكسائه فيسمع نداء الحق ، فهو يقول ذروا ما كان السلف عليه ، وبادروا الى ما آمركم به •

قال القاضي : وقال أبو حامد وصدور الأحرار قبور الأسرار ، ومن أفشى سر الربوبية كفر ، ورأى مثل قتل الحلاج خيرا من احياء عشرة لاطلاقه أنفاظا ، ونقل عن بعضهم أنه قال للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلم سر لو كشف لبطلت الأحكام ، ثم قال الغزالى : ان لم يرد ابطال النبوة بهذا في حق الضعفاء فما قال ليس بحق ، فان الصحيح لايتناقض ، وان الكامل لايطفيء نور معرفته نور ورعه ، وقال أيضا :العارف يتجلى له أنوار الحق،وتنكشف له العلوم المرموزة المحجوبة عن الخلق ، فيعرف معنى النبوة وجميع ماوردت به ألفاظ الشريعة التي نحن منها على ظاهرها ، قال عن بعضهم اذا رأيته في البداية قلت صديقا ، فاذا رأيته في النهاية قلت زنديقا ، ثم فسره الغزالي فقال : ان اسم الزنديق لايلصق الا بمعطل الفرائض لابمعطل النوافل ، وقال : ذهبت الصوفية الى العلوم الالهامية دون التعليمية ، فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول الله الله الله على الدوام فيفرغ قلبه ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث ، فاذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة ببيت مظلم ويدثر بكسائه ، فحينئذ يسمع نداء الحق : ﴿ يَا أَيُّها الْمُزَّمِّلُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّها الْمُدَّثِّرُ ﴾ قلت انما سمع شيطانا أو مالا حقيقة له •

وقال أبو بكر الطرطوشي : شحن أبو حامد كتاب الاحياء بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما على بسيط الأرض أكثر كذبا منه ، شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل اخوان الصفا ، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق انتهى •

هذا ماأورده صاحب كتاب البيان والله المستعان ، وقد رأيت ماشتمل عليه هذا الكلام من الهذيان ، ونسأله تعالى أن يغفر له ويرحمه بسبب مافاز به من حسن الخاتمة ، واشتغاله آخر عمره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان مسكي الختام •

وقد ذكر العلامة السيد صفي الدين في كتابه القول الجلي في الجواب عمن قال أن ابن تيمية تكلم في الأولياء كالغزالي وابن عربي وعمر بن الفارض وأضرابهم : أما سبب تكلمه في حجة الاسلام الغزالي فالله أعلم أنه ذكر في كتابه (المضنون) أشياء توافق عقايد الفلاسفة وتخالف الشرع ، حتى ان بعض العلماء أنكر نسبة ذلك اليه ، كذا ذكر بعضهم ، وقد تكلم فيه القاضي عياض وابن الجوزي وغيرهما فله أسوة بهم ، وان كنا لانسمع في الغزالي كلاما بعد ، كيف وهو حجة الاسلام وملك العلماء الاعلام •

وأما سبب تكلمه في ابن عربي فانه ذكر أشياء في فصوصه وفتوحاته تقتضي الكفر ، وقد كفره بذلك جماعة من العلماء ، منهم الحافظ ابن حجر ، وقد صنف بعض العلماء جزءا حافلا وجمع فيه كلام من ذم الشيخ ابن عربي ، فمما قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي في العبر وقال في ترجمته : صاحب التصانيف ، وقدوة القائلين بوحدة الوجود ، ثم قال الذهبي : وقد اتهم بأمر عظيم • وقال في تاريخ الاسلام: هذا الرجل قد تصوف وانعزل ، وجاع وسهر ، وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والفكرة ، واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة في الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطابا واعتقده من الله تعالى ولا وجود له في الخارج الى آخر ماقال • قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي في الميزان فقال : تصوف تصوف الفلاسفة ، واحل الوحوة ، وقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة الى آخر كلامه •

ومما قال في الجزء المذكور : أنبأني الحافظ زين الدين أبو الفضل العراقي ، ونور الدين علي ابن أبي بكر الهيتمي الشافعيان اذنا مشافهة ، عن شيخ الاسلام تقي الدين على بن عبد الكافي السبكي اجازة ان لم يكن سماعا ، قال في كتابه شرح منهاج النووي في باب الوصية بعد ذكره حكم المتكلمين : وهكذا الصوفية منقسمون كانقسام المتكلمين فانهما من واد واحد ، فمن كان مقصوده معرفة الرب سبحانه وتعالى والتخلق بما يجوز التخلق به هنا والتحلي بأحوالها واشراق المعارف الالهية

والأحوال السنية ـ فذلك من أعلم العلماء ، ويصرف اليه من الوصية للعلماء والوقف عليهم ، ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وأتباعه فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الاسلام فضلا عن العلماء ، ثم قال : وجاء في وسط الأمة قوم تكلموا ـ كالحارث المحاسبي ونظرائه ـ كلاما حسنا وهو مقصودنا بالتصوف ، ثم انتهى بالآخرة الى قوم فيهم بقايا ان شاء الله تعالى ، وآخرين تسموا باسم الصوفية استمروا من البدع المضلة والعقائد الفاسدة فيهمهم باسم الزندقة أحق منهم باسم الصوفية ، نحن برآء الى الله تعالى منهم ، انتهى .

قال صاحب الجزء : والظاهر أنه أشار بقوله وآخرين تسموا الى آخره الى ابن عربي وأتباعه ، قال : وقد سمعت صاحبنا الحافظ الحجة القاضي شهاب الدين أبا الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي يقول : انه ذكر لمولانا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني أشياء من كلام ابن عربي المشكل ، وسأله عن ابن عربي فقال له شيخنا البلقيني هو كافر ، قال وسمعت الحافظ شهاب الدين ابن حجر يقول جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كثيرة في أمر ابن عربي حتى تبرأت من ابن عربي بسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره وهددني بالشكوى الى السلطان بمصر بأمر غير الذي تنازعنا فيه يتعب خاطري ، فقلت له : ما للسلطان في هذا مدخل ، الا تعال نتباهل وقلت ماتباهل اثنان فكان أحدهما كاذبا الا وأصيب ، فقال لي باسم الله ، قال فقلت له : قل اللهم ان كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك ، فقال ذلك ، فقلت أنا : اللهم ان كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك ، وافترقنا ، قال : وكان سكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الهند جميل الصورة ثم بدا له أن يتركهم وخرج في أول الليل مصمما على عدم المبيت ، فخرجوا يشيعونه الى الشختور ، فلما رجع أحس بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم فانظروه ، فنظروا فلم يروا شيئا ، وما رجع الى منزله الا وقد عمي ، وما أصبح الا ميتا ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وسبعين ، وكانت هذه المباهلة في رمضان منها ، وعند وقوع المباهلة عرفت أن السنة ماتمضي عليه ، وكانت بمحضر من جماعته ، انتهى . فاذا عرفت ذلك كله علمت أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية لم ينفرد بذم ابن عربي ، انتهى كلام السيد صفي الدين رحمه الله تعالى .

والنبهاني عامله الله بعدله يتتبع من الكلام ما كان موافقا لهواه ، ولهذا لم يلتفت في هذا المقام الى كلام امامه السبكي ، ولا لكلام الحافظ شهاب الدين ابن

حجر العسلاني المحدث الشهير ، بل أخذ بكلام ابن حجر المكي لموافقته اياه في الغلو والميل الى البدع ، فلذلك تراه يترنم بأقواله ويكرره مرة بعد أخرى ، والكل من الشافعية •

وبعد ختم النبهاني كتابه بخاتمة السوء ذكر رسالة مختصرة للبكري في الرد على من منع الزيارة وعبارة من كلام الشيخ زروق تعرض فيها لشيخ الاسلام وكلاما للنابلسي مختصرا مما يتعلق بالزيارة ،ولما كان ذلك كله خارجا عن كتابه وانماذكرناه من الكلام على الزيارة يرد كل باطل يخالفه أعرضنا عن المناقشة فيها ، ومن وقف على مافيها من الجهل والضلال تحقق ان موحدي العرب في الجاهلية كزيد وقس بن ساعدة وأمية أسعد من هؤلاء حالا ، كما يدلك على ذلك شعرهم المذكور في كتب السير والتاريخ •

(فعليك أيها الأخ المسترشد) باتباع الكتاب والسنة فانهما الامامان اللذان أمرنا بالاقتداء بهما ، والداعيان الى سبيل الله فاشدد بيديك عليهما ، ولا تنظر الى ماابتدعه أهل الأهواء ، فانه من أضر الأدواء ، وقد سبق تفاصيل البدع بأنواعها وما ورد من النهي عنها ، فمن تأملها وأمعن نظره فيما شرعه الله تعالى لنا مما تضمنه الكتاب وبينته السنة علم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لايحيد عنها الا من مرض قلبه وطاش في مهاوي الضلال لبه ، وأصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بمتابعة العبادات ، ولا يحصل كمال الاتباع الا في الاقتداء به في جميع حالاته سكونه وحركاته ، عباداته وعاداته ، وللسلف الصالح من هذا الكمال المشرب الأصفى ، والحظ الوافر الأوفى ، روى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن العرباض بن سارية ، قال : (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وأن تأمر عليكم عبد ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة) •

فقد أوصانا صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين هم على طريقته ، وحرض على ذلك بقوله : (عضوا عليها بالنواجذ) المراد به المسك بجميع الفم ، اشارة الى غاية التمسك ، فكأنه قال صلى الله عليه وسلم اجتهدوا على

السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته ، أذاقنا الله حلاوة الاتباع ، ووقانا بفضله شر الفضول والابتداع ، وما أحسن ماقال بعض الأدباء الأفاضل وقد أخلص النصح فيما هو قائل :

ياباغي الاحسان يطلب ربه	ليفوز منه بغاية الآمال
انظر الى هدي الصحابة والذي	كانوا عليه في الزمان الخالي
واسلك طريق القوم أين تيمموا	خذ يمنة ما الدرب ذات شمال
تالله ماااختاروا لأنفسهم سوى	سبل الهدى في القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه	وبه اقتدوا في سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغى الهدى	فمآله في الحشر خير مآل
القانتين المخبتين لربهم	الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين لكل فعل سيء	والعاملين بأحسن الأعمال
أهواؤهم تبع لدين نبيهم	وسواهم بالضد في ذي الحال
ماشابهم في دينهم نقص ولا	في قولهم شطح الجهول الغالي
عملوا بما علموا ولم يتكلفوا	فلذاك ماشابوا الهدى بضلال
وسواهم بالضد في أحوالهم	تركوا الهدى ودعوا الى الاضلال
فهم الأدلة للحيارى من يسر	بهداهم لم يخش من اضلال
وهم النجوم هداية واضاءة	وعلو منزلة وبعد منال
يمشون بين الناس هونا نطقهم	بالحق لابجهالة الجهال
حلما وعلما مع تقى وتواضع	ونصيحة مع رتبة الافضال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم	مثل انهمال الوابل الهطال
في الليل رهبان وعند جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
واذا بدا علم الرهان رأيتهم	يتسابقون بصالح الأعمال
بوجوههم أثر السجود لربهم	وبها أشعة نوره المتلالي
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم	في سورة الفتح المبين العالي
وبرابع السبع الطوال صفاتهم	قوم يحبهم ذووا اذلال
وبراءة والحشر فيها وصفهم	وبهل أتى وبسورة الأنفال

هذا آخر ماأردنا تحريره من الرد على كتاب النبهاني المشتمل على مايخالف

الكتاب والسنة من الهذيان والوحي الشيطاني ، وقد عرفناه يومه من أمسه

وكلت للخل كما كال لي　　على وفاء الكيل أو بخسه

وكأني به اذا وقف على كتابي هذا ضاق صدره وازداد همه وكدره ، وعض بنان النادم الحصر حيث لاينفعه ندمه ، وهو الذي نكأ الجرح فكيف يتأوه ويتألم ويتظلم من مؤلم الجواب والبادي أظلم ، ومن آثر أن يكون مقدما معظما وجب أن يكون مهذبا مقوما ، ومن أحب أن يكون مبجلا مصدرا لزم أن يكون من الأفعال الدنية مطهرا ، ومن رشح نفسه للأمور الجليلة صبر على الأعباء الثقيلة ، ومن طمع في الأسباب العظيمة طالب نفسه باستعمال الأخلاق الكريمة ، ودون المكارم مكاره لايتلقاها الا العود الباذل ، وقبل المعالي عوال لايغشاها الا البطل الباسل ، ومع المغانم مغارم لايتحملها الا الأكارم الأفاضل ، وأمام العز الشامخ مذاهب لاتسلك الا على جسر من التعب ممدود ، وقدام الشرف الباذخ مراتب لاتنال الا بمساورةأساود وأسود ، وباني المجد يهون عليه أن يتجرع كؤوس الردى علا ونهلا ، وجاني الشهد لايبالي بأن يلقى دون اشتياره نحلا ، فأما الذي يشتهي الرياسة وهو خال من ابرارها ويتمنى الجلالة وهو سكيت في مضمارها ويحب السيادة وهو عار عن أستارها فبعيد عليه طريق منالها ، ومستصعب له جد الارتقاء في ذرى جبالها .

وقد كان ابتدائي به أول يوم من شهر رمضان من شهور سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة سيد ولدعدنان ، وختمته بحمد الله تعالى ليلةالسبت نصف الليل لأربع وعشرين ليلة خلت من شوال تلك السنة المباركة أواخر فصل الخريف ، وقد كل مني البصر ، ووهن العظم طلبا لمرضاة الله تعالى ، وصيانة لشرعه الشريف ممن تصدى له ــ خذله الله ــ بالتبديل والتحريف ، فأسألك اللهم أن تختم بعفوك اجلي ، وأن تحقق في رجاء رحمتك أملي ، وأن تسهل الى بلوغ رضاك سبلي ، وأن تحسن في جميع أحوالي عملي .

اللهم ونبهني لذكرك في أوقات الغفلة ، واستعملني لطاعتك في أيام المهلة ، وانهج بي الى محبتك سبيلا سهلة ، واجمع لي بها خير الدنيا والآخرة .

اللهم لاتكلني الى خلقك ، بل تفرد بحاجتي وتول كفايتي ، وانظر الي فيجميع أموري ، فانك ان وكلتني الى نفسي عجزت عنها ولم أقم مافيه مصلحتها ، وان وكلتني الى خلقك تجهموني ، وان ألجأتني الى قرابتي حرموني ، فبفضلك اللهم فأغنني وبعظمتك فانعشني وبسعتك فابسط يدي وبما عندك فاكفني .

اللهم لاتجعل لغيرك علي منة ، ولا له عندي يدا ، ولا لي اليهم حاجة ، بل اجعل سكون قلبي وأنس نفسي واستغنائي وكفايتي بك ، اللهم أنطقني بالهدى ، وألهمني التقوى ، ووفقني للتي هي أزكى ، واستعملني بما هو أرضى ، اللهم اسلك بي الطريقة المثلى ، واجعلني على ملتك أموت وأحيي ، اللهم ومتعني بالاقتصاد ، واجعلني من أهل السداد ، ومن أدلة الرشاد ، ومن صالح العباد ، وارزقني فوز المعاد ، وسلامة المرصاد .

اللهم أنت عدتي ان حزنت ، وأنت منتجعي ان حرمت ، وبك استغاثتي ان كربت وعندك مما فات خلف ، ولما فسد صلاح ، ومما أنكرت تغيير ، واكفني مؤنة معرة العباد ، وهب لي أمن يوم المعاد ، وامنحني حسن الارشاد ، اللهم أظلني في ذراك ، وجللني رضاك ، ووفقني اذا أشكلت علي الأمور لأهداها ، واذا تشابهت الأعمال لأزكاها ، واذا تناقضت الملل لأرضاها .

اللهم توجني بالكفاية ، وسمني حسن الولاية ، وهب لي صدق الهداية ، ولا تجعل عيشي كدا ، ولا ترد دعائي ردا ، فاني لاأجعل لك ضدا ، ولا أدعو معك ندا ، والحمد لله رب العالمين ، ولاعدوان الا على الظالمين ، والحمد له سبحانه كما يليق بجنابه ، وكما حمد نفسه في كتابه ، حمدا يكون وصلة الى طاعته وعفوه ، وسببا الى رضوانه ، وذريعة الى مغفرته ، وطريقا الى جنته ، وخفيرا من نقمته ، وأمنا من غضبه ، وظهيرا على طاعته ، وحاجزا عن معصيته ، وعونا على تأدية حقه ووظائفه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي نشر رايات الوحدانية ، وبشر من أذعن للأحكام القرآنية ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه الذين أقاموا على الخصوم دلائلهم البرهانية ، صلاة وسلاما نسعد بهما في السعداء من أوليائه ، ونصير بهما في نظم الشهداء بسيوف أعدائه ، انه ولي حميد ، في ٢٤ شوال سنة ١٣٢٥ هـ .

(تقاريظ بليغة لأفاضل العصر على كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني) [1]

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ضل من استعان بغيره واستنجد ، والصلاة والسلام على من بزغ به بدر التوحيد وتوقد ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا من أشرك بالله وعاند ، أما بعد ، فقد وقفت على هذا الكتاب ، بل فصل الخطاب ، ألا وهو (غاية الأماني في الرد على النبهاني) حيث تجاوز الحد ، وسلك

---

(١) هذه التقاريظ موجودة في الطبعة الاولى فجرى ابقاؤها كما هي .

مسلكا لم يسلكه من الموحدين أحد ، وتكلم بما وسوس اليه شيطانه ، واقتضاه ضلاله وبهتانه ، ظنا منه أنه نقض من الاسلام بنيانه ، وهد جوانبه وأركانه ، وأنه قد خلت الساحة ، وأقرعت المساحة ، وما علم هذا الجاهل المسكين ، العدو للدين ، أن للايمان حماة ، وللاسلام فرسانا ورماة ، يذبون عنه تحريف الغالين ، وتزوير المبطلين ، ألم يقرع باب سمعه قول الصادق المصدوق من غير شك ولا اشتباه : (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله) ألا وان من هاتيك الطائفة المنصورة ، والفئة التي لم تزل مساعيها مشكورة ، صاحب هذا الرد الفائق ، والتصنيف الرائق ، علم الفضل الشامخ ، وركن العلم الراسخ ، فريد الزمان ، ووحيد الاقران ، أبو المعالي جمال الدين الشافعي ، فسح الله في مدته ، ووفقه لما فيه رضاه وخالص طاعته ، فانه قدألزم ذلك الخصم الألد، وجلب عليه الويل والنكد وجعل أباطيله هباء منثورا ، وتركه مما جنت يداه فزعا مثبورا ، وألجمه بلجام الافحام ، وقاده الى مقام الخيبة والالزام .

(قاله الفقير خادم السنة أبو العباس البنجابي)

(تقريظ آخر)

انهذا الكتاب ، مهذب الفصول والأبواب ، واضح المسالك والمنهاج ، لم ينسج على منواله ناسج ، حري أن يتلقاه بالقبول ، أئمة المعقول والمنقول ، فان مسائله مبينة أتم بيان ، ومطالبه مبرهنة بأجلى برهان ، ومباحثه متقنة أي اتقان ، كيف لا وناظم فرائده ، وجامع عقود فوائده ، كاشف ظلمات المشكلات بأنوار بدر تقريره ، وموضح دقائق الاشارات بمصباح منير تحريره ، عدة الطالبين ، وعمدة المدرسين ، اليف بحر الفضل الزاخر ، وشقيق المآثر والمفاخر ، أبو المعالي ، وحسنة الأيام والليالي ، حيث رد بكتابه هذا على النبهاني ، وما أتى به من الكيد الشيطاني ، ومزق أديم ضلاله بالسيف الرباني ، ألفه انتصارا للدين ، وغيرة على الشرع المحمدي المبين ، حيث أن النبهاني عامله الله تعالى بعدله قد أتى بكل نكير ، وارتكب من الباطل والبهتان مالايسعه التحرير ، فشكرا لهذا السيد السند ، والعالم الأوحد ، فقد قام له على قدم في المهمات راسخ ، وقاومه بعزم تندك دونه الشوامخ ، وألقمه الحجر ، وترك أقواله شذر مذر ، لازال سعيه مشكورا ، وعمله في الدارين مبرورا .

(قاله بفمه ورقمه بقلمه عبد الودود بن محسن)

(تقريظ آخـــر)

لله درك ياأبا المعالي ، فقد جمعت في كتابك عقود اللئالي ، فهو لاشك كاسمه غاية الأماني ، بل الفيض الرباني ، فالحمد لله الذي قيض في كل عصر من يحامي عن الدين القويم ، ويذب عن الصراط المستقيم ، ولما تصفحت الكتاب وجدت ماشتمل عليه فصل الخطاب ، بيد أن الأمر كما قيل وهو من أحسن الأقاويل :

واذا اضطررت الى الجواب فلا تجب ... الا حكيمـــا في الرجال مساميا
أو كلما عوت الكـلاب أجبتهـا ... تالله لأصبـــحت كلبا عاويـا
اربـأ لنفسـك أن تفوه بمنطـق ... يزري بقـائله ويخـزي الراويا

(الفقير اليه تعالى خادم الحديث النبوي عبد الله السلامي)

(تقريظ آخـــر)

ياللعجب العجاب ، مالهذا الكتاب ، فهو كنز العلوم ، وبحر المنطوق والمفهوم، قد شهد لمؤلفه بطول الباع ، وغزارة الاتساع والاطلاع ، وجودة القريحة الوقادة ، وزكاء الطبيعة الكريمة النقادة ، فمن أراد النجاةيوم الحساب فعليه بالاعتقاد والعمل بما حواه هذا الكتاب ، فهو لعمري فصل الخطاب ، والحـق المبرهن بنصـوص الصواب ، قد بان به زيغ النبهاني الكذاب ، أخـزاه الله ومن كان على شاكلته بأليم العذاب ، فانه لايدعى غير الله عز وجل ، ومن استعان بغيره سبحانه ذل وضل ،وهو الملجأ والملاذ ، والمرجع والعياذ ، وما قاله ذلك الزائغ محض هذيان ، وضـرب من وسواس الشيطان ، فلا ينبغي أن يلتفت اليه ، ولا يعول في شيء عليه •

(كتبه الفقـير أبو الخير محمد الحجازي)

(تقريظ آخـــر)

اللهم أنت المستعان ، وعليك الاعتماد والتكلان ، لاخير الا خيرك ، ولا رب يلتجأ اليه غيرك ، بذكرك تطمئن القلوب ، ومن سواك ياسيدي علام الغيوب ، وبعد فقد أتاح لي القدر ، ولاح للبصر ، كتاب موسوم بغاية الأماني في الرد على النبهاني ، حيث ألف كتابا دعا فيه الى عبادة غير الله ، وحشاه من الكذب والبهتان وفتح بكل منكر فاه ، ولم يرقب وقوفه بين يدي مولاه •

وليس ببـدع فالأمور تغـيرت ... وكل نظـام في الزمان تبـدلا
وأصبح هام المكرمات منكسـا ... وأخمص أرباب الخبائث قد عـلا

فلما وقف على هذا الكتاب ، المنحرف عن جادة الصواب ، مفخر هذا الزمان ،

وذخر ذوي الفضل والعرفان ، حسنة الأيام والليالي ، أخو الكمال وأبو المعالي ، وفى له الكيل صاعا بصاع ، وألقمه حجر السكوت بما ثبت في الكتاب والسنة وقام عليه الاجماع ، فأين الحق من الباطل ، والجيد المحلى من العاطل •

ولاشك أن التبر ينقص قدره بقطر اذا ماالصفر في سوقه غلا
وليس سواء ذو علوم وجاهل تأمل فبعض القول تلقاه مجملا
ولا كل ذي ناب من الوحش ضيغم ولا كل ذي ريش من الطير أجدلا

اللهم يامحول الأحوال ، حول حالنا الى أحسن حال ، وانصر أعوان الحق على اختلاف صنوفه ، فقد أصبح اليوم كثير من الناس أعداء له ولا يرى سوى عوائده ومألوفه ، قد قضى عليه أهل العمائم ، ممن يدعى الزهد والمعرفة وهو عن كل فضيلة نائم ، والأمر لله ولا مرجو سواه •

(الفقير اليه تعالى أحمد الفرجي المدرس في دار الهدى)

(تقريظ آخر)

أيا فكرتي قد نلت مرماك فابشري ولا تذكري في المدح زيدا ولا عمرا
ويانفس هذا غاية القصد والمنى فألقي عصا التسيار لاتقصدي سيرا

هذا الكتاب الذي ينطق بالحق ، ويذعن له من أنصف من الخلق ، وينقاد لما حواه من المسائل كل من دقق وحقق ، هذا الكتاب الذي لايغادر صغيرة ولا كبيرة من مبتدعات الزائغين ، الا وقد مزق أديمها وكشف عوارها للناظرين ، وعاد منه النبهاني وأضرابه من الغلاة وعبدة القبور في خفي حنين وخفي أنين ، فالحمد لله الذي خذل أعداء الحق ، وفرق منهم الجموع ومزق • (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) •

(كتبه عدو المبتدعة وأهل الضلالات معين الدين ابن بركات)

(تقريظ آخر)

قد وقفت على هذا الكتاب ، وفهمت ماأودع فيه من أسرار فصل الخطاب ، فتذكرت ماجرى بين فرعون وموسى ، لما قال خصوم الحق : (فاجمعوا كيدكم ثم أتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ، قالوا ياموسى : اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى ، قال : بل ألقوا ، فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا : لاتخف انك أنت الأعلى ، وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) وكذلك

ماذكره النبهاني وأضرابه من أهل الزيغ والبهتان ، يخيل للناظر أنها حقيقة من الحقائق وهي من وساوس الشيطان ، فانها افك وزور وضرب من الهذيان ، فلما تصدى لردها أبو المعالي وأخو الفضائل لقف ثعبان قلمه ماصنعوا من الكيد والباطل ، فالحمد لله الذي لم يزل مؤيدا من انتصر لدينه ، مظهرا من استند الى نصوص كتابه الكريم وسنة رسوله في ايمانه ويقينه •

(كتبه الفقير الى عفو مولاه عبد الحق الادريسي عفى عنه في أولاه وأخراه)

(تقريظ آخر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله تعالى ونشكره ، ونستعين به ونستظهره ، ونصلي على صفوة أنبيائه وعلى سائر أصفيائه وعلى من تبعهم باحسان الى يوم لقائه ، أما بعد فانا لا نزال في هذا العصر السعيد ، والقرن الحميد ، نرى رجال الفضل يظهرون العجائب ، ويبرزون من دقائق أفكارهم خبايا المواهب ، حتى بلغوا من مقعد صدق العرفان أرفع المراتب وهذا من أوضح الدليل وأجلى البرهان ، على حقية حقيقة الدين المبين ، وشرائع أحكامه الغر الحسان ، أيد الله تعالى أنصاره الى آخر الزمان ، فان الله سبحانه أحسن امتاع العلم وشيد أهله ، ولا زال حافظا لهم وله ، ان أظلم شق منه كان لهم فيه سراجا ، أو طمس منار له وجد اليه منهاجا ، أو قعد عنه عالم قام آخر بأعبائه ، مراميا عن حوزته من أمامه وورائه ، حتى أصبح ولله الحمد فرسان الفضل يتسابقون في ميادين حلية المفاخر ، ويتفاخرون في سوق عكاظ الكمالات والمآثر ، ولكن الأمر كما قيل :

وما كل مخضوب البنان بثينة ولا كل مصقول الحديد يماني

فان تفاوت الرجال ليس لانكاره مجال ، ولا للسان فيه مقال •

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا لدى المجد حتى عد ألف بواحد

ألا وأن من أجلهم قدرا ، وأحسنهم ذكرا ، البليغ الذي أخجل ببديع انشائه ابن العميد ، وفاق بسديد آرائه الصاحب وعبد الحميد ، عديم النظير فيما انطوت عليه ذاته من الفضائل والكمالات ، ونادر المثيل فيما حازه من جلائل الصفات ، الفرد الذي لايقاس به سواه علما وعملا ، والأوحد الذي لايوجد له في أخلاقه مثلا فرع الشجرة الهاشمية ، ونور الدوحة العلوية ، أعني به الشيخ أبا المعالي ، لازال محمودا بما يليق به من الثناء على مدى الأيام والليالي ، فانه ـ أعلى الله تعالى

شأنه ، ووالى جل شأنه عليه احسانه ــ دأبه الانتصار للدين ، والذب عن سنة سيد المرسلين ، ومخاصمة المبتدعين ، ومناظرة الزائغين ، فهو الحري بقول القائل ــ لما اتصف به من محاسن الشمائل :

تقرط آذان الرجال بحكمة	حكتها اللئالي رونقا أو تقارب
متى أفرغت في قالب الفكر زينت	وزانت من الألباب تلك القوالب
بهن غذاء للعقول وشرعة	تسوغ وتصفو عندهن المشارب
تصرفت في حلو الكلام ومره	فأنت مجد كيف شئت ولاعب
ذهبت بكل مهما كل مذهب	ذهابا وما ضاقت عليك المذاهب
فمن ذكر وجد يسلب المرء لبه	على مثله دمع المتيم ذائب
ومن غزل عذب كأن بيوته	مسارح أرام النقا وملاعب

لم يزل يقدم موائد فوائده لأبناء جنسه ، ويزين صدور الدهور بفرائد عوائده ونفائسه ، ويقتطف ثمار فضله من حدائق صائب حدسه ، وقد جادت قريحته المستجادة ، وفطنته الوقادة ، بتأليف كتاب ، حري أن يكتب بالتبر المذاب ، وهو الموسوم (بغاية الأماني ، في الرد على النبهاني)وما هو الا بحر عباب ، قد حوى من المسائل لب اللباب ، وقد ألفه على مااشتمل عليه من التفصيل ، في أيام معدودات تكاد تعد من المستحيل ، وقد سقى منه خصوم المبتدعة سم الحتوف ، ورمى شياطين الانس بشهب براهينه الثاقبة حتى أرغم منهم الأنوف ، ترتعد منه فرائص ابن دحلان ، ويصفر منه وجه طاغية بني نبهان ، ويعوي منه عفور المنصورة وهو ثالثهم حليف البهتان ، وتتبين به مكائد حزب الشيطان ، وتقر به عيون عباد الرحمن •

اللهم أجزعنا مؤلف هذا الكتاب بما يتمناه ، وأطل في أفياء السلامة بقاه ، واحجب من غير نوائب الدهر نعماه ، واجعله لمستوفي سبوغ النعم معقلا ، ولآمال مؤمل الأفضال موئلا ، ومتعه بوفاء عهود أوداءه ، وبلغه الغاية من تأميل ذوي المودة من أوليائه •

(كتبه خادم السنة محمد الحجازي)

(تقريظ آخر)

ان كتاب (غاية الأماني في الرد على النبهاني) من مصنفات أبي المعالي ، ذي المجد الشامخ والحسب العالي ــ كتاب اشتمل على أجلى براهين التوحيد ، وأعلى

دلائل اخلاص العبودية لله العلي المجيد ، ولا يخفى على ذوي العرفان ما لموضوع هذا الكتاب من الأهمية ورفعة الشأن ، ومن وقف عليه علم مقاصد الشريعة المحمدية وأنها الغاية القصوى لدى أرباب البصيرة والروية ، وتبين له مغزى الدين المبين ، وسر دعوة رب العالمين ، وعرف أن ملاك النجاة هو التوحيد ، وأن من أخل به فهو الشقي ، ومن حافظ عليه فهو السعيد ، فانه الذي يمنع الاقدام أن تزل ، والأحلام أن تضل ، والقلوب أن تمرض ، والشكوك أن تعترض ، وقد تبين الرشد من الغي ، فمن استمسك بالعروة الوثقى فقد أمن العثار ، وربح اليسار ، ومن سلك مسلك النبهاني وأضرابه من الحزب الشيطاني ، فقد أساء الاختيار ، وركب الخسار ، وارتدف الأدبار ، ويومئذ يعض الظالم على يديه ، ويندم حيث لاينفع الندم مما حل لديه وجر عليه ، ورأى ما رأى من الويل بعينيه ، فليتذكر من يتذكر ، وليتبصر من يتبصر ، فليس الحق كالباطل ، ولا الجيد الحالي كالعاطل ، وهيهات هيهات ، أين الحضيض من أوج السموات ، فلله در مؤلف هذا الكتاب ، فقد ترك الخصم لاينطق ببنت شفة في الجواب ، وما أحسن ما قال بعض ذوي الآداب :

قل للذي يبغي وصول كماله	هيهات انك لست من يصل السما
الله أودع في سريرة ذاته	من قبل هذا جوهرا لن يقسما
أحلى من العسل الجني شمائلا	وتراه يوم الجد مرا علقما
مثل الأسود الضاريات اذا سطا	والمرسلات الذاريات اذا هما
كم راح زنديق يريد نزاله	فرأى سيوف الحق عنه فأحجما
وأتى عليه بكل برهان بدا	لو كان في جنح الدجى ماأظلما
فهو الذي نهدي به في ديننا	ونرى طريق الرشد فبه من العمى

(قاله بفمه ورقمه بقلمه عبد الأعلى الحسيني عفا الله عنه وعن أسلافه)

(تقريظ آخر)

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين ، ولا ناصرا لأعداء دينك من المنحرفين والمبتدعين ، بل انصر من نصرك بالذب عن حمى شريعتك الغراء ، ومحجتك الواضحة البيضاء ، ولا يخفى على من كان له نصيب من المعرفة ان كل من تصدى اليوم لتأليف كتاب ينبغي له أن لايخرج عن الصدد ولا يزيغ عن جادة الصواب ، بل يجعل كلامه دائرا على مايرضي الخالق ، مشتملا على غاية تستوجب سعادة الخلائق ، فمن صرف نظره عن ذلك ، وسلك غير هذا المسلك من المسالك ، وتعرض لما لايعنيه ، ولا له منه شأن يغنيه ، فقد ركب متن

عمياء ، وخبط خبط عشواء ، واستهدف سهام الملام ، ونصب نفسه غرضا لرشق نبال ألسنة الأنام ، والنبهاني أحد أهل المناصب في بيروت ، لم يراع تلك الشروط ، فقد ألف كتابا ملأه من الحكايات الموضوعة ، والأكاذيب المصنوعة ، والمباحث التي تمجها الأسماع ، وتنفر عنها الطباع ، وتوغر الصدور ، وتوقد نيران الشرور ، وتصدي مرايا القلوب ، وتجلب لمن سلك مناهجها في الدارين الكروب ، ولايقف منها القاريء على طائل ، ولا يجد فيها سوى العاطل ، ولا يصدر عنها الوارد الابلهف زائد ، ولهب في القلب ليس بخامد ، الضلال يلوح من فحواها ، والبدع تدور على لفظها ومعناها ، اذ حاصلها الدعوة الى غير الله ، ومآلها الحث الى الالتجاء الى ماسواه ، والحض على ملازمة القبور ، والعكوف على كل مشهد مشهور ، والعالم الاسلامي اليوم دون غيره قد أصبح لذلك في ادبار ودثور ، ومع ذلك فقد تعرض لاخيار الأمة ، ممن لم يوافقه على هذا الضلال وتلك الظلمة ، فسلقهم بألسنة حداد، وقذفهم بما هم بريئون منه مما يريع السمع والفؤاد ، ولم يمتثل ماقاله بعض الأماثل •

اذا شئت يوما أن تسود عشيرة ... فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم
وللحلم خير فاعلمن مغبة ... من الجهل الا أن تشمس من ظلم

ولما جرت عادة الله تعالى أن يجعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ولا يخلى عصرامن يغتار لدينه القويم ، ويذب عن صراطه المستقيم ، وينفي عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، قام اليه رب الأدب والكمال ، ومنتهى الفضل والأفضال ، ذو النثر الذي طار بأجنحة الفصاحة الى فلك الاعجاز ، وأقعد من طاوله في كل فضيلة على الاعجاز ، بدر فلك العرفان العالي ، ودر تاج الفخر الغالي ، أستاذنا الشيخ أبو المعالي ، ووثب اليه وثبة الأسد ، وحمل عليه حملة الفارس على من عصى وتمرد ، انتقاما لله ممن يجحد توحيده ، ويضع لعبادة الأنداد ــ من دونه تعالي ــ خده ووريده ، فأبطل جميع ماشتمل عليه كتاب الزائغ من وساوس الأفكار وشبهات الأنظار ، والأقوال الترهات والسفسطة والمغالطات ، وأظهر جهله للأنام ، وعواره للخاص والعام ، وأبان أن الخصم لم يميز بين القشر واللباب ؛ ولم يفرق بين الصفر والتبر المذاب ، فلله دره من عالم لاتأخذه في الله لومة لائم ، ولهذا لم يلتفت الى ما عليه أهل الزمان ، ولا الى ما قاله بعض ذوي العرفان :

وللدهر أثـواب فكـن في ثيابـه كلبستـه يومـا أجـد واخلقـا
فكن أكيس الكيسى اذا كنت فيهـم وان كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا

نسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يجعله في زمرة الأصفياء ، وأن يحرسه من كيد الكائدين ، وشر الحاسدين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيد الأولين والآخرين ، (وأنا الفقير الى ألطاف مولاه عبد الله بن عبد الحميد الحنبلي كفاه الله في أولاه وأخراه)

(خاتمة الطبع) (١)

(يقول مصححه أقل تلاميذ المؤلف ـ ف ٠ ج ٠ ز)

بحمد الله تعالى قد تم طبع كتاب « غاية الأماني في الرد على النبهاني » ذلك الكتاب الذي أسفر عن وجه الصواب في فهم أسرار الكتاب ، وأبان عن العقيدة الصريحة التي من تمسك بها نجا ، ومن حاد عنها ضـل وغـوى ، فلله در مؤلفه أستاذنا المفضال فخر العراق على الاطلاق ، مولانا (أبو المعالي) ذي القدر العالي ، قد أرسله الله في هذا الزمان الذي كثرت فيه البدع والخرافات ، وقيضه لقمع ذوي الجهالة ، وردع أولى الضلالة ، فكان هذا الامام مصداق مايروى في الأخبار الصادقة أن الله يرسل على رأس كل مائة سنة من يقيم أمر دينه ، وكان هو صاحب هذا العصر المجيد ، ومصباح الهدى للطالب المستفيد ، نهج به منهج الحق والصواب وأزال الشبه عن كثير من المسائل السائدة بين العامة المتداولة بينهم بالوراثة العمياء ، ولا يفقهون لها معنى ، ولا يفهمون لها مبنى ، وان في وجود هذا الكتاب في هـذا الزمان الذي كثرت فيه عقائد أهل الزيغ وطمت وعمت فيه البدع لحكمة بالغة ، يريد الله بها اخماد أنفس ذوي العقائد الملفقة في حين انتشارها ، واشتعال نار أضرارهـا وما جرته على دين الاسلام من المضار ، ومافتحته عليه من أبواب الردود والانتقادات ممن لايعرفون الاسلام الا من أعمال هؤلاء السفلة ، الذين قد التصقوا به التصاق الداء من السليم ، فشوهه وأذهب رونقه ومحاسن وصفـه ، ولكن أبى الله الا أن يتم نوره ، ويقيم أعلام دينه بأهل معرفته ، ورجال شريعته ، الذين يظهرهم في وقت احتياج العالم لأمثالهم ، وشدة الحاجة لبروز أنوار معارفهم ، فلا غرو اذا كان هذا الكتاب آية الصواب بين الطلاب ، اذ أدلته وبراهينه مأخوذة من نص الكتاب الذي

---

(١) هذه الخاتمة فى آخر الطبعة الاولى (الاصل) جرى ابقاؤها أهـ

أودع فيه كل شيء ، وفصلت فيه حقائق الكائنات ، ولمثل هؤلاء القائمين الفخر لتشييد دعائمه ، وتثبيت قوائمه ، التي تكاد تنهدم بمعاول هؤلاء المتشدقين بأباطيلهم المرجفين بزخارفهم وأضاليلهم ، فان الدين لم يقم الا بسيف الحق والبرهان ، لا بسيف الطعن والسنان ، فهو هدية للاسلام عموما ، وللعلماء الأحرار خصوصا ، حيث لم يكن دليله الا الكتاب والسنة الصحيحة ، والعقل السليم والذوق المستقيم ، وهو مادعى حضرة العالم الفاضل والسلفي الكامل ، مولانا الشيخ عبد القادر التلمساني ـ وفقه الله لنشر أمثاله ـ الى التزام طبعه ، لعموم نفعه ، ونشر فوائده بين ذوي الأفكار الرائقة ، والعقول الراجحة ، فجاء بهجة لقلوب العارفين ، وقرة لعيون الناظرين . أه

فهرست

الجزء الثاني من كتاب غاية الاماني في الرد على النبهاني

الصفحة		الموضـــوع
١٠ ، ١٩ ــ ٢٢	:	من أراد بالواسطة الرسل وتوسطهم في تبليغ أممهم عن الله فهو حق •
١٠ ، ١١	:	رد شبهة القبوريين أن الأولياء عند الله بمنزلة الوزراء عند الملــوك •
١٢		قول النبهاني ومنعه ممنوع دليل جهله وبيان ذلك •
١٢ ــ ١٤	:	ابطل استدلال النبهاني بكلام ابن القيم في جلاء الافهــام وأنه يناقض مافي الاغاثة •
١٤	:	كلام ابن عربي في سبب خلق العرش وعدم دلالته على اتخاذ الوسائط ورد كلام القسطلاني لأنه من الغلاة •
١٤ ــ ١٨	:	استدلال النبهاني على جواز تشبيه الله بملك له وزراء بكلام الامام أحمد في أنه لايلزم التعدد من اثبات الصفات وتمثيله بأن النخلة واحدة مع تعدد أجزائها وأن الله ســمى الوليد وحيدا مع تعدد أجزائه •
١٨ ، ١٩	:	ابطال زعم النبهاني تناقض ابن القيــم بما نقــل من طريق الهجرتين في فضل الرسل مستدلا به على الاستغاثة بهم •
٢٢ ــ ٢٤	:	دعواه أيضا تناقض ابن القيم حيث سمى القبر المزور وثنــا ونظم في النونية أن قبره عليه السلام لايكون وثنا •
٢٤ ــ ٤٤	:	كلام النبهاني على كتاب الصارم المنكى لابن عبد الهــادي ومناقشة ذلك •
٢٤ ، ٢٥	:	نقد النبهاني لهذا الكتــاب ودلالــة كلامه على غبــاوته وتعصبه •
٢٥ ، ٢٦ ، ٤٤	:	ترجمة ابن عبد الهادي بن قدامة والثناء على كتابه المذكور
٢٦ ، ٢٧		أبيات منوعة تفيد عدم الاصغاء الى ذم السفهاء والنصــح بكف الأذى •
٢٧	:	مدح القسطلاني لكتاب السبكي وتحــامل ابن حجر المكي على ابن عبد الهادي والجواب عن ذلك •
٢٨ ، ٢٩	:	عبارة السبكي وابن عبد الهادي في تعظيم الرسول عليــه

الصفحة		الموضـــوع
		السلام وتأييد النبهاني لأنواع من التعظيم لاتصلح الا لله •
٢٩	:	توجيه كلام ابن عبد الهادي بن قدامة الذي تعقبهالنبهاني في التعظيم الذي لايصلح الا لله •
٣٠ ، ٦٢ ، ٦٣	:	المراد بأهل السنة عند النبهاني وبيان حقيقة السنة وأهلها •
٣٠ ، ٣١	:	كلام ابن القيم وابن عقيل فيما يفعل عند القبور من العبادة والتعظيم مما يكذب النبهاني •
٣١ ، ٣٢	:	مانقله النبهاني نفسه عن المرزوقي وابن حجر ممـا يوافق كلام ابن عبد الهادي •
٣٢ ـــ ٣٨	:	كلام حول علم الغيب وما يمكن الانسان معرفته مما غــاب عنــه •
٣٢		تقسيم الغيب الى مالايعلمه الا الله وما يجوز أن يعرفه غيره وأسباب ذلك •
٣٢ ـــ ٣٤		نقل عن مقدمة ابن خلدون في أسباب المكاشفة والكهــانة والفرق بينها وبين الوحي •
٣٤ ، ٣٥	:	أدلة ووقائع على أن الأنبياء لايعلمون ماغاب عنهم الا باطلاع الله •
٣٦ ـــ ٣٨	:	قصة بلقيس وكيف لم يعرف سليمان موضعها حتى أخبره الهدهد وأمثلة لذلك •
٣٨ ـــ ٤٠	:	رد مازعم النبهاني من كونه عليه السلام يعطي ويمنع ويجيب من دعــاه •
٤٠ ، ٤١		كلام النبهاني على اسم الصارم المنكى في أن هذه الكلمــة لحن وان ابن عبد الهادي أخطأ في الاسم والمسمى ودلالة هذا الكلام على نقص النبهاني وافلاسه •
٤١	:	القصد من الاعلام تعيين المسميات ولا يلاحظ معنى الكلمة ان خالفت الأصول •
٤٢ ، ٤٣	:	شواهد من القرآن والحديث واللغة على التصرف في بعض الكلمات لغرض التناسق والازدواج •

الصفحة		الموضـــوع

الصفحة		الموضـــوع
		النبهاني في زعمه أن هذا مذهب انوهابية لا مذهب الحنفيه.
٦٨ ، ٦٩	:	مذهب الوهابية في العقائدوأنه مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل السنة •
٦٩ ــ ٧٦	:	رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وفيها بعض المغايرات •
٦٩	:	وجوب العلم ثم العمل به ثم الدعوة اليــه نم الصبر على الأذى فيه ودليل ذلك •
٧٠	:	وجوب طاعة الرسول وتوحيد الله ومعاداة من حــاد الله ورسوله وتفسير التوحيد والشرك وأدلة ذلك •
٧٠ ، ٧١	:	الأصول الثلاثة ومعرفة الرب والمراد بآياته ومخلوقاته •
٧١ ، ٧٢	:	أنواع العبادة التي أمر الله بها وأدلتها من القرآن •
٧٢ ، ٧٣	:	الأصل الثاني تفسير الاسلام ومراتبه وأركانه وأدلتها •
٧٣	:	عدد شعب الايمانوأركانه وأدلتهاوتفسير الاحسان ودليله.
٧٣ ، ٧٤	:	حديث جبريل عليه السلام في تفسير الاسلام والايمـــان والاحسان واشراط الساعة •
٧٤	:	الأصل الثالث معرفة النبي صلى الله عليه وسـلم ، نسبه وعمره وبلده ورسالته وتفسير أول سورة المدثر •
٧٤ ، ٧٥	:	هجرته عليه السلام والمراد بالهجرة وحكمها ودليلها ومــدة اقامته بعدها والدليل على موته •
٧٥ ، ٧٦	:	دليل البعث والجزاء ووظيفة الرسل الى أممهم •
٧٦	:	تفسير الطاغوت ودليله وذكر رؤس الطواغيت •
٧٧	:	قول النبهاني : انصاحب جلاء العينين صنفه مظاهرة لصديق حسن خان وكونه صنفه قبل الاتصال به •
٧٧ ، ٧٨	:	لم يتحامل على ابن حجر بل مدحه وسكت عن تعصبه ومافي كتبه من الأخطاء والخرافات •
٧٨ ــ ٨٢	:	قوله انه غامل السبكي بسوء الصنيع وأن السبكي هــو المستحق للقب شيخ الاسلام •

الصفحة		الموضـــوع
٧٨ ، ٧٩	:	مدح صاحب جلاء العينين للسبكي مما يكذب النبهاني •
٧٩	:	عدم تبجيل السبكي وابن حجر المكي سببه ماافترياه على ابن تيمية •
٧٩ ، ٨٠	:	ترك تسمية السبكي أو غيره بشيخ الاسلام لايوجب اللوم والسبكي لايستحق هذا اللقب •
٨٠ ــ ٨٢	:	قوله ان هذا اللقب خاص بقاضي القضاة ذم للسبكي أما ابن تيمية وذكر نصص بعض ماأقذع به ابن حجر في حق ابن بما لاحقيقة له في أولئك الأشخاص •
٨٢ ــ ٨٤		تعجب النبهاني مما حمل صاحب جلاء العينين عنى سوء معاملتهما فيقال له ماالذي حملهما على سوء معاملة ابن تيمية وذكر نص بعض ماأقنع به ابن حجر في حق ابن تيمية •
٨٤ ــ ٨٦	:	عقيدة مصنف جلاء العينين وانصافه الذي حمله على ترجيح ابن تيمية شأن أهل السنة •
٨٦	:	حنث النبهاني في قسمه بأنه من أهل البدعة وأمر بتكفير يمينه مع أنه ليس من أهل الايمان •
٧٦ ، ٨٧	:	شبه النبهاني بمن قال الله فيهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) •
٨٧ ــ ٩٠		معنى حديث (الأرواح جنود مجندة) وتعارف روح مصنف جلاء العينين بأرواح أفاضل الأمة بخلاف روح النبهاني •
٩٠ ، ٩١	:	نصيحة في بيان الأوصاف الحميدة وترك الدنيا والبعد عن الولاة وآثار ذلك •
٩١	:	كون النبهاني اتحاديا وجرأته مع ذلك على أهل الفضل والدين •
٩١ ، ٩٢	:	زعمه أن السبكي ومن معه في جانب تعظيم جد مصنف جلاء العينين وهو النبي عليه السلام وبيان حقيقة التعظيم الواجب لــه •

الصفحة		الموضـــوع
٩٢ ، ٩٣	:	كلام حول نسب النبهاني وخسة أصله دون جميع قبائل العرب •
٩٤	:	تسمية العلماء الذين صنفوا فيما تضمنه جلاء العينين ولم يعبهم النبهاني •
٩٥	:	تكذيبه في أن من طالعه أيقن بخطئه وبيان أن المصنفين قد أثنوا عليه •
٩٥	:	خطبة للامام أحمد في وصف أهل الفترات من أهل العلم وما يلاقونه من الجهلة •
٩٦ ، ٩٧	:	بعض ماكابده النبي عليه السلام من الأذى والسب وعاقبة من آذاه وآذى أتباعه في كل زمان ومكان •
٩٨	:	قوله أنه قد عق أباه وآذاه بما نقل من تفسيره مما يوافق قول الوهابية وبيان أن تلك المسائل صريحة في القرآن والحديث وتفاسير العلماء المشهورين •
٩٨ ـ ١٠٣	:	رسالة لصاحب روح المعاني تبين أنه كان سلفي العقيدة كالأشعري وابن حنبل •
٩٩ ، ١٠٠	:	نقل كلام الأشعري في الابانة مما يظهر به موافقته لابن حنبل في اثبات الصفات •
١٠٠ ـ ١٠٢	:	تقريب مذهب الحنابلة ومانقم عليهم من ترك التأويل والأخذ بالظاهر وتأويل الأشعرية للاستواء •
١٠٣ ـ ١٠٧	:	لم يسلم أحد من أذى الناس والاستشهاد بأدلة على مسبة اليهود والنصارى والمشركين لرب العالمين •
١٠٨	:	اشارة الى قصص الذين صدر منهم الأذى للرسول عليه السلام •
١٠٨	:	تأسي صاحب جلاء العينين ووالده بمن أوذي في الله فصبر •
١٠٨ ـ ١١٠	:	بعض الأذى الصادر من الأمم للرسل والرد على بعض ذلك نظما •
١١٠ ، ١١١	:	أذى الرافضة للصحابة وأن تلك المثالب التي تنقل عنهم اما

الموضـــــوع		الصفحة
كذب أو معذورون فيه أو قد كفر عنهم •		
سبب أذى القبوريين لصاحب جلاء العينين ووالده •	:	١١١
تفسير اخلاص الدين لله •	:	١١١ ، ١١٢
مايلزم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وعاقبـة من أراد بذلك الرياء أو الرئاسة أو نحوهما •	:	١١٢ ، ١١٣
تحريم الاختلاف في الدين وأدلته وأمثلة مما وقع فيه اختلاف الأمـم •	:	١١٣ ــ ١١٥
تمسك كل فرقة بمذهبها واعتقادها أن الحق معها دون غيرها	:	١١٥ ــ ١١٧
بعض أعداء صاحب جلاء العينين كابن جرجيس وابن دحلان وآل جميل وذكر بعض أمرهم وكيف نهايتهم •	:	١١٧ ، ١١٨
ذم الحسد وأوصاف الحساد وبيان أن العالم الجليل لايخلو من حاسد •	:	١١٩
الحكم بالكفر والفسق والسعادة والشقاوة •• انما يؤخذ عن الشرع لا عن العقل •	:	١١٩
معنى حديث (أنتم شهداء الله في الأرض) •	:	١٢٠ ، ١٢١
(حديقة الورود في مدائح السيد محمود) وهو صـاحب تفسير روح المعاني في مجلدين وبعض من قرظها نظما ملغزا بتأريخها •	:	١٢١ ، ١٢٢
رسالة (أريج الند والعود) مختصر حديقة الورود وايراد خطبته وسبب تأليفه •	:	١٢٣ ، ١٢٤
ثناء الأئمة العدول على مصنف جلاء العينين ووالده وذكر بعض مآثرهما مما يكذب النبهاني •	:	١٢٤ ، ١٢٥
انحطاط العالم الاسلامي وغلبة أمراء السوء وكثرة الفتن في الدين مما أوجب تطاول النبهاني •	:	١٢٦
ذكر من ألف في مناقب شيخ الاسـلام ابن تيميـة حيث أن النبهاني قدح في أولئك العلماء بسبب انتصارهم لشيـخ الاسلام •	:	١٢٧

الصفحة		الموضـــوع
١٢٧ ، ١٢٨	:	ترجمة قاضي القضاة العيني شارح البخـاري وذكر بعض مؤلفاته .
١٢٨ ـ ١٣٢	:	تقريظه لكتاب (الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام كافر) .
١٢٩ ، ١٣٠	:	وصف شيخ الاسلام وحال الذين اعترضوا عليه وما حملهم على ذلك وبيان استحقاقه لهذا اللقب .
١٣١	:	بعض ماجرى له من المحن أسوة بمن قبله من الأئمة وايراد مختصر ترجمته ووفاته .
١٣٢	:	جوابه فورا وهو يعظ على قول : ان الله بذاته في كل مكان الخ ...
١٣٢ ، ١٣٣	:	ترجمة الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي صاحب الردالوافر وذكر بعض من قرظ كتابه .
١٣٣ ـ ١٣٥	:	تقريظ قاضي القضاة ابن عمر البلقيني على كتاب الردالوافر وذكره بعض مآثرشيخ الاسلام ومن مدحهأو حسده وبعض مانقم عليه وبيان عذره في ذلك .
١٣٥	:	توقير العلماء والكبراء والنهي عن سب الأموات .
١٣٦ ، ١٣٧	:	ترجمة قاضي القضاة التفهني الحنفي وتقريظه للرد الوافـر وذكره لبعض آثار شيخ الاسلام وتسلطه على مردة الجن .
١٣٧ ، ١٣٨	:	توقف الأئمة عن الحكم بتكفير أهل الكبائر وبيان أنالشيخ لم يصدر عنه مايكون كبيرة وأنه مجتهد في تلك المسائل .
١٣٨	:	اشتغال العالم بنفسه وتعوده علىقول الحق يمنعه منالاقدام على التكفير بغير دليل .
١٣٨ ، ١٣٩	:	ترجمة قاضي القضاةمحمد البسطاميالمالكي وتقريظه لكتاب الرد الوافر .
١٣٩ ، ١٤٠	:	ترجمة الحافظ سراج الدين عمر البراز وتصنيفه في مناقب شيخ الاسلام .
١٤٠ ـ ١٤٢	:	ترجمة بليغة للشيخ أحمد العمري الشـافعي ونسبه وأدبه

الصفحة		الموضـــوع
		وبعض كتبه وتصنيفه في مناقب شيخ الاسلام •
١٤٢	:	ترجمة ابن عبد الهادي وابن القيم وانتسابهما الى الشيـخ وأنهما من حسناته •
١٤٣	:	ترجمة المحدث صفي الدين الحنفي البخاري صاحب القول الجلي في مناقب الشيخ وتقريظ الكزبري لكتابه •
١٤٣ ــ ١٤٥	:	تقريظ محمد التافلاني الحنفي المقدسي للقول الجلي وذكره بعض مآثر شيخ الاسلام وعذره فيما انتقد عليه •
١٤٥ ، ١٤٦	:	ترجمة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي وذكر بعض شعره
١٤٦ ، ١٤٧	:	الثناء على كتابه الكواكب الدرية في مناقب شيخ الاسـلام ابن تيمية ووصفه بأشعار بليغة •
١٤٧ ــ ١٤٩	:	كثرة من أثنى على شيخ الاسلام في كل زمان ومكـان في مصر والشام والعراق وغيرها •
١٤٨	:	المبغضون له في العراق هم الدجالون المنافقون وبيـان أن العراق معدن كل محنة وبلية في كل زمان •
١٤٩	:	مدح أهل الشام لتظاهرهم بنصرة الشيخ وكونهم أحق الناس بذلك لأنه منهم •
١٤٩ ، ١٥٠	:	الثناء على صاحبي مجلة المؤيد الأغر ومجلة المنار لتظاهرهما بنشر أقوال شيخ الاسلام وتأييد اختياراته •
١٥٠ ، ١٥١	:	ترجمة رفيق بك العظم ونقل كلام له في تنبيه الافهام في ذم المقلدين والمبتدعين وما كان منهم في حق شبخ الاسلام •
١٥١	:	ترجمة السيد محمد بدر الدين الحلبي وذكر نشـره لمناقب شيخ الاسلام •
١٥١ ، ١٥٢	:	ترجمة محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ونشره لفضائل الشيخ وقمعه لخصومه في كل مكان •
١٥٢ ، ١٥٣	:	عدم تضرر مصنف جلاء العينين بمسبة النبهاني والاستشهاد على ذلك بأبيات لابن سند النجدي •
١٥٣ ، ١٥٤	:	خلاصة ما احتواه كتاب الكواكب الدرية للشيـخ مرعي في

الصفحة		الموضـــوع
		ترجمة شيخ الاسلام •
١٥٤	:	خطبة الكتاب ومصادره ونسب شيخ‌الاسلام وسبب تسميته بابن تيمية •
١٥٥	:	ولادة الشيخ ونشأته واقباله على العلم وسماعاته ومشائخه•
١٥٥ ، ١٥٦	:	ثناء الأئمة على ابن تيمية كالمزي وابن دقيق العيد وأبي‌حيان النحوي وابن الوردي •
١٥٦ ، ١٥٧	:	ثناء ابن سيد الناس اليعمري على الشيخ ومبالغته في مدحه وذكر أسباب حسده •
١٥٧	:	ثناء علم الدين البرزالي على شيخ الاسلام •
١٥٧ ، ١٥٨	:	مدح العلامة الزملكاني لابن تيمية وتقريظه لكتابيه أبطال التحليل ورفع الملام نظما ونثرا •
١٥٨ ، ١٥٩	:	ثناء الشيخ عماد الدين الواسطي على ابن تيمية رحمه اللـــه تعـــالى •
١٥٩ ــ ١٦١	:	ثناء الذهبي على الشيخ وذكر شجاعته وزهده وسخـــائه وتبحره في جميع العلوم بما لامزيد عليه •
١٦٢	:	ترجمة للشيخ بقلم بعض قدماء أصحابه بالغ في توسعـــه في العلم والعبادة والقوة في ذات الله •
١٦٢ ، ١٦٣	:	ثناء ابن عبد الهادي على شيخ الاسلام في كتابه المناقب •
١٦٣ ، ١٦٤	:	مدح الشيخ ابن فضل الله العمري لابن تيمية ومساواته له بالأئمة الاربعة ونحوهم •
١٦٤ ، ١٦٥	:	نبذة من كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للشيخ‌سراج الدين البزار •
١٦٥ ــ ١٦٧	:	قصيدة للشيخ نجم الدين ابن أبي بكر التركي في مـــدح شيخ الاسلام ابن تيمية •
١٦٧ ــ ١٦٩	:	مؤلفات الشيخ ابن تيمية في الكلام والأصلين وسائرالفنون وكون أكثرها من حفظه ومارزقه من كثرة المؤلفات وسرعة الكتابة وقوة البديهة •

الصفحة		الموضـــوع
١٦٩ ، ١٧٠	:	حكاية وقعت له في طفوليته تدل على سعة الحفظ وقــوة الملكــة •
١٧٠	:	مايفتح عليه في الدرس من أسرار العلوم ومامنح من استنباط المعاني وماقام به من معارضة الأهواء •
١٧١ ـ ١٧٣	:	بعض مآثره الحميدة من العبادة والورع والزهد والكرم والايثار مع فقره مافيه العجب العجاب •
١٧٣ ، ١٧٤	:	لباسه وتواضعه •
١٧٤ ـ ١٧٦	:	كراماته ومكاشفاته وفراسته مما يدل على فضله وولايته •
١٧٦ ـ ١٨٠	:	شجاعة الشيخ ابن تيمية وجهاده وبعض ماجرى في حــرب التتار من الثبات والاقدام وجرأته على الملوك من غير مبالاة بأحد ومايقع له في قلوب السلاطين من الهيبة والاحترام •
١٨١ ، ١٨٢	:	تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة وعدم التفاته لمن خالفه في ذلك ورضى الناس بفتواه •
١٨٢	:	محنة ابن تيمية لتمسكه بطريقة السلف وأول ذلــك بسبب عقيدته الحموية •
١٨٢ ـ ١٨٨	:	ملخص ماتحتوي عليه هذه العقيدة الحموية •
١٨٢ ، ١٨٣	:	ماعليه السلف وأهل القرون المفضلة من العلم في باب الأسماء والصفات ودليل ذلك عقلا ونقلا •
١٨٣ ، ١٨٤	:	رد مقالة بعض الأغبياء أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وسبب هذه المقالة وماعليه الخلف من الحــيرة والاضطراب كما أقروا على أنفسهم •
١٨٤ ، ١٨٥	:	الكتاب والسنة وأقوال السلف ليست مرجعا عند النفاة في باب الاعتقاد وانما المعول على العقول الفاسدة •
١٨٥	:	أصل مقالة التعطيل وبيان القول الشامل في الأسمــــاء والصفات عند أهل السنة •
١٨٦ ، ١٨٧	:	تقسيم الناس في آيات الصفات وأحاديثها الى ستة أقســام وايضاح القول الصحيح وهو قول من يجريها على ظاهرها

الصفحة		الموضـــــوع
		وان الغرض من السفر الى المساجد الثلاثة الصلاة فقط .
٢١٠	:	جواب آخر لعلماءالشام من المالكية في هذا المعنى .
٢١٠ ــ ٢١٣	:	كتاب ورد مع أجوبة علماء بغداد يتضمن الدعاء للسلطان والثناء على الشيخ وتشبيه السلطان بيوسف الصديق والشيخ بما عنده من القوت الذي اضطر الناس اليه .
٢١٣	:	كتاب آخر لعلماء بغداد وفيه ماحصل من المشقة على أهل الحق وانتصار المبتدعين لما سمعوا التضييق على الشيخ .
٢١٤	:	مدة اقامة الشيخ بالقلعة وكونه مكبا على العبادة والتصنيف ومنعه آخر المدة من الكتابة .
٢١٤ ــ ٢١٧	:	وفاة الشيخ ومدة مرضه واباحته كل من عاداه جهلا وشدة أسف الناس عليه وكيف ضاق المسجد والأسواق بالمصلين والمشيعين وأين دفن وما كان من حزن الناس عليه في كل البلاد .
٢١٨ ــ ٢٤٠	:	ما رثي به الشيخ من القصائد بعد موته .
٢١٨ ــ ٢٢١	:	ماقاله شهاب الدين ابن فضل الله العمري الشافعي في حق الشيخ نظما ونثرا .
٢٢١ ، ٢٢٢	:	قصيدة ابن الوردي الشافعي في شيخ الاسلام .
٢٢٢ ــ ٢٢٤	:	مرثية في الشيخ قالها محمد الجزري العراقي .
٢٢٤ ــ ٢٢٥	:	ماقاله الشيخ علاء الدين ابن غانم رحمه الله تعالى .
٢٢٥	:	أبيات لمحمود بن الأثير الحلبي عليه الرحمة .
٢٢٦ ، ٢٢٧	:	مرثية بليغة لزين الدين ابن الحسام الشبلي في شيخ الاسلام .
٢٢٧ ــ ٢٢٩	:	ماقاله الشيخ جمال الدين ابن الحصري الحنبلي رحمه الله تعالى .
٢٢٩ ــ ٢٣١	:	قصيدتان بليغتان لشهاب الدين ابن أنو شروان التبريزي الحنفي عليه الرحمة .
٢٣٢ ، ٢٣٣	:	قصيدة لولده برهان الدين التبريزي الحنفي في شيخ

الصفحة		الموضـــــوع
		الاسلام رحمه الله •
٢٣٣ ــ ٢٣٥	:	مرثية جيدة لبعض الفضلاء من جند مصر أرسلها بعد عرضها على أبي حيان النحوي •
٢٣٥ ــ ٢٣٨	:	مرثيتان للشيخ محمود الدقوقي البغـدادي بالغ فيهمـا في الثناء على الشيخ رحمهما الله تعالى •
٢٣٩	:	ماقاله الحافظ الذهبي يرثي الشيخ •
٢٣٩ ، ٢٤٠	:	قول بعض أدباء عصره •
٢٤١ ــ ٢٤٣	:	خاتمة نصيحة وموعظة •
٢٤١	:	كون الشيخ من أولياء الله لثناء الأئمة عليه وحال من وقع فيه والنهي عن الغيبة وسب الأموات •
٢٤٢ ، ٢٤٣	:	وجوب حسن الظن بمن سلف وعذر الشيخ فيما نقم عليـه وحال من طعن فيه وما حملهم على ذلك •
٢٤٣	:	الغرض من ايراد هذه الرسالة تأييد صاحب جلاء العينـين بكثرة من أثنى على الشيخ مما يكذب النبهاني •
٢٤٣ ، ٢٤٤	:	عذر الشيخ وغيره ممن انتقدوا أقوال الأئمة قبلهم والفرق بينهم وبين خصماء الشيخ •
٢٤٤ ــ ٢٤٧	:	كلام لشيخ الاسلام في أن مخالفة الأئمة أو بعضهم لاتعتبر طعنا فيهم لعذرهم في الاجتهـاد وكونهم غير معصـــومين ووجوب تقديم الدليل على قول كل أحد •
٢٤٨ ، ٢٤٩	:	نقل عن شيخ الاسلام في تفسير سورة الكوثر في أن اللـه يبتر من شنأه أو شنأ كتابه أو رسوله وكيفية ذلك •
٢٤٩ ــ ٢٥١	:	كلام ركيك للنبهاني في الفرق بـين ابن حجـر المكي وابن تيمية وقد بالغ في مدح ابن حجر وكتبه والحـط على ابن تيمية وعيب مؤلفاته بأنها تمزقت وعدمت بركتها الخ •
٢٥١ ، ٢٥٢	:	مافي كلامه من الركة والتناقض وكونه ليس أهلا أن يحكم بين صبيين •
٢٥٢ ــ ٢٥٧	:	نقل عن شيخ الاسلام في صفات الحاكم وفضل العـدل

الصفحة		الموضــــوع
٢٦٧ ، ٢٦٨	:	سبب رفض النبهاني للحق غلوه في محبة أصحابه •
٢٦٨ ــ ٢٧٠	:	رسالة لشيخ الاسلام وهو في السجن تتضمن أن المؤمن لابد أن يؤذى ولا يكون صادق الايمان الا بالصبر وبيان الحكمة في ذلك •
٢٧٠ ، ٢٧١	:	كثرة الانتفاع بكتب ابن تيمية وعدم عيبه لو لم تقبل كتبه وبيان حال كتب ابن حجر •
٢٧١ ــ ٢٧٣	:	انتشار كتب خرافية وكتب مبتدعة وتلف كثير من كتب الأئمة وأن ذلك لايدل على أن أهلها من أهل السنة أوالبدعة وذكر أمثلة لذلك •
٢٧٢	:	كثرة مابقي من كتب ابن تيمية والوعد بنشر مايوجد منها وقد حصل بحمد الله •
٢٧٣ ، ٢٧٤	:	الباب السادس للنبهاني في الحكايات عن المستغيثين بالرسول واغاثتهم وذكر مصادر هذه الحكايات •
٢٧٤	:	كلام شيخ الاسلام في حال هذه الحكايات وكيف وضعت وان العمدة على الدليل الصحيح لا عليها خلافا النصارى •
٢٧٥	:	جواب مجمل لشيخ الاسلام بما عند أهل الكتاب من الحكايات وباختلاف القبوريين وتعذر اصابتهم كلهم ••
٢٧٥	:	بعض الخارق التي تجرى للسحرة والمستغيثين بالقبور وذكر بعض أسبابها •
٢٧٦ ، ٢٨٠	:	اجابة من دعا بدعاء محرم لاتدل على اباحته ، ومتى يكون الدعاء محرما ، والفرق بين القدر والشرع •
٢٧٦ ، ٢٧٧	:	لايستجاب لصاحب الدعاء المحرم الا في الأمور الحقيرة وسبب ذلك •
٢٧٧ ــ ٢٨٠	:	أقسام الشرك وأدلته وعدم القدح في التوحيد باثبات الأسباب لأن الله خالق الأسباب والمسببات •
٢٧٩ ، ٢٨٠	:	لم يقل أحد من الأئمة بسؤال النبي عليه السلام بعد موته ولا تدل حكاية الاعرابي وقوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا

الصفحة		الموضـــــوع

الصفحة		الموضـــــوع
٣٠٧	:	الكتب المؤلفة في الأذكار النبوية ليس فيها توجه لغير الله أصلا وذكر مقدمة الحصن الحصين للجزري •
٢٠٩ ـ ٣٢٧	:	أذكار وأوراد عن الصلحاء من خيار الأمة ليس فيها استعانة بمخلوق •
٣٠٩	:	دعاء عظيم كان سببا في احياء فرس قد مـات ودعـاء لزين العابدين السجاد كله خالص لله •
٣١٠	:	وصايا لعبد القادر الكيلاني وهو محتضر ومخاطبته للملائكة ونصائح له كلها تتضمن الاخلاص لله •
٣١١	:	ماحكاه ابن عربي أن الله قال ياموسى لاتجعل غيري موضع حاجتك وقصة أبي حمزة الذي سقط في بئر فلم يسأل أحد اخراجه وانكار العلماء لما فعل وأن طلب اخراجـه لاينافي التوكل •
٣١٢	:	تفسير صاحب روح المعاني لقوله تعالى (والذين يدعـون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون) ورده على بعض الصوفية القائلين بجواز الاستغاثة بالأولياء للعارف •
٣١٢ ، ٣١٣	:	ذم الغلاة وبعض أفعالهم واعتقادهم في القبور مما يضحـك السفهاء •
٣١٣	:	تفسير (فالمدبرات أمرا) وابطال قول من فسرها بالأوليـاء وأن لهم تصرف بعد موتهم •
٣١٣ ، ٣١٤	:	رد صاحب روح المعاني على بعض الغـلاة في تفسـير (لاتدخلوا بيوتا ••) بالدخول لزيارة قبور الأوليـاء وأن الاستئناس أن يجد روح القبول ، وانكاره ما تقوله الرافضة عند زيارة أئمتهم •
٣١٤ ، ٣١٥	:	وصف الغلاة بأنهم اذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم واذا ذكـر الأولياء والحكايات الكاذبة عنهم استبشروا ، ومانقل عـن بعضهم من تفضيل دعاء الأولياء على دعاء الله •
٣١٥	:	حكاية عن عكرمة ابن أبي جهل في اخلاص المشـركين في

الصفحة		الموضـــــوع
		الشدة بخلاف أهل زماننا •
٣١٦	:	أبيات للشافعي ولأبي نواس وغيرهما تتضمن الرغبة الى الله وحـده •
٣١٦ ـ ٣١٨	:	قصيدة لعلي السويدي فيها تغير الناس والحث على الرغبة الى الله وفيها وصايا قيمة وبعدها ثناء على كتابه (العقـد الثمين)
٣١٩ ـ ٣٢١	:	تقريظ لمحمد خليل الدمشقي على كتاب (العقد الثمـين) نظما ذاكرا مافيه من الفوائد الجليلة •
٣٢١ ، ٣٢٢	:	أبيات نفيسة فيها توسل الى الله وحده بصفات كماله مجربة اجابة من دعى بها وأبيات أخرى لم يزل الصالحون يناجون ربهم بها •
٣٢٢ ـ ٣٢٤	:	قصيدة جليلة لبعض الصالحين قد خمسها بعض أهل الزهد فيها أعظم مناجاة لله وتذلل بين يديه •
٣٢٥	:	أبيات للزمخشري وصف الله فيها بسعة الاطلاع ورغب اليه وحده في المغفرة •
٣٢٥ ، ٣٢٦	:	دعاء واستغاثة كان يواظب عليها شهاب الدين السهروردي ذكروا لها خواص وفوائد كثيرة •
٣٢٦	:	خاتمة قصيدة عظيمة للشيخ الدمياطي دعا الله فيها بأسمائه الحسنى •
٣٢٦ ، ٣٢٧	:	لم يزل الصالحون يناجون الله ويتضرعون اليه وحده خلافا لما نقل النبهاني الذي لم يفرق بين الشفاعة والتوسل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم •
٣٢٧	:	الباب الثامن للنبهاني ذكر فيه ماورد من النظم فيه استغاثة بالرسول عليه السلام ورتبه على الحـروف وأكثـره من (المجموعة النبهانية) •
٣٢٧ ، ٣٢٨	:	لايقبل قول كل أحد نظما أو نثرا وانما المرجع الكتـاب والسنة كما في أدعية الأئمة الجهابذة كما تقدم •

الصفحة		الموضـــــوع

الصفحة		الموضـــــوع
٣٣٩	:	حكم الحلف بغير الله وبعزة الله ولعمـر الله والفـرق بين قولهم الصفات غير الذات وصفات الله غير الله •
٣٤٠	:	قولهم : اسألك بالله والرحم ودليله ومعناه والأمـر بابرار المقسم •
٣٤١	:	التوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو باتباعهم أو بدعائهم وشفاعتهم وحكم ذلك •
٣٤١ ، ٣٤٢	:	أمثلة مما أورد النبهاني من الشعر المشتمل على دعاء الرسول وطلبه مالايطلب الا من الله •
٣٤٢ ، ٣٤٣	:	من شعر الصرصري والبوصيري ومافيه من الغلو وهما أجل من استشهد النبهاني بشعره •
٣٤٣	:	ماانتقده شيخ الاسلام على ابن البكري والصرصري وابن النعمان من التسوية في الاستغاثة بين الحي والميت •
٣٤٤	:	من المتحقق أن الرسول نهى عن دعاء غير الله ولكن لايكفر من فعله جاهلا الا بعد العلم •
٣٤٤	:	الذين يدعون الأموات يفزعون اليهم في الضرورات كما فعلوا لما جاء التتر مما سبب هزيمتهم ولما أخلصوا انتصروا •
٣٤٥	:	تأويل لبعض ماأنكر من شعر الصرصري ليوافق الحق •
٣٤٥ ـ ٣٤٨	:	مانقله شيخ الاسلام عن الغلاة من استقبـانهم القبـور وعكوفهم حولها وحجهم اليها •• الـخ وتفصيـل المؤلف لذلك •
٣٤٨ ، ٣٤٩	:	قول البوصيري : مالي من ألوذ به سواك •• ومافيـه من الشرك وخطأ من أوله بالشفاعة •
٣٤٩ ـ ٣٥١	:	حول بيت للبوصيري فيه أن معجزات الرسول عليه السلام كالقرآن لاتناسب قدره والا لأحيا اسمه الأموات •
٣٥١ ـ ٣٥٥	:	زعم المشركين عدم تأثير الأسباب وان وسائلهم من الأولياء لايؤثرون وانما الله يخلق عند دعائهم ماطلبوا والرد عليهم بمشابهة فعلهم لفعل المشركين وباثبات تأثير الأسباب باذن

الصفحة		الموضـــــوع
		الله •
٣٥٥ ، ٣٥٦	:	الذين احتج النبهاني بشعرهم اما اتحـادية لايفرقـون بين الخالق والمخلوق واما جهال لونبهوا لرجعوا •
٣٥٦ ، ٣٥٧	:	ثبت النبهاني عن مشائخه الى جبريل عن اسرافيل •• الخ وكونها دعوى كاذبة لفقد آثار العـلم والتقـوى فيه وفي مشائخه •
٣٥٨	:	تفسير الزمخشري للمحبة بالطاعة والاتباع وتكذيبه ماتدعيه الصوفية من المحبة لفقد آثارها فيهم •
٣٥٨ ، ٣٥٩	:	علم المعقول مأخوذ عن كتب اليونان بعد آن ترجمت وعن أهل الكلام فلا يصح نسبة ذلك الى جبريل •• الخ
٣٥٩ ، ٣٦٠	:	الخرق متعددة أشهرها خرقة عمر وخرقة علي وبيان أسانيد خرقة علي ومافيها من الكذب والانقطاع وان الصحـابة لا يلبسون مريديهم خرقا ولايقصون شعورهم •
٣٦١ ، ٣٦٢	:	ضعف نسبة الفتوة الى علي وكون التابعين يأخذون عن كل من لقوه من الصحابة ولايتخذ أحد منهم شيخه ربا ، وكون علي لم يتفرد بعلم دون بقية الصحابة ولم يحتج اليه الا كما يحتاج الى غيره •
٣٦٢ ، ٣٦٣	:	بطلان ثبت النبهاني لاختلال سنده وانتحاله البدع وخلوه من العلم الصحيح وبطلان كل ماهذى به في هذا الكتـاب وكذبه فيما عنده من الاجازات بالطرق العلية الخ •
٣٦٤	:	نقل النبهاني في خاتمته أن الشعراني تأول أقوال الصوفيـة الصريحة في الاتحاد ورد نسبة بعضها اليهم •
٣٦٤ ، ٣٦٥	:	لم يسلم أحد منا لاعتراض وليست العصمة الا للرسل ، وابن تيمية انتصر للصوفية ولم ينتقد الا مسائل للغزالي الا أنه تكلم كغيره في ابن عربي وأضرابه من أهل الاتحاد •
٣٦٥ ، ٣٦٦	:	الأئمة الأربعة يوجبون هدم القباب على القبور ويحرمـون الصلاة عندها لله ومقلدتهم ينسبون من فعـل ذلـك الى

الصفحة		الموضـــــوع
		الاستخفاف بالأولياء ◆
٣٦٦	:	قول ابن عربي حدثني قلبي عن ربي تكذيب للرسل وورثتهم كالجنيد الذي يتوفق عن قبولا لواردات الا بشاهدين وهما الكتاب والسنة ◆
٣٦٦ ، ٣٦٧	:	طعن المازري على الغزالي وان الغزالي عول في الفلسفة على رسائل اخوان الصفا وعلى كتب ابن سينا ، وبيان مافي كتابه الأحياء من الموضوعات والأقولا الباطلة ◆
٣٦٨ ، ٣٦٩	:	كلام أبي الوليد الطرطوشي وابن الصلاح في الغزالي وانتصار ابن السبكي له واعترافه بجهله في الحديث وعزم أهل المغرب على احراق كتب الغزالي ◆
٣٦٩ ، ٣٧٠	:	نصيحة الشيخ عبد اللطيف لمن يشتغل بكتاب الاحياء ونقله عن العلماء التحذير عنه لما فيه من البدع والكذب الخ ◆◆
٣٧١	:	مدح بعض الجهلة لكتاب الأحياء وان الزبيدي قد خرج أحاديثه وبيان أن الزبيدي ليس من أهل الحديث ◆
٣٧١	:	مدح ابن تيمية للغزالي بالخاتمة الحسنة واشتغاله في آخر عمره بالصحيحين ◆
٣٧٢ ، ٣٧٣	:	ما قاله القرطبي وأبو بكر الطرطوشي في الغزالي وذكر ألفاظ منكرة نقلت عنه وسبب تكلم ابن تيمية وغيره فيه ◆
٣٧٣ ، ٣٧٤	:	سبب تكلم ابن تيمية في ابن عربي وذكرمن كفره غيره وكيف كان مبدأ أمره ونهايته ◆◆
٣٧٤	:	مباهلة ابن حجر العسقلاني لبعض من يغالي في ابن عربي وموت ذلك المباهل في وقت قريب ◆
٣٧٥	:	وصية للمؤلف بلزوم الكتاب والسنة واجتناب المحدثات ◆
٣٧٦	:	قصيدة بليغة في الأمر باتباع الصحابة والثناء عليهم ◆
٣٧٧	:	خاتمة في بيان قدر النبهاني وحقارته بالنسبة لمعالي الأمور ◆
٣٧٧	:	مدة اشتغال المؤلف بهذا الكتاب ٥٤ يوما ◆

تصحيح الاخطاء في الجزء الثاني من كتاب غاية الاماني

صفحه	سطر	خطـــأ	صـــواب
٦	٢	بعضَهُمْ	بعْضُهُمْ
١٦	٩	فَسُحْقَاً	فَسُحْقاً
٣١	٢٤	الربوهية	الربوبية
٣٢	١٥	في أتباعهم	في اتباعهم
٣٣	١٥	علُمُ السَّاعة	علْمُ السَّاعة
٣٨	١٩	قُلْ ادعُوا	قُلِ ادعوا
٣٨	٢٢	قُلِ أدُعو	قُلِ ادْعُوا
٤٩	١٧	أَو تُو	أُوتُوا
٥٩	٢٥	بجسه	بجسبه
٦٠	٩	اذا أنجدوا	اذ أنجدوا
٦٠	٢٢	جمه	جمة
٦١	١٢	المجتبي	المجتبى
٦٦	٢٦	الاعرف	الاعراف
٧٣	٢٣	(٣) ٢٨٥	(٣) البقرة : ٢٨٥

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٤	١٤	يا أيَّها	يا أيُّها
٩٤	٤	فيه حق	فيه في حق
١٠٤	١٢	(إنٌ	(إنَّ
١١٦	٢	الجنه	الجنة
١١٧	١٦	العالي	العاني
١٢١	٢	برصوان الله	برضوان الله
١٢١	٢٨	محمود	المحمود
١٢٦	١٦	نَبيٌ عدُواً	نَبيٍّ عَدُوّاً
١٢٩	١٦	رويه	روية
١٣٩	٨	وتنشرح أفئدة	وتنشرح لها أفئدة
١٤٧	٢٧	وتَنْزَعُ	وتَنْزِعُ
١٥٠	١٥	م ا يصادم	ما يصادم
١٥٨	٧	الحدود سسب	الحدود فكتب
١٧٤	١٠	يستعبه	يستعتبه
١٧٤	١٤	كرماته	كراماته
١٧٤	١٦	لنا مسألة عما كنا	لنا مسألة مسألة مما كنا
١٧٦	٢٢	رجل	رجال
١٧٧	٢٨	امن جميع	آمن جميع
١٩٧	١٢	الزملكان	الزملكاني
٢٢٤	١	ذو اجتها ولكن	ذو اجتهاد لكن
٢٢٨	٢٤	عد	غد
٢٣٧	٢٧	حشاشة	حشاشة
٢٤٢	٥	فلتحقه	فتلحقه
٢٤٣	١٨	يثبين	يتبين
٢٤٥	٢٤	الاجتجاج	الاحتجاج
٢٤٦	٢٠	عمرو عن عوف	عمرو بن عوف
٢٤٧	٧	بوم القيامة	يوم القيامة

صفحه	سطر	خطـأ	صـواب
٢٤٨	١٣	كبيرة	كبيره
٢٥٢	٢٦	والميزنَ	وَالْمِيزَانَ
٢٦٠	١٨	ولبت	وليت
٢٦٨	٢١	يُتركُو انْ	يُتْرَكُوا أَنْ
٢٧٧	٨	يعْفلُونَ	يعْقِلُونَ
٢٩٦	٢	ينأمل	يتأمل
٣٠٣	٥	جَنَّتينِ	جَنّتينِ
٣٠٣	٢٤	٩	١٩
٣١١	٢٤	يدعُونَ	يدعُونَ مِنْ دُونِ
٣٢٦	١٩	وارحم وانصر	وارحم واكف وانصر
٣٤٥	١	ضرورررات	ضرورات
٣٤٦	١٧	والبله	والبد
٣٦٧	٢٧	ألغموضة	ألغموضه

انتهى

